٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٧٣٨

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة ام القرى / مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا

أجرت الطالبة التعديلات المطلوبة
وتجاز الرسالة

مناقش خارجي
مناقش داخلي

الحياة الاقتصادية في بلاد الشام

في العصر الأموي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

الطالبة / ثريا حافظ عرفه

إشراف

الأستاذ الدكتور / احمد السيد دراج

١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م

ملخص رسالة دكتوراه

(الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الاموي)

يتناول موضوع الرسالة الحياة الاقتصادية في الشام في العصر الاموي / وجاءت الرسالة في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة . وفي المقدمة تناولت الحياة الاقتصادية في الشام في العصر البيزنطي مع دراسة نقدية لاهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة . وفي التمهيد تناولت أسباب تدهور الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر البيزنطي من خلال إبراز اضطهاد البيزنطيين لاهل الشام وجورهم في جمع الضرائب منهم بالاضافة الى أثر الحروب بين البيزنطيين والفرس في الفترة السابقة على الاسلام. وتحدثت في الفصل الاول عن عوامل إزدهار الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الاموي . وأما الفصل الثاني فقد خصصته لدراسة الاحوال الزراعية . والفصل الثالث لدراسة أهم الصناعات . والفصل الرابع للحركة التجارية الداخلية والخارجية . ثم تناول الفصل الخامس الاصلاحات المالية للخلفاء الامويين وأثرها على اقتصاد بلاد الشام .

وفي الخاتمة تحدثت عن أهم نتائج البحث وتتلخص في النقاط التالية :-

- نجاح الامويين في تحقيق الازدهار الاقتصادي في بلاد الشام .
- دور الخلفاء الامويين في العمل على ازدهار الاحوال الزراعية .
- دور الخلفاء الامويين في تطوير الصناعة .
- انتعاش الحركة التجارية الداخلية والخارجية في بلاد الشام وأثر ذلك على الحياة الاقتصادية .
- استقرار الاوضاع الاقتصادية وازدهارها نتيجة للاصلاحات المالية التي قام بها الخلفاء الامويون .

والله ولي التوفيق

الطالبة	المشرف	يعتمد عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
ثريا حافظ عرفه	د. احمد السيد دراج	د. سليمان بن واثل التويجري
١٤١٠/١١/١٨ هـ	١٤١٠/١١/٢٠ هـ	

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .

صدق الله العظيم

سورة التوبة (آية ١٠٥)

شكر وتقدير

قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ . سورة البقرة آية ١٨٦

أسأل الله العلي القدير دوام النعم فمن نعمته جل وعلا أن أمدني بالصبر والقدرة على إتمام هذا البحث . وبالجهد والصبر ينال المرء ما يبتغيه . ولكل مجتهد نصيب . وهذه المثابرة لابد وأن يكون وراءها سعي حثيث للوصول إلى الهدف . وبلوغ الأرب . ولابد وأن يكون وراء كل هذا .... الإرشاد والتوجيه والإمداد والمساعدة . وكذلك الترقب والأمل .

فإلى أستاذي المشرف الدكتور / احمد السيد راجح شكري وتقديري على توجيهاته القيمة وارشاداته الهامة طوال فترة إعداد هذا البحث . جزاه الله عني خير الجزاء .

وإلى كل من كانت له يد المساعدة . لهم مني جميعاً شكري وتقديري . عرفاناً وامتناناً بما قدموه لي . جزاهم الله عني خير الجزاء .

الطالبة

فهـــــــــرس الـموضوعـــــــــــــات

فهـــرس الموضوعـــات

تابع / فهرس الموضوعات

تابع / فهرس الموضوعات

تابع / فهرس الموضوعات

تابع / فهرس الموضوعات

تابع / فهرس الموضوعـــات

رقم الصفحة

المقدمة

أ ـ أهمية دراسة الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأمـــوي :

تبرز أهمية دراسة تاريخ بلاد الشام من كونها أولا موطن الأنبياء ومهد الرسالات السماوية ، ثم لما تتميز به من موقع جغرافي جعلها معبرا رئيسيا لتجارات الشرق والغرب ، فضلا عن خصوبة تربتها ، وطيب مناخها ، ووفـــرة محاصيلها ، مما جعلها منذ الأزمنة الغابرة مطمعا للغزو ، ومركزا مـــن مراكز الحضارة العالمية عامة ، والاسلامية خاصة . ولهذا كانت بلاد الشـــام في العصر البيزنطي تعتبر مـــن أهم الولايات الشرقية في الدولة البيزنطية ، وقـد احتفظت بهذه الأهمية بعد الفتح الاسلامي لها ، وخاصة بعد أن أصبحت مقـــرا للخلافـة الأمويـة .

فمـع انتقال مقـر الخلافة الاسلامية الـى دمشق أصبحت العائدات الماليـة للولايات التي كانت قـد فتحت في عهد الخلفاء الراشدين ، أو التـــي فتحـت فيما بعد فــي العصـر الأمـوي تعـود بالنفع على الدولة الأموية ، وبدأت الدولة تجني ثمرات هذا النفع مستعينة في تحقيق ذلك برجال من الروم والفـرس فـــي تسيير أمور الدولة المالية والادارية ، كما استعانت في هـذه الأمـور بأهـل الذمـة متمشية بموجب ما قررته الشريعة الاسلامية ، فانتعشت بذلـك مجـالات الزراعة والصناعة والتجارة ، وبالتالي أنعشت بعائداتها دمشق مركـز الخلافـــة الاسلامية ، وكذلك عددا من المدن والمرافق .

الا أن الدولة الأموية على الرغم مما تحقق لها من امتداد واتســـاع النفوذ الاسلامي والازدهار الاقتصادي ، ما لبثت أن دبـت فيها عوامــــل التدهـور مما أدى الى سقوطهـا .

وما نحن بصدد دراسته في هذا البحث هو الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في عهد الدولة الأموية ، وتبرز أهمية هذه الدراسة مـن أنها ـ فيما أعتقد ـ لم تكن موضوعا لدراسات جامعية سابقة ، فهناك عـدد كبير مـن رسائـــل

الماجستير والدكتوراه التي منحت من الجامعات العربية وتتناول العديد من المجالات التاريخية والحضارية في العصر الأموي . وعلى الرغم من أن بعض هذه الرسائل الجامعية تتناول جانبا أو آخر من جوانب الحياة الاقتصادية في الشام في العهد الأموي ، الا أنه ليس من بينها ما عالج الحياة الاقتصادية في ذلك العهد من كافة جوانبه في بلاد الشام ، مع مقارنة ذلك بما كان عليه الوضع الاقتصادي لبلاد الشام في العصر البيزنطي ، وما استقر عليه الوضع من ازدهار اقتصادي لبلاد الشام في العهد الأموي . وسيجد القارىء في حديثي عن الدراسة النقدية لأهم المصادر والمراجع والبحوث التي رجعت اليها في اعداد رسالتي هذه اشارة الى بعض هذه الرسائل التي تمس جانبا أو آخر من جوانب الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العهد الأموي[١].

هذا ولا أدعي الكمال فيما قمت به في دراستي هذه ـ فالكمال لله وحده ـ ومن ثم فالمجال مفتوح أمام الباحثين في استكمال ما يكون قد فاتني دراسته في هذا المجال .

وقد تناولت في هذا البحث عدة موضوعات رئيسية تساعد في توضيح الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في الفترة موضوع الدراسة بمشورة وتوجيه أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد السيد دراج حيث تطرق البحث الى النقاط التاليـة :ـ

---

(١) أنظر فيما بعد ، في هذه المقدمة دراستي النقدية لأهم المراجع التي رجعت اليها .

- التمهيد : وتحدثت فيه عن أهم العوامل الرئيسية المسببة في تدهور الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر البيزنطي ، وهذه العوامل هي :-
- الاضطهاد الديني .
- الجور في جباية الضرائب والمكوس .
- الحرب البيزنطية الفارسية ، وما أسفرت عنه من عوامل تسببت في تدهور مالية الدولة البيزنطية .

- أما الفصل الأول : فقد عالجت فيه عوامل ازدهار الحياة الاقتصادية في بلاد الشام بعد الفتح الإسلامي ، وفي العصر الأموي خاصة ، بسبب ما توفر لبلاد الشام من هدوء وطمأنينة وعدل في ظل الشريعة الإسلامية ، فأوضحت به النقاط التالية :
- حرية العقيدة وحسن معاملة أهل الذمة وأثرهما في توفير الأمن والطمأنينة لأهل الشام .
- مقادير جباية الخراج والمكوس .
- الخلفاء الأمويون وزيادة عطاء جند الشام .
- الفتوحات الإسلامية الكبرى في العصر الأموي وتدفق الأموال على بلاد الشام .

- أما الفصل الثاني : فقد تحدثت فيه عن أحوال الزراعة في بلاد الشام في العصر الأموي ، وقد اشتمل هذا الفصل على النقاط التالية :

أ - أنواع الأراضي : حيث أوضحت بها ما واجهه أهل الشام من صعوبات تجاه توزيع الأراضي الخراجية التي منع عمر بن الخطاب توزيعها بعد الفتح الإسلامي ، فتصرف ببعضها خلفاء بني أمية ، الأمر الذي أدى إلى خلق مشكلات جباية الخراج .

ب - اهتمام الخلفاء الأمويين بإقامة الجسور ومد القنوات مما ساعد على قيام نهضة زراعية كبيرة .

جـ - محاصيل بلاد الشام الزراعية ، ومنها ما كان له المقام الأول في الصناعة .

- الفصل الثالث : وقد تحدثت فيه عن الحرف والصناعات التي أتقنها أهل الشام ، سواء كانت صناعات قديمة راسخة في بلاد الشام ، أو دخل عليها بعض التطوير نتيجة تبادل الخبرات بانفتاح الولايات الإسلامية بعضها على بعض ، وهو ما استفادت منه بلاد الشام في عهد الدولة الأموية ، ومن هذه الصناعات :

- صناعة المنسوجات والطرز .
- صناعة الخزف والفسيفساء والزجاج .
- صناعة التحف المعدنية .
- صناعة المجوهرات والتحف العاجية .
- صناعة السفن .
- صناعة التحف الخشبية .
- صناعة الأسلحة .
- استخراج الزيوت وصناعة الصابون .
- صناعة السكر .
- صناعة العطور .

- الفصل الرابع : ويشمل النشاط التجاري ، حيث تناولت فيه أهمية التجارة العالمية لبلاد الشام ، وما سببته من ازدهار لهذه المنطقة عبر العصور ، مما جعلها هدفا ومطمعا للفرس ومحاولاتهم الدائمة في السيطرة عليها.

كما أوضحت أهم طرق التجارة الداخلية البرية والمائية ،وأهم الموانيء

والمدن ، وكذلك أهم الأسواق المحلية ، ونظام مراقبة الأسواق وتنظيم مواعيدها .

كذلك تحدثت عن طرق التجارة العالمية البرية والبحرية ، وطرق القوافل والعناية بها ، وإقامة الخانات . كما أوردت بعضا من صادرات وواردات بلاد الشام ، وأشرت إلى عشور التجارة التي كانت تؤخذ في عهد الدولة الأموية .

- وفي الفصل الخامس : تحدثت عن أهم الإصلاحات المالية في العصر الأموي، وأثر هذه الإصلاحات على اقتصاد بلاد الشام ، وتشمل النقاط التالية :

- عبد الملك بن مروان وسك العملة الإسلامية .
- اصلاحات عمر بن عبد العزيز .
- سياسة يزيد بن عبد الملك .
- إصلاحات هشام بن عبد الملك .

- أما الخاتمة فقد اشتملت على نتائج البحث .

ب - دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع والبحوث :

رجعت في هذه الدراسة عن الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي إلى العديد من مصادر التاريخ الإسلامي الخطية والمطبوعة ، فضلا عن الكثير من المراجع العربية والمعربة ، وكذلك البحوث التي تتعلق بالعصر الأموي خاصة .

ولا يتسع المجال في هذه الدراسة النقدية للتعريف بكل مارجعت إليه من مصادر ومراجع وبحوث ، ومن ثم فإنني أكتفي في هذا المجال بابراز أهمها :-

أولا : المصـادر الخطيـة :

١ - ابن النقاش ، كتاب المذمة في استعمال أهل الذمة ،وهذا المخطوط له أهمية فقهية توضح وجوب إسناد شئون المسلمين إلى أهل دينهم وعدم تركها إلى أهل الذمة .

٢ - ابن الجوزي ، مختصر سيرة العمرين ، وأيضا لهذا المخطوط أهميته في توضيح معاملة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز لأهل الذمة ، وسير عمر بن عبد العزيز على خطى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب في وضع موازين العدل في المعاملة .

ونظرا لأن موضوع الرسالة يشمل جميع مناطق الشام ومدنها ، فقد كان لبعض المدن نصيب من الدراسة الخاصة لدى بعض المؤرخين منذ أمد بعيد ، فكان لدمشق وحلب وصيدا وطرابلس وغيرها من المدن نصيب في هذه الدراسة ، وقد حصلت على بعض المعلومات حول هذه المدن من الدراسات الخطية ومنها :

٣ - ابن الراعي : البرق المتألق في محاسن جُلَّق ، (وجلَّق : قيل أنها اسم لكورة الغوطة ، وقيل بل هي دمشق نفسها ،وقيل جُلَّق موضع بقرية من قرى دمشق ، وقيل أنها صورة امرأة يجري الماء من فيها في قرية من قرى دمشق ، وقال حسان بن ثابت الأنصاري :

لِلّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ
يَوْمًا بِجُلَّقَ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ[(١)])

لذا فقد كان حديث المخطوطة عن دمشق وغوطها ومابها من محاسن .

---

(١) أنظر باقي الحديث عن جلق :
ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .

٤ - ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب ،

٥ - عبد الله مراش ، مختصر تاريخ حلب ،

فهذان المخطوطان يلقيان الضوء على جانب من تاريخ مدينة حلب منذ عهد قديم واستخلصت منهما ما يخص بعض جوانب البحث .

٦ - الأصفهاني/ عماد الدين أبو حامد بن محمد بن حامد :

البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، وهو مخطوط شامل لأخبار الدولة الأموية ومابها من أحداث ، وقد استخلصت منه مايفيدني في البحث .

ثانيا : المصادر المطبوعه :

ومن أهم هذه المصادر التاريخية التي رجعت اليها في هذه الدراسة مايلي :

١ - أبو يوسف : كتاب الخراج .

ولهذا الكتاب أهمية كبرى في البحث اذ استفدت منه في معرفة قضايا الأرض والخراج في الدولة الإسلامية ، وما قام به عمر بن الخطاب من منع توزيع أرض السواد ، وما تلاها من أراضي بعد فتح الشام والعراق ومصر ، وعملية تنظيم الخراج والجزية والعشور ، والعطاء للمسلمين ، وكان لهذه المعلومات أدلة واستنادات فقهية وأحاديث بينة عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم .

٢ - أبو عبيد : كتاب الأموال .

ولا يقل هذا المصدر أهمية عن المصدر السابق من حيث الاستفادة في الأمور المالية وقضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فرض الأعطيات ، وكذلك في أمور الفيء والعشور بما استند اليه من أحاديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكذلك آراء الفقهاء والعلماء فيما يختص بنواحي المال في الدولة الإسلامية .

٣ - الماوردي : الأحكام السلطانية .

وهو من المصادر الهامة التي ناقشت المسائل المالية مثل وضع الديوان ، وتقرير العطاء ، وأمور الخراج والجزية ، فقد ناقش هذا المصدر هذه النواحي من الناحية الفقهية مما ساعدني في تثبيت المعلومات .

٤ - أبو يعلي : الأحكام السلطانية .

وهو أيضا من المصادر الفقهية التي استندت اليها لمناقشة الموضوعات المالية السالفة الذكر بإسناد أحاديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وإسناد آراء الفقهاء .

٥ - ابن قيم الجوزية : شرح الشروط العمرية .

وتعود أهمية هذا المصدر إلى الاجراءات التي اتخذها عمر بن الخطاب حيال أهل الذمة ، وطرق معاملتهم بما تقضيه الشريعة الإسلامية ، والشروط والواجبات التي تقرر ما لهم وما عليهم ، وإلزام عمال الولايات باتباعها ، وعقد مقارنة بين النصوص التي وردت في عهده ، والتي وردت في عهد عمر بن عبد العزيز من الشروط التي ألزم بها أهل الذمة .

٦ - الطبري : تاريخ الرسل والملوك .

وهذا مصدر له أهميته في أحداث الفتوحات الإسلامية ، وفيما يختص بسياسة الولاة في الولايات الإسلامية من النواحي المالية والإدارية .

٧ - البلاذري : فتوح البلدان .

وكان لهذا المصدر أهمية خاصة في فتوح الشام ، إضافة إلى كون هذا المصدر يتسم بالموضوعية في الحديث عن فتوح البلدان الإسلامية عامة ، كما أفرد فصولا خاصة كانت من صميم موضوع البحث في النواحي المالية ومنها : أرض السواد ، تقرير العطاء ، القراطيس ونقل الديوان إلى اللغة العربية ، النقود . ومن ثم كان لهذا المصدر أهمية كبيرة بالنسبة لهذه النواحي المالية .

٨ - الواقدي : فتوح الشام .

ويعتبر هذا المصدر أحد مصادر التاريخ الهامة لتسلسل أحداث فتوح الشام وورود نصوص بعض المكاتبات التي كانت تتم بين أمراء الجيوش وقائدهم ، كذلك المراسلات إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومقادير الفيء والغنائم التي حصل عليها المسلمون من كل موقعة ، والصلح الذي كان يتم بين المسلمين وأهالي البلاد المفتوحة . وكذلك يوضح مقادير الخراج والجزية التي فرضها .

٩ - ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز .

وأهميته ترجع إلى مايتعلق بالاصلاحات المالية والإدارية التي تمت في عهده .

١٠- الجهشياري : الوزراء والكتاب .

وقد استفدت من هذا المصدر في الحصول على أسماء الكتاب الذين تولوا الأعمال الكتابية في الخلافة الأموية .

١١- ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير .

ولهذا الكتاب فائدة كبيرة وخاصة في العديد من المواضع التي تختص ببلاد الشام من النواحي المالية والاجتماعية والاقتصادية ، ومنها أوضاع أهل الذمة ، ونصوص العهد الواردة لفتح بلاد الشام وبيت المقدس . كما يشتمل هذا المصدر على معلومات هامة في عهد الخلافة الأموية عن توزيع أرض الصوافي والأراضي الخراجية وعن الإقطاعات الممنوحة إلى الخاصة ، ودور عمر بن عبد العزيز في تصحيح هذه الأوضاع ، كذلك أورد عدد الكنائس التي دخلت ضمن شروط الصلح وأسماءها .

١٢- ياقوت الحموي : معجم البلدان .

وقد استفدت من هذا المصدر في تحديد تبعية المدن لإقليم بلاد الشام وبعض الأخبار الهامة عن هذه المدن .

١٣- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .

ولهذا المصدر أهمية خاصة من حيث دراسة موقع بلاد الشام وخصائصها ، وأهم مدنها ، والمحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها بلاد الشام .

١٤- ويشترك مع هذا المصدر مصدر آخر في معرفة أحوال بلاد الشام ومحاصيله الزراعية وهو :

١٥- البدري : نزهة الأنام في محاسن الشام .

١٦- الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار .

وهو معجم جغرافي أفادني كثيرا في تحديد المدن التابعة لبلاد الشام، كما أنه يذكر أيضا أهمية هذه المدن وأهم الأحداث التي مرت بها ، وأبنيتها، وتجارتها ، ومحاصيلها الزراعية وأهم أنهارها .

١٦- ابن كثير : البداية والنهاية .

وقد استفدت من هذا المصدر في ترجمة حياة الخلفاء الراشدين والأمويين وأعمال كل خليفة ،إلى جانب الحديث عن الفتوحات الإسلامية وعائداتها من الفيء والغنائم على الدولة الإسلامية ثم الأموية .

١٧- القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد .

وقد أفادني هذا المصدر في المعلومات التي أوردها عن بلاد الشام وخواصها وأهميتها وتقسيم مناطقها ، كما تحدث عن أهم المدن الشامية وأورد خصائصها ، وأهم الأبنية بها .

١٨- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي .

وقد ذكر هذا المصدر مقادير الخراج بصفة خاصة في عهد عمر بن الخطاب ، وفي خلافة بني أمية ، إضافة إلى تسلسل الأحداث في عهد الخلفاء الراشدين ، ثم الأمويين ، وما تخللته هذه الفترة من فتوحات وأحداث .

ولعلي أكتفي بهذا العدد من المصادر لا تقصيرا في ذكرها وعدم أهميتها، وإنما كما سبق أن ذكرت من أن ضيق المجال هنا لا يسمح بذكر كل مصدر وأهميته من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد كان للمراجع والبحوث أيضا أهمية كبرى فلابد وأن يفرد لها مجال أوسع ، حيث أن الأمانة العلمية تقتضي من الباحث ألا يغفل دور الباحث الذي سبقه في خوض بحار موضوع بعينه وإبراز دوره في البحث . وهذا ما أردت أن أشير إليه وهو أن هناك العديد من المراجع والرسائل العلمية ،والبحوث والندوات وإن لم تغط جميع جوانب هذا البحث ، الا أنها كانت من الأهمية بمكان بحيث استندت اليها ، واستفدت منها في استقاء أغلب موضوعات هذا البحث .

ثالثا : المراجع العربية والمعربة :

أما عن المراجع العربية والمعربة التي تحدثت عن تاريخ بلاد الشام ، والتي استقيت منها المعلومات الخاصة بالجانب الاقتصادي للدولة الأموية فأهمها :

١ - عصام الدين عبد الرؤوف :

الحواضر الاسلامية الكبرى :

فقد اهتم فيما تناوله من دراسة للحواضر الإسلامية الكبرى بدراسة مدينة دمشق كحاضرة للخلافة الأموية . وهذه الدراسة عن دمشق التي ضمها كتابه عن الحواضر الإسلامية الكبرى هي في الأصل موضوع رسالته التي نال بها درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة القاهرة ،عام ١٩٦٧م،فقد كان موضوعها "الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في مدينة دمشق من الفتح العربي الى نهاية العصر الأموي". وكما يتضح من عنوان هذه الرسالة ،فانها تتناول بجانب الحياة الاقتصادية في دمشق الحياة الاجتماعية أيضا،وفي فترة زمنية تبدأ من الفتح الاسلامي للشام حتى

نهاية العصر الأموي . وأما عن الجانب الاقتصادي ، فقد خص به مدينة دمشق فقط ، وعلى الرغم من استفادتي مما أورده من معلومات عن هذا الجانب الاقتصادي في حياة مدينة دمشق ، إلا أنه لم يتطرق الى دراسة التأثيرات الاقتصادية الهامة على بلاد الشام عامة من خلال دراسة الأحداث التي مرت بها بلاد الشام والتأثيرات الحضارية التي تعرضت لها .

٢ - موسى عبد الغفار أحمد :

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين في العهد الأموي :

رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب جامعة القاهرة ،سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

وقد اقتصر الباحث في هذه الرسالة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين فقط ، وفي العصر الأموي من سنة (٤٠ - ١٣٢هـ - ٦٦١ - ٧٥٠م) وبذلك ابتعد عن الحديث عن التأثيرات الاقتصادية التي واجهتها فلسطين في العصر البيزنطي ، ومن ثم ماواجهته من انتعاش اقتصادي اثر الفتح الإسلامي .

٣ - فالح حسين :

الحياة الزراعية في الشام في العصر الأموي :

وهي رسالة ماجستير نشرت بدعم من الجامعة الأردنية ، وذلك تشجيعا لدراسة أحوال بلاد الشام الاقتصادية والزراعية بشكل خاص في عصر صدر الإسلام ، وتعتبر هذه الرسالة دراسة لجانب واحد من جوانب الحياة الاقتصادية موضوع الرسالة التي أقوم ببحثها .

٤ - محمد زينهم محمد عزب :

الادارة المركزية للدولة الأموية :

وهي رسالة ماجستير (لم تطبع) مقدمة إلى جامعة القاهرة ،وهي أيضا من

المراجع التي تتعلق بالنظم الإدارية للدولة الأموية ،وإن كانت تتطرق بطريقة غير مباشرة لما يخص الجانب الاقتصادي من هذه النظم .

٥ - عبد المنعم صالح نافع :

الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في الشرق الإسلامي في عهد الخليفة هشام ابن عبد الملك :

وهي أيضا رسالة ماجستير (لم تطبع) مقدمة إلى جامعة القاهرة ، وقد قام الباحث في هذه الرسالة بدراسة لعهد أحد خلفاء دولة بني أمية من جميع جوانبها السياسية والحضارية ، ولكن في مشرق الدولة دون مغربها .

٦ - عبد المجيد محمد صالح الكبيسي :

عصر هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣م) :

وهي احدى الرسائل الجامعية التي ساعدت جامعة بغداد على نشرها ، وقد قام الباحث بدراسة شاملة لعهد هشام بن عبد الملك السياسية بشكل عام ، كما قام بدراسة الناحية الاقتصادية للدولة الأموية عامة في عهد هذا الخليفة من حيث الواردات والنفقات المالية للدولة الأموية في الولايات الإسلامية ومن ضمنها بلاد الشام .

٧ - نجدة خماش :

الإدارة في العصر الأموي :

وهي رسالة ماجستير نشرت من دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

وفي هذا البحث قامت الباحثة بدراسة الجانب الإداري لإقليم الشام وباقي الأقاليم الإسلامية في العصر الأموي ، فكانت الاستفادة من هذا البحث خاصة من ناحية الأرض وجباية الخراج في بلاد الشام ، وكذلك أوضاع أهل الذمة . إضافة إلى التنظيمات الإدارية في عهد بني أمية .

٨ - عبد العزيز عبد اللـه السلومـي :

ديـــوان الجنـــد :

وهو رسالة ماجستير (مطبوعة) مقدمة إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وقد اهتم الباحث في هذه الدراسة بأحد الجوانب الاقتصادية الهامة وهـو موضوع العطاء في الدولة الإسلامية ، ونشأة الديوان في عهد عمـر بـن الخطاب ، رضي الله عنه ، ونظام العطاء في عهد الخلفاء الراشديـن والأمويين والعباسيين ، وهو ما استفدت منه في دراستي هذه عن هـذا النظام خاصة .

٩ - حسن محمـود الشافعـي :

العملـة وتاريخهـا :

وهي إحدى الدراسات الهامة لدراسة سك النقود وتاريخه منذ نشأة العملات في العالم وتداولها منذ عهد المصريين القدماء والإغريق والرومان، وكان للفصل الرابع من هذا البحث نصيب في دراسة العملة العربية وتاريخهـا وسكها وتداولها منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنـه ، وقد أورد في بحثه نماذج من النقود المختلفة التي سكت منـذ عهـد الخليفة عمر بن الخطاب ، وكذلك النقود التي سكت في عهد الدولة الأموية .

١٠- حسـان علـي حـلاق :

تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي :

حيث قدم لنا الباحث في هذا المرجع دراسة شاملة عن تطور النقـود في الدولة الإسلامية ، وتعريبها الكامل في عهد عبد الملك بـن مـروان ، كذلك عن تعريب الدواوين في عهد هذا الخليفة ، وبذلك عالج هـذا المرجع جانبا هاما من موضوع البحث الذي أقوم بدراسته ، كما أمدنـا ببعـض النماذج من النقود التي تم سكها في عهد الدولة الأمويـة .

١١- عبد الرحمن فهمي محمد :

موسوعة النقود العربية وعلم النميات :

ولهذا المرجع أهميته البالغة من حيث التعريف والتطوير للسكة الإسلامية منذ فجر الدولة الإسلامية ثم عهد الدولة الأموية ، وكذلك التعريف بوزن الدينار الذهبي البيزنطي والدرهم الفضي الساساني الذي أقر التعامل به الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، وخليفته أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، والتي فرضها عمر بن الخطاب بعد الفتح لتحديد مقادير جباية الخراج ، كما ناقش أسباب سك عبد الملك بن مروان النقود الإسلامية العربية الخالصة ، والتدرج الذي قام به عبد الملك بن مروان في تطوير هذه العملة الذهبية إلى مراحلها النهائية .

١٢- نبيه عاقل :

تاريخ خلافة بني أمية :

اهتم الباحث في الجانب الأول من موضوعه بالأحداث السياسية ،والتيارات القبلية التي أثرت على الدولة الأموية وذلك إلى عهد عبد الملك بن مروان ، ثم بين الجانب الآخر من الاهتمامات الخاصة بتعريب الدواوين ، وفتوحات الوليد بن عبد الملك ، ثم إصلاحات عمر بن عبد العزيز ، وما تلاها من سياسة يزيد بن عبد الملك ، والفتن التي ظهرت في عهد أخيه هشام . كما بين بعد ذلك أحوال الدولة الأموية بعد عهد هشام ابن عبد الملك ، وما واجهته الدولة من أحداث وفتن أدت في النهاية إلى سقوطها .

- محمد كرد علي :

وله مجموعة قيمة من الكتب التي رجعت إليها في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية ،ومنها مايعتبر موسوعة عن بلاد الشام أو الحضارة العربية بشكل عام. ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتابه عن :

١٣- خطط الشام :

وهذا المرجع كما سبق وأشرت يعتبر موسوعة شاملة لتاريخ بلاد الشام وجغرافيتها وأهم أحداثها ، وقد شملت أيضا الجانب الاقتصادي بكل مجالاته ، وبذلك يعتبر مرجعا هاما استقيت منه العديد من المعلومات الخاصة بموضوع البحث .

١٤- وكتابه الثاني عن : الحضارة العربية الإسلامية :

وهو يبين مدى ماوصلت إليه الدولة الإسلامية عقب الفتوحات ، وخاصة في النواحي الحضارية .

١٥- ثم كتابه عن : غوطة دمشق :

وقد بحث في هذا الكتاب الجانب الخاص بغوطة دمشق وأنهارها ومحاصيلها الزراعية .

١٦- وكتابه عن : الإدارة الإسلامية في عز العرب :

وهذا المرجع اهتم بالجانب الخاص بالإدارة في عهد الدولة الأموية فقط وسياسة كل خليفة في تسيير أمور الدولة والولايات التابعة لها .

١٧- وأخيرا كتابه عن : دمشق "مدينة السحر والشعر" :

وهذا المرجع اهتم فيه الكاتب بإبراز تاريخ دمشق كمدينة قديمة شملت كل نواحي الحضارة الزراعية والصناعية والتجارية ، ولكن دون التعرض لتاريخها السياسي أو للتأثيرات الاقتصادية عليها .

١٨- فرج محمد الهوني :

النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية :

وتعود أهمية هذا المرجع إلى اهتمام الباحث بالجانب المالي والإداري منذ نشأة حكومة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، إلى نهاية الدولة الأموية ،ثم تطور النظم الإدارية والمالية في عهد عبد الملك بن مروان ،

ومحاولات الإصلاح التي قام بها عمر بن عبد العزيز ، وبعد ذلك ما آلت إليه الدولة الأموية عقب سياسة يزيد بن عبد الملك ثم أخيه هشام إلى نهاية الدولة الأموية ، وبذلك نراه قد تناول الجانب المالي والإداري للدولة ،فكانت الاستفادة من هذا البحث في أحد جوانب الموضوع الذي أقوم بدراسته .

١٩- أ. س . ترتون :

أهل الذمة في الإسلام ، ترجمة حسن حبشي :

وتعود أهمية هذا المرجع والاستفادة منه في هذا البحث إلى ما أورده المؤلف من معلومات هامة عن أوضاع أهل الذمة ،ومعاملتهم في الدولة الإسلامية ومنها بلاد الشام ، وعقده مقارنة لنصوص العهد العمري التي وردت في المصادر الإسلامية ، وربطها بشروط العهد التي ألزم بها عمر بن عبد العزيز أهل الذمة .

- عبد العزيز الدوري :

٢٠- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي .

٢١- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام .

ولهذين الكتابين أهمية خاصة في تحليل المؤثرات الاقتصادية والعوامل القبلية في نشوء نظام الخلافة وتطوره ، وأسباب الفتنة الأولى نتيجة للصراع العنيف بين التيار الإسلامي والتيار القبلي ، وأثر ذلك الصراع على اقتصاد الدولة الإسلامية عامة ، وعلى الدولة الأموية خاصة .

٢٢- السيد عبد العزيز سالم :

تاريخ الدولة العربية :

وكان لهذا المرجع أهمية خاصة في الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام ، والفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية ،وكذلك في النظم المالية والإدارية والحياة الاجتماعية .

٢٣- ابراهيم أحمد العدوي :

الأمويون والبيزنطيون :

ولهذا الموضوع أهميته في دراسة أحوال الشام على عهد البيزنطيين ، واعتماد الدولة البيزنطية على القبائل العربية في حماية حدودها ضد الغزوات والحروب الفارسية ، ومن ثم دراسة العلاقات الأموية البيزنطية ، حيث رجعت إلى هذا المرجع في معرفة أوضاع العصر البيزنطي ، ثم في معرفة أوضاع بلاد الشام في ظل العلاقات بين الأمويين والبيزنطيين .

٢٤- دانيل دينيت :

الجزية والإسلام ، ترجمة فوزي فهيم جاد الله :

وكان لهذا المرجع أهميته في دراسة أوضاع أهل الذمة في الإسلام في ظل الدولة الإسلامية ، وقد أورد المؤلف نظام الضرائب في العصر البيزنطي لبلاد الشام وما آلت اليه أوضاع أهلها في ظل الحكم البيزنطي ، ثم أورد بعد ذلك نظام الجزية والخراج الذي قرره عمر بن الخطاب على أهل الذمة ،وكذلك شروط الصلح ، ومن هذا المرجع استقيت معلومات هامة تخص أوضاع الفلاحين في بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي ، ووضحت أمامي الأسباب التي أدت إلى قبول الصلح بينهم وبين الفاتحين لبلادهم فرارا من المعاناة التي وجدوها من حكام الدولة البيزنطية .

- كما أن هناك عددا من المراجع الهامة التي حصلت منها على معلومات تعضد جوانب البحث وهي المراجع التي تتحدث عن الصناعات والفنون الإسلامية ومن هذه المراجع :

٢٥- زكي محمد حسن : فنون الإسلام .

٢٦- م. س. ديماند : الفنون الإسلامية ،ترجمة أحمد محمد عيسى .

٢٧- محمد سعيد القاسمي : قاموس الصناعات الشامية ،الجزء الأول ، و(جمال الدين القاسمي ، وخليل العظم) ،قاموس الصناعات الشامية،الجزء الثاني.

ولن أطيل أكثر من هذا في سرد المراجع التي رجعت إليها في موضوع الدراسة ، لأن هناك من البحوث التي ألقيت في المؤتمرات العلمية ماهو جدير بالذكر ضمن هذه المراجع الكثيرة التي أشرت اليها .

رابعا : أهم البحوث :

وهذه البحوث هي التي قدمت في المؤتمرات الدولية التي نظمتها الجامعة الأردنية في عمان عن تاريخ بلاد الشام عبر العصور ، ويهمنا منها البحوث التي قدمت في المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام (من القرن السادس الى القرن السابع عشر الميلادي) . وذلك لعام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ، وقد طبعت بحوث هذا المؤتمر من قبل الجامعة الأردنية بعمان ، والدار المتحدة للنشر ببيروت ، حيث أصبحت في متناول القارئ ليطلع عليها . وبذلك فقد حصلت منها على موضوعات هامة تعالج بعض جوانب البحث الذي أقوم بدراسته ، والجدير بالذكر أن جميع هذه البحوث كانت لأساتذة عرب .

كذلك البحوث التي قدمت في المؤتمر الرابع لتاريخ بلاد الشام (من مطلع العهد البيزنطي إلى أواخر العهد الأموي)، والمنعقد في عام١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، والتي لم تطبع ، ومنها ماهو باللغة العربية ، ومنها ماهو مترجم من قبل الجامعة الأردنية ،ومنها ماهو باللغة الانجليزية أو الفرنسية .

هذا ولا يسعني إلا أن أشيد بفضل أستاذي الدكتور أحمد السيد دراج في توجيهي إلى الاهتمام بموضوعات هذه المؤتمرات ، كما أتقدم بالشكر الى الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري الذي تفضل مشكورا بأن أرسل الي موضوعات المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام .

وقد اخترت من هذه البحوث التي ذكرتها أهم مارجعت إليه في موضوع البحث فكانت كمايلي :

آ - الموضوعات الخاصة بالمؤتمر الدولي الأول :

١ - عبد العزيز الدوري : العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام :

وكان لهذا الموضوع أهمية بالغة من حيث معرفة هجرة القبائل العربية واستيطانها في بلاد الشام منذ الألف الأول قبل الميلاد ، وازدياد هجراتهم منذ القرن الثالث الميلادي حتى ظهور الإسلام ، وتمركزهم القبلي في الجهة الشمالية الغربية لبادية الشام ، والجهة الجنوبية العربية - وهو أمر يهم الباحث عن مراكز الصراعات القبلية في بلاد الشام - ، ثم زيادة هجراتهم إلى بلاد الشام بعد الفتح الإسلامي وتمركزهم في معظم نواحيه في عهد الدولة الأموية ، مع توضيح ماكان من أثر لذلك في تنظيم مراكز وجود الجند ، وارتباط القبائل العربية بالأرض التي أعطيت لهم للزراعة والرعي ، كما أوضح لنا الدكتور عبد العزيز الدوري أسماء بعض الاقطاعات التي كانت بحوزة أمراء أو أشراف من العرب .

٢ - محمد أبو الفرج العش :

النقود العربية الاسلامية مصدر وثائقي للفن والتاريخ :

وقد أوضح فيه الباحث تطور النقود الساسانية والبيزنطية في العصر الإسلامي ، وسك العملة الإسلامية ، ومراحل تطور السكة الإسلامية في عهد عبد الملك بن مروان ، وقد استند في هذا الموضوع على وثائق قيمه ومسكوكات نادرة تفيد الباحثين في موضوعات المسكوكات العربية .

٣ - عبد القادر عياش : مشاركة مدن الفرات في سوريا :

ولهذا البحث أهميته في دراسة المدن الهامة في سورية ، إضافة إلى أهمية نهر الفرات في تاريخ التجارة العالمية عبر بلاد الشام ، - ويقدم

الباحث في هذا الموضوع دراسة خاصة عن أهم المدن الشامية منذ عصور سحيقة — ، كما يوضح أهمية نهر الفرات للزراعة في بلاد الشام، وأهم المحاصيل التي تجنيها هذه المناطق التي يرويها هذا النهر .

٤ — صالح الحمارنة : المسيحية في أرض الشام في أوائل الحكم الأموي :

ويقدم هذا الموضوع دراسة شاملة لسكنى العرب بلاد الشام، واستقرارهم بها في مواقع مختلفة ، واتصالهم بالدولة الرومانية والبيزنطية ، ومساعداتهم لهذه الدول العظمى بقيام دويلات عربية تابعة لها مثل الأنباط وتدمر ، وتنصّر بعض هذه القبائل وميلها إلى المذهب المونوفيزي (مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح) واضطهادهم من قبل الدولة البيزنطية . كما يوضح بعد ذلك استقرارهم في بلاد الشام في ظل الدولة الأموية وطرق المعاملة والتسامح الذي وجدوه في ظلها ، ويتعرض خلال ذلك إلى بعض الاضطهادات التي لقيها أهل الذمة من قبل بعض الخلفاء والأمراء ، كما أشار إلى تجديد بعض الكنائس المسيحية في عهد الدولة الأموية .

ب — <u>الموضوعات الخاصة بالمؤتمر الدولي الرابع :</u>

٥ — أرنست ڤيل :

الحياة الثقافية والفنية في بلاد الشام في نهاية العصر القديم، ترجمة باسيل عكولة :

وقد أعطانا صورة واضحة عن بلاد الشام في نواحي العمارة والزخرفة والنحت ، وأوضح لنا دقة الفنان السوري في هندسته المعمارية وزخرفته الفنية ، وإن كان قد أشار إلى هذه المعلومات في نماذج الكنائس الأثرية الموجودة في بلاد الشام ، إلا أنه بهذا أوضح لنا أن المسلمين قد استفادوا من خبرة هؤلاء الفنانين في بناء النماذج الإسلامية المحددة

الأشكال والتصاميم ، والتي لازالت شاهدة حتى عصرنا هذا على ماقدمه الفنان السوري من تصميم في البناء ودقة في الزخرفة لازالت تحملها قبة الصخرة والجامع الأموي .

٦ - ابراهيم أحمد العدوي :

موقف الامبراطورية البيزنطية من الفتح الإسلامي لبلاد الشام :

قدم لنا هذا الموضوع صورة مبسطة عن الحرب البيزنطية الفارسية ، ومدى حرص الأباطرة البيزنطيين في السيطرة على بلاد الشام للحصول على مركز الزعامة الدينية ، وللسيطرة على الطرق التجارية في بلاد الشام ، ثم ما آلت اليه بلاد الشام عقب هذه الحروب .

٧ - نقولا زيادة :

التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والغرب :

وفيه تحدث الباحث عن أحوال بلاد الشام وتقسيماتها الإدارية في العصر البيزنطي ، وماسببته من ضغوط على الأهالي خاصة في نواحي الضرائب المالية ، كذلك ماسببته الحرب البيزنطية الفارسية من احتكار للتجارة ، ومانتج عنه من أحوال مادية سيئة على بلاد الشام .

ومن خلال هذه الدراسة استفدت بنقطة هامة لموضوع بحثي وهي فرار أهل الشام من الضغوط المالية وسوء أحوالهم المادية وقبولهم الصلح مع الفاتحين العرب وفق الشروط التي وضعها عليهم عمر بن الخطاب ، والتي أبعدتهم كثيرا عن نير ذلك الحكم الجائر للدولة البيزنطية .

٨ - يوسف درويش غوانمه :

أيلة "العقبة" وعلاقاتها الاقتصادية والتجارية مع الجنوب العربي وبلاد الشام حتى سنة ٦١٠م :

وقد أوضح في هذا البحث نشأة أيلة منذ القرن ١٢ق٠م، وموقعها

الجغرافي ، وورود ذكرها في الكتب المقدسة والمصادر الإسلامية ، وأهمية مكانتها التجارية عبر العصور القديمة ،ودورها في التجارة العالمية وأهميتها التاريخية فيما قبل الإسلام إلى بداية العصر الإسلامي واعطاء الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الأمان لأهلها .

٩ - نعيم فرح :

أضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام ودورها في التجارة العالمية في العهد البيزنطي :

وهذا البحث وإن ألقى لنا الضوء على الصناعة والتجارة في بلاد الشام في العهد البيزنطي ومنذ حملة الإسكندر المقدوني على الشرق ، إلا أنه قدم لنا دراسة جيدة عن المهتمين بدراسة التاريخ والجغرافيا القدماء ، وما كتبوه وصوروه من مخطوطات نادرة عني المهتمون بدراسة تاريخ البلاد العربية والشرق الأدنى بنشرها ودراستها ، ومن هذه المخطوطات النادرة مخطوطة "الوصف الكامل للعالم والشعوب" ، وقد وضعت افتراضات من قبل الباحثين لأصل هذه المخطوطة ومؤلفها فهو إما أن يكون سوري الأصل أو مصريا ، وبها قسم خاص عن بلاد الشام ، ويفترض المؤرخون لهذه المخطوطة بأن تكون قد كتبت حوالي سنة ٣٥٠ ميلادية .

وكذلك قدم لنا دراسة عن (تاريخ أميانوس ماركيلنيوس) "٣٣٠-٤٠٠م" وهو مؤلف تاريخي يتألف من واحد وثلاثين جزءا وسماه مؤلفه Resgestae أي "الأعمال" ، وبهذا المؤلف قسم يتحدث عن النشاط التجاري والتجارة المحلية في مدن الشام الداخلية ومنها الرها (أديسا)، وحلب (بيرو) ومنبج (هيروبوليس) .

وكذلك دراسة عن كتاب فيلوستورغيوس "تاريخ الكنيسة" الذي يلقي ضوءا هاما على تجارة بيزنطة الخارجية في القرنين الرابع والخامس

الميلاديين ، حيث تحدث عن نشاط السوريين (تجار بلاد الشام) الذين جابوا المحيط الهادي ، وتحدث عن المستعمرات السورية في الموانيء التجارية والمدن الواقعة على سواحل الهند .

كما قدم دراسة عن كتاب قزما الملاح الهندي (الطبغرافية المسيحية) ، الذي يفيد الباحث بمعلومات وفيرة عن تجارة بيزنطة في القرن السادس الميلادي .

وقدم أيضا دراسة عن مخطوطة "الطرق من جنة آدم حتى الرومان" ، وتحوي معلومات جغرافية تاريخية هامة ترجع إلى ماقبل القرن السابع الميلادي ، ومكتوبة باللغة اليونانية حيث تتحدث المخطوطة عن طريق الهند كأول مركز في الشرق يصدر البضائع إلى روما عبر إيران وسورية برا وبحرا ، كما توضح المخطوطة دور التجار السوريين في التجارة العالمية . ومن خلال الدراسة المقدمة لهذه المخطوطة كانت الفائدة عظيمة في تدعيم دور بلاد الشام في نشاط التجارة العالمية .

١٠- كما يأتي بعد هذا البحث السابق في الأهمية البحث المقدم من لطفي عبد الوهاب يحي : بعض المصادر لتاريخ سورية في العصر البيزنطي : من حيث اهتمامه بدراسة المصادر البيزنطية التي اهتمت بتاريخ بلاد الشام في ذلك العصر ، ومن خلال ذلك قدم دراسة تفصيلية عن تاريخ اميانوس ماركلينوس ، وبروكوبيوس وماقدماه من دراسات حول تاريخ بلاد الشام خلال الفترة مابين ٣٣٠ الى ٦٤٠ م ، تعرض فيها لما قدمه المؤرخان عن القبائل العربية والحياة الدينية .

١١- Lawrance I. Conrad; "The plague in Bilad Al-Sham in Pre-Islamic Time"

وتعود أهمية هذا الموضوع إلى ماقدمه الباحث عن الناحية الصحية في بلاد الشام خلال تفشي وباء الطاعون بها ، وما آلت اليه الحياة الاجتماعية

والاقتصادية نتيجة هذا الوباء بين أهالي القرى وما كان له من أثر سيء على العائد الاقتصادي على الدولة البيزنطية .

١٢- Hugh Kennedy; "The towns of Bilad Al-Sham and the Arab conquest."

وقد عالج الباحث في هذا الموضوع أهمية بعض المدن التجارية في بلاد الشام ، خلال العصر البيزنطي ، ومنها ما استمر نشاطه خلال العصر الإسلامي ، ومنها ماضعفت أهميته التجارية نتيجة لتحول الطرق التجارية الرئيسية عنها .

١٣- G. Tate; " Les compagnes du Nord de la Syrie, 4º 7º siecles"

وقد قدم لنا هذا البحث دراسة عن الريف في شمال سورية خلال الفترة الواقعة مابين القرن الرابع حتى القرن السابع الميلادي ، حيث أظهر هذا البحث بعضا من أنواع النشاط الزراعي في المنطقة وأهمها وجود معاصر الزيتون والعنب منذ ذلك العصر .

١٤- Francois Villenuve; "Contribution de l' Archeologie l'histoire économique et sociale des villages du Hawran (IVime - VIIeme sieclses Ap, j, C.)"

وقد تحدث عن منطقة حوران وارتباط هجرات العرب بها ، ووجود الطابع البيزنطي على مبانيها ووجود بعض الحفريات التي تشير إلى أصالة المنطقة بوجود المعاصر الخاصة باستخراج الزيوت وعصر العنب بما يدل على أنها منطقة زراعية شملت زراعة الزيتون والعنب والقمح، واهتمت برعي وتربية المواشي والأغنام ، وكان لها أهمية تجارية خلال الفترة السابقة للفتح الإسلامي .

١٥- Waler Emil Kaegi, JR; "New Perspectives on the last Decades of the Byzantine Era"

ويلقي البحث أضواء جديدة على تاريخ سورية في العقود الأخيرة من العصر البيزنطي بها . وقد اهتم الباحث في هذا البحث بابراز الدراسات التي نشرت قبل الحرب العالمية الثانية عن دراسة التاريخ الروماني والبيزنطي ، ولا سيما ما كان خاصا منها بتاريخ سورية .

وهناك أيضا العديد من بحوث هذا المؤتمر التي تفيد الدارسين لمنطقة بلاد الشام خلال العصر البيزنطي ، وكان لها من الأهمية القدر الأوفى لتيسير سبل البحث في بعض جوانب موضوع بحثي ، وبخاصة دراستي التمهيدية له . أما عن البحوث المقدمة من أساتذة التاريخ والمهتمين بدراسة بلاد الشام ، فيوجد العديد منها مما يضيق المجال عن ذكره هنا ، ولكنني أكتفي ببعضها ومنها :

١٦- فستون دوكوسو :

تاريخ الحرير في بلاد الشام . نشر مجلة المشرق ، باللغة العربية :

وكان لهذا البحث أهمية كبرى في شرح وايضاح التجارة العالمية عبر بلاد الشام وخاصة تجارة الحرير ، ثم ما كان من تطور وتقدم في هذه التجارة بتسرب سر صناعة الحرير الى بلاد الشام وقيام المصانع الخاصة به ، واحتكار الأمبراطور البيزنطي لصناعته ، ثم اهتمام خلفاء بني أمية بهذه الصناعة .

١٧- سوفاجيه :

دمشق الشام ، ترجمة فؤاد أفرام البستاني ، نشر مجلة المشرق :

حيث قدم لنا دراسة جيدة عن دمشق وموقعها ومناخها وتاريخها عبر العصور الرومانية والبيزنطية والاسلامية، والتطورات التي حدثت بها ، مع

وصف لمبانيها ، وخرائط مبسطة لموقعها ومناخها وسطحها .

كما تحدث عن أبنيتها وقنواتها ، وزراعتها بحيث أفرد لكل فترة من فترات الحكم الروماني والبيزنطي والأموي ، فصلا خاصا به ، وهو مايهمنا في البحث ، على الرغم من أن دراسته لمدينة دمشق تمتد الى نهاية عام ١٩٢١م .

١٨- حبيب الزيات :

وقد نشر في مجلة المشرق موضوعا خاصا بدمشق ليوسف بن عبدالهادي المعروف بابن المبرد وهو : (نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق) .

وكان لهذا الموضوع أهميته الخاصة في معرفة الأسواق الداخلية التجارية في دمشق وأسمائها وذلك بمطابقتها مع الأسماء التي كانت ترد ضمنيا في بعض المصادر التي تذكر أسماء بعض الأسواق أيام الفتوحات الإسلامية .

هذا ويجد القاريء في آخر الرسالة ثبتا مطولا لكافة المصادر الخطية والمطبوعة والمراجع العربية والمعربة والبحوث التي رجعت اليها في اعداد هذا البحث .

والله ولي التوفيق . !!

الطالبه

ثريا حافظ عرفه

التمهـــيد

تمهيد

عوامل تدهور الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر البيزنطي

١ - الاضطهاد الديني .

٢ - الجور في جباية الضرائب والمكوس

٣ - الحرب بين البيزنطيين والفرس .

بسم الله الرحمن الرحيم ، قال تعالى : ﴿ آلم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾(١).

بعد فترة من الصراع الطويل بين الفرس والروم انتصر الفرس الوثنيون على الروم المسيحيين ، ولكن الله وعد المسلمين بنصر قريب وكان وعد الله حقا .

على الرغم من أن بلاد الشام قد عرفت منذ أمد بعيد بأنها تمثل مركزا حضاريا قديما ، الا أن هذه البلاد قد تعرضت قبل الفتح الاسلامي لعدة كوارث منها الطبيعية ومنها السياسية والاقتصادية . فمن الكوارث الطبيعية التي حلت ببلاد الشام وباء الطاعون الذي ظهر في عهد الامبراطور جستنيان (سنة ٥٤٢م) ، والذي كان من جرائه تدهور الحالة الاقتصادية والاجتماعية خاصة في الريف بين الفلاحين الذين تفشى بينهم المرض ، وأصبحت المنازل والطرقات مليئة بجثث الموتى ، وفي الوقت الذي كانت فيه المحاصيل الزراعية تحتاج الى من يقوم بحصادها الا أنه لم تكن هناك على قيد الحياة أيد عاملة كافية ليمكنهم حصد ودرس القمح ، وجمع العنب وعصره ، وقطف الفاكهة . كما عانت المدن من هذا الوباء ، مثال ذلك ما نال مدينة القدس . بل أن الخرافات والقصص التي سرت بين أفراد الرعية عن هذا الوباء ، وأنه كان ينتشر بينهم بفعل الشيطان ، سببت الزعر الشديد بين الأهالي ، ونظروا اليه باعتباره نقمة من الله حلت عليهم لغضبه وسخطه عليهم . وقد تسبب هذا الوباء في انكماش عدد السكان في بلاد الشام مما كان له أبلغ الأثر على الأوضاع الاقتصادية فيها(٢).

---

(١) سورة الروم ، آية رقم ١ : ٥ .

(٢) Lawrence I. Conrad "The plague in Bilad Al-Sham in pre-Islamic times" the fourth international conference on the history of Bilad Al-Sham, the University of Jordan, Amman, 1983, p. 3-6.

ثم عاد الوباء وظهر في بلاد الشام مرة ثانية حوالي سنة (٥٥٧ - ٥٥٨م)، متنقلا من القسطنطينية عبر البحر الى سورية ، وكان له تأثير سيء في مدينة "عنطيوش" السورية ، فقد تسبب في وفاة الكثيرين من أبنائها ، ومنها امتد الى شمال سورية متسببا في حدوث خسائر اقتصادية واجتماعية بنفس المستوى الذي سببه الوباء عند ظهوره السابق سنة ٥٤٢م[١]. كما تشير الدراسات التاريخية الى أن الوباء عاد الى منطقة المشرق الأدنى مرة أخرى في سنة ٥٧٣ - ٥٧٤م ، ويبدو أن هذا الوباء استمر في منطقة بلاد الشام بصورة متقطعة الى الفتح الاسلامي لها سنة ٦٣٠م[٢].

وتشير المصادر العربية الى طاعون عمواس[٣]حين خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بلغ "سرغ"[٤]فبلغه أن الطاعون قد كثر فرجع[٥]،ويذكر ابن عساكر أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قدم الجابية ثم عاد منها سنة ١٨ هـ "وكانت "دمشق" تشتعل طاعونا"[٦]، وكان عمر بن الخطاب قد استشار الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين كانوا معه ، فاختلفوا فيما بينهم ، فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال : (ان عندي في هذا علما ،

---

(١) Ibid, p. 9.

(٢) Ibid, p. 11.

(٣) عمواس : ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس ، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم فشا في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحص من الصحابة رضي الله عنهم ومنهم أبي عبيدة عمرو بن الجراح ، وقيل مات فيه خمسة وعشرون ألفا من المسلمين .

- ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج ٤ ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٤) سرغ : أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثه وتبوك .

- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢١١ .

(٥) تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ،١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م ،ج٢،ص ١٤٩ .

(٦) تهذيب تاريخ دمشق الكبير ،تحقيق عبد القادر بدران ،دار المسيره ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : "اذا كان بأرض (أي الطاعون) وأنتم بها ، فلا تخرجوا فرارا منه ، واذا سمعتم به بأرض ، فلا تقدموا عليه ")(١).

ويشير ابن عساكر الى هذا الوباء الفتاك وما كان يفعله بالناس بأن المسلمين "نزلوا من البادية وهم أربعة وعشرون ألفا فوقع فيهم الطاعون فأذهب منهم عشرين ألفا" ، ويستشهد ابن عساكر على أن هذا الوباء قد نزل بالناس مصداقا لما روي عن معاذ بن جبل أنه قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، "تنزلون منزلا يقال له الجابية والجويبية يصيبكم فيه داء مثل غدة الجمل يستشهد الله به أنفسكم وخياركم ويزكي أبدانكم" رواه الطبراني . وفي رواية "ينزل المسلمون أرضا يقال الجابية أو الجويبية فتكثر به أموالهم ودوابهم فيبعث الله عليهم جرب(٢) كالدمل تزكوا فيه أموالهم وتستشهد فيه أبدانهم"(٣).

هذا الوصف الذي ورد في الأحاديث السابقة نجده أيضا فيما رواه لورانس كونراد عن وباء الطاعون الذي أصاب بلاد الشام على فترات متتالية الا أن المصادر العربية لا تتحدث الا عن طاعون عمواس الذي أصاب بلاد الشام في سنة ١٨ هـ الموافق ٦٣٨ م .

ولعلنا بهذه البداية نوضح أن بلاد الشام قد تعرضت للوباء عدة مرات قبل الفتح الاسلامي مما تسبب في تدهور أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ،

---

(١) ابن قيم الجوزيه : زاد المعاد في هدي خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١٣ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ج ٤ ، ص ٤٥ .

(٢) جرب : هكذا وردت في نص ابن عساكر ، والصحيح جربا لأنها مفعول به .

(٣) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ١٧٨ .

هذا فضلا عما عانته من تصرفات أباطرة الدولة البيزنطية ، والتي يمكننا أن نختصرها في ثلاثة أمور رئيسية وهي :

١ - الاضطهاد الديني .

٢ - الجور في جمع الضرائب والمكوس .

٣ - الحروب البيزنطية الفارسية .

فقد كان لهذه الأمور الرئيسية الثلاث الأثر السيء على بلاد الشام .

١ - الاضطهـاد الدينـي :

كانت بلاد الشام تنعم بمركز الصدارة في العالم المسيحي لارتباط أصول الديانة المسيحية بمهد السيد المسيح ببيت لحم من أرض فلسطين بالشام (١).

وكانت الشام قبل ظهور الاسلام خاضعة للدولة البيزنطية التي تدين بالمسيحية ، وكانت هذه الدولة منذ أن شيد قسطنطين الكبير (٣٢٤ - ٣٣٧م) عاصمتها القسطنطينية ذات وجهين ، أحدهما روماني بتقاليده ، والآخر هيلينستي بثقافته ، الا أن هذا التنوع في مقومات الدولة ومكونات شخصيتها لا ينفي أنها كانت الى الدين الاسلامي أقرب لأنها ذات تشريعات بعيدة عن مجوسية الفرس (٢).

وتعتبر البداية الحقيقية للعصر البيزنطي منذ اعتراف الامبراطورية الرومانية بالديانة المسيحية كديانة رسمية للدولة ، وانتقال العاصمة الرومانية الى الشرق الهلينيستي في القسطنطينية (٣). وكان لانتقال العاصمة الى القسطنطينية أثره الكبير في تمركز الثقل الاقتصادي في الولايات الشرقية من الامبراطورية الرومانية ، وبخاصة مصر والشام (٤).

---

(١) ابراهيم أحمد العدوي ، موقف الامبراطورية البيزنطية من الفتح الاسلامي لبلاد الشام ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م ، ص ٨ .

(٢) صبحي الصالح ، النظم الاسلامية (نشأتها وتطورها) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٠م ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) السيد الباز العريني ، الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ١٩ .

(٤) نعيم فرح ، أضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام ودورها في التجارة العالمية في العصر البيزنطي ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م ، ص ٥ .

وقد أصبح الامبراطور البيزنطي زعيما للعالم المسيحي من الناحية الروحية ، الا أن الكنيسة البيزنطية تأثرت بالحضارة اليونانية وغلب تأثير الكنيسة اليونانية في الحياة البيزنطية (١).

وكان لرجال الدين جهودهم في القرنين الرابع والخامس الميلادي في نمو الفن المسيحي واخراج حضارة خاصة بدولتهم (٢)، ثم ان اعتراف الدولة البيزنطية بملة سماوية تدين بها ترك أثرا في صلتها بالعرب فحين اشتدت الحرب بين الروم والفرس كان المسلمون منحازين بعاطفتهم الى الروم لأنهم كانوا في نظرهم أهل كتاب (٣).

ولم تكن هناك روابط تربط بين الدولة البيزنطية ورعاياها ، اذ كان الرعايا يشعرون بتقصير دولتهم في توفير الرفاهية لهم ، أو توسيع أرزاقهم ، أو تهذيب نفوسهم ، لذلك عمد الحكام الى القوة في ممارسة حكم الشعب مع عدم الشعور بالعطف عليهم (٤). وكانت الدولة تحكم حكما استبداديا وفق نظام اداري دقيق ودفاع محكم ، وحين أقامت الدولة عاصمتها في القسطنطينية ، كانت تهدف الى فصل علاقاتها بروما وكنيستها البابوية ، وتتفرغ لحل مشاكلها على أطرافها في الشرق ، وتؤسس كنيسة مستقلة عن البابوية ، وقد تعذر لها تحقيق هدفها نتيجة هجمات الفرس والسلاف والبلغار على أطرافها الشرقية سنة ٥٠٢ م (٥).

---

(١) السيد الباز العريني ، المرجع السابق ، ص ٢٠ .
(٢) عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٧م ، ص ٦٧ .
(٣) أسد رستم ، الروم وصلاتهم بالعرب ، دار المكشوف ،ج ١ ، ص ٢٣٤ .
(٤) صبحي الصالح ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .
(٥) عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ٦٧ .

وفي عهد الامبراطور جستنيان ، حدثت عدة انقسامات في الكنيسة في الشرق نتيجة للنزاع المعروف باسم (Christological) ومعناه الجدل حول طبيعة المسيح ، وظهرت جماعات المونوفيزيين (أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة) التي نالت نجاحا كبيرا في بلاد الشام ومصر ، فكان هذا الانقسام سببا في مضايقة الامبراطور جستنيان الذي اعتبر الكنيسة ماهي الا جزء تابع في ادارته للدولة ، كما اعتبر نفسه مبعوثا الهيا ليحافظ على الدين الحق ، وكرأس للدولة كان عليه أن يتدخل في السياسة الدينية [١] ، فجعل الامبراطور جستنيان كافة الأمور الدينية تحت اشرافه ، وحاول فرض صيغة دينية موحدة - تستهدف القضاء على النزعة المذهبية الانفصالية التي بدت واضحة بين الكنائس المسيحية وقتها - على جميع رعاياه ، مع التأكد أن شاغلي الوظائف الكنيسة الكبرى هم رجال مؤهلون يمكن الاعتماد عليهم ، كذلك اجتثاث الهرطقة والانشقاق الديني أينما وجدوا [٢].

وكان الامبراطور جستنيان شديد الاضطهاد لليهود والوثنيين والهراطقه بشكل عام ، كما منع الوثنيين من الاشتغال بالتدريس في أي مدرسة من مدارس الامبراطورية [٣].

وقد خضعت بلاد الشام لعدة تقسيمات وتسميات ادارية خلال الحكم الروماني ثم البيزنطي [٤] ، وكانت القضايا الدينية في بلاد الشام نشطة تعددت

---

(١) عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٢) ريتشارد أ. ساليڤان ،ورثة الامبراطورية الرومانية ، ترجمة جوزيف نسيم يوسف ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٥م ، ص ٥١ .

(٣) عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٤) لطفي عبد الوهاب يحي ، بعض المصادر البيزنطية لتاريخ سورية في العصر البيزنطي ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية - عمان ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، ص ١ .

فيها المذاهب والأديان ، ودخلت مدينة انطاكية - ببلاد الشام - حلبة التنافس المبكر بين مراكز المسيحية الأولى ، وهي روما والاسكندرية ، كما امتدت أطماع كنيسة انطاكية الى الزعامة على القسطنطينية نفسها عاصمة الامبراطورية البيزنطية [١].

وعانى أباطرة الدولة البيزنطية من تمرد أهالي المدن السورية وخاصة في انطاكية التي لم يسلم امبراطور من لسانهم وثوراتهم ، مما دعا الأباطرة الى تعيين ولاة أكثر قسوة عليهم [٢].

ولما نادت الدولة البيزنطية بالقول بطبيعة السيد المسيح دخل نصارى المدن الشامية في صراع مع الدولة ، وذلك أنهم ناهضوا مذهبها ، فلاقوا بذلك استبدادا دينيا متطرفا من قبل الحكومة البيزنطية [٣].

وكان التنافس بين مراكز المسيحية : انطاكية وروما والاسكندرية والقسطنطينية قد اتخذ من الجدل حول طبيعة السيد المسيح متنفسا لتحقيق أهدافه ، وساد بلاد الشام - ومعها مصر - الرأي القائل بأن للسيد المسيح طبيعة واحدة [٤]، وكانت مصر وسورية هي الأرض التي اختارها المونوفيزيه (أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة) لبث تعاليمهم فيها ، ودخلوا في صراع مع الأرثوذكسية [٥] ، وبلغ من تحمس أحد أبناء الشام لهذا المذهب وهو يعقوب براد يوس (البردعي) أن صار أتباعه يسمون أيضا باسم (اليعاقبة) ، أما الامبراطور البيزنطي والسلطات البيزنطية ، فقد اعتنقت الرأي القائل بأن للسيد المسيح طبيعتين ، واشتهر أتباع هذا المذهب باسم "الملكانيين" نسبة الى الملك أو الامبراطور [٦].

---

(١) ابراهيم أحمد العدوي ،المرجع السابق ، ص ٨ .

(٢) لطفي عبد الوهاب يحيى ، المرجع السابق ، ص ٧ - ٨ .

(٣) أسد رستم ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

(٤) ابراهيم العدوي ، المرجع السابق ، ص ٨ .

(٥) أرنست ڤيل ،الحياة الثقافية والفنية في بلاد الشام في نهاية العصر القديم، ترجمة باسيل عكولة ،المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ،عمان ،١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، ص ٢ .

(٦) ابراهيم العدوي ، المرجع السابق ، ص ٨ .

وعندما دخل الفرس بلاد الشام ومصر واحتلوها خمس عشرة سنة ، أدى ذلك الى ازدياد نشاط ونفوذ اليعاقبة ، وكل من قال بمذهب الطبيعة الواحدة (١) .

وبعد انتصار الدولة البيزنطية على الفرس واستعادتها لبلاد الشام ، مارست نوعا من الاضطهاد الديني على معتنقي المذهب اليعقوبي المخالف لمذهبها الملكاني "دينها الرسمي" ، وقد تنوع تعذيب الدولة للمخالفين لمذهبها ، ومن الأساليب التي كانت تتبع في تعذيبهم أن القائمين على ذلك كانوا يوقدون نيران المشاعل ويسلطونها على أجسادهم ، أو يضعونهم في أكياس مملوءة بالرمال ، ثم يلقون بهم في أعماق البحر ، أو يجلدونهم بالسياط حتى الموت (٢) .

وقد سبب هذا العنف الذي مارسته الدولة البيزنطية ضد مخالفيها في المذهب نفور المسيحيين في سورية ، وجعلتهم يرحبون بما أسموهم ـ الغرباء ـ ليحرروهم من هذا النير الديني الذي فرضه الامبراطور وخادمه بطريرك القسطنطينية (٣) ، وحاول الامبراطور البيزنطي هرقل أن يضع حدا لذلك الخلاف الديني ، والذي اتخذته بلاد الشام وغيرها من ولايات الامبراطورية البيزنطية سبيلا للانفصال عن الدولة ، فنادى بمذهب جديد هو "مذهب التوحيد" ولكن هذا المذهب وجد الرفض التام ، ولم يجده نفعا اعادته (صليب الصلبوت) الذي أعاده بنفسه الى بيت المقدس بعد انتصاره على الفرس ، ولا الاحتفالات التي أقامها لذلك ، وبينما هو في طريق عودته الى القسطنطينية وصله رسول من النبي ، صلى الله عليه وسلم بكتاب يدعوه فيه الى الاسلام (٤) . ولم تستطع

---

(١) أسد رستم ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٠ .
(٢) صبحي الصالح ، المرجع السابق ، ص ٢٦ — ٢٧ .
(٣) ريتشارد أ. ساليڤان ، المرجع السابق ، ص ٥٣ ،
ـ أسد رستم ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .
(٤) ابراهيم العدوي ، المرجع السابق ، ص ٨ .

الدولة البيزنطية بعد ذلك صد الهجوم الاسلامي على أرض الشام ، فقد استنزفت الحروب الفارسية قواها في المال والرجال . وبالنسبة لبلاد الشام فقد ترتب على هذه الحروب التي استنزفت قوة الدولة البيزنطية أن أبطلت الدولة البيزنطية الجراية التي كانت توزع على القبائل العربية على حدودها [١] ، اضافة الى ما مارسته الدولة البيزنطية من ضغوط على هذه القبائل العربية الذين تخاذل أفرادها عن نصرتها في الحرب الفارسية بسبب اعتناقهم للمذهب المونوفيزي [٢] . ذلك أن هذه القبائل العربية كانت ذات شأن كبير ، فقد كانت تشارك الامبراطورية البيزنطية في حكم بلاد الشام ، وأشهر هذه القبائل التي كانت قد اعتنقت المسيحية غسان في الجنوب ، وتنوخ في الشمال ، وتغلب في الغرب ، فكان البيزنطيون ينقدون زعماء هذه القبائل الرواتب للقيام بالمهام الدفاعية على حدودها [٣] . الا أنه في الآونة الأخيرة من الحكم البيزنطي لبلاد الشام ظهرت بين هذه القبائل العربية روح التمرد والفوضى نتيجة ابطال الجراية عليهم [٤] .

٢ - الجور في جمع الضرائب والمكوس :

عرف الخراج على أنه ما يوضع من الضرائب على الأرض أو محصولاتها ، وهو أقدم أنواع الضرائب ، والأصل في وضعه أن الناس كانوا يعتبرون الأرض ملكا للسلطان أو الملك ، وهكذا كان شأن الأرض في كل الممالك القديمة ، فالأرض للحاكم ، وللفلاحين أن يقوموا بزراعتها نظير حصة يدفعونها له وهي الخراج ،

---

(١) أسد رستم ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

(٢) ابراهيم العدوي ، الأمويون والبيزنطيون ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ،الطبعة الثانية ،١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، ص ١٢ .

(٣) أحمد رمضان أحمد محمد ،حضارة الدولة العربية ،الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، القاهرة ،١٩٧٨م ، ص ١٠٦ .

(٤) أسد رستم ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

وكان رؤساء الجرمان القدماء يؤكدون ملكيتهم للأرض ، ولا يسمحون لأي زارع أن يستغل القطعة الواحدة من الأرض سنتين متتاليتين مهما كان مستعدا لدفع الخراج ، وعلى هذا المبدأ كان الرومان يفرضون الضرائب على أراضي مملكتهم وفي جملتها مصر والشام[(١)].

وفي بلاد الشام لم نعرف أصول الجباية عند الأمم القديمة التي انبسط سلطانها على هذه المنطقة الا ما عرف عن الرومان-وهي الأمة الأعرق في المدنية من غيرها- أنه كان يقضي على أهل الشام أن يؤدوا الجزية وعشر غلاتهم واتاوة من المال ، ورسما على كل رأس . وللشعب الروماني مواد مهمة من الجمسارك والمناجم والضرائب والحقول الصالحة لزرع الحنطة ، والمراعي يؤجرونها من شركات متعهدين يسمونهم "العشارين" يبتاعون من الحكومة حق جباية الخراج ، وقد كان في كل ولاية عدة شركات من العشارين لهم مستخدمون من الجباة والكتاب يظهرون في مظاهر السادة ، ويأخذون أكثر مما يجب لهم، ويسلبون نعمة الأهلين ، وكثيرا ما يبيعونهم كما يباع الرقيق ، وعز وجود الذهب والفضة بانتقال النقد الى روما ، وارتفعت فوائد القروض الى اثنى عشر في المائة وأحيانا الى أكثر[(٢)].

وينقل محمد كرد علي قولا عن لامنس :

(ان الرومان ضربوا الجزية على أهالي بلاد الشام ، على الذكور من سن الرابعة عشرة ، وعلى الاناث من سن الثانية عشرة الى سن خمس وستين من عمرهم جميعا ، وفرضوا عليهم خراجا جبوه من الأملاك يبلغ في المائة واحدا، وسموا أيضا ضرائب ومكوسا على الواردات والصادرات من السلع، الا أن هذه الرسوم مع ثقلها كانت أخف على عاتق أهل الشام من المغارم والسخر التي حملهم اياها ملوكهم سابقا)[(٣)].

---

(١) أحمد شلبي ،السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي،(موسوعة النظم والحضارة الاسلامية)،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،الطبعة الثالثة،١٩٧٤م ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) محمد كرد علي ،خطط الشام،دار العلم للملايين،بيروت،١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، جـ ٥ ،ص ٤٧ .

(٣) محمد كرد علي ، المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٤٨ .

أما في عهد الدولة البيزنطية فقد كان الامبراطور هو الذي يعين مقادير الضرائب بعد تقديرات نفقات الامبراطورية ، فيصدر أمره بتحديد المبالغ الكلية على الولايات الرئيسية التي تنقسم اليها الامبراطورية ، فكانت هذه الضرائب ثقيلة على كاهل الشعب ، وأهمها ضريبة الأرض والرأس(١). وكانت الحالة في ولاياتها الشرقية تزداد سوءاً ، فالفلاح ربط بالأرض ولا يجوز له تركها(٢).

ومع أن اصلاحات القرن الرابع الميلادي جعلت أراضي القرى لأهلها من حيث الزراعة ، فان عسف الجباة والحكام جعل الكثيرين من أهلها أو الملاكين الصغار يضعون أنفسهم تحت حماية النبلاء والمتنفذين ، وصاروا أقناناً لهؤلاء النبلاء ، ولم تفد محاولات الدولة في ايقاف ذلك فتوسعت الملكيات الكبيرة على حساب الملكيات الصغيرة ، حتى اذا جاء القرن السادس الميلادي كانت الملكيات الكبيرة ذات نطاق وأهمية واسعين(٣).

ولعلنا باستعراض النظم التي اتبعها قسطنطين ودقلديانوس في التنظيم الضرائبي على الأراضي نعرف ما وصل اليه حال الفلاحين في الولايات الشرقية ، وفي بلاد الشام خاصة. فقد أمر دقلديانوس باجراء احصاء للأرض والناس ،وتبع ذلك تقسيم البلاد تقسيماً أولياً الى وحدات لا تتساوى في المساحة ، وانما في قيمة المحصول الذي تغله ، وكانت الوحدة تسمى (IUGUM) - وهي في سورية كانت تتكون من عشرين أو أربعين أو ستين فداناً من الأرض الصالحة للزراعة ، وخمسة أفدنة من الكرم أو (٢٢٥) من أشجار الزيتون - وفي المقاطعات الجبلية ٤٥٠ - ، وقد كانت الرأس هي وحدة الانتاج بالنسبة للأفراد ، وكانت المرأة تعتبر نصف وحدة(٤).

---

(١) توفيق سلطان اليوزبكي ،دراسات في النظم العربية والاسلامية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،جامعة الموصل،مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر،الموصل،١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ،ص ١٥ - ١٦ .

(٢) عبد العزيز الدوري،مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م ،ص ٢٣ .

(٣) عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٤) دانيل دينيت ، الجزية والاسلام ، ص ٩٥ - ٩٦ .

وقد سجل الاحصاء عدد الوحدات في كل مدينة ذات حكومة محلية ،وما يتبعها من أرض أو قرى وضياع ، وفي كل سنة عند اعلان الضريبة الأساسية عن الوحدة كان على موظفي الحكم الذاتي في المدينة (Curiales) أن يقوموا بجمع مقدار من المال يساوي مقدار الضريبة الأساسي عن الوحدة مضروبا في عدد وحدات كل مدينة ، ومن الواضح أن الأساس في هذا البناء المالي كان المدينة ذات الحكومة المحلية (١).

والى جانب الصورة العامة في المدينة والقرى كان هناك ضياع امبراطورية وضياع خاصة مملوكة بشروط حيازة مستثناة ، وملكيات صغيرة يملكها فلاحون أحرار ، وكان العمل الزراعي الفعلي يقوم به جزئيا رجال أحرار ، أما القدر الأوفى من العمل ، فكان يقوم به فلاحون مرتبطون بالأرض (Coloni) ، وكانت العلاقات المتبادلة كذلك معقدة الى حد كبير ، فالفلاح المرتبط بالأرض (Colonus) الذي يعمل في قطعة أرض يملكها مالك بعينه قد يكون هو ذاته مالكا لقطعة أرض أخرى في مكان آخر ، كما أن الدولة اعتادت منذ قرون أن تقطع أرضا بايجار دائم ، وهكذا أنشأ بعد القرن الخامس الميلادي ذلك النظام الذي كان يسمح للفرد أن يقتني أرضا خلاء غير مزروعة على أساس حيازة دائمة لنفسه ولورثته دون أن يلزم بزراعة الأرض ودفع ايجار محدد (٢).

كانت هذه الأنظمة التعسفية التي وضعتها الحكومة البيزنطية تسعى جاهدة الى استعادة أملاك ضائعة في الغرب ، وذلك بالاعداد للنفقات على الحروب ، فكان الامبراطور جستنيان يسعى الى اعادة المجد الروماني لدولته ، ويخشى

---

(١) دانيل دينيت ، المرجع نفسه ، ص ٩٦ .
— يذكر دانيل دينيت أن : هذا يفسر لنا لماذا لم يجر العرب صلحا واحدا عند فتحهم سورية ، وانما صالحوا كل مدينة على حدة .
(٢) دانيل دينيت ، المرجع نفسه ، ص ٩٦ — ٩٧ .

أن يتهم باسهامه في انهيار النظام الروماني القديم [1]، فكانت هذه هي الوسائل الرئيسية التي نفذها الامبراطور جستنيان في صورة أوامر تطبق من قبل موظفين منفذين لحكمه في الولايات ، يجمعون الضرائب ، ويحشدون الجند ، على أنه خلف وراءه أمرا خطيرا ، فقد استنزف الأموال في حروبه ، وأضعف الامبراطورية ، فتوالت الهجمات والضربات على الامبراطورية بعد وفاته، مما جعل خلفاءه يحاولون تنظيم مصادر الدفاع ، فأثقلوا كاهل الدولة ليتحصلوا على القدر الكافي من الدخل لسد النفقات العسكرية [2].

ومن خلال هذه التنظيمات والقوانين البيزنطية شاهدنا اعفاء الجند وذويهم من الضريبة ، وذلك مقابل خدماتهم للدولة وحلف يمين الولاء ، كما وجدنا النبلاء قد أصبحوا خارج نطاق الجباة ، وأصبحوا طبقة متميزة، أي لهم حق جمع الضرائب عن ضياعهم (Autopragia) يجمعون ضرائبهم ويدفعونها مباشرة الى خزينة الدولة [3].

كما عرفنا من خلال هذه التنظيمات والقوانين البيزنطية كم لقي صغار الملاك الأمرين — وهم الأغلبية السكانية — في سبيل العيش في ظل الملاكين الكبار ، كما كان على موظفي الحكومة المحلية في المدينة الذين ألقيت على عواتقهم مسؤولية جمع مقدار من المال كل عام أنه اذا حدث لسبب من الأسباب — وكان هذا يحدث كثيرا — أن خرجت عن سلطتهم أرض من مجموع الأراضي المسئولين عن ضرائبها ، فان العبء كان يقع على بقية الجماعة، وكان ذلك يزيد مقدار الضريبة [4]. كذلك لم يكن شيئا نادرا أن يملك بعض أصحاب الضياع حق دفع الضرائب مباشرة للحكومة الامبراطورية وليس عن طريق موظفي

---

(١) أنظر في ذلك :
— ريتشارد أ. ساليفان ، المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٢) أنظر : ريتشارد أ. ساليفان ، المرجع نفسه ، ص ٥٢ — ٥٥ .

(٣) عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٤) دانيل دينيت ، المرجع السابق ، ص ٩٧ .

الحكومة المحلية (Curiales) ، وكان هذا الحق يسمى (Autopragia) أي حق جمع الضرائب المستحقة عن أرضهم ، وكانت هذه الضياع تسمى (Agri Excepti) ، وكانت ملكا للأشراف والكنيسة ، ولم تكن هذه الضياع معفاة من الضرائب بأية حال ، ولكن لما كانت لا تدخل في نطاق نظام الضرائب في المدينة ، فانها ولا شك كانت في وضع ممتاز مما أدى الى أن يدرك ملاك الأرض المتاخمة ، بل وكذلك قرى بأكملها الامتياز المالي الذي يتمتع به أصحاب هذه الضياع فقدموا أنفسهم وأملاكهم كموالي في رعاية هؤلاء الملاك الكبار ، ملاك الضياع (Agri-excepti) ، وهكذا كانت تتسع أملاك السادة الحماة [1]، وكان ذلك مقابل تولي النبلاء مسئولية الضرائب ، وبالتالي تحول الملاك الصغار الى (Colonus) (عبيد الأرض) عند السيد النبيل الذي صارت الأرض له ، وكان الفلاحون في أرض النبلاء والاقطاعيين في الواقع عبيدا أو شبه عبيد يرتبطون بالأرض ويكلفون بالسخرة ، وللسيد عليهم سلطان غير محدود [2]. وكانت أعباء مواليهم الضريبية تنقص من القدر المسئول عن جمعه موظفوا الحكومة المحلية ، الذين أصبحوا عاجزين عن الوفاء بالتزاماتهم وبالطبع عانت الخزينة الامبراطورية من جراء ذلك [3].

أما القرى فان أهلها كانوا جميعا مسئولين عن زرع الأرض ، ومسئولين بالتضامن عن دفع الضريبة ، وان هرب أحدهم وجب على الباقين دفع حصته ، وهم نظريا أحرار ، ولكنهم في الواقع يرتبطون بالأرض لمصلحة الخزينة ويمنعون من تركها [4]. وقد حاولت الدولة البيزنطية الحد من نظام الحماية من قبل النبلاء على ملاك الأراضي الصغار الا أنها لم تنجح في ذلك لما كان لأسر النبلاء من نفوذ اقتصادي وسياسي [5].

---

(١) دانيل دينيت ، المرجع السابق، ص ٩٧ .
(٢) عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .
(٣) دانيل دينيت ، المرجع السابق ، ص ٩٧ .
(٤) عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .
(٥) دانيل دينيت ، المرجع السابق ، ص ٩٨ .

ولم يقتصر عسف الدولة البيزنطية وجرمها في حق هؤلاء الفلاحين ونكباتهم عليهم وحدهم ، وانما تعداها الى مصانعهم ، فقد عانت بلاد الشام من الأزمة التي أصابت صناعة الحرير وتجارته في القرن السادس الميلادي،حين استغل التجار الفرس وضعهم كوسطاء محتكرين ، واستغلوا التوتر مع بيزنطة فرفعوا أسعار الحرير الخام ، مما أدى الى ارتفاع أسعار الأقمشة المصنعة في المدن البيزنطية ، وبصورة خاصة في مدن الشام الساحلية ، وكان هناك سبب آخر لارتفاع أسعار الأقمشة الحريرية ، وهو ازدياد عدد المراكز الجمركية في الأراضي الفارسية والبيزنطية حيث حصل كل مركز على ضريبة مرور مقدارها عشر ثمن البضائع الحريرية أو غيرها ، أضف الى ذلك احتكار حكومة الامبراطور جستنيان لصناعة الحرير وتجارته لتزيد من دخل الدولة من أرباح هذه الصناعة والتجارة التي لم يعد بامكان أصحابها الحصول على الحرير الخام (١).

وقد تنوعت الضرائب في عهد الدولة البيزنطية في بلاد الشام ، فمن ضرائب على الأراضي الى ضرائب على الرؤوس والمواشي ، ومكوس على التجارة والأشياء والممتلكات (٢)، وبذلك أرهقت الدولة البيزنطية رعاياها ، واستنزفت قواهم ومواردهم ، هذا بالاضافة الى استنزاف قوى الفلاحين بسبب الوباء الذي اجتاح بلاد الشام على فترات متتالية مات فيها الكثير من الناس ، حتى أنه كان يأتي موسم حصاد الثمار فلا يوجد من يقوم بجنيها ، وبذلك نستطيع القول أن الله قد أراد لأهل الشام الخلاص من المعاناة التي لاقوها على أيدي أولئك الحكام العتاة .

---

(١) نعيم فرح ، المرجع السابق ، ص ٣٩ - ٤٠ .
(٢) صبحي الصالح ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

٣ — الحرب بين البيزنطيين والفــــرس :

شاهد حوض البحر المتوسط الشرقي قصة صراع عنيف منذ فجر تاريخه بيــن الشرق والغرب حين اصطدمت في القرن السادس ق٠م٠ أطماع الفرس بحركة الاستعمار الإغريقي على شواطيء آسيا الصغرى ، وظل أوار هذه الحروب التي عرفت باسم "الحروب الميدية" تتأجج على أدوار متباينة ، وتجلت بداية هذه الحروب الطويلة على عهد الملك دارا الفارسي (٤٩١ ق٠م) حين عبأ جيوشه وزحف بهـا على آسيا الصغرى ، وظهرت صحوة الغرب فاستطاعت مقدونيا تحت لــواء "اسكندر المقدوني" (٣٣٦ — ٣٢٣ ق٠م) الرد على هذه الحروب وتقويض أركان دولة الفرس في الشرق[1] ، فخضعت دمشق لامبراطورية الاسكندر في عام ٣٣٣ق٠م ، ثم احتلها الرومان بعد ذلك في سنة ٦٤ ق٠م[2].

ومنذ غزوة الاسكندر لبلاد الشرق وقصة الصراع مستمرة بين الشرق والغرب ، وكشفت هذه الصراعات أهمية المنطقة الواقعة بين النهرين وسورية الشمالية في احتكاك الشرق والغرب تجاريا وحربيا ، حيث دارت معارك وحروب بين الدولتين الفارسية والرومانية كان فيها كل جانب من الدولتين إما أن تكون له الغلبة ، وإما أن يقدم التنازلات ، حتى أنه في بعض الأحوال كانت تستمر الهدنة بين الطرفين أربعين عاما[3].

---

(١) ابراهيم العدوي ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ١ — ٢ ٠

(٢) أحمد غسان سبانو، دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية ، عن(دمشق في الموسوعة الألمانية ماير) سلسلة دراسات ووثائق دمشق الشام ، رقم ٦ ، دار الكتاب العربي ، ص ١٩٠ ٠

(٣) أنظر :
فتحي عثمان ،الحدود الإسلامية البيزنطية ،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ،ج ١ ،ص ١١٥ — ١١٦ ٠

ومنذ القرن الرابع الميلادي تولت الدولة البيزنطية تنظيم منطقة بلاد الشام والتي تفصلها عن منافستها دولة الفرس ، وفضلت اتباع سياسة روما الخاصة بعدم الاندفاع وراء مشاريع حربية لا طائل من ورائها فيما وراء الفرات ، فدعمت سلسلة من الحصون في الصحراء الشامية ،ونظمت ولاياتها الشرقية بأن جعلت سورية وفلسطين ولاية واحدة عرفت باسم الولاية الشرقية (١).

وفي سنة ٥٠٢م شنّ قباذ الفارسي الحرب على الدولة البيزنطية ، واستمرت الحرب حتى وفاته في عهد الامبراطور جستنيان البيزنطي سنة ٥٣١م (٢)،وأصبح معظم الجيش البيزنطي منشغلا في حروب الشرق (٣).

وكان جستنيان يسعى لاستعادة الولايات الرومانية التي ضاعت منه ، وفي نفس الوقت لم يكن يغافل عن أطماع الفرس في الولايات الشرقية ذات الأهمية الاستراتيجية ،فحين حرك جستنيان قواته على جبهة الفرات ، لم يكن يبغي

---

(١) كانت هذه الحصون أشبه بمعسكرات تقيم بها فرق الجيش التي عهدت إليها مهمة حراسة الحدود والطرق التجارية التي تجتاز الصحراء، واقترن باقامة الحصون اعتماد الامبراطورية البيزنطية على الإمارات العربية التي قامت في صحراء الشام بالدفاع عن أراضيها ضد الفرس ،وهذه السياسة تبين مدى ارتباط الحروب الفارسية بالهجرات العربية التي استقرت في بلاد الشام، إذ رأت الدولة البيزنطية اتخاذ القبائل العربية الضاربة في صحراء الشام وكلاء حواجز تنفذ سياستها في مواجهة الخطر الفارسي،فاتجهت إلى اصطناعهم بالمال واغداق رفع الألقاب على رؤوسائهم ،وقد اتبعت الدولة البيزنطية أسلوب الدولة الرومانية الكبرى سابقا حين اتخذ الرومان الأنباط ضد دولة البارثيين الفارسيه ثم قضي عليها سنة ١٠٥م ،ثم دولة تدمر مابين سنة ١٣٠-٢٧٠م ونفذت سياسة روما ضد الفرس وطرد شابور الأول من بلاد الشام سنة ٢٦٥م ،ثم قضى على هذه الإمارة الامبراطور أورليان ومهد ذلك لظهور دولة الغساسنة في بلاد الشام. أنظر في ذلك أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٤ - ٦ .

(٢) صبحي الصالح،المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٣) عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ٧٢ .

من وراء ذلك توسعات وأراضي جديدة ،وإنما دفع الفرس إلى التفاوض والتوصل إلى اتفاق يؤمن ظهره أثناء استدارته لحرب الجرمان ،فكان على استعداد لدفع جزية سنوية ضخمة للفرس ،وذلك لكي يحقق آماله في الغرب الامبراطوري[1]، ولم يكن ذلك غائبا عن كسرى فارس ، فكان كثيرا ما يتحين الفرصة للمطالبة بالمزيد من الأموال من الخزانة البيزنطية ،حتى أنه طالب الامبراطور جستنيان حين انتصاره على الوندال في شمال أفريقية مشاركته في جزء من الأموال والغنائم فانصاع الامبراطور جستنيان لمطالبه من أجل استكمال مشروعاته في الغرب[2]، وخلدت الامبراطورية الفارسية إلى السلم في حكم جستنيان بما أغدقه عليها من أموال ،ثم استأنفت سياسة الهجوم بعد وفاته ،وركزت الحكومة البيزنطية مواردها للدفاع عن الولايات الشرقية ، إلا أنها لم تستطع الحيلولة دون ضياع أرمينية وسورية وفلسطين ومصر مع بدايات القرن السابع الميلادي[3]، فقد اكتسحت جيوش كسرى أبرويز أراضي الدولة البيزنطية في الشام ومصر ، واتقدت نيران هذه الحرب التي لم تخمد إلا بعد ربع قرن(٦٠٣ - ٦٢٨م)[4]،وقد استفحلت خلال هذا الدور الأخير من الحروب البيزنطية الفارسية الصراعات القوية بين الدولتين حول الرغبة في السيطرة على البحر المتوسط باعتباره مركز القوة لأية سلطة تبغي السيادة العالمية ،واتخذ هذا الدور الأخير من هذا الصراع الفارسي البيزنطي من بلاد الشام مسرحا له ،وذلك عند ظهور الإسلام في مطالع القرن السابع الميلادي[5].

---

(١) رأفت عبد الحميد محمد ،قواعد الدبلوماسية البيزنطية ،المجلة التاريخية المصرية ،الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ،القاهرة ،المجلد الثالث والثلاثون ، ١٩٨٦م ، ص ٧٠ .
- أنظر أيضا :
عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(٢) رأفت عبد الحميد محمد ، المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٣) ريتشارد أ. ساليفان ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٤) صبحي الصالح ، المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٥) ابراهيم العدوي ، مواقف الامبراطورية البيزنطية من الفتح الإسلامي لبلاد الشام ، ص ٢ .

واستولت الدولة الفارسية على أراضي بلاد الشام فكانت يد الفرس مدمرة لكل ما تصل اليه أيديهم ، فخربت أسوار حلب وأبوابها [(١)]، ودخلت الجيوش الفارسية صيدا في طريقها الى بيت المقدس في سنة ٦١٤م [(٢)]، ثم دخل الفرس بيت المقدس التي عانت من التخريب على أيديهم في تلك السنة [(٣)]. فقد دخلوها عنوة وجعلوها نهبا للخراب والحرائق والمذابح لمدة ثلاثة أيام ، وقد قتل الفرس من المسيحيين بها عددا كبيرا ، وكان من ضمن من أسروهم بطريق بيت المقدس (زكريا) واستولوا على الصليب ونقلوه الى عاصمتهم طيسفون (المدائن)، وتسبب الفتح الفارسي لبيت المقدس في كثير من مظاهر التخريب الذي أصاب المدينة ، فقد دمرت أعداد كبيرة من الأديرة والأماكن الدينية وغيرها من معالم المدينة [(٤)]. وكان كسرى ابرويز قد حدد مخططاته تجاه الدولة البيزنطية في بلاد الشام ، بما يدل على ادراكه التام بمكانة تلك البلاد في الامبراطورية البيزنطية ، فعمل على حرمان البيزنطيين من تلك القاعدة الهامة حرمانا نهائيا [(٥)]، وذلك بهدف ضرب الركائز الثلاث التي كانت تعتمد عليها الدولة البيزنطية من وراء حكمها لبلاد الشام ، وكانت تلك الركائز الثلاث هي :

---

(١) أبو الفرج العش، آثارنا في الاقليم السوري، المطبعة الجديدة ،دمشق، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠م، ص ٧١ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم ،دراسة في تاريخ مدينة صيدا ،مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية، ١٩٨٦م، ص ٤٢ .

(٣) Waler Emil Kaegi, J.R. "New perspective on the last decades of the Byzantine era", the fourth international conference on the hisory of Bilad Al-Sham, The University of Jordan, Amman 1983, p. 4.

(٤) عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٥) ابراهيم العدوي ، موقف الامبراطورية البيزنطية من الفتح الاسلامي لبلاد الشام ، ص ٢ .

١ - الركيـــزة الاقتصاديـــة :

وهي التي تجعل من بلاد الشام مصدرا من مصادر الثروة والثـــراء فـــي الامبراطورية البيزنطية ، وذلك بسبب موقعها الجغرافي وخصوبة أرضها وللطرق التجارية الرئيسية الكبرى التي تمر بها في اتجاهها الى أسواق البحر المتوسط .

٢ - الركيزة الدينية :

وهي التي منحت الامبراطورية البيزنطية مركز الزعامة على العالم المسيحي ولاسيما في أوربا باعتبارها المسؤولة عن حماية الأماكن المسيحية المقدســة ببيت المقدس .

٣ - الركيـــزة الحربيـــة :

وتمثل الدور الذي قامت به بلاد الشام باعتبارها منطقة تخوم تحمـــي الامبراطورية البيزنطية من عدوان دولة الفرس الساسانيـن وصد أطماعهم فـي الوصول الى البحر المتوسط[1].

وعندما اعتلى هرقل (٦١٠ - ٦٤١م) عرش الامبراطورية البيزنطية حـــاول العمل على اعادة تجميع موارد الامبراطورية وصد هجمات الغزاة فبدأ سياستـه الدفاعية الجديدة ببعض العمليات القوية ضد الفرس ، فأنزلت القوات البيزنطيـــة بالجيش الفارسي - فيما بين عامي (٦٢٢ - ٦٢٨م) - هزيمة ساحقة واستعـــادت بذلك ولاياتها الشرقية الغنية في سورية وفلسطين ومصر التي كان الفــرس قـــد اكتسحوها فيما بين عامي ٦١١ - ٦١٩م[2].

وبعد ذلك عزل كسرى وقتل وتولى بعده ابنه شيرويه الذي رأى من الأفضل أن يعقد الصلح مع هرقل في سنة ٦٢٨م ،وبمقتضاه استردت بيزنطة ماكان لهـــا

---

(١) ابراهيم العـــدوي ، المرجع السابـــق ، ص ٢ - ٣ .

(٢) ريتشارد أ. ساليفان ،المرجع السابق ،ص ٥٣ - ٥٤ .

من البلاد التي كانت سقطت في أيدي الفرس بما في ذلك أملاكهم في بلاد الجزيرة والشام ومصر ، وقد استعاد البيزنطيون الصليب المقدس وعاد هرقل الى عاصمته منتصرا في احتفال كبير بزعامة رجال الدين والشعب ، وانتهت قصة الصراع المرير بين الشرق والغرب بالاعتراف الضمني لسيادة بيزنطة على بلاد فارس حيث أعلن شيرويه أن يكون هرقل وصيا على ابنه .

ولم تدم تلك الحالة من الهدوء في الدولة البيزنطية الا سنوات محدودة ، وفي الوقت الذي خرجت فيه الدولة البيزنطية من حروبها مع الفرس - على الرغم من انتصارها الأخير - منهوكة القوى ، كان عرب شبه الجزيرة العربية قد وحد بينهم الاسلام والجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام خارج بلاد العرب[1].

---

(١) عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

الفصل الأول

الفصل الأول

عوامل ازدهار الحياة الاقتصادية في الشام بعد الفتح الإسلامي . وفي العصر الأموي خاصة

أ - سماحة الاسلام وحسن معاملة أهل الذمة وأثرهما في توفير الأمن والطمأنينة لأهل الشام .

- أهل الذمة ودور العبادة .
- استعمال أهل الذمة في أعمال الدولة .
  ١- في الكتابة والدواوين .
  ٢- في الطب والترجمة والهندسة .
  ٣- في الحرف والصناعات .
- الأوضاع الاجتماعية لأهل الذمة .

ب - العدل في جباية الخراج والجزية في الشام في العصر الاموي .

- محاسبة بني أمية عمالهم على جمع الخراج .

جـ - الخلفاء الأمويون وزيادة عطاء جند الشام .

١- العطاء في عهد الرسول والخلفاء الراشدين .

٢- العطاء في عهد الدولة الأموية .

د - نتائج الفتوحات الإسلامية الكبرى في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي وتدفق الأموال على بلاد الشام :-

١- نتائج الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين .

٢- نتائج الفتوحات في عهد الدولة الأموية .

أ - سماحة الاسلام وحسن معاملة أهل الذمة وأثرهما في توفير الأمن والطمأنينة لأهل الشام :

تم فتح بلاد الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد صاحبت فتوحات الشام شروط للصلح الذي جرى بين قواد جيوش المسلمين وبين أهالي البلاد المفتوحة ليأمنوا على حكم المسلمين لبلادهم .

وقد أوردت نصوص شروط الصلح هذه بعض المصادر ، بينما اكتفت مصادر أخرى بالإشارة إلى وجود كتاب صلح دون إثبات نصّه (١).

ومن نصوص شروط الصلح التي أوردتها المصادر ، كتاب الأمان الذي أورده الطبري ، والذي أعطاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أهل اللّد وسائر كورها ونصّه : (بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل لدّ ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ، ولا مللها ، ولا من صلبهم ،ولا من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ، وعلى أهل لدّ ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل مدائن الشام ، وعليهم إن خرجوا مثل ذلك الشرط ... إلى آخره)(٢).

---

(١) أنظر في هذا الصدد :
- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، نشر دار طيبه ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص ١٣٥ ،
(مثال ذلك : كتاب الصلح الذي كتبه أبو عبيدة بن الجراح لأهل حلب) .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق محمد أبو الفضل ،نشر دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م ، ج ٣ ، ص ٦٠٩ .

وحين حصار دمشق أخذ المسلمون الغوطة وكنائسها عنوة ، وتحصن أهل المدينة وأغلقوا بابها ، ثم تمّ التفاهم بين خالد بن الوليد — وكان على الباب الشرقي من سور المدينة — وبين أسقفها الذي فاوضه على الصلح فأعطاه كتاب أمان لأهل مدينة دمشق ، وهذا نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق اذا دخلها ، أمانا على أنفسهم وأموالهم، وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم ، لهم بذلك عهد الله وذمة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء المؤمنين ، لا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية)[1].

وقد تواردت الأخبار في المصادر عن فتح مدينة دمشق صلحا أو عنوة ، نظرا لدخول خالد بن الوليد بقوة السيف من الباب الشرقي ، بينما دخل أبو عبيدة بن الجراح وبقية أصحابه من الأبواب الأخرى صلحا[2]. فالطبري يذكر فتحها بالسيف عنوة بقيادة خالد بن الوليد من جهة الشرق ، وفتحها صلحا من الجهات الأخرى بقيادة أبي عبيدة وأصحابه ،وبذلك فتحت صلحا ولكن

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م ، ص ١٢٧ .

(٢) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ — ١٢٩ ،— عن هذا الصلح قارن ما أورده البلاذري بما أورده كل من :
— ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق ،جـ ٢ ، ص ١٠٧ — ١٠٨ ،
— ابن سعد،الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ،١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م ،جـ ٧ ، ص ٣٩٧ .
— ابن كثير ، البداية والنهاية ،مكتبة المعارف ،بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٤م ، جـ ٧ ، ص ٢١ ،
— أبو عبيد،كتاب الأموال ،تحقيق محمد خليل هراس ،مكتبة الكليات الأزهريه ودار الفكر،القاهره ،الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ — ١٩٨١م ،ص ١٩٨ .

"على المقاسمة في الدينار والعقار ، ودينار عن كل رأس ، فاقتسموا الأسلاب ، فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب سائر القواد ، وجرى على الديار ومن بقي في الصلح جريب من كل جريب أرض ، ووقف ماكان للملوك ، ومن صوب معهم فيئا" (١) ، وهذا ما ترويه أغلب المصادر والمراجع (٢).

وقد أورد ابن عساكر معاهدة لنصارى أهل الشام موجهه الى عمر بن الخطاب ، وهذا نصه : (عن عبد الرحمن بن غنم : أن عمر بن الخطاب كتب على النصارى كتابا حين صولحوا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب لعبد الله أمير المؤمنين من نصارى أهل الشام ، أنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وأهالينا وأموالنا وأهل ملتنا على أن نؤدي الجزية عن يد ونحن صاغرون ، وعلى ألا نمنع أحدا من المسلمين أن ينزل كنائسنا في الليل والنهار ونضيفهم فيها ثلاثا (٣) ، ونطعمهم فيها من الطعام ، ونوسع لهم أبوابها ، ولا نضرب فيها بالنواقيس الا ضربا خفيا ، ولا نرفع أصواتنا بالقراءة ، ولا نؤوي فيها ولا في شيء من منازلنا جاسوسا لعدوكم ،

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٤٣٥ — ص ٤٤٠ .

(٢) أنظر في هذا الصدد :
— ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ١٧٩ ،
— ابن قيم الجوزية ، شرح الشروط العمرية ، تحقيق صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ — ١٩٨١م ، ص ٤ — ٥ .

(٣) قيل في هذا الصدد أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، صالح نصارى الشام على ضيافة من مر بهم من المسلمين ثلاثة أيام مما يأكلون ، وجعل ذلك على السواد دون المدن — أنظر في ذلك :—
— الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ ،
وأنظر أيضا :
— صالح الحمارنة ، المسيحية في أرض الشام ، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، والدار المتحدة للنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤م ، ص ٥٥٢ .

ولا نحدث كنيسة ، ولا صومعة ولا جلاية [1]، ولا نجدد ماخرب منها ، ولا نقصد الاجتماع فيما كان منها من خطط المسلمين وبين ظهرانيهم ، ولا نظهر شركا، ولا ندعو إليه ، ولا نظهر صليبا على كنائسنا ، ولا في شيء من طرق المسلمين وأسواقهم ، ولا نتعلم القرآن ، ولا نعلّمه أولادنا ، ولا نمنع من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام إن أراد ذلك ، وأن تجزّ مقادم رؤسنا ، ونشد الزنانير في أوساطنا ، ونلزم ديننا ، ولا نتشبه بالمسلمين في لباسهم ، ولا هيئتهم ، ولا في سروجهم ، ولا نقش خواتيمهم فننقشها عربيا ، ولا نكتني بكناهم ، وعلينا أن نعظمهم ونوقرهم ونقوم لهم من مجالسنا ، ونرشدهم في سبلهم وطرقاتهم ، ولا نطلع في منازلهم ، ولا نتخذ سلاحا ولا سيفا ، ولا نحمله في حضر ولا سفر في أرض المسلمين ، ولا نبيع خمرا ، ولا نظهرها ، ولا نظهر نارا مع موتانا في طريق المسلمين ، ولا نرفع أصواتنا مع جنائزهم ، ولا نجاور المسلمين بهم ، ولا نضرب أحدا من المسلمين ، ولا نتخذ من الرقيق ماجرت عليه سهامهم ، شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملّتنا ، فان خالفناه ، فلا ذمة لنا ولا عهد ، وقد حل لكم منا ما يحل لكم من أهل الشقاق والمعاندة)[2].

---

(١) وردت "قلاية" في ابن قيم الجوزية ،شرح الشروط العمرية ،ص ١٢، إذ قال في شرحها : (أما "الدير" فللنصارى خاصة يبنونه للرهبان خارج البلد يجتمعون فيه للرهبانية والتفرد عن الناس ،وأما "القلاية" فيبنيها رهبانهم مرتفعة كالمنارة ،والفرق بينها وبين الدير، أن الدير يجتمعون فيه ، والقلاية لا تكون إلا لواحد ينفرد بنفسه ،ولا يكون لها باب ، بل فيها طاقة يتناول منها طعامه وشرابه ومايحتاج إليه) .

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ١٧٩ ،
— قارن ذلك بما أورده في هذا الصدد، ابن قيم الجوزيه ،شرح الشروط العمريه ،ص ٤ — ٥ مع ملاحظة بعض التقديم والتأخير في ذكر الشروط،كما يضيف ابن قيم الجوزيه إلى هذه الشروط شرطا عن التجاره ونصه : (ولا يشارك أحد منا مسلما في تجارة إلا أن يكون إلى المسلم أمر التجارة) .

على أن الأساس في كتب الصلح والأمان هذه لأهل الشام ، ذلك الكتاب الذي أعطاه الخليفه عمر بن الخطاب حين وصوله الى بيت المقدس ، وتسلمه مفاتيحها ، فكتب الى أهل ايلياء كتاب الصلح الذي أورده الطبري وغيره من المؤرخين ، وهذا نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ،ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها ، وبريئها ، وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت[1]، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ،وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم ، فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان،فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ،ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع مع أهله ،فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ،وعلى مافي هذا الكتاب عهد الله ،وذمة رسوله ،وذمة الخلفاء ،وذمة المؤمنين، اذا أعطوا الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد ،وعمرو بن العاص ،وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ،. وكتب وحضر سنة خمس عشرة)[2].

---

(١) اللصت : لغة في اللصّ وجمعه لصوت . ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، دار لسان العرب ، بيروت ، مجلد ٣ ، ص ٣٦٥ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٦٠٩ ،ـ هذا ويشكك ترتون في نسبة هذا العهد لعمر بن الخطاب . أنظر : أ. س . ترتون ، أهل الذمة في الاسلام ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ،١٩٦٧م ، ص ٦ .

هذا وقد صالحت طبرية (١) وبعلبك وأرض البقاع (٢) وحمص (٣) على صلح أهل دمشق .

وأهم بنود الصلح التي وردت في كتاب الأمان الذي أعطاه الخليفة عمر ، رضي الله عنه ، لأهل الشام بصفة عامة ، وأهل إيلياء بصفة خاصة ،والتي التزم بها الخلفاء عثمان وعلي ، رضي الله عنهما ، ومن بعدهم خلفاء بني أمية مايلي :-

أولا : أن يؤمّنوا على أرواحهم وأموالهم .

ثانيا : أن يحترموا الشعائر الدينية للمسلمين ، ولا يظهروا من طقوسهم ما يؤذي مشاعر المسلمين .

ثالثا : أن يخرجوا الروم من مدن الصلح بالشام ، واليهود من إيلياء ، ومن بقي في البلاد بمشيئته يجري عليه مايجري على أهل البلاد من الخراج والجزية .

رابعا : أن يؤمنوا على كنائسهم التي جرى عليها الصلح من قبل المسلمين ، وألا يحدثوا أي كنائس أو دور عبادة غيرها .

خامسا : ألا يتشبهوا بالمسلمين في الزي أو الكنية أو نقش خواتيمهم بالعربية .

---

(١) الطبري،المصدر السابق ،ج ٣ ،ص ٤٤٤،- ذكر البلاذري ،فتوح البلدان،ص ١٢٣، أن الأردن فتحت عنوة ما خلا طبرية ، فقد صالح شرحبيل بن حسنة أهلها على أنصاف منازلهم وكنائسهم ... واستثنى لمسجد المسلمين موضعا .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ،ص ١٢٦،وقد أورد البلاذري ، فتوح البلدان،ص١٣٦، كتابا للصلح يؤمنهم فيه "على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها...الخ" إلا أنه مغاير لشروط الصلح الخاصة بصلح دمشق .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط،ص ١٣٠،وذكر ابن كثير،المصدر السابق،ج٧،ص ٥٢ ، بأن المسلمين صالحوا أهل حمص على ماصالحوا عليه أهل دمشق على نصف المنازل ،وضرب الخراج على الأرض ،وأخذ الجزية على الرقاب حسب الغنى والفقر .

سابعا : دفعهم الجزية عن رؤوسهم والخراج عن أرضهم (١) .

هذا ومفروض على أهل الذمة مراعاة جميع شروط عهد عمر بن الخطاب إذا أرادوا حماية المسلمين لهم ، ففي حالة امتناعهم عن دفع الجزية ، أو الكفر بالله وذكره بما لا يليق بجلاله ، أو ذكر القرآن أو الرسول الكريم بما لا ينبغي ، أو قتال المسلمين ، أو أن يزني أحدهم بمسلمة ، أو يفتن مسلما عن دينه ، أو يقتل مسلما أو مسلمة عمدا ، ينتقض عهدهم ، ولا يحل للمسلمين حمايتهم (٢).

---

(١) تم استخلاص هذه البنود من نصوص العهود السابقة ، كما يمكن العودة لكتاب:
- ابن قيم الجوزية ، شرح الشروط العمرية ، ص ٩ وما بعدها ، حيث أورد فصولا لدراسة بنود العهد .
- هذا وقد أورد ترتون ، المرجع السابق ، ص ٤ ، صور العهد الوارده لفتح مدينة دمشق حسب ماوردت في ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج ١ ، ص ١٤٩ - ١٧٨ .
- الأبشيهي ، المستطرف ، ص ١٢٤ ، وأوضح أن كتاب العهد ينسب مرة إلى عمر ، وأخرى إلى قائده أبو عبيدة .
- ومن خلال تتبع الفتوح من تاريخ فتح دمشق سنة ١٣هـ ، الى تاريخ فتح بيت المقدس سنة ١٥هـ ، يثبت أنه خلال هذه الفترة كان كل من أبي عبيدة وخالد بن الوليد أثناء فتوحهما لمدن وقرى الشام ، يعطي كتاب أمان للبلد الذي فتح صلحا ، فلما تم فتح إيلياء ، طلب أهلها تسليم مفاتيح مدينتهم إلى الخليفة عمر نفسه ، فحضر ، وكتب لهم كتابا خاصا بالأمان ، كما أعطى لكل كورة كتابا واحدا ، وهذا ما أثبته الطبري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦٠٩ .

(٢) عن هذه النقطة وعن اختلاف الفقهاء في ذكر المسائل التي تنقض عهد الذميين ، أنظر :
- أبي يعلي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٨ .

أهل الذمة ودور العبادة :

بمقتضى كتب الصلح التي حصل عليها أهل الذمة في الشام ، فقد احتفظوا بكنائسهم وبيعهم التي كانت قائمة وقت الفتح ، لا تمس ، ولا تهدم .

وكان أول من التزم بعهود الشام ، الخليفة عمر ، رضي الله عنه ،نفسه . فقد ذكر ياقوت الحموي في حديثه عن بيت لحم ما نصّه : (لما ورد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، إلى بيت المقدس ، أتاه راهب من بيت لحم فقال له : معي منك أمان على بيت لحم ، فقال له عمر : ما أعلم ذلك، فأظهره وعرفه عمر ، فقال له : الأمان صحيح ، ولكن لابد في كل موضع للنصارى أن نجعل فيه مسجدا ، فقال الراهب : إن ببيت لحم حنية [(١)]، مبنية على قبلتكم ، فاجعلها مسجدا للمسلمين ، ولا تهدم الكنيسه ، فعفا له عن الكنيسة ، وصلى إلى تلك الحنية ، واتخذها مسجدا ، وجعل على النصارى إسراجها ، وعمارتها ، وتنظيفها)[(٢)] .

هذا ويذكر البلاذري أن المسلمين أخذوا كنائس الغوطة عنوة أثناء الفتح الاسلامي لدمشق[(٣)].

أما بالنسبة لدمشق فنذكر ماورد في المصادر عن كنيستها المعروفة بكنيسة القديس يوحنا ، والتي بني الجامع الأموي على أنقاضها . فقد ذكر ابن كثير ، أن المسلمين اتخذوا الجانب الشرقي منها مسجدا ، وأبقوا لهم نصفها الغربي كنيسة ، وأبقوا لهم أربع عشرة كنيسة أخرى مع نصف الكنيسة

---

(١) الحنية : حنية الكنيسة ،نصف قبة في صدر الكنيسة فوق الهيكل .

(٢) معجم البلدان ،دار صادر،بيروت ،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م،ج ١ ،ص ٥٢١ .

(٣) فتوح البلدان ، ص ١٢٧ .

المعروفة بيوحنا[١]. وذكر ابن عساكر أن عدد الكنائس التي كانت ضمن شروط الصلح خمس عشرة كنيسة[٢]، أما الطبري ، فلم يورد شيئا عن هذه المناصفة لكنيسة القديس يوحنا التي أشار إليها ابن كثير ، ولكنه ذكر أن خالد بن الوليد فتح دمشق عنوة وبقية أصحابه فتحوها من الجهات الأخرى صلحا لذا فقد كان (صلح دمشق على المقاسمة في الدينار والعقار)[٣].

وقد نفى ترتون أن يكون المسلمون قد حصلوا عند الفتح على الجانب الشرقي من كنيسة يوحنا وحولوه إلى مسجد ، مؤكدا وجود المذبح في القسم الشرقي من الكنيسة ، وأن الجانب الشرقي من المدينة ، كان هو الحي المسيحي ، وقد اعتمد في التدليل على ذلك ، على رواية لشاهد عيان زار مدينة دمشق ورأى بها ما أسماه "هيكلا للشرقيين" ، وكنيسة كبيرة للقديس "يوحنا المعمدان"[٤] .

أما جان سوفاجيه[٥] ، فقد ذكر أن الجامع بني في مكان من الأمكنة القليلة المتروكة خالية في المدينة ، وهو مكان حرم الهيكل القديم ، وقد غدا لا غاية له . فبني الجامع مستندا إلى الجدار الجنوبي من السور الثاني ، وضمن هذا السور ، كانت تقوم اذ ذاك كنيسة القديس يوحنا المعمدان .

كما أشار نبيه عاقل إلى دراسة عالم الآثار الاسلامية كروزويل حول ما أوردته بعض المصادر عن قبول فكرة اقتسام أجزاء مدينة دمشق بين الفاتحين،

---

(١) البداية والنهاية ،ج ٧ ،ص ٢٣ .
(٢) تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ٢٤١ .
(٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ،ص ٤٤٠ .
(٤) أهل الذمة في الإسلام ، ص ٣٩ — ٤٠ .
(٥) دمشق الشام "لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر"،ترجمة فؤاد افرام البستاني ، مجلة المشرق ، المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ، ١٩٣٦م ، ص ٢٣ — ٢٤ .

بأن المسلمين شاركوا المسيحيين في كنيسة القديس يوحنا ، فغدا الموقع يضم كنيسة للنصارى في الجانب الغربي الذي فتح صلحا ، ومسجدا للمسلمين في الجانب الشرقي الذي فتح عنوة ، وأنه كانت تقام طقوس العبادتين في بناء واحد ، كما ذكر أن عدم قبول البعض الآخر لنظرية الاقتسام ، انما يستند الى ما جاء به البلاذري عن رواية الواقدي بأنه في قراءته لكتاب الصلح لخالد بن الوليد (لم ير فيه أنصاف المنازل والكنائس ... الخ)[١]. وسبب مناقشة قبول الرأي حول هذا الموضوع أو عدمه من اقتسام كنيسة القديس يوحنا هو ما أوردته بعض المصادر من أن الوليد بن عبد الملك لما أراد بناء المسجد الأموي ، هدم كنيسة يوحنا "القسم الغربي" وزادها في مسجد المسلمين[٢].

---

(١) نبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أميه ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .
- وتجدر الاشارة هنا الى أن كتاب خالد بن الوليد هذا قد أعطاه لأسقف مدينة دمشق قبل الفتح ، - وقد أشرنا اليه سابقا - ولكن هذه المفاوضة ، لم تتم ، فدخل خالد دمشق عنوة بقوة السيف ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، فان كتاب الصلح الذي أعطاه عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، لأهالي كور الشام ، بعد كتاب الأمان لأهالي لد ، قد ألغى كل الكتب السابقة التي كان القواد يعطونها لأهالي المدن المفتوحة - حسب ما أشرنا اليه سابقا - وبهذا الكتاب سارت أمور أهل الذمة بالشام في عهده وفي عهد من أتى بعده من الخلفاء الراشدين والامويين .

(٢) - البدري ، أبو البقاء عبد الله : نزهة الأنام في محاسن الشام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ص ٣٢ .
- الحميري ، محمد بن عبد المنعم : الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م ، ص ٢٣٨ ..
- ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

بينما ترد بعض الآراء الحديثة، بأن جامع دمشق ، مشّيد كبناء مستقل . فقد ورد عن "دمشق" في دائرة المعارف العالمية يونفرسال ، بأنه : (قد اختلفت الروايات حول أصل هذا الجامع ، أما الآن فالأدلة قائمة ومتوفرة ، مؤكدة أن الصرح لم يكن كنيسة رئيسية تم تحويلها ، بل هو مشروع بناء قائم بذاته ، ونشأ ليكون جامعا إسلاميا (٧٠٥ - ٧١٥)[١]. على أن هذا الرأي لا يدلل على كون الكنيسة أصلا كانت مناصفة أم لا ، وإنما يدل على أن الجامع الأموي هو بناء مشيد كجامع للمسلمين .

وأشار نبيه عاقل إلى ماذكره الطبري من أن الوليد بن عبد الملك حين أراد بناء مسجد دمشق ، أمر فهدمت الكنيسة ، كما أشار إلى ماذكره المسعودي ، من أن الوليد هدم الكنيسة عند عمارة المسجد[٢].

وقد ذكر البلاذري بأنه : (لما ولي معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق ، فأبى النصارى ذلك فأمسك ، ثم طلبها عبد الملك بن مروان في أيامه للزيادة في المسجد ، وبذل لهم مالا ، فأبوا أن يسلموها إليه ، ثم إن الوليد بن عبد الملك جمعهم في أيامه ، وبذل لهم مالا عظيما ، على أن يعطوه إياها فأبوا ، فقال : لئن لم تفعلوا لأهدمنها)[٣] ، غير أن ابن قيم الجوزية أوضح بأن : (المسلمين لما أرادوا أن يزيدوا جامع دمشق بالكنيسة التي إلى جانبه ، وكانت من كنائس الصلح،لم يكن لهم أخذها قهرا،فاصطلحوا على المعاوضة ،بإقرار كنائس العنوة التي أرادوا انتزاعها)[٤]، وبين أن : (للإمام أن يفعل في ذلك ماهو

---

(١) أحمد غسان سبانو: دمشق في دائرة المعارف العربية والعالمية يونفرسال "ضمن مجموعة دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية "،ص ١٧٨ .

(٢) تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٣) فتوح البلدان ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٤) شرح الشروط العمريه ، ص ٢٧ .

الأصلح للمسلمين ، فإن أخذها منهم وإزالتها هو المصلحة ـ كثرة الكنائس أو حاجة المسلمين إلى بعضها ـ فله أخذها أو إزالتها بحسب المصلحة ، وإن كان تركها أصلح)(١)، وفي هذا الصدد يقول ابن قيم الجوزية : (ولهذا لما أراد المسلمون أخذ كنائس العنوة التي خارج دمشق في زمن الوليد بن عبد الملك، صالحهم النصارى على تركها ، وتعويضهم عنها بالكنيسة التي زيدت في الجامع ، ولو كانوا قد ملكوا تلك الكنائس بالإقرار لقالوا للمسلمين كيف تأخذون أملاكنا قهرا وظلما ، بل أذعنوا إلى المفاوضة ، لما علموا أن للمسلمين أخذ تلك الكنائس منهم ، وأنها غير ملكهم كالأرض التي هي بها)(٢) .

وحين تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، شكا إليه نصارى الشام أمر الكنيسة ، فرد عليهم بقوله : (نرد عليكم كنيستكم ، ونهدم كنيسة توما ، فإنها فتحت عنوة ، فنبنيها مسجدا ... قالوا : بل ندع لكم هذا الذي هدمه الوليد ، ودعوا لنا كنيسة توما ، ففعل عمر ذلك)(٣).

ويشير ابن قيم الجوزية أيضا إلى جواز هدم الكنيسة المذكورة بما أفتاه الإمام أحمد بن حنبل للخليفة المتوكل على الله بقوله : (وكما طلب المسلمون أخذ كنائس العنوة منهم في زمن الوليد حتى صالحوهم على الكنيسة التي زيدت في

---

(١) المصدر نفسه ،ص ٣٤ ، (ويشير في هذا الصدد أن / للإمام انتزاعها متى رأى المصلحة في ذلك ، ويدل على ذلك بأن عمر بن الخطاب والصحابة معه ، أجلوا أهل خيبر من دورهم ومعابدهم ،بعد أن أقرهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،فيها ،ولو كان ذلك الإقرار تملكيا ، لم يجز اخراجهم عن ملكهم إلا برضى أو معاوضة) .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٣٥ ، كذلك أشار إلى هذه المفاوضه ،عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني ، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، تزييل علي بن أبي القاسم بن خليل ، مخطوط بالخزانة السعيدة المولوية ،رقم ٢٧٥٩،ورقه ٣١ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٩٨ .

جامع دمشق ، وكانت مقرة بأيديهم من زمن عمر ، رضي الله عنه ، إلى زمن الوليد ، ولو وجب بقاؤها وامتنع هدمها ، لما أقر المسلمون الوليد ، ولغيره الخليفة الراشد لما ولي عمر بن عبد العزيز)[1].

ومن الدراسة السابقة لما أورده ابن قيم الجوزية حول موضوع هدم كنيسة يوحنا ، ومفاوضة الوليد بن عبد الملك لنصارى دمشق يتضح عدم أخذ الوليد الكنيسة عنوة من النصارى[2] ، وبالتالي فقد كان من نتائج المفاوضة ، ماجعل عمر بن عبد العزيز يقر ماقام به الوليد وإلا كان ردها إلى النصارى[3]. ولعل مايفسر لنا إقرار عمر بن عبد العزيز هدم كنيسة يوحنا وعدم ردها إلى النصارى ، وفي الوقت نفسه سماع الشكاوي المقدمة بخصوص استيلاء المسلمين على بعض الكنائس ، ما أورده ابن عساكر من شكاوي النصارى إلى عمر بن عبد العزيز قائلين : (أنهم غلبوهم على كنائسهم ،وسألوا الوفاء بما في عهدهم)[4] ،ويورد ترتون عن رواية ابن عساكر إحدى هذه الشكاوي إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، بأن حسان بن مالك الكلبي ، خاصم أهل دمشق في كنيسة كان رجل من الأمراء أقطعهم إياها ،فقال له عمر بن عبد العزيز : " إن كانت من الخمس عشرة كنيسة التي في عهدهم ، فلا سبيل لك عليها " كذلك يشير ابن عساكر إلى هذه الكنائس الخمس عشرة ،ويفسر امتلاك المسلمين لبعض البيع على أساس أن اثنى عشر رجلا من أهل دمشق ، كانت لهم كنائس في دورهم ،ثم هربوا من المدينة وقت الفتح العربي لها ، فلما دخل المسلمون ، احتلوا تلك الدور وتوابعها من الكنائس[5]. كما يذكر ترتون أن عمر بن عبد العزيز أعاد كنيسة بني نصر إلى النصارى ، وكان معاوية قد

---

(١) شرح الشروط العمريه ، ص ٤٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .
(٣) ابن قيم الجوزيه ، المصدر نفسه ، ص ٤٢ .
(٤) تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .
(٥) - ابن عساكر،تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ٢٤١ .
- أنظر أيضا : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٣٠ .

أقطعها لهم في مدينة دمشق ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك أعادها الى بني نصر[(١)].

ويتضح مما سبق سواء كان من كنيسة بني نصر هذه أو غيرها من كنائس نصارى دمشق ، أن هذه الكنائس لم تغتصب من النصارى ، بل كانت لا مالك لها ، واذا كان عمر بن عبد العزيز قد رد كنيسة بني نصر الى النصارى ، انما بعد ما تبين أنها كانت من ضمن كنائس الصلح المعطاة للنصارى وقت الفتح العربي .

غير أن عمر بن عبد العزيز لم يتهاون في تجديد ، أو استحداث الكنائس ، فمن ذلك أمره لعماله بألا يقدموا على هدم شيء من بيوت النار والكنائس الموجودة يومذاك ، على ألا يأذنوا باقامة كنائس أخرى[(٢)] ، كما أنه كتب الى عماله يمنع النصارى في الشام "أن يضربوا ناقوسا ، ولا يرفعوا صليبهم فوق كنائسهم[(٣)].

وعلى الرغم من اشتراط المسلمين على أهل الذمة بعدم استحداث أو تجديد البيع والكنائس الا أنه تصادفنا اشارات في العصر الأموي ، الى أن من خلفاء بني أمية من سمح بالتجديد في بناء البيع والكنائس التي خربت ، ومنها بيعة "الرها الكبرى" ، التي أمر معاوية بتجديدها عقب زلزال هدم بعض أجزائها[(٤)] ، كما وجدنا أيضا اشارات الى استحداث الكنائس في بعض الأمصار مثل مصر والعراق والشام[(٥)].

---

(١) أهل الذمة في الاسلام ، ص ٣٩ .

(٢) ترتون ، المرجع نفسه ، ص ٤٢ .

(٣) ابن قيم الجوزيه ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٤) ترتون ، المرجع السابق ، ص ٤١ .

- ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤٦٥ قولا : "عجائب الدنيا أربع : قنطرة سنجة ، ومنارة الاسكندرية ، وكنيسة الرها ، ومسجد دمشق" ، دون ذكر أي حوادث عنها .

(٥) توماس أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ترجمة وتعليق حسن ابراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين ، واسماعيل النجراوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠م ، ص ٨٤ - ٨٥ .

- أشار الى موافقة بعض الخلفاء الأمويين الى بناء الكنائس في مصر وانطاكية ونصيبين .

- ذكر البلاذري في كتابه فتوح البلدان ، ص ٢٨٤ ، أن خالدا القسري قد بنى لأمه بيعة هي اليوم سكة البريد بالكوفة .

- أنظر أيضا : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ٥٣٢ .

ففي مصر وافق عبد العزيز بن مروان حين بنى مدينة حلوان ، على استحداث كنيسة لخادمين ملكانيين عرفت بكنيسة الفراشين ، ولكاتبه أثناسيوس ، ببناء كنيسة في قصر الشمع ، فلم يكتف أثناسيوس بواحدة ، بل شيد اثنتين هما كنيسة مارجرجس ، وكنيسة أبي قير داخل قصر الشمع ، وأقام ثالثة بالرها [1].

كما ينسب أيضا الى خالد القسري ، والي العراق ،في عهد هشام بن عبد الملك ، استحداث كنيسة لأمه - وكانت نصرانية - في ظهر المسجد الجامع بالكوفة ، وأنه سمح للنصارى بوجه عام ببناء كنائس أخرى [2]، وقد أشار ترتون الى بناء خالد القسري لهذه الكنيسة بعد سنة ١٠٥هـ ، وأنها كانت وراء السور الجنوبي الغربي لمسجد الكوفة [3].

وقد أشار أبو يوسف في كتابه الخراج عن التعامل الجاري بين المسلمين وأهل الذمة في بلاد الشام على احترام ما نصه العهد حيث أورد قوله : (فما كان من الصلح الذي صالحوا عليه أهله ، فان بيعهم وكنائسهم تركت على حالها ، ولم تهدم ، ولم يتعرض لهم فيها . فهذا ماكان بالشام بين المسلمين وأهل الذمه) [4].

هذا ويوضح أبو يوسف ما استقر عليه الأمر بصفة عامة في ديار الاسلام فيما يختص بالكنائس والبيع على النحو التالي :-

---

(١) ترتون ، المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) أنظر في هذا الصدد :
- الطبري ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٣١ ،
- الأصفهاني ، الأغاني ،دار صعب ،بيروت ،ج ١٩،ص ٥٣ - ٥٦ ،
- يوليوس فلهاوزن ،تاريخ الدولة العربية ،ترجمة وتعليق محمد عبد الهادي أبو ريده ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، ص ٣١٩ .

(٣) أهل الذمة في الاسلام ، ص ٤٥ .

(٤) كتاب الخراج ،ضمن موسوعة الخراج ،طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، =

(ولست أرى أن يهدم شيء مما جرى عليه الصلح ، ولا يحول ويمضي الأمر فيها على ما أمضاه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضي الله عنهم أجمعين ، فانهم لم يهدموا شيئا منها مما كان الصلح جرى عليه . وأما ما أحدث من بناء بيعة أو كنيسة ، فإن ذلك يهدم ، وقد كان نظر في ذلك غير واحد من الخلفاء الماضين ، وهمّوا بهدم البيع والكنائس التي في المدن والأمصار ، فأخرج أهل المدن الكتب التي جرى الصلح فيها بين المسلمين وبينهم ، ورد عليهم الفقهاء والتابعون ذلك وعابوه عليهم فكفّوا عما أرادوا من ذلك ، فالصلح نافذ على ما أنفذه عمر بن الخطاب إلى يوم القيامة ... فإنما تركت لهم البيع والكنائس على ما أعلمتك)(١).

= ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩م ، ص ١٤١ .

(١) كتاب الخراج ، ضمن موسوعة الخراج ، ص ١٤٧ ،
— (ولم يوضح أبو يوسف من هم الخلفاء الذين أرادوا هدم البيع والكنائس ثم تراجعوا عن ذلك) .

استعمال أهل الذمة في أعمال الدولة :

١ - في الكتابة والدواوين :

عهد عمر بن الخطاب بالديوان الذي وضعه لتنظيم أعطيات الجند والخراج الى أيد عربية [١]. أما دواوين الولايات الاسلامية ، فقد تركت بتنظيماتها الادارية في أيدي أهلها ، ومنها بلاد الشام التي كانت دواوينها تكتب بالروميه [٢]. الا أن عمر بن الخطاب ،أنكر على أبي موسى الأشعري اتخاذه كاتبا من النصارى ، وأنه لم يتخذ رجلا من المسلمين ،لأن هذا الكاتب بحكم عمله يعلم بأحوال الولاية وأسرار المسلمين [٣].

أما معاوية بن أبي سفيان ، فانه رأى منذ أن كان واليا على الشام ، أن النصارى من الروم والعرب ، أكثرية في سورية ، وأنه لا يمكن الاستغناء عنهم في مختلف وظائف الدولة ، فأبقاهم في وظائفهم للاستفادة منهم ، وعهد بالادارة المالية الى أسرة مسيحية ، ظلت تتوارث فيما بينها تلك الادارة وهي أسرة آل سرجون [٤]. وقد استمرت أسرة آل سرجون تشرف على الادارة المالية في الشام حتى عهد عبد الملك بن مروان [٥]، الى أن قام بتعريب الدواوين في الشام ، فكان لذلك أثره الكبير في تقلص أهل الذمة [٦]، وفي

---

(١) فرج محمد الهوني ،النظم الادارية والمالية في الدولة العربية الاسلامية ، "منذ قيام حكومة الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الأموية"،منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان،ليبيا، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ،ص ٨٨ .

(٢) - القلقشندي ،صبح الأعشى ،ج ١ ،ص ٤٢٣ .
- محمد كرد علي ، الادارة الاسلامية في عز العرب ،مطبعة مصر،القاهرة ، ١٩٣٤م ،ص ٤٥.

(٣) - ابن الجوزي،مناقب عمر بن الخطاب ،ص ١١٦،
- نجدة خماش ، الادارة في العصر الأموي،دار الفكر،دمشق ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م،ص ٣٥١ .

(٤) - الجهشياري ،الوزراء والكتاب ،ص ٤٠ ،
- نجدة خماش ،المرجع السابق ،ص ٣٥١ .

(٥) عصام الدين عبد الرؤوف ،الحواضر الاسلامية الكبرى ،دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م ،ص ٩٣ .

(٦) حسن ابراهيم حسن ،وعلي ابراهيم حسن،النظم الاسلامية ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،الطبعة الرابعة ، ١٩٧٠م ،ص ١٧٤ .

تمكين الولاة من الاشراف اشرافا تاما على شئون ولاياتهم ، اذ كان ترك سجلات الدواوين باللغة الأجنبية حافزا شجع صغار العمال على التزوير فيها دون أن يكشف أمرهم(١)، فقام عبد الملك بن مروان بتولية سليمان بن سعد(٢)،ديوان الخراج في الشام،وأمره بنقل الديوان الى اللغة العربية،فطلب منه سليمان أن يعينه على ذلك بخراج الأردن سنة ، ففعل ذلك ، وولاه الأردن ، فلم تنقض السنة ، حتى فرغ من نقله،وأتى به عبد الملك ، فدعا سرجون كاتبه لعرض ذلك عليه،فغمه وخرج من عنده كئيبا،فلقيه قوم من كتاب الروم ، فقال : اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة،فقد قطعها الله عنكم ، وكانت وظيفة الأردن التي أقطعها عبد الملك لسليمان بن سعد مائة وثمانين ألف دينار(٣).

وكان لتعريب الدواوين أثره في تعلم اللغة العربية بين سكان البلاد(٤)، اذ أقبل الكتاب من غير العرب على تعلم اللغة العربية ، ليستمروا في

(١) ـ البلاذري ،فتوح البلدان ،ص ١٩٦ ، ١٩٧،
ـ فرج محمد الهوني ،المرجع السابق ،ص ٢٠٦ ،
ـ وقد ذكر البلاذري ، أن من أسباب التعريب أن أحد كتاب الروم لم يجد ماء،فبال في الدواة،فبلغ ذلك عبد الملك ،المصدر نفسه،ص ١٩٦،(وهذا يعني حرص عبد الملك أيضا وتنبيهه الى الابتعاد عن النجاسه،فهذه السجلات من الممكن أن يلمسها رجل مسلم متوضيء فيتنجس) .

(٢) ـ هو سليمان بن سعد الخشني بالولاء ، أول من نقل الدواوين من الروميه الى العربية ،ولي الديوان لعبد الملك ،ثم ولاه جميع دواوين الشام،واستمر جميع أيام الوليد وسليمان وعزله عمر بن عبد العزيز .
ـ ابن عساكر ،تهذيب تاريخ دمشق ،جـ ٦ ،ص ٢٧٨ ،
ـ خير الدين الزركلي، الأعلام،طبعة دار العلم للملايين،بيروت ، الطبعة الرابعة ،١٩٧٩م ،جـ ٣ ، ص ١٢٦ .

(٣) ـ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٢ ،
ـ فرج الهوني ،المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(٤) ـ عمر فروخ،تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية،دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٣م ، ص ١٥٠ .

أعمال الدواوين[١]،كذلك استمر النصارى الذين كانوا يجيدون اللغة العربية في أعمالهم[٢]،هذا ولم يبعد الخليفة عبد الملك بن مروان بعد تعريب الديوان أهل الذمة من مجلسه ، فقد اتخذ يوحنا الدمشقي مستشارا له[٣].

كما تولى جباية خراج حمص في عهد معاوية بن أبي سفيان ابن آثال[٤]، كما كان لعبد الملك بن مروان كاتب اسمه شمعل ، وكذلك كان لهشام بن عبد الملك كاتب نصراني يسمى تاذري بن أسطين ، قلده ديوان حمص[٥].

وقد أشار الجهشياري ، الى استقرار أمور الديوان في الشام في يد العرب ، بعد تعريب الديوان ، فقد أخذت الوظائف الكبيرة من النصارى ، ونحي "آل سرجون الدمشقيون" عن ادارة الأموال[٦].

الا أن هذا لا ينفي وجود الذميين في أعمال الولايات التابعة للدولة الاسلامية ،سواء كان ذلك في عهد عبد الملك ، أو من جاء بعده من الخلفاء الأمويين ، أو في عهود عمالهم ، سواء كانوا من البيت الأموي أو غيره ، فقد كتب زادان فروخ لزياد بن أبيه ، كما كتب ابن بطريق - وهو رجل من أهل

(١) - ثبت أن الدواوين كان يشغلها أهل الذمة الى عهد عمر بن عبد العزيز الذي بعث الى عماله ينهاهم ويحد من جعل الكتابه والجباية لغير المسلمين. أنظر : ابن عبد الحكم ،سيرة عمر بن عبد العزيز،ص ١٣٥ ،
- شابت اسماعيل الراوي ،تاريخ الدولة العربية (خلافة الراشدين والأمويين) ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٦م ، ص ١٨٠ .
- نادية حسني صقر،سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه أهل الذمة ،المكتبة الفيصلية ،مكة المكرمة ،١٩٨٤م ،ص ٤١ .

(٢) ابن العبري،تاريخ مختصر الدول،دار المسيرة ،بيروت ،الطبعة الثانية ،ص ١١٣.

(٣) صلاح الدين خودابخش ،حضارة الاسلام ،ترجمة علي حسني الخربوطلي ، دار الثقافة ،بيروت ،١٩٧١م ،ص ١٧٤ .

(٤) نجدة خماش ،المرجع السابق ، ص ٣٥١ .

(٥) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٩٣ - ٩٤ .

(٦) - الوزراء والكتاب ، ص ٤٠ ،
- أنظر : محمد كرد علي ، الادارة المالية في عز العرب ، ص ٩٣ .

فلسطين ـ لسليمان بن عبد الملك ـ ، وهو الذي أشار عليه ببناء مدينة الرملة [(١)] ، وكان لعبد الرحمن بن زياد في خراسان كاتب يدعى اسطفانوس [(٢)] .

أما اثناسيوس الرهاوي [(٣)] الذي كان على خراج مصر في ولاية عبد العزيز بن مروان ، فقد نال من الشهرة والثراء الشيء الكثير ، فقد ذكر توماس أرنولد أن : عبد الملك بن مروان اختار عالما مسيحيا من مدينة الرها يدعى أثناسيوس (Athanius) مؤدبا لأخيه عبد العزيز . وقد رافق أثناسيوس هذا تلميذه الى مصر عندما عين واليا عليها [(٤)] ، وهناك جمع ثروة طائلة ، قيل أنه امتلك أربعة آلاف من العبيد ، كما ملك كثيرا من الدور والبساتين ، وكان الذهب والفضة عنده "كأنها الحصى" ... وعلق أرنولد بقوله : فانه من الممكن أن نكون فكرة عن الثروة التي جمعها أثناسيوس خلال الاحدى والعشرين سنة التي قضاها في هذه البلاد [(٥)] .

أما ترتون ، فقد وصف أثناسيوس بقوله : ومن الأشخاص المعروفين "أثناسيوس الرهاوي" الذي شغل بعض مناصب الحكومة في مصر ، وقد عينه مروان أولا مع مسيحي آخر اسمه "اسحق" ، ثم بلغ مرتبة الرياسة في دواوين الاسكندرية .. وكان ينعت في المكاتبات الرسمية " بالكاتب الأفخم" ، وكان

---

(١) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٤٨ .

(٢) نجدة خماش ،المرجع السابق ، ص ٣٥١ .

(٣) ذكر الجهشياري : الوزراء والكتاب ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ،الطبعة الأولى،١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م ،ص ٣٤، أنه :(كان يكتب لعبدالعزيز بن مروان يناس بن همايا من أهل الرها وكان غالبا عليه) .

(٤) عن عبد العزيز بن مروان ،أنظر الزركلي : المرجع السابق،ج ٤،ص ٢٨ . ـ المعروف أن عبد العزيز بن مروان تولى مصر في عهد أبيه مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ ولم تكن لعبد الملك وصاية عليه .

(٥) الدعوة الى الاسلام ، ص ٨١ ـ ٨٢ .

بديوانه عشرون كاتبا ، ثم زادوا الى أربعة وأربعين ، وكان أثناسيوس هذا متوليا ديوان الخراج لعبد العزيز ، ثم انتهى به الأمر بصرفه عما بيده ، وخلفه بن يربوع الغزاري من أهل حمص ، وفي أثناء عودة أثناسيوس الى الشام ، صودرت كل أملاكه بمصر(١) ، وقيل انه لما توفى عبد العزيز بن مروان، أرسل عبد الملك الضحاك بن عبد الرحمن الى مصر ،وأمره أن يقاسم أثناسيوس كاتب عبد العزيز ماله(٢) ،هذا كما اتخذ سليمان بن عبد الملك "البطريق بن النقا" كاتبا له وكان نصرانيا(٣).

أما عمر بن عبد العزيز الذي كان يقتدي بالخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، في تصريف شئون المسلمين(٤) ، فقد كان حريصا على أن تكون أمور المسلمين بأيديهم لا بأيدي أهل الذمة ، فكتب الى عماله في الولايات يأمرهم بالتخلي عن تولية أمور المسلمين لأهل الذمة ، فمن ذلك ما أورده ابن الأثير عن رسالة لعمر بن عبد العزيز الى أحد عماله قائلا : (أما بعد ، فان الله عز وجل أكرم بالاسلام أهله وشرفهم وأعزهم ، وضرب الذلة والصغار على من خالفهم ، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس ، فلا تولين أمور المسلمين أحدا من أهل الذمة فتبسط أيديهم وألسنتهم ، وتذلهم بعد أن أعزهم الله ، وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى ، وتعرضهم لكيدهم ، والاستطالة عليهم ، ومع هذا فلا يؤمن غشهم اياهم ، فان الله عز وجل يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

---

(١) أهل الذمة في الاسلام ، ص ١٥ .
(٢) نجدة خماش ، المرجع السابق ، ص ٣٥٤ ،
- وقد ذكرته المصادر العربية باسم يناس بن خمايا . أنظر: الجهشياري، الوزراء والكتاب ، ص ٣٤ .
(٣) ترتون ، المرجع السابق ، ص ١٨ .
(٤) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م ، ص ١٠٣ .

بطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضاءُ مِنْ أفْواهِهِمْ وَما تُخْفي صُدُورُهُمْ أكْبَرُ قَدْ بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ* (١) (٢) .

وكان يكتب الى عمال الولايات قائلا لهم : (ان المسلمين استعانوا بأهل الذمة لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير ، فكانت لهم في ذلك مدة قضاها الله ... فلا أعلم كاتبا ،ولا عاملا في شيء من عملك غير دين الاسلام الا اعتزلته ، واستبدلت مكانه رجلا مسلما) (٣) ،وقد استند على آيات الله بقوله تعالى : * فَإنْ تابُوا وَأقامُوا الصَّلَوٰةَ وآتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإخْوانُكُمْ في الدِّينِ * (٤) ،كما أنه أمر ولاته أن يعزلوا عن كتابة الدواوين جميع الموظفين من غير المسلمين ، وأن يعينوا مكانهم موظفين مسلمين ، حيث كتب اليهم قائلا : (أما بعد . فان المشركين نجس حين جعلهم الله جند الشيطان) (٥) .

وقد استغل بعض المستشرقين عزل عمر بن عبد العزيز لجميع الكتاب غير المسلمين عن أعمال الولايات ـ الا من أسلم منهم وفقا لما ورد في الشروط العمرية ـ في تشويه صورة تعامله مع النصارى (٦) .

غير أن سياسة عمر بن عبد العزيز في ابعاد أهل الذمة عن العمل في دواوين الدولة ،لم تستمر طويلا ،حيث أعيد استعمالهم في الشؤون الادارية من بعده (٧) .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية رقم ١١٨ .

(٢) الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ٦٦ .

(٣) ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(٤) سورة التوبة ، الآية رقم ١١ .

(٥) ابن النقاش / محمد علي ،كتاب المذمة في استعمال أهل الذمة ،مخطوط بدار الكتب ، القاهرة ، رقم ٢٢٥٤ ،تيموريه ،ورقة ٨٣ .

(٦) ـ الطبري ، المصدر السابق ،جـ ٦ ،ص ٥٧٢ ،
ـ نبيه عاقل ، المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

(٧) نجدة خماش ، المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

٢ - في الطب والترجمة والهندسة :

(أ) في الطب :

وقد استعان خلفاء بني أمية بأهل الذمة في الطب ، فقد اشتهر في عهد معاوية الطبيب أبو الحكم الذي كان يعتمد عليه في تركيبات الأدوية والعلاج (١) ، كذلك اشتهر في عهده ابن آثال - وكان مسيحيا اصطفاه معاوية وقربه إليه - وكان خبيرا بالأدوية وأنواع تركيبها (٢).

كما أحب عمر بن عبد العزيز أن يستفيد المسلمون من علوم القدماء والأطباء السابقين ، فأسند إلى طبيب يهودي عرف باسم "ماسرجويه" أو "ماسرجيس" ترجمة كتاب أهرن القس في الطب (٣) ، وهو كناش (٤) قديم ، وقيل أن ماسرجويه كان سريانيا يهوديا تولى تفسير كتاب أهرن القس في عهد مروان بن الحكم ، فوجده عمر بن عبد العزيز ، فوضعه في مصلاه أربعين يوما ، واستخار اللّه في إخراجه للناس ، فلما أتمها ، أخرجه لينتفع الناس به (٥).

وكان لماسرجويه هذا مجموعة أخرى من الكتب ، منها كتاب في قوى العقاقير ومنافعها ومضارها (٦) .

---

(١) خليل داود الزرو ، الحياة العلمية في الشام "في القرنين الأول والثاني للهجرة"، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ص ١٨٥ .

(٢) عبد الحي الكتاني ، نظام الحكومة النبوية "المسمى التراتيب الإدارية" ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج ١ ، ص ٤٦١ .

(٣) ابن القفطي ، تاريخ الحكماء ، مكتبة المتنبي ، القاهره ، ص ٣٢٤ .

(٤) الكناشه : مجموعة كالدفتر تدرج فيها الشوارد والفوائد .

(٥) ابن القفطي ، المصدر نفسه ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ . ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤١٣ .

(٦) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٩٤ .

ولم تقتصر الاستعانة بأهل الذمة على الخلفاء الأمويين فقط ، فقد كان ولاتهم في الولايات الإسلامية أيضا يتولون المهمة للاستفادة منهم ، وإفادة المسلمين[1].

(ب) في الترجمة :

هذا وتجدر الإشارة إلى أن دمشق في العهد الأموي كان بها من أهل الذمة من يجيد اللغة العربية إلى جانب اليونانية ، فقد استعان خالد بن يزيد بن معاوية براهب من دمشق يدعى "مريانس" في تصنيف كتبه[2]. وممن اشتهر بإجادة اللغة العربية إلى جانب اليونانية ،يوحنا الدمشقي ، وهو الملقب "بدقاق الذهب"،وقد شغل منصبا رفيعا في الدولة ،واعتزل في أوائل عهد هشام بن عبدالملك[3].

(ج) في الهندسة :

عن السيول التي أصابت مكة المكرمة في عهد عبد الملك بن مروان أورد البلاذري مايلي :-

(... ومنها سيل الجحاف والجراف في سنة ثمانين في زمن عبدالملك بن مروان صبح الحاج يوم اثنين فذهب بهم وبأمتعتهم وأحاط بالكعبة . فكتب عبد الملك إلى عبدالله بن سفيان المخزومي عامله على مكة ،ويقال : بل كان عامله يومئذ الحارث بن خالد المخزومي

(١) - كان شياذوق أو"شاذن" طبيبا مشهورا في ولاية الحجاج بن يوسف ، وله كناش كبير . (ابن القفطي ،المصدر السابق ،ص ١٠٨) ، ابن النديم ،الفهرست ،ص٤٢٢ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(٣) فيليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي ، دار الثقافة ،بيروت ،الطبعة الثانية ،١٩٧٢م ، ج ٢ ، ص ١١٦ .

الشاعر ،يأمره بعمل ضفائر الدور الشارعة على الوادي ، وضفائر المسجد ، وعمل الردم على أفواه السكك لتحصن دور الناس ، وبعث لعمل ذلك رجلا نصرانيا ، فاتخذ الضفائر وردم الردم الذي يعرف بردم بني قراد ، وهو يعرف ببني جمح)[١].

كذلك استعمل الخليفة سليمان بن عبد الملك البطريق بن ألنقا - وكان نصرانيا - ناظرا على مبانيه في الرملة من أعمال فلسطين ، ولمراقبة القنوات والآبار والمسجد القائم بها[٢].

٣ - أما بالنسبة لبقية الحرف والصناعات :

فقد تركت لأهل الذمة منذ الفتح الاسلامي ، واستفاد المجتمع الاسلامي منها ، حيث كانت أصلا موجودة في المجتمع السوري قبل دخول المسلمين وأقرهم عليها الخلفاء الأمويون[٣].

---

(١) فتوح البلدان ، ص ٦٥ ،
(على أنني أشكك في صحة هذا الخبر ، اذ أنه كيف يكون لخليفة مسلم أن يسمح لنصراني بدخول مكة المكرمة الا اذا أسلم) .

(٢) - البلاذري ،فتوح البلدان ،ص ١٤٩،الجهشياري ،الوزراء والكتاب ،ص ٤٨ ،
- ترتون ، المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٣) - أنور الرفاعي ،النظم الاسلامية ، دار الفكر ، دمشق ،١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م ، ص ٢١٧ .
- نادية صقر ، المرجع السابق ، ص ٤٥ .

الأوضاع الاجتماعية لأهل الذمة :

أوضح كتاب الأمان الذي أعطاه عمر بن الخطاب لأهل إيلياء والشام بصفة عامة الشروط التي يلتزم بها أهل الذمة في معاملاتهم مع المسلمين، ولنقتصر هنا على بحث الجانب الاجتماعي من هذه الشروط والتي تتلخص فيمايلي :

١ - التزام أهل الذمة بزي وهيئة معينة تميزهم عن المسلمين .

٢ - احترامهم للشعائر الدينية للمسلمين ، وعدم إيذاء مشاعرهم .

٣ - ضيافة المسلمين ثلاثة أيام من أوسط طعامهم .

٤ - عدم معاونة الأعداء على المسلمين .

ومقابل ذلك كان على المسلمين - وفقا لهذه الشروط - معاملتهم بالحسنى ، والزود عنهم مادموا ملتزمين بالطاعة وأداء الخراج والجزية (١).

وقد بحث موضوع أهل الذمة ، ترتون في دراسة من المصادر العربية وكتب المستشرقين ، وفي هذا الصدد يقول : (من الشروط التي اشترطها عهد عمر على الذميين لبس الزنار ، والنهي عن التشبه بالمسلمين في ثيابهم وسروجهم ، التي يستعملونها ، وينسب أبو يوسف "المتوفي سنة ١٨٢هـ" ، هذه الأوامر إلى عمر ، على حين أن ابن الحكم "المتوفي سنة ٢٥٧هـ"، يقرر أن الخليفة أمر النصارى بلبس المنطقة ، وجزّ مقادم شعرهم . أما العهود الواردة في الطبري والبلاذري ، فقد خلت من الإشارة إلى الملابس ، وإذا ذهبنا إلى مايذهب اليه المستشرق الايطالي الأمير كايتاني ، من أن هذه العهود قد وضعت فيما بعد كما هو الحال إزاء العهد لبيت المقدس ، فان خلوّ هذه العهود من الإشارة إلى الملابس يدفع الإنسان للشك القوي في حقيقة إصدار عمر لهذه

(١) - عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٢٣ ،
- سعيد عبد الفتاح عاشور، الحياة الاجتماعية في الدولة الإسلامية ،ضمن مجموعة "دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية" ،منشورات دار السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص ٢٦٩ .

الأوامر) ، وقد علق ترتون على ما أورده بهذا الشأن ، بأنه لم تكن ثمة ضرورة وقت الفتح لإلزام النصارى بلبس نوع معين من الثياب يخالف مايلبسه المسلمون ، إذ كان لكل من الفريقين وقتذاك ثيابه الخاصة ، وكان النصارى يفعلون ذلك من تلقاء أنفسهم (١).

ويشير ترتون إلى أن الكلام عن ملابس أهل الذمة مقل لدى المؤرخين ، فلا توجد سوى تفاصيل ضئيلة عن هذه الناحية منها قوله : (والمأثور عن الشاعر الأخطل المتوفي سنة ٩٥ هـ أنه كان يدخل على عبد الملك بن مروان ، وعليه جبة وحرز من الخزّ ، وفي عنقه سلسلة من ذهب ... وأن اتفاقية ٩٨ هـ المبرمة بين المسلمين والجراجمة الذين يسكنون المناطق الجبلية من بلاد الشام تضمنت النص على أن يلبس الجراجمة (٢) لباس المسلمين) (٣).

---

(١) أهل الذمة في الاسلام ، ص ١٢٧ .

(٢) الجراجمة : قوم من النصارى كانوا يعيشون على جبل اللكام (الأمانوس) ، في مدينة اسمها الجرجومه . وكانوا قبل الفتح الإسلامي لبلاد الشام يتبعون بطريرك إنطاكيه وواليها . ولما فتح أبو عبيدة بن الجراح إنطاكية وغزا قائده حبيب بن مسلمة الفهري الجرجومة لم يقاتله أهلها ، وطلبوا الأمان والصلح فصالحهم على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح في جبل اللكام ، وأن لا يؤخذوا بالجزية ، وكان ولاء الجراجمة للدولة العربية الإسلامية بعد ذلك يتذبذب ويتغير ، فتارة يخضعون لها ، وتارة يثيرون الشغب عليها ، ويكاتبون الروم وينضوون تحت لوائهم . ولما كانت ثورة ابن الزبير وما أثارته من بلبلة داخلية زمن عبد الملك بن مروان ، واستعداد عبد الملك للشخوص إلى العراق للقضاء على مصعب بن الزبير ، خرجت خيل للروم إلى جبال اللكام وعليها قائد من قوادهم ، ثم صارت إلى لبنان ، وقد ضوت إليها جماعة كثيرة من الجراجمة ... فاضطر عبد الملك إلى أن صالحهم على ألف دينار كل جمعه ، وصالح طاغية الروم على مال يؤديه إليه لشغله عن محاربته وتخوفه أن يخرج إلى الشام فيغلب عليه .
ـ نبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أمية ، ص ١٥١ .

(٣) أهل الذمة في الاسلام ، ص ١٢٨ .

غير أن الحديث عن ملابس أهل الذمة قد ورد بشكل مفصل في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فقد أورد ابن الجوزي قوله :

(وشهدت رسالة عمر التي خرجت الى أهل الأمصار : "لا يركب نصراني سرجا ولا طيلسانا (١) ولا سراويل ذات خدمة ، ولا يمشين بغير زنار من جلد ، ولا يمشي إلّا مفروق الناصية ، ولا يوجد في بيت نصراني سلاح إلّا أخذ") (٢) ، كما أشار ترتون إلى ذلك بقوله : (ولعمر بن عبد العزيز مراسيم بشأن الملابس والروايات الواردة عنه في هذا الصدد كثيرة ، فيذكر ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ، أن الخليفة حرم على جميع الذميين لبس العمائم ، أو التشبه بالمسلمين في ثيابهم ، ويقول ابن العبري أنه منع النصارى من ارتداء ملابس الجند العرب ، ويشير مؤرخ سيرياني إلى أنه منعهم من وضع السروج على الخيول ، ويكرر أبو يوسف ذكر منع استعمال السروج ، ويضيف إلى ذلك أن نساءهم كان لابد لهن من استعمال الرواحل حين ركوبهن الجمال) ، كما أضاف إلى هذا ما ذكرته بعض الكتب : (بأن قوما من بني ثعلبة جاءوه ذات مرة وأفضوا إليه بأنهم نصارى ، وسألوه أن يدلهم على مايفعلونه ، فدعا إليهم حجاما جز نواصيهم وشق من أرديتهم حزما يحتزمون بها ، ونهاهم عن الركوب بالسروج ، وأمرهم أن يركبوا بالأكف من شق واحد) (٣).

وقد استند ترتون في تشكيكه في نسبة العهد إلى عمر بن الخطاب ، والدلالة على أن هذا العهد إنما يعود إلى عهد عمر بن عبد العزيز ، إلى بعض الألفاظ التي وردت في نص العهد فيقول : (ومن الأمور الجديرة بالملاحظة ، عدم ورود كلمة "الزنار" عند ابن عبد الحكم ، ولا في كتابات أبي يوسف في معرض

---

(١) الطيلسان : (جمعه طيالس وطيالسه) كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء ، وهو من لباس العجم .

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، شرح وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ١١٩ .

(٣) أهل الذمة في الاسلام، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

حديثه عن عهد عمر بن عبد العزيز ، وإنما يستعملان بدلا منها لفظ "المنطق"، ونجد أبا يوسف يستعمل "الزنار" في معرض وصفه لتشريعات عمر بن الخطاب ، ويستعمل "الزنارات" بدلا من جمع التكسير التي أصبحت شائعة الاستعمال ، والظاهر أنه لم يقتبس نفس عبارات عمر بن عبد العزيز ، بل اصطنع الفاظا من عنده)[1] .

على أننا نجد من أقوال أبي يوسف مايبعد الشك عن اصطناع الأقوال وافتعالها حين يقول لمخاطبه هرون الرشيد : (فمر عمالك أن يأخذوا أهل الذمة بهذا الزي . هكذا كان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أمر عماله أن يأخذوا أهل الذمة بهذا الزي ، وقال : حتى يعرف زيهم من زي المسلمين)[2] ، وما نستدل به على أن هناك زيا خاصا بأهل الذمة من قبل عهد عمر بن عبد العزيز ، كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له يقول فيه : (وقد ذكر لي أن كثيرا ممن قبلك من النصارى قد راجعوا لبس العمائم ، وتركوا المناطق على أوساطهم ، واتخذوا الجمام والوفر ، وتركوا التقصيص ، ولعمري لئن كان يصنع ذلك فيما قبلك ، إن ذلك بك لضعف وعجز ومصانعة ، وإنهم حين يراجعون ذلك ليعلموا ما أنت ، فانظر كل شيء نهيت عنه ، فاحسم عنه من فعله والسلام)[3] ، ومعنى المراجعة ، هو العودة إلى أشياء كانت قد منعت ثم عادت وتفشت ، فهذا دليل على أن التمييز بين ملابس المسلمين وأهل الذمة كان قبل عهد عمر بن عبد العزيز ، وأن منعه هذا هو اقتداء بأفعال عمر بن الخطاب ، والعودة إلى ماسنّه من قبل .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٢٩ .

(٢) كتاب الخراج ، ضمن موسوعة الخراج ، ص ١٢٧ .

(٣) كتاب الخراج ، ص ١٢٨ .

وأول اشارة الى حسن المعاملة التي لقيها أهل الذمة ، وضحها عمر بن الخطاب حين مروره بالجابية [١] ورؤيته لبعض المجذومين ، فأمر أن تجرى عليهم صدقات المسلمين [٢] ، كما أنه كان لا يشق على أهل الذمة بضيافة المسلمين ، بل لهم أن يطعموهم مما يأكلون مما يحل لهم من الطعام دون تكلفة أو مشقة ، كما أنه من حسن معاملة المسلمين لأهل الذمة أثناء الفتح وحين تقسيمهم الدور بأن ترك الذمي في العلو ، والمسلم أسفل الدور حتى لا يضر بالذمي [٣] .

وفي العصر الأموي وجد أهل الذمة كثيرا من التسامح وحسن المعاملة من الخلفاء الأمويين بخاصة ، ومن المسلمين بعامة ، فقد أشار غوستاف لوبون الى الأوضاع في بلاد الشام في عهد الدولة الأموية أنها قد بلغت درجة رفيعة من الرقي ، وكان العدل بين الرعية دستور العرب السياسي ، وأن العرب تركوا الناس أحرارا ، وأنهم أظلوا أساقفة الروم ، ومطارنة اللاتين بحمايتهم ، فنال هؤلاء ما لم يعرفوه سابقا من الدعة والطمأنينة [٤] .

وفي هذا الصدد أيضا يذكر أن الأمويين الأولين خاصة معاوية وولده قد اعتمدوا على نصارى الشام من كلب وتغلب وغسان ولخم وغيرهم ، بل أيضا اعتمدوا على النصارى من غير العرب ، فقد توسع معاوية في الحاق المسيحيين بخدمته ، وحذا حذوه في ذلك أفراد آخرون من البيت المالك ،ولم تكن هذه

---

(١) الجابية : قرية من أعمال دمشق ، (ياقوت الحموي ، المصدر السابق،ج ٢ ، ص ٩) .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق سكينة الشهابي ، ومطاع الطرابيشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ،ج ٣ ، ص ١٠٨ .

(٣) - ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ١٨٠ .
- الاسلام والحضارة العربية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨م ، ج ١ ، ص ٤٠ .

(٤) حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ص ١٥٢ .

السياسة الحكيمة الكريمة من باب التسامح فحسب ، بل كان يفرضها ضرورة التعاون والتحالف مابين الأمويين وبين اخوانهم العرب في الشام ، خاصة اليمنيين الذين سبق لغالبيتهم أن استقروا وتحضروا بأرض الشام ، وفيها تنصروا ، فهم قد عرفوا الحياة المستقرة وسكنى المدن والحياة الزراعية ، والتجارة ، هذا زيادة على أعدادهم الكبيرة ، والتي كانت تفوق أعداد المسلمين ، وأنهم قد اندمجوا في البلاد منذ زمن بعيد قبل الإسلام ، فهم في عداد أهلها ، وهم كما هو معروف كانوا على خلاف مع البيزنطيين والكنيسة الأرثوذكسية (١).

واستكمالا لما سبق أن ذكرت عن سياسة عمر بن عبد العزيز إزاء أهل الذمة فإنه ـ فيما يختص بالجانب الاجتماعي ـ يبدو أنه كان هناك نوع من التراخي في تنفيذ مايختص به من شروط من جانب الخلفاء قبله ، ولذلك ردها عمر بن عبد العزيز إلى مايجب أن تكون عليه وفقا للشروط العمرية ، يتضح هذا مما أورده في هذا الصدد ابن عساكر، اذ يقول : (كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمصار الشام ، لا يمشين نصراني إلاّ مفروق الناصية ، ولا يلبس قباء ، ولا يمشي إلاّ بزنار من جلد ، ولا يلبس طيلسانا ، ولا يلبس سراويلا (٢) ذات خدمة ، ولا يلبس نعلا ذات عذبة ، ولا يركبن على سرج ، ولا يقتني في بيته سلاحا إلاّ انتهب) (٣).

---

(١) صالح الحمارنه ، المرجع السابق ، ص ٥٥٤ .

(٢) وردت هكذا في النص ، والأصح "سراويل" لأنها ممنوعة من الصرف .

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ، جـ ١ ، ص ١٨١ ـ ويلاحظ أن هذا الكتاب لا يختلف كثيرا عما أورده أبو يوسف عن ملابس أهل الذمة وطلبه للرشيد أن يأمر عماله أن يأخذوا أهل الذمة به . أنظر في ذلك : أبو يوسف ، كتاب الخراج ، (ضمن موسوعة الخراج) ، ص ١٢٧ .

كما كتب عمر بن عبد العزيز إلى النصارى من أهل الشام : (ألّا يلبسوا عصبا ولا خزّا ، فمن قدر على أحد منهم فعل من ذلك شيئا بعد التقدم إليه ، فان سلبه لمن وجده)[1] .

وكان في عهدهم للصلح ألّا يمنعوا أقرباءهم من الدخول في الإسلام، لذا نرى عمر بن عبد العزيز يستألف بطريقا للإسلام ، فيعطيه ألف دينار[2] .

ونجد بصفة عامة أن أهل الذمة قد عوملوا معاملة حسنة في العهد الأموي ، مثال ذلك : أن معاوية بن أبي سفيان عرف عنه أنه كان يقرب إليه أهل الذمة ، ويحسن معاملتهم[3]، وأن عبد الملك بن مروان كان يستقبل الأخطل ، الشاعر النصراني - وفي عنقه الصليب - بكل بشاشة وترحاب[4]، ومما يروى عن هشام بن عبد الملك أنه كان شديد العطف على المسيحيين[5] .

ويبدو أن الأمر كما يذكر ترتون بأنه لم تكن ثمة ضرورة وقت الفتح لإلزام النصارى بلبس نوع معين من الثياب يخالف مايلبسه المسلمون ، إذ كان لكل من الفريقين وقتذاك ثيابه الخاصة ، وكان النصارى يفعلون ذلك من تلقاء أنفسهم دون جبر أو إلزام ، على أن الحاجة استلزمت هذه الفروض فيما بعد ، حين حمل الإغراء الشعوب الخاضعة لهم على الاقتداء بهم في ملبسهم والتشبه بهم في ثيابهم[6]، على أنني لا أشكك في نصوص العهد التي تقضي بأن يخالف

---

(١) ابن قيم الجوزيه ،شرح الشروط العمريه ،ص١٠٧ ،(وقال:العصب هو البرد الذي يصبغ غزله ،وهو اليماني...،وأما الخز فانه لباس الأشراف ومن له عزّ ، فمن لا عزّله في الإسلام يمنع من الثياب المرتفعة) .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٥٠ .

(٣) فيليب حتي، المرجع السابق ،ج ٢،ص ٤١ ،(وقد نشأ ابنه يزيد في كنف أمه في البادية ،حيث كانت قبيلتها المسيحية) .

(٤) ترتون ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١١٦ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

أهل الذمة المسلمين في لباسهم لتسهل معرفتهم، وربما كان لباسهم ذلك مألوفا لديهم ، ثم اتجهوا بعد ذلك لتقليد المسلمين في زيهم خاصة وأننا لا ننسى أن منهم من كانت له مناصب في الحكومة فيجب أن يظهر بما يدل على مكانته في الدولة .

أما إذا كان الأمر يمس الإسلام والرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد أوردت لنا بعض المصادر مواقف بعض خلفاء بني أميه في هذا الصدد . مثال ذلك ، ماذكر من أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قتل رجلين ذموا الإسلام ، وعابوا في أخلاق الرسول(١). وماقام به الوليد عندما بلغه أن أسقف دمشق تكلم في الرسول ، فأمر بقطع لسانه وسجنه(٢)، فهذه أمور لا تحتمل التساهل مع أهل الذمة حفاظا على الإسلام ، واحتراما لرسول الأمة من التجريح والقول بما ليس فيه ، ولوقف أي تعد من قبل أهل الذمة على حرمات الاسلام(٣) .

وكما أن الخلفاء الأمويين لم يسمحوا لأهل الذمة بالتجاوز عن حدودهم المشترطة عليهم في نصوص الصلح ، فإنهم في المقابل راعوا حقوقهم فسمحوا لهم بحرية العمل وممارسة كافة الأنشطة الاقتصادية والتجارية والحرفية التي حققوا فيها مكاسب طائلة(٤).

---

(١) شبيه عاقل،المرجع السابق،ص ٣٣١.

(٢) ترتون،المرجع السابق ، ص ١٤٥ ،

- لم يتضح من قوله هل يقصد الوليد بن عبدالملك أو الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

(٣) عن أحكام من شتم الرسول من أهل الذمة انظر :

- ابن قيم الجوزيه ،شرح الشروط العمريه ،ص ١٤٣،ص ٢٢١ومابعدها .

(٤) - نادية حسني صقر،المرجع السابق ،ص ٤٥،

- وتذكر نجدة خماش ،المرجع السابق ،ص ٣٥٣،- عن اثناسيوس الرهاوي الذي بلغ مرتبة الرياسة في دواوين الاسكندرية ، انه كان لديه من الدور والقرى والبساتين والذهب ،ما أثار عليه حسد سرجون فوشى به لدى الخليفة عبد الملك بأن يده قد امتدت بالسرقة إلى بيت مال مصر .

ب — العدل في جباية الخراج والجزية في الشام في العصر الأمـــوي :

قال الامام الحافظ[1] : (قال البعض في معنى الخراج أنه المال الذي يجبى ويؤتى به لأوقات محدودة ، ذكره ابن عطيه قال : وقال الأصمعي : الخراج الجعل مرة واحدة ،والخراج ماردد لأوقات) .

وعرف أبو يوسف الخراج بأنه : (ما أفتتح عنوة من السواد وغيره[2] ، وبالتالي فان أرض السواد التي فتحت عنوة نجد بأن لها الصدارة في التعريف عن الخراج ، وما يطبق عليها يطبق على غيرها من الأراضي المفتوحة عنوة خلال الفتح الاسلامي،فقد وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،شروطا على الأراضي التي مسحها عثمان بن حنيف[3] (للعامر منها والغامر)[4] ،فمنها مايسقى الماء المطر،ومنها مايسقى بالأنهار وغيره .

وقد عرف عمر فروخ الخراج وعدالة جبايته بقوله : (الخراج،ويسمى أيضا "الطسق"[5] وهو يشبه الفيء من الناحية العلمية،على اعتبار أن الأرض تبقى ملكا لأصحابها[6] ،ولكن أصحابها يدفعون الخراج عنها،بحسب مساحتها،فهم يدفعون عن كل جريب درهما نقدا وقفيزا من نتاجها ، أما اذا أصاب

---

(١) الامام الحافظ أبي الفرج الحنبلي/ الاستخراج لأحكام الخراج ،ص ٤ .

(٢) كتاب الخراج، (ضمن موسوعة الخراج)،ص ٥٩ .

(٣) عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي:وال من الصحابة شهد أحد ومابعدها ، ولاه عمر السواد،ثم ولاه علي البصره.(الزركلي،المرجع السابق، ج٤،ص ٢٠٥) .

(٤) البلاذري،المصدر السابق،ص ٢٦٨،حيث وضع درهما على كل جريب من الأرض عامر وغامر .الجريب قدره من الأرض ثلاثة آلاف وستمائة ذراع .

(٥) أول من استعمل هذه اللفظه في الاسلام،عمر بن الخطاب،حيث كتب الى عثمان بن حنيف في رجلين من أهل الذمه أسلما،كتابا جاء فيه : (ارفع الجزية عن رؤوسهما،وخذ الطسق عن أرضهما) . أنظر في هذا الصدد : محمد عثمان شبير، أحكام الخراج في الفقه الاسلامي،دار الأرقم،الكويت،الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م،ص ١٥ .

(٦) الأرض الخراجيه ليست ملكا لأهل الذمه وانما هي ملك للأمة الاسلامية، أبقاها عمر بن الخطاب في أيدي أصحابها السابقين لمعرفتهم بزراعتها،وعليهم أن يؤدوا عنها الخراج دون التصرف فيها. عن هذا الموضوع أنظر الفصل الخامس من هذا البحث حول الاصلاحات المالية في عهد عمر بن عبد العزيز .

الغلال آفة ، أو غرقت الأرض ، فان الخراج يسقط عن صاحبها)[١].

كما عرف الجزية وعدالة جبايتها بقوله : (أما مقدار الجزية فكان مبلغا ثابتا مقطوعا ، فقد جعلت الجزية على ثلاث مراتب ، أربعة دنانير في العام على الموسرين ، وديناران على متوسطي الحال ، ودينارا واحدا على من دونهم)[٢]. وكان عائد خراج العراق وحده في عهد عمر بن الخطاب من الصوافي[٣] (سبعة آلاف ألف)[٤]، كما بلغ خراج العراق في عهده بصفة عامة (مائة ألف ألف)[٥].

أما عن الشام فقد عرف الجباية فيها من الخراج والجزية محمد كرد علي بقوله : (كان صلح الشام على المقاسمة ،ودينارا على كل رأس ، والجباية تجمع من الخراج والعشور والصدقات والجوالي – الذين جلوا عن أوطانهم ،ويسميها البعض مال الجماجم – ، ثم صارت الجباية عشرة أصناف : الخراج والجزية ، والعشور والأجور والزكاة ، وأثمان المبيعات ، والمقاسمات ، والغنيمة والفيء والمعادن)[٦]. وعرف محمد كرد علي بعض هذه الجبايات بقوله : (والعشر ما يؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم أهلها عليها ، والتي أحياها المسلمون من الأرض ، والصدقات : زكاة السوائم من الابل والبقر والغنم دون العوامل المعلوفة، والمكس ضريبة تؤخذ من التجار في المراصد[٧]، ويوضح لنا محمد

---

(١) تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية ، ص ٢١٧ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢١٨ .
(٣) الصوافي : الأملاك ، والأرض التي مات أهلها ولا وارث لها . المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٥١٨ .
(٤) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١١١ .
(٦) غوطة دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٣٧١ هـ – ١٩٥٢ م ، ص ١٣٢ .
(٧) المرجع نفسه ، ص ١٣٣ .

كرد علي خراج الشام في الفترة مابين عهد عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان بقوله : (وقد ارتفع خراج الشام على عهد عمر بن الخطاب خمسمائة ألف دينار،فلما أفضى الأمر الى معاوية ،قطع الوظائف على أهل المدن، فوظف على أهل قنسرين أربعمائة وخمسين ألف دينار على الجماجم من ذلك الثلثان ، وعلى أهل دمشق أربعمائة وخمسين ألف دينار على الجماجم من ذلك الثلثان ، وعلى الأردن مائة وثمانين ألف دينار على الجماجم من ذلك الثلثان ، وعلى فلسطين مثل ذلك ، ثم جعل بعد ذلك يصطفي الأرض الجيدة ،ويدفعها الى الرجل بخراجها وعلوجها على أصله لا ينقص منه شيئا)(١).

وقد أوردت لنا بعض المصادر والمراجع مقادير الخراج التي كانت تجبى من بلاد الشام ، ومن المرجح أن مقدار ماكان يجبى منها ظل ثابتا طوال العهد الأموي،لأن تلك البلاد كانت مقر الدولة ،وكان يسودها الاستقرار في أغلب أيامها ، ولم يحدث فيها تغيرات سياسية أو اقتصادية عنيفة ، لذلك كانت الأموال التي تصل الى بيت المال بدمشق تشكل موردا ثابتا الى حد كبير (٢).

أما عن جباية الخراج في أجناد (ولايات) الشام ، فقد ذكرها اليعقوبي على النحو التالي : (خراج فلسطين بلغ أربعمائة وخمسين ألف دينار،وخراج الأردن مائة وثمانين ألف دينار،وخراج دمشق أربعمائة وخمسين ألف دينار،وخراج حمص ثلاثمائة وخمسين ألف دينار ، وخراج قنسرين والعواصم أربعمائة وخمسين ألف دينار،وخراج الجزيرة — وهي ديار مضر وربيعة — على خمسين ألف دينار)(٣).

---

(١) خطط الشام ، ج ٥ ، ص ٥٤ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

— كما ذكر ابن العديم أن خراج قنسرين كان على عهد معاوية أربعمائة وخمسين ألف دينار، (أنظر : زبدة الحلب من تاريخ حلب) ،نشر سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ،دمشق،ج ١،ص ٤١ .

ويذكر ابن حوقل النصيبي أن مقدار خراج الشام على عهد بني مروان بلغ ألف ألف دينار وفوق ثمانمائة ألف دينار[١].

أما جورجي زيدان فقد ذكر أن خراج الشام بلغ في أيام عبد الملك بن مروان (١٫٧٠٠٫٠٠٠) دينار،منها (١٨٠٫٠٠٠) دينار من الأردن ،(٣٥٠٫٠٠٠)، دينار من فلسطين ، (٤٠٠٫٠٠٠) دينار من دمشق ،(٨٠٠٫٠٠٠) دينار من حمص وقنسرين والعواصم)[٢].

وكان خراج دمشق على عهد معاوية أربعمائة وخمسين ألف دينار،وأنه استقر على أربعمائة ألف دينار سنة ٨٠ هـ[٣].

ويذكر أيضا عصام الدين عبد الرؤوف عن الخراج في عهد الدولة الأموية ومقاديره قوله : (لم يكن مايرد الى دمشق من خراج الولايات الاسلامية ايرادا ثابتا ، اذ كانت ضريبة الأرض تقل وتكثر حسب الاهتمام بالتعمير واصلاح الجسور والخلجان وتحسين وسائل الري ، كما كانت الجزية تتناقص بالتوالي لدخول أهل الولايات في الاسلام ، وكانت ايرادات بعض الولايات تقل بسبب عدم استقرار الأمور فيها،وفي أيام عبد الملك بن مروان ، قل المال الذي كان يرسل من أمصار العراق الى دمشق عما كان عليه أيام معاوية[٤].

---

(١) كتاب صورة الأرض ، دار مكتبة الحياه ، بيروت ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .
(٢) تاريخ التمدن الاسلامي ، دار مكتبة الحياه ، بيروت ، الطبعة الثانية ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ .
(٣) تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ .
(٤) الحواضر الاسلامية ، ص ٦٧ .

أما ما كان يجبى من صوافي العراق الخاصة بمعاوية نفسه فقد ذكر اليعقوبي : أن صاحب العراق كان يحمل إليه من مال صوافيه في هذه النواحي مائة ألف ألف درهم ، فمنها كانت صلاته وجوائزه [١]. وفي شهادة اليعقوبي تأكيد بأن الخلفاء الأمويين كانوا لا يمسون بيت مال المسلمين في الصرف على عطاءاتهم وجوائزهم للمقربين .

وقد لجأ خلفاء بني أمية إلى أسلوب جديد لإصلاح الأوضاع المالية فأعادوا تنظيم جباية الخراج والجزية بما يكفل زيادة الموارد، ومن أمثلة ذلك ، مافعله الضحاك بن عبد الرحمن الأشعري في منطقة الجزيرة ، حيث أعاد إحصاء دافعي الجزية والخراج ، مقدرا أن الناس جميعا قادرون على الكسب ، ومقدرا مايحتاجه الفرد لنفقته في العام ، ثم احتسب مايزيد على ذلك ، فوجده أربعة دنانير ، فقررها على كل فرد دون أن يفرق بين القادر والعاجز والغني والفقير [٢]، على أن أبا يوسف قد وضح أيضا أمر الخراج الذي فرضه الضحاك بن عبد الرحمن الأشعري ، بقوله : (ثم حمل الأموال على قدر قربها وبعدها ، فجعل على كل مائة جريب زرع مما قَرُب دينارا ، وعلى كل ألف أصل كرم مما قَرُب دينارا ، وعلى كل ألفي أصل كرم مما بَعُد دينارا،وعلى الزيتون على كل مائة شجرة مماقَرُب دينارا ، وعلى كل مائتي شجرة ممابَعُد دينارا، وكان غاية البعد عنده مسيرة اليوم واليومين وأكثر من ذلك وما دون اليوم فهو في القرب ، وحملت الشام على مثل ذلك) [٣] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

(٢) فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

(٣)- كتاب الخراج ، (ضمن موسوعة الخراج) ، ص ٤١ .
- وكان ذلك في عهد عبد الملك بن مروان حين ولى الضحاك الجزيرة ،فاستقل ماكان يؤخذ منهم وهو (على كل جمجمة دينارا ومدين قمحا وقسطين زيتا وقسطين خلا) .

ونحن لم نجد أي اشارة على زيادة الجزية على أهل الشام غير هذه ، على الرغم من تلك الزيادات التي فرضت على بعض الولايات(١).

وقد وضع الأمويون نظاما خاصا يتعلق بجباية الخراج تمثل في المحاسبة والمقاسمة والالتزام ، وتوضح فتحية النبراوي ذلك بقولها : (أما الأول وهو "المحاسبة"،فيعني أن الخراج يجبى وفقا لمساحة الأرض ونوع الغلة ، وأما الثاني ،وهو "المقاسمة"،فيقضي بأن يخصص جزء من المحصول يقدر بالثلث أو الربع لبيت مال المسلمين ، وأما الثالث ، وهو "الالتزام" فيعني أن يتعهد رجل من الأثرياء خراج قرية أو مدينة أو اقليم من الأقاليم لحول كامل ، ثم يتولى هو بنفسه جمع الخراج(٢).

وأما ما كان يرد الى بيت مال الدولة بدمشق فقد أشار المقريزي الى أنه في عهد هشام بن عبد الملك ، كان عامل الخراج بمصر يرسل الى دمشق ألفي ألف وسبعمائة ألف وثلاثة وعشرين ألفا وثمانمائة وتسعة وثلاثين دينار ، في كل سنة بعد العطاء والمؤن وسائر الكلف ، فقد أمره الخليفة أن يمسح الأرض ، فمسح العامر مما يسقيه ماء النيل ، وجبى خراج مصر فكان أربعة ملايين(٣).

---

(١) من هذه الزيادات ماورد عن زيادة الجزية على أهل مصر من القبط فزيد على الرهبان دينارا ، أنظر في هذا الصدد :
— عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي،ص ٣٣ ،
— نجده خماش ،المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٢) تاريخ النظم والحضارة الاسلامية ،الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥م ، ص ١٥١ .

(٣) — المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٩٩ ، وأنظر أيضا :
— الحواضر الاسلامية ، ص ٦٨ ، — وتذكر فتحية النبراوي (المرجع السابق ، ص ١٥٠) أن معاوية فصل ولاية الخراج عن الولاية العامة ، وخاصة فيما يتعلق بالعراق ، حتى يضمن أن يصله خراج الاقليم كاملا .

محاسبة بنو أمية عمالهم على جمع الخراج :

كان بنو أمية حريصين على محاسبة عمالهم ، حتى لا يشتد الظلم من قبل الولاة في جمع الخراج ، فنجد عبد الملك بن مروان يشدد على عماله بعدم قبول الهدايا ، فقد ورد في سير خلفاء بني أميه أنه جاءت الأخبار بما يدل على أن عبد الملك بن مروان كان حريصا على أن تكون النزاهة من أولى صفات عماله ، وقد بلغه أن واليا قبل هدية فعزله (١).

ومما ذكر أيضا في هذا الصدد أن الأمويين قد سنوا نظاما دقيقا للاشراف على جباية الخراج ، ففي عهد عبد الملك بن مروان ، كان يعمل تحقيقا مع الجباة ، وموظفي الخراج عند اعتزالهم أعمالهم الادارية (٢). وقيل أن الوليد بن عبد الملك هو الذي وضع هذا النظام ، فقام سليمان بن عبدالملك بمحاسبة موسى بن نصير ، وأهل قتيبة بن مسلم عن الأموال والغنائم التي كانت في حوزتهم نتيجة للفتوحات والغزوات سواء في الأندلس أو في بلاد الترك، وعزلهم بعد انزال أشد العقوبات عليهم لكي يعترفوا بما لديهم من أموال وثروات (٣).

---

(١) - الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٤٣ ، محمد ضياء الدين الريس ، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، مطابع سجل العرب ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م ، ص ٢٤١ .

(٢) حسن ابراهيم وعلي ابراهيم ، النظم الاسلامية ، ص ٢٢٥ .

(٣) محمد زينهم محمد عزب ، الادارة المركزية للدولة الأموية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

جـ - الخلفاء الأمويون وزيادة عطاء جند الشام :

١ - العطاء في عهد الرسول والخلفاء الراشدين :

خرج المسلمون مجاهدين في سبيل الله لنشر كلمة التوحيد ومنهم من كان لا يملك مايخلفه لأهله من مال ، وفتح الله على المسلمين بفتوحات عظيمة وغنائم أخذت تدر عليهم عطاء وفيرا ، وكانت أولاها غزوة بدر الكبرى ، وانتصار المسلمين فيها ، وحصولهم على غنائم تجارة قريش الوافدة من الشام . ونزلت آيات من الله عز وجل ، على نبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، توضح أمورا وعيها المسلمون ، وكانت حجة لهم في توزيع الغنيمة والفيء[1]. قال تعالى : * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * [2].

ثم تلت غزوة بدر غزوات أخرى في عهد الرسول الكريم ، ثم الفتوحات الإسلامية الأولى في عهد الخلفاء الراشدين ، ولم يكن هناك بيت مال للمسلمين في عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأموال توزع فور وصولها[3] ، فكان المجاهدون المسلمون يأخذون مالهم في أربعة أخماس مايغنمونه ، وفيما يرد من خراج الأرض التي أبقيت في أيدي أهلها كأرض خيبر[4]، فالعطاء في

---

(١) عن توزيع الفيء والغنائم أنظر :
- أبو يوسف : المصدر السابق ، ص ١٨، ٢٣ ،
- الماوردي : الأحكام السلطانية ،مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، ص ١٢٦ .

(٢) سورة الأنفال ، آية رقم ٤١ .

(٣) عطيه القوصي ، الحضارة الاسلامية ،دار الثقافة العربية ،القاهرة، ١٩٨٥م ، ص ٥٤ .

(٤) عبد الحي الكتاني ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ .

عصره ، صلى الله عليه وسلم ، "لم يكن في وقت معلوم،ولا مقدار معينا"[(١)]، وقد استمر هذا النظام في توزيع الأموال في عهد أبي بكر الصديق ،رضي الله عنه ،من حيث مساواة الناس في العطاء[(٢)]،وكان رضي الله عنه يقول: (هذا معاشي ، فالأسوة فيه خير من الأثرة) ، ولم يستثن الصغير من الكبير،ولا الحر من المملوك ، ولا الذكر من الأنثى ، بل استمر على المساواة بين الناس سواء قل المال أو كثر ، فمرة بلغ ما تحصل عليه الفرد سبعة دراهم وثلث ، وأخرى بلغت عشرون درهما[(٣)]. وقد ناظر عمر أبا بكر حين سوى بين الناس فقال : (أتسوي بين من هاجر الهجرتين ، وصلى القبلتين ، ومن أسلم عام الفتح ؟ فقال له أبو بكر : انما عملوا لله ، وأجورهم على الله ، وانما الدنيا دار بلاغ)[(٤)].

فلما تولى عمر بن الخطاب الخلافة ، وكثرت الفتوحات في عهده وتدفقت الثروات على المدينة المنورة ،حار في أمر هذا المال المتدفق ،وكان المسلمون حتى ذلك الوقت متساوين في الرزق ، يحصلون على نفقاتهم من الفيء والغنيمة في الفتوح ، فقد روي عن سعيد بن المسيب[(٥)]،رضي الله عنه ،قوله : (لما قدم

---

(١) الخزاعي التلمساني، أبو الحسن علي بن محمد: كتاب تخريج الدلالات السمعية ،وزارة الأوقاف ،لجنة احياء التراث الاسلامي،القاهرة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م ، ص ٢٣٨ .

(٢) عبد العزيز عبد الله السلومي،ديوان الجند (نشأته وتطوره في الدولة الاسلامية حتى عصر المأمون) ،مكتبة الطالب الجامعي،مكة المكرمة ،١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م ، ص ٩٢ .

(٣) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٤) أبويعلي، الأحكام السلطانية ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - ص ٢٣٨ .

(٥) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة ،كان يعيش من التجارة بالزيت ،ولا يأخذ عطاء ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته . (الزركلي : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٢) .

على عمر ، رضي الله عنه ، بأخماس فارس ، قال : والله لا يجنها سقف دون السماء حتى أقسمها بين الناس ، قال : فأمر بها فوضعت بين صفي المسجد ، وأمر عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن أرقم ، فباتا عليها ، ثم غدا عمر ، رضي الله تعالى عنه ، فأمر بالجلابيب فكشفت عنها ، فنظر عمر إلى شيء لم ترعيناه مثله من الجوهر واللؤلؤ والذهب والفضه فبكى ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : هذا من مواقف الشكر فما يبكيك ؟ فقال : أجل، ولكن الله لم يعط قوما هذا إلا ألقى بينهم العداوة والبغضاء ، ثم قال : أنحثوا لهم ، أو نكيل لهم بالصاع ؟ قال : ثم أجمع رأيه على أن يحثو لهم فحثا لهم . قال : وهذا قبل أن يدوّن الدواوين)[1] . وهذا دليل على أن الخليفة عمر ، استمر على توزيع العطاء بالتسوية ، كسابق عهد سلفه أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، إلا أن الفتوحات الإسلامية امتدت في جهات جزيرة العرب من كل ناحية ،وزادت الأموال من جميع أنحاء الولايات الإسلامية ، الأمر الذي جعل عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يفكر في تنظيم عطاءات ثابتة للجند ، خاصة بعد فتح سواد العراق ، حيث بعث سعد بن أبي وقاص يستوضح من الخليفة عمر — في أمر توزيعه — فكتب إليه عمر قائلا : (أما بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر أن الناس سألوك أن تقسم بينهم ما أفاء الله عليهم ،فإذا أتاك كتابي،فانظر ما أجلب عليه أهل العسكر بخيلهم وركابهم من مال أو كراع ، فاقسمه بينهم بعد الخمس ، واترك الأرض والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين ، فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن يبقى بعدهم شيء)[2] ، فكان من هذا الأمر أن تركت الأرض في أيدي أهل السواد على أن يدفعوا عنها الخراج .

---

(١) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٧ .

شاور عمر ، رضي الله عنه في أمر التوزيع الصحابة ، فأشار البعض منهم بتوزيعها ، وأشار البعض الآخر بتدوين الديوان واحصاء الناس ، وفرض العطاء ، وأخذ برأي الناس ومشورة الصحابة ،رضوان الله عليهم ،وفرض العطاء(١)، وكان ذلك في العام الخامس عشر من الهجرة(٢)، كما وقت شهر المحرم لصرف العطاء(٣).

وقد أسند عمر بن الخطاب أمر تدوين الديوان الى عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ، وكانوا من نبهاء قريش وأعلمهم بأنسابها فقال : (اكتبوا الناس على منازلهم ،فبدأوا ببني هاشم فكتبوهم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ،ثم عمر وقومه ،وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ،ثم دفعوه الى عمر،فلما نظر فيه قال : لا ،وددت أنه كان هكذا ، ولكن ابدأوا بقرابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الأقرب ثم الأقرب ، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى)(٤).

وقد ذكر ابن سعد : (عن سعيد بن المسيب "أن عمر بن الخطاب فرض لأهل بدر من المهاجرين من قريش والعرب والموالي خمسة آلاف خمسة آلاف ،وللأنصار ومواليهم أربعة آلاف أربعة آلاف ،وعن مصعب بن سعد "أن عمر أول من فرض الأعطية ،فرض لأهل بدر والمهاجرين ستة آلاف ستة آلاف")(٥).

---

(١) عن هذه المشاوره أنظر:فرج الهوني،المرجع السابق،ص ٨٣ ومابعدها .

(٢) الطبري،المصدر السابق،ج٣،ص ٦١٣،- وقد ذكر كل من السيوطي،تاريخ الخلفاء،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم،مطبعة نهضة مصر،١٩٧٦م،ص ٢٣١ ، ابن خلدون،المقدمة،مطبعة دار الشعب ،القاهرة،ص ٢١٧،البلاذري،فتوح البلدان،ص ٤٤٣، أنه اثبت الديوان في المحرم سنة عشرين هجرية - فربما كان هذا الوقت في الاختلاف هو المدة التي كتب فيها الديوان وسجلت به أسماء الناس .

(٣) الخزاعي التلمساني ، كتاب تخريج الدلالات السمعية ، ص ٢٤٣ .

(٤) أبو يعلي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .

(٥) الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ .

وقال أبو يوسف : (لما جاءت عمر بن الخطاب ، رضي الله تعالى عنه ، الفتوح ، وجاءت الأموال ، قال : إن أبا بكر ، رضي الله تعالى عنه ،رأى في هذا المال رأيا ، ولي فيه رأي آخر ، لا أجعل من قاتل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كمن قاتل معه ، ففرض للمهاجرين والأنصار ممن شهد بدرا خمسة آلاف خمسة آلاف ، وفرض لمن كان إسلامه كإسلام أهل بدر ولم يشهد بدرا أربعة آلاف أربعة آلاف ، وفرض لأزواج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، اثنى عشر ألفا اثنى عشر ألفا[1]، إلا صفية وجويرية ، فانه فرض لهما ستة آلاف ستة آلاف ، فأبيا أن يقبلا ، فقال لهما للهجرة ،فقالتا : لا ، إنما فرضت لهن لمكانهن من رسول الله ، وكان لنا مثله . فعرف ذلك عمر ، ففرض لهما اثنى عشر ألفا ، وفرض للعباس عم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اثنى عشر ألفا ، وفرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف ، وفرض لعبد الله بن عمر - ابنه - ثلاثة آلاف . فقال : يا أبت لم زدته علي ألفا ، ماكان لأبيه من الفضل مالم يكن لأبي ، وماكان له مالم يكن لي ، فقال : إن أبا أسامة كان أحب إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من أبيك ، وكان أسامه أحب إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، منك ، وفرض للحسن والحسين خمسة آلاف خمسة آلاف ، ألحقهما بأبيهما لمكانهما من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وفرض لأبناء المهاجرين والأنصار ألفين ألفين ، فمر عمر بن أبي سلمة ، فقال : زيدوه ألفا ، فقال له محمد بن عبد الله بن جحش[2] :

---

(١) ذكر ابن سعد : أنه فرض لعائشة اثنى عشر ألفا ولسائرهن عشرة آلاف إلا جويرية وصفية فرض لهما ستة آلاف ، (الطبقات الكبرى،ج ٣،ص ٣٠٤) .

(٢) عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي ، صحابي قديم الإسلام ،هاجر إلى بلاد الحبشه ثم إلى المدينة ،وكان من أمراء السرايا ،وهو صهر رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،أخو زينب أم المؤمنين ، قتل يوم أحد شهيدا فدفن هو وحمزة في قبر واحد. الزركلي : المرجع السابق ،ج ٤،ص ٧٦ .

ماكان لأبيه مالم يكن لآبائنا ، وماكان له مالم يكن لنا ، فقال : إني فرضت له بأبيه أبي سلمة ، وزدته بأمه أم سلمة ألفا ، فان كان لك أم مثل أم سلمة زدتك ألفا ، وفرض لأهل مكة والناس ثمانمائة ثمانمائة ، فجاء طلحة بن عبيد الله (١) بأخيه عثمان ، ففرض له ثمانمائة ، فمر النضر بن أنس ، فقال : افرضوا له ألفين ، فقال : ان أبا هذا لقيني يوم أحد فقال : مافعل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت : ما أراه إلا قد قتل . فسل سيفه وكسر غمده وقال : إن كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد قتل فإن الله حي لا يموت ، فقاتل حتى قتل ، وأبو هذا كان يرعى الشاء في مكان كذا وكذا . فعمل عمر بهذا في خلافته) (٢). وقال ابن سعد : (فرض عمر بن الخطاب للناس حتى لم يدع أحدا من الناس إلا فرض له ، حتى بقيت بقية لا عشائر لهم ولا موالي ، ففرض لهم مابين المائتين وخمسين إلى ثلثمائة) (٣) . قال أبو يعلي : (وفرض لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل من ألفين إلى ألف وخمسمائة إلى ثلثمائة ، ولم ينقص أحدا منها) (٤). وهم الذين شاركوا في حرب اليرموك والقادسية (٥). كما فرض لكل مولود في الإسلام مائة فاذا ترعرع بلغ به مائتين (٦) .

---

(١) طلحة بن عبيد الله التميمي ، صحابي شجاع من الأجواد، أحد الستة أصحاب الشورى وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ،وأحد العشرة المبشرين بالجنة . الزركلي : المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ .

(٢) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٣) الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٤٠٣ .

(٤) الأحكام السلطانية ،ص ٢٣٩ .

(٥) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦١٤ .

(٦) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .

- أنظر عن فرض العطاء للمولود وأسباب إضافتهم في العطاء قبل الفطام : ابن سعد ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠١ .

كما أورد الطبري في وضع العطاء : (بأن عمر أعطى العطايا على السابقة في الإسلام ، قال : ولما أراد عمر وضع الديوان قال له علي وعبد الرحمن بن عوف ابدأ بنفسك ، قال : لا ، بل أبدأ بعم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم الأقرب فالأقرب ، ففرض للعباس وبدأ به ، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، في ذلك من شهد الفتح ، وقاتل عن أبي بكر ، ومن ولي الأيام قبل القادسية ،كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين ، وفرض لأهل البلاء البارع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة ، فقيل له : لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيام ، فقال : لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا ، وقيل له : قد سويت من بعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فنائه ، فقال : من قربت داره أحق بالزيادة لأنهم كانوا ردءا للحوق وشجى للعدو ، فهلا قال المهاجرون مثل قولكم حين سوينا بين السابقين منهم والأنصار ! فقد كانت نصرة الأنصار بفنائهم ، وهاجر إليهم المهاجرون من بعد ، وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفا ألفا ،ثم فرض للروادف المثنى خمسمائة خمسمائة ، وللروادف الثلث بعدهم ثلثمائة ثلثمائة ، وسوى كل طبقة في العطاء ، قويهم وضعيفهم ، عربهم وعجمهم ، وفرض للروادف الربيع على مائتين وخمسين ، وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين ، وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها : الحسن والحسين ، وأبا ذر وسلمان ، وكان فرض للعباس خمسة وعشرين ألفا – وقيل اثنى عشر ألفا – وأعطى نساء النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عشرة آلاف عشرة آلاف إلا من جرى عليها الملك ، فقال نسوة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ماكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يفضلنا عليهن في القسمة ، فسوّ بيننا ، ففعل ، وفضل عائشة بألفين لمحبة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

إياها ، فلم تأخذ ، وجعل نساء أهل بدر في خمسمائة ، ونساء من بعدهم إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة ، ونساء من بعد ذلك إلى الأيام ثلثمائة ثلثمائة، ونساء أهل القادسية مائتين مائتين ، ثم سوى بين النساء بعد ذلك ، وجعل الصبيان سواء على مائة مائة ، ثم جمع ستين مسكينا وأطعمهم الخبز ، فأحصوا ما أكلوا فوجدوه يخرج من جريبتين ، ففرض لكل إنسان منهم ولعياله جريبتين في الشهر)(١) .

وقد كان عمر بن الخطاب يقول : (والذي لا إله إلا هو "ثلاثا" ما من الناس أحد إلا له في هذا المال حق أعطيه أو منعه ، وما أحد بأحق من أحد إلا عبد مملوك ، وما أنا فيه إلا كأحدهم ، ولكنا على منازلنا من كتاب اللّه ، وقسمنا من رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام ، والرجل وحاجته في الإسلام)(٢).

وكان لتنظيم العطاء وتقريره في زمن الخليفة الثاني - لرسول اللّه - أثره الكبير في ضمان حياة كريمة لأهل السابقة في الإسلام ممن جاهدوا مع الرسول ، صلى اللّه عليه وسلم ، وشهدوا غزوة بدر الكبرى ، ومنعهم كبر السن من مواصلة الجهاد، فأراد عمر أن يكرمهم بأن يدون أسماءهم في الديوان ، ويجعل لهم الأسبقية في العطاء(٣). وفي الوقت نفسه قد وضع نظاما خاصا مفاده وجود جيش مقاتل ملبّ لنداء الجهاد، وضمن لهذا الجيش معاشا خاصا وأرزاقا ثابتة(٤)، خاصة وأن هناك بعض الناس قد تخاذلوا عن الخروج للجهاد في عهد عمر بن الخطاب ، فقد قصر أبو بكر الجهاد على أهل السابقة

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٦١٤ - ٦١٥ .
(٢) ابن سعد،المصدر السابق ، ج ٣ ،ص ٢٩٥ .
(٣) فرج الهوني ،المرجع السابق ، ص ٨٦ .
(٤) عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام،دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الثالثة،١٩٨٤م ، ص ٥٥ .

في الإسلام ، ومنع من ارتدوا ثم عادوا إلى حظيرة الإسلام من الاشتراك في الجهاد والفتوحات الإسلامية ، وإلى أن زادت مطالب الجهاد بزيادة الفتوحات ، فاحتاج الخليفة عمر إلى المسلمين للمشاركة في الفتح إلا أنه صنفهم في تقدير العطاء[١]، فكان هذا سببا في إحداث التباين الاقتصادي الذي أوجد نوعا من التذمر[٢].

أما بالنسبة لعمر نفسه ومكانته من العطاء ، فقد ذكر ابن دقماق : (أنه أنزل نفسه منزلة رجل من المسلمين في العطاء)[٣]، ويروى أنه قد حاوره بنو عدي فيما لو جعل نفسه في المنزلة التي هو عليها من القدر في الخلافة ، فغضب منهم قائلا : (بخ بخ بني عدي ، أردتم الأكل على ظهري، وأن أهب حسناتي لكم : لا والله حتى تأتيكم الدعوة وأن يطبق عليكم الدفتر - يعني ولو أن تكتبوا آخر الناس)[٤]. فكان عمر رضي الله عنه يستنفق كل يوم درهمين له ولعياله[٥]، ورحلة في الصيف وأخرى في الشتاء وراحلته للحج والعمرة ،وحوائجه للجهاد[٦].

---

(١) فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص ٥٥ .

(٣) الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور ، ومراجعة أحمد دراج،مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - كلية الشريعة ،جامعة أم القرى ،١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م، ص ٣٥ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٣٦ .

(٥) ابن الجوزي ، سيرة ومناقب عمر بن الخطاب ، تحقيق زينب ابراهيم القاروط ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،الطبعة الثانية ،١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ١٠٢ .

(٦) الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٦١٦ .

وقد ذكر عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، حين وصلت إليه الأموال من فتوح دمشق والقادسية أن جمع الناس وقال لهم : (إني كنت إمرءا تاجر يغني الله عيالي بتجارتي ، وقد شغلتموني بأمركم ، فماذا ترون أنه يحل لي من هذا المال ؟ فأكثر القوم ،وعلي عليه السلام ساكت . فقال : ماتقول ياعلي ؟ فقال : ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف ، ليس لك من هذا المال غيره ، فقال القوم : القول قول ابن أبي طالب)(١) .

وكان نصيبه ، رضي الله عنه ، كنصيب فرد من المسلمين في عطائهم وفيئهم(٢). فلما حضرته الوفاة ، قال لولده عبد الله : (انظر ما علي من الدين ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا ، قال : إن وفى له دين آل عمر فأدّه من أموالهم ، وإلا فأسأل من بني عدي ، فان لم تف أموالهم ، فأسأل في قريش وأدّ عني هذا المال)(٣).

وقيل أن عمر أدرك قبل وفاته بأن هناك فائضا من الأموال بزيادة الفتوح وجباية الخراج والجزية والعشور وغيرها من الأموال التي كانت تصل إلى بيت مال المسلمين ماجعله يفكر في زيادة نفقات الجند. فقال : (لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف ، ألفا يجعلها الرجل في أهله ، وألفا يزودها معه ، وألفا يتجهز بها وألفا يترفق بها ، فمات قبل أن يفعل)(٤)

---

(١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٦١٦ .

(٢) ذكر محمد حسين هيكل في كتابه الفاروق عمر ، الطبعة السابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١٩٤ :(أن جاءت عمر برود من اليمن ففرقها بين المسلمين فخرج في نصيب كل رجل برد واحد ونصيب عمر كنصيب واحد منهم) .

(٣) ابن دقماق ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٤) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦١٥ .

ويشير فرج الهوني : عن فكرة عدول عمر بن الخطاب في توزيع العطاء في أواخر أيامه بأنه كان ينوي العدول عن مبدأ المفاضلة، ويقر التسوية في العطاء دون النظر إلى الأسبقية، مشيرا إلى ماذكر آنفا عن رغبته في زيادة العطاء[١]. ومما يؤكد هذا ماروي عن عبد الله بن عبيد الله بن عمر قال : (قال عمر بن الخطاب : لأزيدنهم مازاد المال ، لأعدّنه عدّا ، فان أعياني لأكيلنّه كيلا ، فان أعياني حشوته بغير حساب) ، وعن زيد بن أسلم عن أبيه (أنه سمع عمر بن الخطاب قال : لئن بقيت إلى الحول لألحقن أسفل الناس بأعلاهم) ، ويزيد الأمر تأكيدا قوله : (ولأجعلنهم رجلا واحدا)[٢]، كذلك قال أبو يوسف : (قال عمر : لئن عشت إلى هذه الليلة من قابل لألحقن أخرى الناس بأولاهم حتى يكونوا في العطاء سواء . قال : فتوفي رحمه الله قبل ذلك)[٣].

وقد أشار الماوردي : بأن عمر ، رضي الله عنه ، قد راعى التفضيل عن السابقة في الإسلام بعد استشهاد كثير من الصحابة في الجهاد بالتقدم في الحرب والصبر على البلاء[٤]. فلعل هذا ما جعله يعزم على العدول عن فكرته في التفضيل خاصة وأن هذا التفاوت قد أدى إلى وجود طبقة كبيرة من الأثرياء من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه قد سمح لغالبية الجند العرب بالاشتراك في الفتوح ـ وكان من ارتد عن الإسلام قد منع من الاشتراك في الجهاد في عهد أبي بكر ـ فلن يقبلوا بهذا الوضع ، كذلك فان الإسلام قد ثبتت أركانه ،

---

(١) النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية ،ص ٩٥. انظر في ذلك أيضا : ابراهيم فؤاد أحمد علي ،الموارد المالية في الإسلام،مكتبة الأنجلو المصرية ،الطبعة الثالثة،١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ،ص ٢٤٦ .

(٢) ابن سعد : المصدر السابق ،جـ ٣ ،ص ٣٠١ - ٣٠٣ .

(٣) كتاب الخراج ،(ضمن موسوعة الخراج)، ص ٤٦ .

(٤) الأحكام السلطانية ،ص ٢٠٢ .

وأما من أراد تكريمهم من الصحابة وأهل السابقة فقد تقدمت بهم السن وأصبح الجيش العربي يحتاج إلى العناصر الشابة[(١)].

ولعلنا نضيف إلى أن عام الرمادة وماوجده المسلمون من مشقة وضنك العيش جعله يفكر في إعادة توزيع الأموال قائلا : (لو لم أجد للناس من المال مايسعهم إلا أن أدخل على كل أهل بيت عدتهم فيقاسمونهم أنصاف بطونهم حتى يأتي الله بحيا فعلت فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم)[(٢)] .

ولما كان عهد عثمان بن عفان وكثر الخراج وآتاه المال من النواحي اتخذ الخزائن لحفظ الأموال[(٣)]، وسار على النظام الذي أقره عمر بن الخطاب في توزيع العطاء[(٤)].

وذكر الطبري أنه زاد الناس مائة[(٥)]، أما ابن كثير فقد ذكر : أنه زاد الناس مائة مائة - يعني في عطاء كل واحد من جند المسلمين - زاده على مافرض له عمر مائة مائة درهم من بيت المال[(٦)].

---

(١) فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(٢) ابن سعد ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣١٦ .
- انظر في ذلك أيضا طه حسين ، الفتنه الكبرى (ضمن مجموعة إسلاميات ، ويشمل (مرآة الاسلام ، وعلى هامش السيرة ، والوعد الحق والفتنه الكبرى) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٦٦٩ .

(٣) الذهبي ، كتاب دول الاسلام ، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م ، ج ١ ، ص ٢٣ .

(٤) عبد الله محمد السيف ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي ، كلية الآداب ، جامعة الرياض ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ١٨٥ .
- عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص ٥٥ .

(٥) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ .

(٦) البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ١٤٨ .

وكان عمر بن الخطاب قد فرض للناس في كل يوم من أيام رمضان درهما ، ولزوجات رسول الله درهمين . فلما تولى عثمان أقر ماكان عليه عمر وأضاف إليه بإعداد سماط للصائمين بالمسجد من المعتكفين والفقراء وأبناء السبيل (١).

ونجد هنا أن عثمان ، رضي الله عنه ، قد أراد أن يوسع على المسلمين في العطاء والرزق مما جعل بعض المؤرخين المحدثين ينتقدون هذه الفترة من حكم عثمان ويقارنوها بالفترة التي سبقته من حكم عمر ، رضي الله عنه (٢) .

ان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، كان شديد الحرص على نفسه أولا ، وأعطى المسلمين حاجتهم دون اسراف أو تقتير في عطائهم وأرزاقهم، فكان منهم عثمان الذي عرف عنه سعة رزقه وتجارته في الجاهلية والإسلام،وقد كان

---

(١) الطبري ،المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ٢٤٢ .

(٢) عن أسباب الثورة على عثمان بن عفان ،رضي الله عنه، أنظر :
- طه حسين،الفتنه الكبرى،(ضمن مجموعة اسلاميات) ص ٧١٦ ومايليها ،
- ابراهيم فؤاد على ،المرجع السابق ،ص ٢٤٨ ،
- عبد العزيز الدوري ،مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ،ص ٥٤،٥٥ ،
- ثابت اسماعيل الراوي،المرجع السابق ، ص ٨٦ ،
- محمد حسين هيكل،الفاروق عمر ،المرجع السابق ،ص ٢٠٦ ،
- محمد حسين هيكل ،عثمان بن عفان،دار المعارف ،القاهره،١٩٦٤م ، ص ١١٥ ومابعدها ،
- السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ الدولة العربية وتاريخ العرب منذ ظهور الإسلام وحتى سقوط الدولة الأموية ،مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ،ص ٢٧١ ،
- فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ١٧١ ،
- مصطفى حلمي ،نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ،دار الدعوة للطبع والنشر، الاسكندرية ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص ٧٨ .

سباقا إلى الخيرات ومساعدة جيوش المسلمين فكان له عطاء أهل بدر وأصحاب السابقة (١).

فلما تولى عثمان الخلافة أعطى الناس عن سعة ،ولم يضيق عليهم في العيش، وهو أمر لا ينافي سماحة الإسلام في الإنفاق عن يسر ، فهو لم يتعرض لأرزاق الناس وعطاءآتهم، ولم يقصر في واجباته نحوهم . غير أن هذه الفترة التي وجد فيها التفاوت المالي ، أوجد نوعا من الحزازات في بعض النفوس ، فروجت لدعوى ذهب ضحيتها عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وقد اتجه نشاط العرب بعيد حروب الردة إلى التوسع الخارجي وشغلتهم موجة الفتوحات وماصحبها من مجد وتضحيات وغنائم ، حتى إذا مرت السنوات الست الأولى من خلافة عثمان ، وصلت تلك الموجة نهايتها الطبيعية فوقفت عند الجبال في الشمال وسهول آسيا في الشرق ، وشمالي أفريقيه في الغرب . وكانت السنوات الست الأخيرة من عهد عثمان سنوات هدوء نسبي اتجهت فيها الأفكار إلى الوضع الداخلي(٢) .

وتجمع العرب في أمصارهم دون عمل وليس لديهم من الأموال إلا العطاء ، فنظروا بحسد إلى ماكان قد وصل إليه رجال قريش من غنى واقتناء للأراضي والضياع ، فثارت ثائرتهم على أصحاب هذه الثروات ، وظهرت فيهم دوافع الروح القبلية التي كانت قد خمدت أثناء الفتوح والجهاد(٣) .

---

(١) ثابت اسماعيل الراوي ، المرجع السابق ، ص ٩٣ .
- شارك عثمان الرسول وصحبه في جميع غزواته ، إلا غزوة بدر لانشغاله بتمريض زوجته رقيه والتي توفيت يوم ذاك ، وقد عده الرسول، صلى الله عليه وسلم ،بكونه من أهل بدر وضرب له بسهمه .
(٢) عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص ٥٠ .
(٣) ثابت اسماعيل الراوي ، المرجع السابق ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

ومن الأمور التي أثارت حقد هذه الفئات على الخليفة عثمان ، أنه وهب خمس الخمس من غنائم فتح أفريقية لعبد اللّه بن أبي السرح نفلا(١)، ثم وهب خمس غنائم فتح افريقية للمرة الثانية لمروان بن الحكم بعد أن اشتراها مروان بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان ، فقد ذكر ابن الأثير ذلك بقوله : (أحسن ماقيل في خمس افريقية : "بأن بعض الناس يقول : أعطى عثمان خمس أفريقية عبد اللّه بن سعد ، وبعضهم يقول : أعطاه مروان بن الحكم ، وظهر بهذا أنه أعطى عبد اللّه خمس الغزوة الأولى ، وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتح فيها جميع افريقية ،واللّه أعلم)(٢)، هذا في الوقت الذي كان لا يسمح فيه إلا للجند المقاتلين في الحصول على الغنائم ، أما المدد من الجند الذي لم يشترك في القتال ، فليس له نصيب في الغنيمة(٣).

ولا ننسى أن عثمان نفسه كان من أثرياء قريش الذين تعودوا على طيب العيش ونعمة الثراء،فلم يتعود حياة التقشف والزهد التي عاشها من سبقوه في الخلافة،ولكنه لم يخرج عما أحله اللّه وشرعه لعباده،فلم يستطع عثمان أن

---

(١) الطبري ،المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ٢٥٣ ،
- ابن كثير ،المصدر السابق ،ج ٧ ،ص ١٥٢ ،
- ابن الأثير،الكامل في التاريخ،دار بيروت للطباعة والنشر،ودار صادر ، بيروت ،١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ،ج ٣ ،ص ٨٨ .

(٢) ابن الأثير ، المصدر نفسه ،ج ٣ ،ص ٩١ .

(٣) ذكر قدامة بن جعفر في كتابه (الخراج وصناعة الكتابة)،شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي،سلسلة كتب التراث ،دار الرشيد للنشر،بغداد،١٩٨١م ، ص ٣٢٠، ٣٢٦ .
- أن حبيب بن مسلمة الفهري قد احتاج إلى المدد في فتح أرمينية غير أن المدد لم يصل إليه إلا بعد فراغ المسلمين من القتال،فطالبوهم بإشراكهم في الغنيمة"وكان المدد من أهل الكوفة" فلم يفعلوا،فلما كتب حبيب إلى عثمان يستشيره الأمر، كتب إليه عثمان : (إن الغنيمة باردة لأهل الشام) .

يلزم الناس التقشف والزهد وهو ماكان يفرضه عمر بن الخطاب عليهم، ان عمر كان متقشفا،وزاهدا شديد الزهد،وكان ذا قدرة على احتمال هذه القسوة على نفسه لماحباه الله من الصحة والقوة، أما عثمان فقد تولى الخلافة وقد تجاوز السبعين من عمره وكان في شبابه يحب لين العيش ويسره (١)،كما لم تتغير الحياة التجارية التي عاشتها قريش قبل الاسلام في مكة،فاستثمر رجالها أموالهم في التجارة بين الحجاز والأمصار الاسلامية المفتوحة،وعرفوا كيف يستفيدون من هذا النشاط التجاري فازداد ثراؤهم،بينما أسرف غيرهم في انفاق أموال العطاء دون أن يعرفوا كيف يستفيدون منه (٢). أضف الى ذلك أن عثمان كان سخيا في عطائه وهباته،حيث وهب الزبير بن العوام ستمائة ألف وطلحة مائتي ألف(٣)،وكان شديد الصلة لأقربائه وأهله (٤). فظهر الترف في المدينة المنورة بامتلاك الدور والقصور والضياع،فكان على سبيل المثال : لدى سعيد بن عثمان بن عفان ثلاثين سغديا (من رقيق أهل السغد) من الرقيق يعملون في مزارع النخيل لديه بالمدينة المنورة (٥)، وقد سبق وأن أشرت الى أن الفتوح قد خفت بعد الست السنوات الأولى من عهد عثمان وخلال هذه الفترة كان الخليفة يشد من أزر المجاهدين من جهة،وفي نفس الوقت ينظم أمور الدولة الداخلية من جهة ثانية فولي الولايات الى قرابته ممن يعتمد عليهم في مصالح الدولة وأحوال المسلمين(٦)، فلما استقرت أمور الدولة اتجهت

---

(١) - الطبري ،تاريخ الرسل ،ج٤،ص ٤٠٠ ،٤٠١ .
- فرج الهوني،المرجع السابق،ص ١٦٦ .

(٢) - الطبري ، المصدر السابق،ج ٤ ، ص ٣٩٨ .
- عبد العزيز الدوري،مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ،ص ٥٦ .

(٣) - فرج الهوني،المرجع السابق،ص ١٦٧ .
- انظر عن هذه الثروات،نبيه عاقل،المرجع السابق،ص ١١ .

(٤) ابن سعد،المصدر السابق،ج ٣،ص ٦٤ .

(٥) عبد الله محمد السيف ، المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٦) استشهد مصطفى حلمي على موضوع تولية عثمان أقرباءه وأهله وايثارهم بالأموال برأي ابن تيميه بقوله :"أما ابن تيميه فانه يورد مذاهب الفقهاء في الموضوع وله تأويلات،احداهما أنه ما أطعم النبي،صلى الله =

الأنظار إلى المناصب والقيادات ، فقد كان الجندي يبدي من البطولات ما يؤهله لمكان قيادة الجيوش ، أما بعد توقف هذا السيل الجارف من الفتح ، فالجندي أصبح مستقرا مرابطا لحالة الدفاع لا يناله سوى العطاء ، ومن ثم بدأت أنظار الجند تتجه إلى الولايات حيث تتحقق لهم الحياة الميسورة ، وامتلاك الدور والأراضي ، كما أصبح حال بعض الولاة وأصحاب المناصب ، وخاصة في الأراضي التي اعتبروها حقهم من الفيء أيام الفتح الإسلامي[١].

وترتب على هذه الأوضاع اضطراب الأحوال الاجتماعية في تلك الفترة ، ولم يكن للخليفة عثمان يد في أسبابها ،مما أدى في نهاية الأمر الى مقتله .

وقد اختلفت الآراء حول العطاء في عهد علي بن أبي طالب وتوزيعه ، فقد ذكر عبدالله السيف بأن الخليفة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب

= عليه وسلم ، طعمة إلا كانت طعمة لمن يتولى الأمر بعده ، وأن ذوي القربى في حياته صلى الله عليه وسلم ذوو قرباه ،وبعد موته ذوو قربى من يتولى الأمر بعده ،وكان لعثمان أقارب أكثر ممن لأبي بكر وعمر ، وهم مما يستحقون من بيت المال مما جعله الله لذوي القربى خاصة ، وأنهم يناصرون ولي الأمر ويدافعون عنه ، وهذا ما لا يفعله غيرهم، (فإن لم يكن الناس مع إمامهم كما كانوا مع أبي بكر وعمر ، احتاج ولي الأمر إلى بطانة يطمئن إليهم ، وهم لابد لهم من كفاية) .

والتأويل الثاني : أنه كان يعمل في المال ، وقد قال تعالى: (والعاملين عليها) ،وإذا كان العامل على الصدقة وولي اليتيم ، وناظر الوقف يأخذون أجورهم فان عثمان أيضا يستحقه لأنه ولي المال ، المرجع السابق ، ص ٩٤ — ٩٥ .

(١) فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

سارا على سيرة عمر بن الخطاب في توزيع العطاء[١]،بينما ذكر أبو عبيد والماوردي أن علي بن أبي طالب قد وزع الأعطيات بالتساوي[٢].

ومن الدلالات الواضحة على زهد علي،كرم الله وجهه،وتقشفه،أنه كان يكنس بيت المال ويصلي فيه[٣]،دليلا على عدم حبسه لأموال المسلمين في بيت المال، فكان اذا ورد عليه المال من الولايات لا يحتبسه فيه بل يوزعه على الناس لا يبقي منه شيئا[٤]،حيث بلغ توزيعه في السنة ثلاث مرات[٥].

وانتهى الأمر بمقتل علي بن أبي طالب،وخطب ابنه الحسن بن علي في الناس قائلا:(...ماترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم فضلت من عطائه)[٦]، وبايع أهل العراق الحسن بن علي،رضي الله عنه،بالخلافة في الوقت الذي كان فيه معاوية قد بايع له أهل الشام بايليا[٧].ولم يرغب الحسن في قتال معاوية، خاصة وأنه كان لا يأمن أهل العراق،وقيل أن الحسن حين بويع بالخلافة زاد في عطاء الناس مائة[٨].وقد انتهت الأمور باتفاق الحسن مع معاوية على تنازله عن الخلافة على أن تكون شورى بين المسلمين بعد وفاة معاوية[٩].

(١) - عبدالله السيف،المرجع السابق،ص ١٨٥،١٨٦،
- أنظر في ذلك : الماوردي : الأحكام السلطانية،ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
وقد أورد عبدالله السيف في كتابه،بأنه في عهد معاوية كان ديوان العطاء يضم أسماء أهل المدينة الذين يستحقون العطاء مرتبة حسب قبائلهم، وفيها مقدار عطائهم..وكانوا يتسلمون الأعطيات من الدولة "فلا يغيبون غائبا ولا يميتون ميتا"،وقد حاول معاوية عقب توليه الخلافة تعديل هذا الديوان لأهل المدينة،وألا يدفع العطاء الا للأحياء،ولكنه لم يستطع لغضب أهل المدينة عليه،وقد كان يرغب في ارضائهم .

(٢) -أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٤٥ ،
- الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠ .

(٣) السيوطي،المصدر السابق،ص ٢٨٧ .

(٤) ابن دقماق،المصدر السابق،ص ٥٢ .

(٥) أبو عبيد،المصدر السابق ، ص ٢٥١.

(٦) ابن سعد،المصدر السابق،ج ٣ ،ص ٣٨.

(٧) الطبري،المصدر السابق،ج ٥ ، ص ١٥٨ ، ١٦١ .

(٨) عبد العزيز السلومي،المرجع السابق،ص ١٤٨ .
(عن الأصفهاني،مقاتل الطالبين،طبعة النجف،١٣٥٣هـ،ص ٣٦) ، الا أن فترة خلافة الحسن لم تكن طويلة حيث تنازل عن الخلافة لمعاوية حقنا لدماء المسلمين .

(٩) عن هذا الاتفاق أنظر :

=

٢ - العطاء في عهد الدولة الأموية :

تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة للدولة الاسلامية معتمدا على جنده ومناصريه في بلاد الشام وذلك بعد تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب ، وجعل مدينة دمشق حاضرة الخلافة ، وبهذا ضمن موالاتهم وتعضيدهم له ليتفرغ لمناوئيه في الحكم ، هذا وقد استفاد من الفترة السابقة لحكمه ، تلك الفترة التي دب فيها الخلاف بينه وبين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما ، في الحرص على تأمين مطالب الجند ، فحرص منذ بدء خلافته على أن يوسع في عطاء جنده ، وقد علق نبيه عاقل على ذلك بقوله : (فكانت فترة خلافته فترة استقرار وازدهار وسلام• وقد ساعده على تحقيق انتصاراته في الخارج الجيش الشامي الذي جمعه ونظمه ودربه منذ أن كان واليا ، والذي أغدق عليه العطاء ، ولم يبخل عليه بكل مايوفر له سبل الرضا والاخلاص بعد أن غدا خليفة)[(١)] ، وأضاف أيضا بقوله : "ان معاوية تولى الحكم بنفسه في الشام ، واستمال اليه الناس ونقل بيت المال من الكوفة الى دمشق ، وزاد في عطاء الجند،وأشعر أهل الشام بشكل عام أنهم عصبته المفضلة،وموضع اهتمامه ورعايته"[(٢)] ، وكانت زيادة عطائه لجند الشام كما ذكر ابن كثير استجابة لطلب ابنه يزيد[(٣)]،كما أن معاوية ضاعف العطاء ووقت أوقاتا لتناول أرزاق الجند[(٤)]،ويوضح عمر أبوالنصر هذه الزيادة قائلا: (لما احتاج معاوية الى تأييد الناس له في العهد الأموي،زاد في أعطيات الجند بصورة خاصة،وكان جنده يعد ستين

= - الطبري ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٥٨ ومابعدها ،
- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٠٥ ،
- ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤١ ،
- ابن دقماق ، المصدر السابق ، ص ٥٤ •

(١) تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٦٣ •
(٢) المرجع نفسه ، ص ٧٨ •
(٣) البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢٢٧ •
(٤) - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ٣٣٨ ،
- محمد كرد علي ، الادارة الاسلامية في عز العرب ، ص ٧٧ •

ألفا ، ينفق عليهم ستين مليون درهم في العام ، فيلحق كل رجل ألف درهم ، وهذا أضعاف مافرضه عمر بن الخطاب)[١]. ويبدو أن العطاء في عهد معاوية لم يكن ثابتا ومنتظما ، فقد ذكر حسن وعلي ابراهيم حسن ماكان من عمر بن الخطاب في تنظيم العطاء وعلقا على ذلك بقولهما : (وقد ظلت أعطيات الجند على هذا النحو في عهد الخلفاء الراشدين ، فلما طمع بنو أميه في الملك ، واحتاج معاوية إلى الاستنجاد بالعرب ، زاد في أعطيات جنده الذي بلغ عدده ستين ألفا . وكان ينفق عليهم ستين مليون درهم في العام ، فلما آلت الخلافة اليهم وتوطدت دعائم دولتهم ، أنقصوا ذلك المبلغ الضخم إلى أقل من النصف)[٢] . كما ذكر عمر أبو النصر : (وكان معاوية يزيد العطاء أو ينقصه أو يقطعه وفاقا لموقف صاحب العطاء من الحكومة القائمة والنظام الجديد، وزاد في أعطيات أنصاره ومعاونيه، وأنقص عطاء بعض خصومه من شيعة علي ،أو منع العطاء منعا باتا)[٣].

نستنتج مما سبق أن معاوية زاد في عطاء جند الشام ، أما ماذكر عن إنقاص العطاء وزيادته ،فهذا كان وفقا للأوضاع التي مرت بها الفترة السابقة لتثبيت حكمه في العراق والحجاز ، فتكون الزيادة لمن يناصره ، وهذا مايؤكده ابن الأثير بقوله : بأن معاويه كان يستميل الناس إليه في الكوفه ليفسدهم عن مناصرة علي بن أبي طالب[٤]، ويبدو أنه حين استقرت أمور الخلافة لمعاوية ، لم يعد بحاجة إلى إنفاق الأموال لضمان فوزه وانتصاره ، خاصة وأن معاوية بعد فراغه من حربه مع علي ، وجد الخزانه العامة تكاد تكون

(١) الحضارة الأموية العربية في دمشق ، طبعة بيروت ،١٩٤٨م ،ص ٢٤٥ .
(٢) النظم الاسلامية ، ص ٢٤٨ .
(٣) الحضارة الأموية العربية في دمشق ، ص ٢٤٥ .
(٤) الكامل في التاريخ ،جـ ٣ ،ص ٤٠٤ .

فارعة [١].وكان معاوية يسترضي بني هاشم وأشرافها،ويصلهم بالجوائز والصلات[٢]،فقد ورد أنه وصل عقيل بن أبي طالب بمائة ألف[٣]، كما وهب الحسن بن علي مائة ألف درهم في كل عام[٤]،وكان لعبد الله ابن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ويقضي له مائة حاجة[٥]،كما كان يصل العباس بن جعفر بن أبي طالب وعبدالله بن عباس بألف ألف درهم[٦]،وكان اذا وجد لوما من بعض أهله على اسرافه في العطاء للعلويين والهاشميين أجابهم أن الحرب تستلزم نفقات أكثر من هذا العطاء[٧].ومن كثرة بذله وعطائه أنه كان يجلس في أيام الأعياد فيضع الموائد ويبدر[٨]بدر الدراهم للناس[٩].

وكان معاوية حريصا على تنظيم أمور ديوان العطاء بعد أن استقرت الأوضاع لديه،سواء كان في عاصمة الخلافة أو في الولايات الاسلامية التابعة للخلافة،فاذا كان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه،قد ثبت العطاء في سجلات رسمية حسب اسلام المرء ونسبه وقرابته من رسول الله،صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) عمر أبو النصر،الحضارة الأموية العربية في دمشق ،ص ٢٤٥ .

(٢) ابن طباطبا ،المعروف بابن الطقطقي،كتاب الفخري في الآداب السلطانية ، مطبعة الموسوعات ،مصر ،١٣١٧هـ ، ص ٩٥ .

(٣) السيوطي،المصدر السابق،ص ٣٣٣،- وقد ذكرها ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، تحقيق طه الزيني،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت ،ج١،ص ٧٦،بأنها ثلاثمائة ألف دينار.

(٤) ابن عساكر،تهذيب تاريخ دمشق ،ج٤،ص ٢٠٣ .

(٥) ابن كثير،المصدر السابق،ج٨،ص ١٣٧،كذلك انظر الى صلات وجوائز معاويه مع بني هاشم وأخبارهم في نفس الصفحة .

(٦) الثعالبي،لطائف المعارف ،تحقيق ابراهيم الأبياري،وحسن كامل الصيرفي ، دار احياء الكتب العربية ،عيسى البابي الحلبي،القاهرة ،ص ٢١ .

(٧) محمد كرد علي، الادارة الاسلامية في عز العرب ،ص ٧٨ .

(٨) يبدر: بدر الى فلان بالشيء أي عاجله به ،والبدرة : كيس فيه مقدار من المال يتعامل به ويقدم في العطايا : المعجم الوسيط ،المجلد الأول،ص ٤٣.

(٩) البيهقي ، المحاسن والمساويء ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م ، ص ٤٧٤ .

حتى لا يسقط أحد من العطاء ، وأقر ذلك في الولايات الاسلامية ، وترك كل ولاية تنظم أمور دخلها وخرجها وفق الأنظمة التي كانت تسير عليها أيام الفرس والروم لمعرفة أهل البلاد بذلك التنظيم ، فان معاوية ترك هذه الأمور وفق ما أقرها عمر بن الخطاب(١)، ولكنه زاد عليها بتنظيم ديوان الخاتم ، وهو تثبيت مراسلات الخليفة في سجلات مدونة ، فيها كل أمر يصدر من الخليفة ينسخ في تلك السجلات ، ثم تحزم تلك الرسالة (الأمر) بخيط وتختم بالشمع ، ثم تختم بختم صاحب الديوان ، وكانت قبل ذلك ترسل الأوامر الى الجهة المرسلة اليها من غير ختم ، الا أن معاوية رأى أنه من الصواب أن تحفظ أوامر الخليفة بطريقة سرية ، وترسل الى الجهات المختصة دون تعريضها للتبديل والتزوير ، فأنشأ الديوان وأسند مهمته الى القاضي عبد الله بن محصن الحميري(٢).

ومن أسباب انشاء هذا الديوان ، أن معاوية أمر لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم لمعونته وقضاء دينه ،وكتب بذلك الى زياد واليه على العراق،ففض عمرو الكتاب وجعل المائة مائتين ، فلما رفع زياد حسابه ،أنكرها معاوية ، فأمر بحبسه واعادة المال منه ،وأصدر أمره بانشاء ديوان الخاتم(٣).

ونستنتج من هذا أن معاوية كان يحاسب عماله في الولايات بدقة على المصروفات التي كانت تصرف والعطاءات التي كان يأمر بها ، هذا من جهة ،

---

(١) عبد العزيز السلومي ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٢) الجهشياري ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٣) الجهشياري ، المصدر نفسه ، ص ٢٤،٢٥ ،ـ وقد أشار فرج الهوني الى أن الختم كان معروفا منذ زمن الرسول،صلى الله عليه وسلم،أما الديوان ، فهو نظام فارسي استفاد منه معاوية،خاصة ديوان الخاتم في العراق الذي نظم بدقة في ولاية أخيه زياد، التي استمرت اثنى عشر عاما . (المرجع السابق ، ص ١٩٧،١٩٨) .

ومن جهة أخرى فحبسه ومعاقبته لعمرو بن الزبير قد قصد منه أن يكون زجرا لمن تسول له نفسه تزوير أوامر الخليفة • وقد عرف معاوية منذ بداية عهده أهمية الجيش وخاصة جيش الشام البري والبحري وضخامته ،والذي كان يعتمد عليه اعتمادا كليا لمواجهة أخطار الروم وغزواتهم على الدولة الاسلامية [(١)]، وبذلك فقد تطلب هذا الجيش نفقات عظيمة [(٢)].

الا أن معاوية قد فاضل بين مكانة أهل الشام في البداية من عهده ، حيث كان للمينيين منزلة خاصة لديه منذ انتصاره في معركة "ذات الصواري" ، فاعتمد على العصبية اليمنية وجعل منها فرقة خاصة عقب خلافته وزاد في عطائهم الى الضعف ، كما تقرب من العناصر المتنصرة من بقايا الغساسنة ، فتزوج من ميسون بنت بحدل أم يزيد [(٣)]،ولكن الأمر لم يستمر لليمنية ،فقد أصبحت قوة لا يستهان بها ، وبدأوا يمنون على معاوية بقوتهم ونصرتهم له [(٤)] ، حتى بلغه أن رجلا من اليمنية قال يوما : (لهممت أن لا أحل حبوتي [(٥)] حتى أخرج كل نزاري بالشام ، فلما بلغت معاوية فرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى جندف [(٦)]ـ وكان لا يفرض الا لليمن [(٧)]ـ) ،كما سأل عن مسكين

(١) انظر في تقوية معاوية للأسطول البحري :
ـ ابراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٨١ ومايليها •

(٢) فتحية النبراوي،المرجع السابق ،ص ١٥٠ •

(٣) السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الاسلام حتى سقوط الدولة الأموية ، ص ٣٢٤ •

(٤) عمر أبو النصر،الحضارة الأموية العربية في دمشق ،ص ٢٤٥ •

(٥) الحبوه : (أحل فلان حبوته) مايحتبى من الثوب وغيره ،ـ ابراهيم أنيس ، المعجم الوسيط،دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ،الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ،مجلد ١ ، ص ١٥٤ •

(٦) لم أجد في بطون قبائل العرب اسم (جندف) ولكن ربما هي(جندع) بطن من بطون همدان : والجندع في أصل اللغة واحد الجنادع وهي أخشاف الضبا ، وقيل (جنادب) تكون في حجرة البرابيع والضباب :
ـ أنظر في ذلك : محمد أمين البغدادي السويدي/كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، ص ٧٩ •

(٧) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٥ ، ص ٣٠٣ •

الدارمي الشاعر ـ وكان قد سأل معاوية أن يفرض له فأبى عليه ـ ففرض له في شرف العطاء هو وأربعة آلاف من قومه من جندف ، وقرب القيسية وأعطاهم مثل اليمنية وصار يغزي اليمنية البحر ويغزي بالقيسية البر(١). وقد شق ذلك على اليمنية فيما بعد فعاتبوه ،فجمع بين القبيلتين وأغزاهما معا(٢).

واهتم معاوية بالجيش والبحرية بصفة خاصة ، لما لها من أهمية في صد هجمات الروم أو غزو بلادهم ، فبنى دور السفن بالشام ،واهتم بالموانئ البحرية، وهدف من وراء ذلك ايجاد أساطيل دائمة بموانئ الشام على استعداد لدفع أي هجوم بيزنطي مفاجئ،وجمع الصناع والنجارين وأرسلهم الى عكا فأنشأ أول دار صناعة بالشام في الأردن بعكا،وكانت صناعة السفن قبل ذلك بمصر(٣)، وكانت عكا تستطيع الحصول على مايلزمها من أخشاب لبنان(٤).

وقد كانت نفس معاوية بن أبي سفيان تواقة الى ركوب البحر والغزو فيه منذ توليه امارة الشام،وفي عهد عمر بن الخطاب حاول غزو البحر،غير أن الخليفة عمر كان ضنينا بالمسلمين عن مواجهة أخطار لم يعرفوها من قبل ، وهي سلطان البحر الهائج، اضافة الى خطر الروم،فلم يسمح لمعاوية بالمجازفة

---

(١) ـ ابن عساكر ، نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ٣٠٤ .
ـ أنظر : وفيق الدقدوقي ، الجندية في عهد الدولة الأموية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٥م ، ص ١٩١ .

(٢) عمر أبو النصر ، الحضارة الأموية العربية في دمشق ، ص ٢٤٥ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٢٤ .

(٤) ـ ابراهيم العدوي ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٨٧ — ٨٨ ،
ـ عباس محمود العقاد ، معاوية بن أبي سفيان ، طبعة دار الهلال ، ص ١٢٢ .

وتمهل في الرأي بأنه لا حاجة ملحة تتطلب من المسلمين الدخول في ميدان المغامرات البحرية ، غير أنه سمح له باصلاح حال السواحل ، واقامة الحرس ، وترميم الحصون ، وترتيب المقاتلة فيها ، فاكتفى معاوية بسياسة تقوية السواحل حتى ولي الخلافة عثمان بن عفان ، فأعاد معاوية الطلب على الخليفة عثمان بغزو البحر ، وساعد معاوية على ذلك أن الخليفة أمر بمنح كل راغب في الاقامة بالمدن الساحلية اقطاعات من الأراضي يستغلها الأمر الذي ساعد على ازدياد العمران ، واقبال الناس على سكنى السواحل للتمتع بامتيازات الاقامة دون أن يأبهوا بمخاوف التعرض لاعتداءات السفن البيزنطية ، وبفضل هذه الامتيازات استطاع معاوية اعداد جيوش دائمة في المدن الساحلية للدفاع عنها ، الى جانب القوات التي كانت تخرج للغزو والاغاره ، فأتم بفضل هذه الامتيازات وبالخطة التي أحكم رسمها منذ خلافة عثمان بن عفان ، اعداد القواعد البحرية ، التي أخذ ينشيء الأساطيل فيها [١]. وقد ذكر البلاذري أن حصون الثغور الشامية قد أخليت من أهلها حين خرج هرقل ونقل أهل هذه الحصون معه فكان المسلمون اذا غزوا لم يجدوا بها أحدا ، كما ذكر أن معاوية حين غزا عمورية سنة خمس وعشرين وجد الحصون فيما بين انطاكية وطرسوس خالية فأوقف بها جماعة من أهل الشام والجزيرة وقنسرين حتى انصرف من غزوته [٢]. كما شحن ملطية بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرها فأصبحت بذلك طريق الصوائف [٣].

---

(١) ابراهيم العدوي ، مصر الاسلامية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٢) فتوح البلدان ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .

ونستنتج من ذلك أن معاوية قد جنى من تلك الخطة التي رسمها منذ خلافة عثمان بن عفان حينما استأذنه بغزو البحر وظفر منه بتصريح يبيح له غزو قبرص باعداد جيش قوي معد لمواجهة غزو البحر(١)، فكان من ذلك بدء لمعاوية بسلسلة من الانتصارات البحرية التي خاضها المسلمون في عهده (٢) .

ونشطت "حرب الثغور" ثانية بين العرب والروم في عهد معاوية(٣)، وهذا ما أوجد بالضرورة نظاما لأوضاع الجند المرابطين في هذه الثغور ، وقد سبق وأن أشرنا الى سياسة منح الاقطاعات في عهد عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، لهؤلاء المرابطين في الثغور الاسلامية ، وأن معاوية أعد جيوشا دائمة في المدن الساحلية للدفاع عن الدولة الاسلامية يساعدهم في ذلك وجود الاقطاعات الخاصة بهم، والتي منحت لهم في هذه المدن ، الى جانب القوات التي تخرج

---

(١) ابراهيم العدوي ،مصر الاسلامية ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) - عن نشاط البحرية الاسلامية فيما بعد العصر الأموي في موقعة ذات الصواري ، ومهاجمة جزيرة أرواد ، ثم في الحملات ضد القسطنطينية، أنظر :

- ابراهيم العدوي ، مصر الاسلامية ، ص ٩٩ - ١٠٠ ،
- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ،ص ٣٨٥ ومايليها ،
- عمر أبو النصر ، سيوف أمية في الحرب والادارة ، منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت ، ١٩٦٣م ، ص ١٣٧ ومايليها .

(٣) - قامت حروب بين العرب والروم عرفت باسم "حرب الثغور" وكانت مناطق الثغور خالية من الناس الا من الجراجمة النصارى الذي كان ولاؤهم يتذبذب بين العرب والروم حسب ماتمليه مصالحهم،وقد وضع العرب نظاما لحرب الثغور يتلخص بأنه كانت تخرج بانتظام حملات سنوية من سورية على بلاد الروم بدءا من العام ٢٩هـ تعرف باسم الشواتي والصوائف ، وقد انقطعت هذه الحملات بسبب الأوضاع الداخلية ،ثم استؤنفت في عام ٤٢هـ في عهد معاوية بن أبي سفيان ، (نبيه عاقل ، المرجع السابق ، ص ٨٤ - ٨٥) .

للغزو والاغارات ، كما دأب معاوية على أخذ أرض كل من يتخلف عن الغزو ، واعطائها للجند المقيم على حراسة السواحل أثناء الخروج للاغارة [١]، فقد كان معاوية حريصا على النفقات حكيما في التصرف كما عرف عنه بحيث لم يجعل العطاء في غير محله ، فقد ذكر ابن عساكر : (كان يفضل في زمان معاوية أربعمائة ألف دينار من مال دمشق خاصة بعد صرف ما لابد من صرفه في ديوان الجند والولاة وأرزاق الفقهاء والمؤذنين والقضاة) [٢]. وكان من سياسة معاوية في تنظيم العطاء أن يوصي القضاة بتنفيذ الأحكام وأخذ المغارم من العطاء ، فكان الرجل اذا جرح فيؤخذ قصاصة من أقارب الجارح فيرفعها القاضي الى صاحب الديوان ، فاذا حضر العطاء اقتضى من أعطيات الجارح ما وجب للمجروح ، ويوزع على مدة ثلاث سنين [٣].

وكانت الجابية مقر البعوث والحملات العسكرية في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومركزا لقبض العطاء واقامة البعوث من أرض دمشق ، ثم نقلهم معاوية بن أبي سفيان الى معسكر دابق لقربه من الثغور وقد أشار صالح العلي الى نقل معاوية مقر البعوث من الجابية الى دابق بقوله : (ان هذا النص [٤] صريح بأن مركز تجمع البعوث للحملات العسكرية ومكان توزيع العطاء على المقاتله في بلاد الشام كان الجابية . والواقع أن المعلومات الواردة في المصادر الأخرى تؤيد أن الجابية كانت مركزا مهما ، فقد قدمها عمر بن

---

(١) ابراهيم العدوي ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٨٥ .

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(٣) محمد كرد علي ، الادارة الاسلامية في عز العرب ، ص ٧٧ .

(٤) صالح أحمد العلي ، امتداد العرب في صدر الاسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ٧٤ ، (يعتمد صالح أحمد العلي في ايراد هذه المعلومة على نص ابن عساكر "تاريخ دمشق" ، ج٢ ، ص ١١٩ ، عن الجابية وأن الناس كانوا يجتمعون بها لقبض العطاء واقامة البعوث) .

الخطاب في سنة ١٨هـ ، وفي خلال بقائه فيها صالح أهل ايلياء ، وبعث خالد بن مالك الفهمي الى القدس ، وجمع الولاة وحاسبهم ، ونظم قسمة الأراضي ، وأعلن عن تنظيم العطاء ، أما دابق فانه توجد اشارات غير قليلة في المصادر الى أنها كانت ابان العهد الأموي مركزا لتجميع الجيوش التي تنطلق لغزو الروم ، وليس من المستبعد أن يتم فيها توزيع العطاء على المشاركين في الحملات ، ولكن هذا لا يعني أن هذين البلدين كانا المركز الموحد لادارة المالية في كل بلاد الشام) (١).

وقد ذكر ابن عساكر أن عمر بن الخطاب قدم الى الجابيه سنة ١٦هـ، ثم عاد اليها سنة ١٨هـ ، وأن المسلمين اجتمعوا اليه ،ودفع اليه أمراء الأجناد ما اجتمع عندهم من الأموال ، فجند ومصّر الأمصار ، ثم فرض الأعطية والأرزاق وقفل راجعا الى المدينة (٢)، وهذا يعني أن ذلك التوزيع وتمصير المدن بعد فتح ايلياء قد غير الوضع في مقر توزيع العطاء ، حسب المقرات التي تتجمع بها الجيوش الاسلامية .

وقد ورد في سيرة ابنه يزيد بن معاوية أنه طلب من أبيه أن يزيد في عطاء أهل الشام كل رجل عشرة دنانير (٣)،ولما تولى الخلافة اقتدى بأبيه في

---

(١) صالح العلي ، المرجع نفسه ، ص ٧٤ .

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ،ص ١٧٥ — ١٧٦ .

(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٦ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٢٧ ، الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٢١ ، — طلب يزيد من والده حينما سأله حاجته فقال : (حاجتي أن تعتقني من النار لأن من ولي أمر الأمة ثلاثة أيام أعتقه الله من النار فتعقد لي العهد بعدك ، وتوليني العام الصائفة ، وتأذن لي في الحج اذا رجعت ، وتوليني الموسم ، وتزيد لأهل الشام كل رجل عشرة دنانير ، وتفرض لأيتام بني جمح وبني سهم وبني عدي لأنهم خلفائي ، فقال معاوية قد فعلت .. (ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٦) .

زيادة العطاء لجنده [١]،ويذكر أنه زاد في عطاء كل جندي كان على استعداد للسير الى مكة والمدينة لمواجهة ثورة أهلها ولمواجهة عبد الله بن الزبير الذي كان قد نادى بخلافته في مكة وكان عددهم اثنى عشر ألفا - فأخذ كل جندي مائة دينار سلمت له في حينها، اضافة الى أخذ أعطياتهم كاملة [٢].

كما كان يستميل بني هاشم ، فقد ذكر ابن كثير أنه ضاعف عطاء عبد الله بن جعفر (الجواد) ألفي ألف درهم وقد كان عطاؤه في عهد معاوية ألف ألف [٣].

أما الموالي الذين لم يفرق عمر بن الخطاب بينهم وبين العرب وفرض لهم في العطاء [٤]، فقد فرض معاوية لما آلت اليه الخلافة للواحد منهم خمسة عشر دينارا ، وزادها عبد الملك فصارت عشرين دينارا [٥].

وكان عبد الملك بن مروان يعطي أهل الشام بسخاء ليضمن تأييدهم له [٦]. وقد ذكر محمد أمين صالح : (أن الدولة الأموية قد ميزت أهل الشام في العطاء دون غيرهم من العرب في العراق ،فقد زاد معاوية أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل في عطائه [٧]،ولجأ خصوم الدولة الأموية مثل المختار وعبد الله بن الزبير الى رفع عطاء أهل العراق لاستمالتهم،فقد زاد مصعب بن الزبير الناس في العطاء مائة درهم [٨]،ولكن الحجاج - بعد القضاء على مصعب - رد هذه الزيادة، مما أدى الى ثورة عبد الله بن الجارود ضده فقضى الحجاج عليه وعلى

---

(١) المسعودي،مروج الذهب ،ج ٢ ، ص ٥٢ .

(٢) الطبري،تاريخ الرسل والملوك ،ج ٥ ، ص ٤٧٤ ، ص ٤٨٣ .

(٣) البداية والنهاية ،ج ٩ ، ص ٣٣ .

(٤) البلاذري ،المصدر السابق ، ص ٤٤٤ .

(٥) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ،ص ٧٢ - محمد زينهم محمد عزب ،المرجع السابق ،ص ١١٠ .

(٦) عصام الدين عبد الرؤوف ،المرجع نفسه ،ص ٧٤ .

(٧) أنظر : - ابن كثير ،البداية والنهاية ،ج ٨ ،ص ٢٢٧ ،
- ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج ٤ ،ص ١٢٦.

(٨) - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ،ج ٦ ،ص ٢١١ ،
- مقدمة ابن خلدون ، ص ٩٥ .

أصحابه ،وأثناء ثورة ابن الأشعث وعد الخليفة عبد الملك بن مروان أهل العراق أن يجعل عطاءهم مساويا لعطاء أهل الشام ، ولكنه لم يبر بوعده بعد أن قضى على هذه الثورة بواسطة جند الشام)(١).

وكان عمر بن الخطاب قد فرض للمولود في العطاء ، الا أن عبد الملك بن مروان قطع هذا العطاء الا عمن شاء(٢)، ثم استمر صرفها بعد ذلك في عهد عمر بن عبد العزيز ، فقد ذكر البلاذري أن شجاع الجذوري قال : (ان عمر بن عبد العزيز أثبته في العطاء وهو فطيم في عشرة دنانير)(٣).

وعلى الرغم من وصف بعض الشعراء لعبد الملك بالبخل وعدم اعطائهم كباقي الخلفاء الأمويين ، الا أنه زاد في عطاء الشعبي وهو أحد الشعراء في ذلك الوقت ألفين ، وكذلك في عطاء عشرين رجلا من أهل بيته ألفين ألفين(٤).

ولم يكن الوليد بن عبد الملك أقل سخاء ممن سبقه من الخلفاء الأمويين من حيث العطاء ، فقد زاد في عطاء حارثة بن بدر حتى بلغ ألفي دينار - وهو أحد أهل البصرة ممن حارب وقاتل وأفسد في الأرض في زمن علي بن أبي طالب ثم تاب في عهد علي(٥)- ، وكان يرسل عماله الى الولايات ليقسم العطاء فيهم ،فمن ذلك ارساله ابراهيم بن شمر من دمشق الى بيت المقدس ليقسم في الناس العطاء حرصا على وصوله في أوقاته(٦)، فقد كان العطاء يصرف لجند الشام في أول السنة الهجرية(٧)، كما كان الوليد يوزع العطاء في

---

(١) محمد أمين صالح ، النظام المالي والاقتصادي في الاسلام ،مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ١٢٢ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٤٥ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) الأصفهاني ، المصدر السابق ،ج٩ ،ص ١٧١ .

(٥) - أنظر قصته مع علي بن أبي طالب وزمن الوليد بن عبد الملك ، - ابن عساكر،تهذيب تاريخ دمشق ،ج٣،ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

(٦) ابن عساكر ، المصدر نفسه ،ج٢،ص ٢١٨ .

(٧) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٧٤ ،

الصالحين،ويخرج الأموال لعطايا الناس وكسوتهم،كما زاد في عطاء الشاميين ، خاصة عشرة عشرة،وزاد أهل بيته في جوائزهم الضعف ، وكان عصر الوليد ابن عبد الملك عصر رخاء وازدهار بكثرة الفتوحات والأموال فليس مستبعدا على أي حاكم أن يوسع في الرزق على شعبه بصفة عامة طالما أن هناك زيادة في الخيرات ، وأجرى الأرزاق على القراء وقوام المساجد والعجزة ، وكان يهب أكياس الدراهم تفرق في الصالحين(١)، ومع هذا نجده يحصى أهل الديوان ويلغي منهم قرابة عشرين ألفا(٢).

وكان بدمشق في العهد الأموي بيتان للمال ، فقد كان هناك بيت مال عام،وبيت مال خاص بدمشق ، فالأول هو خزانة الدولة ، ويقوم في المسجد الجامع ، والثاني خزانة الخليفة تدخلها أنواع معينة من الأموال ، وقد حرص الخلفاء الأمويون على الفصل بين بيت المال وبيت مال الخليفة الخاص ، وكان لعبد الملك بن مروان بيت مال خاص لا يدخله الا ما أحل له من المال لم يظلم فيه مسلم ولا معاهد، وكان يغطي منه سائر نفقاته الخاصة ، وكانت الأموال التي يأخذها الخليفة لنفسه من بيت المال العام تعتبر قرضا ينبغي سداده (٣).

= - وقد ذكر البلاذري في كتابه انساب الأشراف ،تحقيق احسان عباس ، دار النشر فرانتس شتاينر بفسبادن ، المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م ،القسم الرابع ،الجزء الأول،ص ٢١٩،(أن زياد بن أبيه اذا أهل هلال المحرم أخرج للمقاتلة أعطياتهم،واذا رأى هلال شهر رمضان أخرج للذرية أرزاقهم) .

- ولما كان عمر بن الخطاب قد فرض لكل انسان وعائلته جريبتين من الحنطة [illegible]،فربما كان زياد يصرف لهم المؤونة سنويا في أول شهر [illegible] المعروف أن الأرزاق تصرف كل شهر .

- [illegible]خسري ، المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(١) - ابن [illegible] الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٦٨ ،

- ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١١٨ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٧٥ - ٧٦ .

وفرض سليمان بن عبد الملك في عهده فرائض جديدة (١)، أما عن العطاء للأولاد في عهد سليمان بن عبد الملك، فان بعض المصادر تشير الى سياسة معينة تجاه ذلك، حيث أنه لم يكن مقررا، وخاصة للمواليد وصغار السن، ذلك أنه "عند عرض الفرض كان ابن حزم يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفعهم" (٢)، وبالتالي فقد ظل العطاء للأولاد كما أجراه عبد الملك.

كما أن سليمان بن عبد الملك كان يصل بني العباس، فيذكر أنه دخل عليه، علي بن عبد الله بن العباس، فأوسع له على سريره وأعطاه حاجته وقض عنه ديونه التي بلغت ثلاثين ألف درهم (٣).

أما عمر بن عبد العزيز فقد حاول اعادة تنظيم العطاء الى ما كان عليه في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، من حيث التقسيم والتوزيع واعطاء كل ذي حق حقه، وقد زاد في أعطيات أهل الشام عشرة دنانير (٤).

---

(١) عبد العزيز السلومي، المرجع السابق، ص ١٥٨، حيث ذكر أن سليمان بن عبد الملك حج سنة ٩٧هـ - .. وقسم لأهل المدينة قسما، وفرض لقريش خاصة أربعة آلاف فريضة لم يدخل فيها مولي ولا حليفا، ويعلق عبد العزيز السلومي على هذا بقوله: (وهذا يدل على أن عددا غير قليل من أهل المدينة لم يكن لهم عطاء ثابت، فاذا كانت قريش وحدها فيها أربعة آلاف ليس لهم فرائض في الديوان، فان من المحتمل أن تكون أعداد من ليس لهم عطاء من سكان المدينة أكثر من ذلك) وقد جعلوا هذا العطاء في حلفائهم ومواليهم، فزادهم أربعة آلاف أخرى.
- ومعنى هذا أن العطاء الثابت كان معلوما في حاضرة الخلافة وماحولها، أما الولايات البعيدة، فقد سقط من ديوان العطاء كثير من الناس.

(٢) عبد العزيز السلومي، المرجع نفسه، ص ١٥٩ ..

(٣) مؤلف من القرن الثالث للهجرة، أخبار الدولة العباسية، عن مخطوط فريد من مكتبة أبي حنيفة ببغداد، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، ص ١٣٩.

(٤) تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٣٠٦.

ولم يغفل عمر بن عبد العزيز عن العجزة والمحتاجين في العطاء ، فلم يجشمهم مشقة السفر وعناءه من بلدهم اليه في دار الخلافة لينالوا العطاء[١] ، ويذكر أن اسماعيل بن سفيان الدعيني الحجري - الأعمى المصري - قدم على عمر بن عبد العزيز بعد ولايته خناصرة أو دابق ... قال : (كنت أخرج الى الوليد وسليمان بن عبد الملك فيعطياني ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز خرجت اليه وكنت على الباب الذي يخرج منه ، فرفعت صوتي بالقرآن ، فأرسل الي : ممن أنت؟ قلت : من أهل مصر ، قال : ماحملك الينا ،قلت : اني كنت أخرج الى الوليد وسليمن بن عبد الملك فأصيب منهما ، قال : أترى أنا كنا غافلين عنك وعن أشباهك وأنت في بلدك ومنزلك . فأعطاني حمولتي الى مصر وأمرني بالانصراف)[٢].

كما كان يكرم الموالي ويجعلهم في الرزق والعطاء سوية مع العرب[٣]،كما أعاد سنة توريث العطاء للذرية[٤]،ويروي لنا الطبري قائلا : (ألحق عمر بن عبد العزيز ذراري الرجال في العطايا ، أقرع بينهم ، فمن أصابته القرعة جعله في المائة ،ومن لم تصبه جعله في الأربعين،وقسم على الفقراء ثلاثة دراهم وأعطى للمسنين خمسين خمسين وأراه رزق الفطيم)[٥]. وبهذا نجد أن

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٥٧٠ .

(٢) ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، مخطوط ، دار الكتب ، القاهرة ، ورقة رقم ٥٢ .

(٣) فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٤٧ .

(٥) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٥٦٩ .

عمر بن عبد العزيز أعاد سنة عمر بن الخطاب في صرف العطاء للمواليد محيدا بذلك عن السياسة التي اتبعها من سبقه من خلفاء بني أمية في قطع العطاء عنهم ، فذكر مروان بن شجاع الجزري قائلا : (أثبتني عمر بن عبد العزيز وأنا فطيم في عشرة دنانير)(١).

أما عن عطائه على الشرف فهي سنة استنها عمر بن الخطاب حيث أنه كان من رأيه التفضيل على السوابق والغناء في الاسلام ، فهو الذي فضل في العطاء العباس بن عبد المطلب لشرفه ، وزوجات الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لقربهن منه ومحبته لهن ، ورفع عطاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وجعله مثل عطاء أبيهما لشرفهما من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم (٢) ، وقد سار خلفاء بني أمية على السنة التي استنها ، ومنهم عمر بن عبد العزيز الذي فرض لرجال في شرف العطاء في ألفين ألفين(٣). ولم يحرم الشعراء حقهم من العطاء الا أعشى بني تغلب لأنه كان نصرانيا(٤).

كما كان يزيد في عطاء الخطباء ، فقد زاد في عطاء حميد بن زياد عشرة دنانير وكان من خطباء دمشق(٥)، وكان يعطي الفقهاء والزهاد عطاء كبيرا ، فأعطى جماعة نصبوا أنفسهم للفقه في المساجد فأعطاهم مائة دينار اضافة الى ما يصرف لهم من بيت مال المسلمين(٦).

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٤٥ .
(٢) خالد جاسم الجنابي ، المرجع السابق ، ص ٩٧ .
(٣) خالد جاسم الجنابي ، المرجع نفسه ، ص ٩٨ .
(٤) - الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٩٩ ،
- ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، لابن عساكر ، ج ٨ ، ص ٢٩٢ .
(٥) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٤ ، ص ٤٦٤ .
(٦) محمد كرد علي ، الادارة الاسلامية في عز العرب ، ص ١٠٧ .

وعلى الرغم من التنظيمات المالية التي أحدثها عمر بن عبد العزيز في الدولة الأموية خلال فترة خلافته ، الا أن تلك الفترة قد أصابها نوع من الاضطراب المالي ، وذلك بسبب توقف الفتوح الاسلامية من ناحية ، وبسبب تنظيماته المالية من ناحية أخرى والتي لم يتح لها الوقت الكافي لتؤتي ثمارها بسبب قصر مدة خلافته (١).

أما في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فقد خالف سياسة الاصلاح المالي التي سار عليها عمر بن عبد العزيز ، وأعاد الأوضاع الى ما كانت عليه قبل خلافة عمر بن عبد العزيز في شئون المال والعطاء (٢)، غير أنه يلاحظ أنه كان يتقرب الى رجال الدين ، فكان يجري على رجاء بن حيوة ثلاثين دينارا (٣)، وقد خصص يزيد بن عبد الملك رواتب لثلاثة آلاف رجل في عمان ليكونوا على استعداد للخدمة عند استدعائهم (٤).

---

(١) - عن التنظيمات المالية في عهد عمر بن عبد العزيز أنظر :
- عمر أبو النصر ،الحضارة الأموية العربية في دمشق ،ص ٢٥١ ومايليها ،
- وأنظر أيضا فيما بعد الفصل الخامس من هذا البحث .

(٢) يوسف العش ،الدولة الأموية "والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان"،دار الفكر،دمشق،الطبعة الثانية،١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م،ص ٢٨٢.

(٣) ابن منظور،المصدر السابق،جـ٨،ص ٣١٤ .
وقد ذكر ابن منظور : (أنه لما تولى هشام بن عبد الملك قطعها عنه فرأى هشام أباه في المنام فعاتبه على ذلك فأجرى عليه ماكان قطع) ، وكان لرجاء بن حيوه منزلة كبيرة لدى سليمان بن عبد الملك ،وعمر بن عبد العزيز،وقد عرفه الزركلي في كتابه الأعلام ،جـ٣،ص ١٧،بأنه شيخ أهل الشام في عصره ،من الوعاظ العظماء العلماء،كان ملازما لعمر بن عبد العزيز ، في عهدي الامارة والخلافة،واستكتبه سليمان بن عبد الملك وهو الذي أشار على سليمان باستخلاف عمر .

(٤) وفيق الدقدوقي، المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

ولما تولى الخلافة هشام بن عبد الملك أعاد هدايا النيروز(١) والمهرجان التي أوقفها عمر بن عبد العزيز ليضمن زيادة مدخولات الدولة(٢)، وزاد في عطاء العرب باعتبارهم عماد الجيش الأموي ، وكذلك في عطاء الموالي الذين بلغ عطاؤهم في عهده ثلاثين دينارا ، ومنهم جند بعلبك وانطاكية ، كما جعل الشرف الأعلى في العطاء مائتي دينار(٣).

واذا كان هشام بن عبد الملك لم يكن زاهدا في أموال الدنيا كما كان عمر بن عبد العزيز ، الا أنه في نفس الوقت لم يكن سخيا فائض السخاء كخلفائه الذين سبقوه ، فقد وصف بالبخل ، ومن الأمثلة على ذلك أنه رفض أن يضيف عشرة دنانير الى عطاء أحد مواليه الذي أسدى اليه خدمة في مضاعفة محصولات ضيعة له تعهدها وعني بزراعتها(٤)، كما كان يفرض لبعض الشعراء

---

(١) كان العرب يعرفون عيد النيروز وعيد المهرجان منذ قديم الزمان ، حيث كان النيروز وهو تعريب (نوروز) أعظم أعياد الفرس ، ومعناه (اليوم الجديد)، وقيل أن من أسباب اتخاذهم هذا اليوم عيدا أنهم يعتبرونه أول يوم من أيام الزمان الذي ابتدأ فيه الفلك بالدوران ، ومدته ستة أيام . وكان من عادات ملوك الفرس أن يدخل عليهم الناس بالهدايا وماتنبته الأرض من خيرات . كما كان لقبط مصر أيضا عيد يسمونه النيروز يتخذونه في رأس سنتهم الجديدة .
أما المهرجان فوقوعه في السادس والعشرين من (تشرين الأول) ويكون أوان وسط زمان الخريف وهو ستة أيام واليوم الثالث منه هو يوم المهرجان الأكبر) .
(الألوسي : بلوغ الأرب ، جـ ١ ، ص ٣٤٨ - ٣٥٢) .
فلما جاء الاسلام أبطل هذه الأيام .

(٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ،ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي،دار العلم للملايين،بيروت ،الطبعة السابعة،١٩٧٧م ،ص ١٤٤ .

(٣) عبد المجيد محمد صالح الكبيسي ،عصر هشام بن عبد الملك ، مطبعة سلمان الأعظمي ، بغداد ، ١٩٧٥م ، ص ٣٤١ .

(٤) الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٢٠٣ .

خشية ألسنتهم في هجائه [١]،كما ذكره الطبري بقوله : (ولم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء الا وعليه الغزو ، فمنهم من يغزو ، ومنهم من يخرج بدلا ، وكان يخرج عن هشام مولى له يقال له يعقوب) [٢].

ومن أمثلة ذلك أنه حبس العطاء عن أهل مكة والمدينة لمدة عام كامل بعد خروج زيد بن علي بن زين العابدين عليه [٣].

غير أن الأوضاع المستقرة التي وجدت في الشام من حيث الدخل والخرج طوال الفترة السابقة قد بدأت تظهر عليها بوادر الخلل والضعف ، هذا الخلل ليس أساسه الاصلاحات المالية لعمر بن عبد العزيز ، ولكن الخلل والضعف استشرى في عصب الدولة الأموية بفساد عمالها ، وأخذ الحقوق من غير محلها ،وأول بوادر هذا الخلل كانت قد ظهرت في عهد عبد الملك بن مروان ، حين جعل الحجاج — واليه على العراق — دفع الجزية على من أسلم بحجة أنهم لم يسلموا الا هروبا من دفعها [٤]. أضف الى ذلك قلة الفتوح بعد عصر الوليد بن عبد الملك الذي ازدهر عصره بفتوحات الشرق والغرب ، وما آل الى الدولة من هذه الفتوحات من

---

(١) عبد المجيد محمد صالح الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .
(٢) تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٠٢ .
(٣) عبد المجيد محمد صالح الكبيسي ، المرجع نفسه ، ص ٣٤٦ .
(٤) — الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٥٤ — ٥٥ ،
— ابراهيم فؤاد أحمد علي ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ ،
— وعن عدم رفع الأمويين بصفة عامة الجزية عمن أسلم أنظر :
— عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص ٧١ ،
— محمد كرد علي ، الادارة الاسلامية في عز العرب ، ص ١١٤ .

أموال وكنوز تلك البلاد(١) ، كذلك اضطراب الموالي ومطالبتهم بالمساواة في حقوقهم مع العرب ، وتعدد الثورات الداخلية في الولايات(٢).

وكان أغلب العطاء يمنح للعرب في أقاليم الدولة باعتبارهم عماد الجيش الأموي ، كما كانت طائفة من الموالي تأخذ العطاء ، وقد زاد هشام في عطائهم في بعض مناطق بلاد الشام خمسة دنانير ، فأصبح عطاء الموالي من أهل بعلبك وانطاكية في زمنه ثلاثين دينارا(٣).

وظهرت قوة المفاضلة بين القيسية واليمنية في عهد هشام بن عبد الملك(٤) ، فقد كان ولاته لا يستقرون في صرف العطاء ومقداره بين القبيلتين كل حسب الجهة التي ينتمي اليها ، كما حدث ذلك في ثورة الحارث بن سريج(٥).

---

(١) سيتم التحدث عن الفتوحات في نقطة أخرى من هذا الفصل .

(٢) محمد الطيب النجار ، الدولة الأموية في المشرق ، دار العلوم للطباعة ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص ١٣٨ ومابعدها .

(٣) عبد المجيد محمد صالح الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

(٤) فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ٢٦١ ومايليها .

(٥) الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٩٧ ،
وتتلخص هذه الثورة كالتالي : (قامت ثورة الحارث بن سريج سنة ١١٦هـ حيث كان يدعو للكتاب والسنة والمساواة بين العرب والموالي ، ونادى باسقاط الجزية عمن أسلم ، واشراك الموالي في العطاء ، لذا عرفت بأنها ثورة عربية لانصاف الأعاجم قامت في خراسان ، وانضم اليه عدد كبير من الموالي ، الا أن هذه الثورة استمرت فترة طويلة ، واتصفت بالتعصب بين اليمنية والمضريه ، وانتهت بمقتل الحارث بن سريج سنة ١٢٨ هـ ، وهدمت اليمنية دور المضريه ، لتصفو مرو قاعدة خراسان من تلك الخلافات .
عن ذلك أنظر : ثريا حافظ عرفه ، الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول ، تهامه للنشر والاعلان ، جده ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ٣٨ .

كما قطع هشام الأرزاق والعطاء عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك ــ وهو ولي العهد ــ حين بلغه عنه أمور لا تصح أن تكون في أخلاق من يعد لخلافة الأمة الاسلامية ، حيث بلغ هشاما أخبار عن ولي العهد الصغير السن تسيء الى سمعته كولي للعهد ، فأراد أن يعيده الى صوابه ، ولكنه لم يرتدع ، لذا أراد منه هشام أن يتنازل عن ولاية العهد ليوليها لابنه مسلمة بن هشام ، فرفض هذا الأمر ، فقطع هشام عن الوليد ماكان يجري عليه ، فخرج الوليد بن يزيد ومعه أناس من خاصته ومواليه وانقطع بالبرية بالأردن الى وفاة هشام (١).

كما أمر هشام بأن يعطى العطاء للمقاتلة فقط ، وأن لا يعطاه أحد من الأشراف أو رجال البيت الأموي المالك الا اذا كان في صفوف المقاتلة ،وكانت قد درجت عادة بعض الذين كانوا متسلمين للأمور في زمن أسلافه أن يمنحوا العطاء لا للمقاتلة فقط ، ولكن للمتنفذين وذوي الجاه والسلطان ، دون أن يكون لهؤلاء أي أثر يذكر في الجهاد الذي شرع العطاء من أجله (٢).

وكان هشام حريصا كل الحرص على الأموال والنفقات حتى وصف بالبخل،ومع هذا نجد من أنصفه ووصفه بالحرص على أموال الدولة ،فقد كان لا يدخل بيت ماله مال ،حتى يشهد أربعون شاهدا أن كل ذي حق قد أخذ حقه (٣)، كما وصف ديوانه أنه من أصح وأصلح الدواوين العامة (٤).

وما أن بلغ الوليد بن يزيد خبر وفاة هشام الا وبعث بكاتبه عياض بن مسلم وأمره باقفال خزائن أموال هشام،وختم أبوابها (٥)،كما أمر الوليد

---

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج ٥ ،ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥ .

(٢) نبيه عاقل ،المرجع السابق ،ص ٣٢٣ .

(٣) ــ القرماني ، أخبار الدول وآثار الأول ،ص ١٤٢ .
ــ وفيق الدقدوقي ،المرجع السابق ،ص ١٩٥ .

(٤) ابن الأثير ،المصدر السابق ،ج ٥ ،ص ٢٦٥ .

(٥) الطبري ،المصدر السابق ،ج ٧ ،ص ٢١٥ .

بن يزيد أن تحصى أموال هشام وولده في الرصافة ،وأن يحصى مافي بيت المال ، فوجد به أموالا كثيرة (١).

هذا ويذكر أن هذه الأموال قد ادخرها هشام بن عبد الملك ، فأراد الوليد بن يزيد أن يوسع بها على الناس ، وأن يبدأ حكمه كمن سبقه من الخلفاء الأمويين بزيادة العطاء ، فأمر للناس بزيادة الأعطيات بمقدار عشرة دراهم ، ولجند الشام خاصة عشرين درهما (٢)، وزاد أهل بيته الذين وفدوا للبيعة في جوائزهم الضعف(٣)، كما أمر باجراء الأرزاق على المسنين والعميان،(٤) وزاد في أعطيات أهل مكة والمدينة ، التي قطعها هشام بن عبد الملك وكتب يقول :

محرمكم ديوانكم وعطاؤكم
به يكتب الكتاب شهرا وتطبع (٥)

فيبدو أنه حدد الموعد بأنه شهر محرم الذي استن فيه توزيع العطاء عمر بن الخطاب ، وسار عليه الخلفاء الراشدون والأمويون(٦). كما أراد الوليد بن يزيد أن يوطد عصره بمدح المادحين له من الشعراء(٧)، وكانت مضاعفة العطاء

---

(١) - ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج ٥ ،ص ٩٦ ،
- فرج الهوني ،المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .
(٢) الطبري ، المصدر السابق ،ج ٧ ، ص ٢١٧ .
(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٦٨ .
(٤) السيوطي ، المصدر السابق ، ص ٣٩٩ .
(٥) ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج ٥ ،ص ٢٦٨ ،
أنظر أيضا : الخزاعي التلمساني ،كتاب تخريج الدلالات السمعية ،ص ٢٤٣ .
(٦) عبد الله السيف ، المرجع السابق ، ص ١٩٢ .
(٧) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١١١ .

والمنح لأهل بيته بأمل كسب رضا الأهل والمؤيدين له ، والتغاضي عن بعض ما اقترفه في حياته ، الا أنه عاقب كل من أيد هشام بن عبد الملك في البيعة لابنه مسلمة ، وانحاز للعصبية المضرية ضد اليمنية (١).

هذا وقد أثر سلوكه في سياسته الادارية والمالية ، فلم يتمكن من اجراء أي اصلاحات في مجال الادارة والمال ، ذلك لأن الناس نفروا منه وابتعدوا عنه ، حيث أنه أقدم على عزل ولاة هشام ، وضرب سليمان بن هشام ونفاه الى عمان(٢)، اضافة الى بعض الثورات الداخلية من ناحية (٣)، كما أن الدعوة العباسية قد أخذت مجراها نحو تحقيق هدفها في خراسان(٤) ، فهذه الأمور وغيرها من العوامل التي أثرت على سياسة الوليد بن يزيد بن عبدالملك قد عجلت بالقضاء عليه ، فلم تنفعه عطاءاته التي زادها ، ولا صلاته وتودده للأهل ليتقرب اليهم ،وانتهى الأمر بمقتله (٥) . ففي الوقت الذي خلت فيه

---

(١) فاروق عمر ،الخليفة المقاتل"مروان بن محمد"،مطبعة دار واسط،ص ٢٨ .
(٢) فرج الهوني ،المرجع السابق ،ص ٢٧٦ .
(٣) - من هذه الثورات ثورة يحي بن زيد بن علي الذي هرب الى خراسان من العراق وهو صغير بعد مقتل والده زيد في العراق اثر حركة قام بها ضد والي العراق يوسف بن عمر في عهد هشام بن عبد الملك - أما ابنه يحي فقد أراد القيام بثورة مماثلة - وهذه الثورة هي ضمن ثورات آل البيت ضد حكم بني أميه - الا أن ثورته فشلت ،واستطاعت قوى الدولة الأموية الوقوف في وجهها وانتهت بمقتل يحي ،
- أنظر في ذلك عن الثورتين :
نبيه عاقل ، المرجع السابق ، ص ٣١٣، ٣٣٤ .
(٤) أنظر : ثريا عرفه ،المرجع السابق ،ص ٨٣ .
(٥) فرج الهوني ،المرجع السابق ،ص ٢٧٦ ،
- رمى بني أمية الوليد بن يزيد بالكفر والصفات المشينة حتى خرجوا عليه وحاصروه وقتلوه ،وكان أثناء الحصار يذكر الناس بما فعله معهم بقوله : ألم أزد في أعطياتكم؟ ألم أرفع عنكم المؤن؟ ألم أعط فقراءكم؟.

خزائن الوليد بن يزيد من كثرة الانفاق حتى نضبت الأموال ، كانت الثورات تحتاج الى جنود يؤدون عملهم مقابل العطاء ، والعطاء متوقف على من يدفع ، والجند يؤدون عملهم لمن يزيد في العطاء[١].

حوصر الوليد بن يزيد في قصره ، واستولى أنصار يزيد بن الوليد على السلاح المخزون في المسجد خارج القصر ، وكذلك على خزائن الأموال وأقفلوها بالسلاسل[٢]، وحينما هاجم أنصار يزيد بن الوليد القصر حال المدافعون عن الوليد بن يزيد الى من دفع لهم نقدا في ذلك الوقت[٣]. وليس أصعب تصورا من الموقف الذي كان يواجهه الوليد بن يزيد ، فيزيد بن الوليد كان قد أوقف عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بباب الجابية ينادي في الناس : (من له عطاء فليأت الى عطائه ، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة)[٤] ، وندب الناس للقتال ، فانتدب من الناس ألفين ، قال الأصفهاني : (ندب يزيد بن الوليد الناس الى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز بن الحجاج وكان على رأس جيشه وقال : من انتدب معه فله ألفان ، فانتدب ألفا رجل فأعطاهم)[٥] ، وكان الوليد بن يزيد ينادي في الناس يائسا ، فمن أتاه برأس رجل من مناصري يزيد بن الوليد فله خمسمائة ، فلما أتاه رجل برأس قال :

---

(١) فاروق عمر ، المرجع السابق ،ص ٢٨ ومايليها .
(٢) الطبري ،المصدر السابق ،ج ٧ ، ص ٢٤٢ .
(٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٢٤٩،
- أنظر كيف استطاع أعوان يزيد بن الوليد في استمالة المدافعين عن الوليد بن يزيد بالأعطيات الفورية والوعود القوية ، الأمر الذي كان له الأثر في هزيمة الوليد بن يزيد (الطبري ، نفس المصدر والصفحة) .
(٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٢٤٢ .
(٥) الأصفهاني ، المصدر السابق ،ج ٦ ، ص ١٣٨ .

(اكتبوا اسمه ، فقال رجل من مواليه : يا أمير المؤمنين : ليس هذا يـوم يعمل فيه بنسيئة)[1].

كسب يزيد بن الوليد المعركة بقتله الوليد بن يزيد ، وبايع له الناس في المسجد وقام خطيبا قائلا : (... ولكم أعطياتكم في كل سنة ،وأرزاقكم في كل شهر حتى يكون أقصاكم كأدناكم)[2]، غير أن وعود يزيد بن الوليد لم تتم ، فقد قام بانقاص الأعطيات التي زادها الوليد بن يزيـد ورد أعطياتهم الى ما كانت عليه أيام هشام بن عبد الملك[3]، كما قامت الاضطرابات بسبب المطالبة بدم الوليد بن يزيد[4]، غير أن خلافة يزيد بن الوليد لم تظل أكثر من ستة أشهر فتوفى في نفس السنة التي تولى فيها الخلافة[5]، وخلفه أخوه ابراهيم بن الوليد ، فخرج عليه مروان بن محمد ، فخلعه ودعا لنفسه بالخلافة[6].

وقد ذكر الطبري أنه لما دخل مروان بن محمد دمشق بعد خلعه ابراهيم بن الوليد ، هرب ابراهيم ، وانتهب جند مروان ماكان في بيت المال وقسمه فيمن كان معه من الجنود[7]، الا أن الدولة في عهده كانت في حاجة شديدة الى الأموال بسبب تدهور أحوالها ، وكثرة الفتن والثورات ، فضلا عن انتقال الدعوة العباسية الى مرحلة الحرب السافرة ضد الأمويين[8].

---

(١) الطبري،المصدر السابق،ج ٧،ص ٢٥٢،والنسيئة : التأخير والتأجيل .

(٢) ابن طباطبا ، المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق،ج ٧،ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .
- وهذه من الأسباب التي جعلت أكثر المصادر العربية تكنيه بيزيد الناقص .

(٤) أنظر في ذلك عن خلاف أهل حمص :
- الطبري ، المصدر السابق ،ج ٧،ص ٢٦٢،
- وعن خلاف مروان بن محمد في أرمينيه ،المصدر نفسه ،ص ٢٩٧ .

(٥) وفيق الدقدوقي ،المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

(٦) تاريخ اليعقوبي ،ج٢ ،ص ٣٣٧ .

(٧) الطبري ، المصدر السابق ،ج ٧ ،ص ٣١١ .

(٨) فرج الهوني ،المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

وفيما يختص بالجند ، فقد قلت رواتبهم ، بل أن دفع العطاء لهم لم يكن ميسورا ، فيذكر أن مروان بن محمد كان يبعث بعماله الى الولايات لجمع الخراج والأموال من التجار ليستطيع الوفاء بالالتزامات المالية للدولة (١).

---

(١) أنظر عن ذلك :
- الكندي ، الولاة والقضاه ، ص ١٩٤ ،
- فاروق عمر ، المرجع السابق ، ص ١١٦ ،
- وفيق الدقدوقي ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

د – نتائج الفتوحات الإسلامية الكبرى في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي، وتدفق الأموال على بلاد الشـــام :

١ – نتائج الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشديـــن :

فتح اللّٰه على المسلمين بلاد الشام والعراق وفارس ومصر على عهد عمر بن الخطاب ، رضي اللّٰه عنه ، فكان ذلك فاتحة عهد جديد على المسلمين بخروجهم من أرض الجزيرة العربية إلى آفاق واسعة كثرت بها الخيرات العميمة . فعلى سبيل المثال أمدتنا المصادر بكثير من الأرقام عما أنعم اللّٰه به على المسلمين في فتوح العراق ، نوردها لإيضاح مدى ازدياد وتضخم موارد الدولة الإسلامية نتيجة لهذه الفتوح ، فمنها : أن أول جزية أخذت بالعراق من ابن صلوبا – أمير القريات من أرض السواد – كانت تسعين ألف درهم [١].

وتوالت الفتوحات على أرض العراق بقيادة خالد بن الوليد ، وتوالت الغنائم على المحاربين حتى بلغ نصيب سهم الفارس في معركة "يوم ذات السلاسل" بالعراق ألف درهم ، وبلغ الراجل الثلث من ذلك[٢].

وعن فتوحات خالد بن الوليد في العراق وماغنموه من الأراضي ، ذكر الطبري : (أن الخراج جبي إلى خالد في خمسين ليلة)[٣]، كما أنه أرسل إلى

(١) الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٤٤ .

(٢) كانت المعركة بين خالد بن الوليد وهرمز قائد الفرس حيث اقترن هرمز وأصحابه بالسلاسل أثناء المعركة ،فسميت "ذات السلاسل" ، وقد قتل فيها خالد بن الوليد القائد هرمز،وغنم منها المسلمون غنائم عظيمة ، ومن تلك الغنائم ،قلنسوة هرمز التي بلغت قيمتها مائة ألف وكلها مفصصة بالجوهر .
– الطبري ،المصدر السابق ،جـ ٣ ،ص ٣٤٨ – ٣٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٣٧٠ .

أبي بكر الصديق ، رضي اللّه عنه ، بالمدينة سبيا كثيرا من العجم ، فكان أول سبي للعجم [١].

وعن "معركة القادسية" ، ذكر اليعقوبي ، أن سهم الفارس في هذه المعركة بلغ أربعة وعشرين ألفا ، وسهم الراجل سبعة آلاف ومائة [٢].

بينما ذكر الطبري أن عدد المجاهدين مع سعد بن أبي وقاص كان ستين ألفا ، أصاب الفارس منهم اثنى عشر ألفا ، وكانوا كلهم فرسانا [٣]، وذكر ابن كثير أن المسلمين كانوا يدخلون بعض الدور التي تركها أهل المدائن بما فيها من متاع (.. فيجدون البيت ملآنا إلى أعلاه من أواني الذهب والفضه) [٤].

وإذا استعرضنا ماحصل عليه المسلمون من كنوز كسرى ، لاستطعنا أن نتخيل مدى هذا الثراء الذي أفاء اللّه به على المسلمين ، فمن ذلك ماخلفه يزد جرد - بعد هروبه من المدائن - في بيت المال (ثلاثة آلاف ألف ألف) [٥].

(١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٧٨ .
(٢) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .
(٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٠ .
- وقد تطابق هذا المبلغ مع ابن كثير، المصدر السابق ، ج ٧، ص ٦٧ ،
أما عن الكنوز والجواهر وغيرها من تحف المدائن فانظر في ذلك :
- القاضي الرشيد بن الزبير، كتاب الذخائر والتحف ، تحقيق محمد حميد اللّه ، مراجعة صلاح الدين المنجد، التراث العربي، دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت ، ١٩٥٩م ، ص ١٥٦ ومابعده ،
فقد حوى هذا الكتاب على ذكر معظم ماغنمه المسلمون من كنوز الشرق خاصة ، وهي لاتقدر بأثمان، ولا تحصى بعدد، ويضيق المجال هنا لوصفها .
(٤) البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٦٧ .
(٥) ابن الأثير، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥١٣ ،
- وقد ذكر بأن رستم قائد الجيش الفارسي أخذ نصفها عند مسيره لمعركة القادسية وأبقى النصف الآخر، أما ابن كثير، المصدر السابق، ج ٧ ، ص ٦٦ ، فقد ذكرها بأنها ثلاثة آلاف ألف ألف دينار .

كما حصل المسلمون على "بهار كسرى"(١)، أو ما أسماه المسلمون (القطف) ، والذي استسمح فيه سعد بن أبي وقاص المجاهدين ليرسله مع الخمس إلى عمر بن الخطاب في المدينة ،فقسمه عمر ، رضي اللّه عنه ، على المسلمين ، فأصاب علي بن أبي طالب ، قطعة باعها بعشرين ألف(٢).

على أن أهم ماحصل عليه المسلمون من فتوحات العراق هي" أرض السواد" ، التي قسمها عمر ، وأوقفها على المسلمين .

وعن جباية السواد في عهد عمر بن الخطاب ، ذكر الماوردي ،بقوله : (جبى عمر بن الخطاب ، السواد، فكان الخراج مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم)(٣)، بينما ذكره الرحبي في كتابه بقوله : (كان يجبي السواد مع عدله في أهل الخراج وإنصافه لهم ورفعه الظلم عنهم ، مائة ألف ألف ، والدرهم إذ ذاك وزنه وزن المثقال)(٤).

كما اندفع المسلمون العرب إلى فتح بلاد الشام لمواجهة امبراطور الروم هرقل وجيوشه الكثيفة في موقعة "اليرموك" وانتهت المعركة بنصر المسلمين

---

(١) بهار كسرى (أو القطف) عبارة عن بساط واحد طوله ستون زراعا،وعرضه ستون زراعا،وصفه ابن الأثير،وصفا دقيقا لجمال منظره ومايحتويه هذا البساط من جواهر لاتقدر بثمن، إضافة إلى الزخارف والرسوم الخلابة التي احتواها هذا البساط، أنظر عن ذلك – ابن الأثير،المصدر السابق ،ج ٢ ، ص ٥١٨ .

(٢) – الطبري ،المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ١٨ ،
– ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج ٢ ،ص ٥١٩ ،
– ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٦٧ .

(٣) الأحكام السلطانية ،ص ١٧٥ .

(٤) عبد العزيز بن محمد الرحبي الحنفي ، فقه الملوك ومفتاح الرتاج، تحقيق أحمد عبيد الكبيسي ،مطبعة الأرشاد،بغداد،١٩٧٥م ،ج ٢،ص ٣٥ .

ورحيل هرقل الى القسطنطينية مودعا بذلك أرض سورية [١]. وقدر الله للمسلمين فتح دمشق صلحا، ثم تلتها ايلياء (بيت المقدس) حيث سلم أهلها مفاتيح بيت المقدس لعمر بن الخطاب رضي الله عنه [٢].

ومن الأرقام التي أوردتها المصادر عما أفاء الله به على المسلمين من أموال في فتوح الشام ماذكره قدامة بن جعفر من أن أهل حمص صالحوا خالد بن الوليد على مائة وسبعين ألف دينار [٣]. هذا ويذكر محمد كرد علي أن خراج الشام ارتفع في عهد عمر بن الخطاب الى خمسمائة ألف دينار [٤].

ومما أوردته المصادر عن الأموال التي أفاء الله بها على المسلمين من الفتوحات في عهد عثمان بن عفان، مما ذكر عن فتح قبرص بقيادة معاوية بن أبي سفيان، فقد ذكرت أن أهلها صولحوا على سبعة آلاف ومائتي دينار يؤدونها كل عام [٥]. وكان من ضمن الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب فتح مصر وبلاد أفريقية فقد فتح عمرو بن العاص مصر صلحا وقيل عنوة (فوضع على كل حالم دينارين جزية - الا أن يكون فقيرا وألزم كل ذي أرض مع الدينارين

---

(١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية، ص ١٩٦ .

(٢) ذكرنا فيماسبق الآراء القائلة بفتح دمشق وأن جهة منها فتحت عنوة بقيادة خالد بن الوليد، والجهات الأخرى صلحا بقيادة أبي عبيدة وأصحابه، كذلك عن تسليم مفاتيح بيت المقدس وكتب الأمان التي كتبها عمر بن الخطاب لأهل ايلياء وبقية مدن الشام ، وذلك في فصل حسن معاملة أهل الذمة .

(٣) الخراج وصناعة الكتابه ، ص ٢٩٠ .

(٤) خطط الشام ، ج ٥ ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٥) - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٨ على أنه ذكرها في رواية أخرى بأنها سبعة آلاف دينار (ص ١٥٩) ، كما ذكر ابن الأثير أيضا أن قيمتها سبعة آلاف دينار . أنظر : ج ٣ ، ص ٩٦ .

أنظر : صابر محمد دياب ، دراسات في التاريخ الاسلامي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، ص ٢١ .

ثلاثة أرادب حنطة وقسطي زيت وقسطي عسل وقسطي خل رزقا للمسلمين) ، وجبى خراجها وجزيتها ألفي ألف ، وجباها عبد اللّٰه بن سعد بن أبي سرح أربعة آلاف ألف)[١]، كما صالح أهل الاسكندرية على ثلاثة عشر ألف دينار على كل حالم من القبط دينارين[٢]، كما امتدت الفتوح الى شمال افريقية فغزا عمرو بن العاص برقة وبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألف دينار[٣]، كما صالح أهل طرابلس على ثلاثة عشر ألف دينار جزية[٤].

وامتدت فتوح افريقية في عهد عثمان بن عفان إلى بلاد النوبة على يد عبد اللّٰه بن سعد بن أبي السرح فلم يتمكن من آخذ الجزية وإنما صالح أهلها المسلمين (على أن يهدوا في السنة أربعمائة رأس يخرجوا بها يأخذون بها طعاما[٥]، ويذكر البلاذري أن غزوات عبد اللّٰه بن سعد بن أبي السرح في بلاد أفريقية وتفريقه السرايا في البلاد حيث (أصابوا غنائم كثيرة واستاقوا من المواشي ماقدروا عليه، فلما رأى ذلك عظماء أفريقية اجتمعوا فطلبوا إلى عبد اللّٰه بن سعد أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار من ذهب على أن يكف عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك) ، كما صالح بطريق أفريقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار[٦] .

---

(١) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٢١٦،٢١٧ .

(٢) البلاذري ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٢ .

(٣) المقدسي ،البدء والتاريخ،مكتبة المثني ،بغداد،ومكتبة الخانجي،مصر ، ج ٥،ص ١٩٩ .

(٤) ابن الأثير،المصدر السابق،ج ٣،ص ٢٦ .

(٥) البلاذري ،فتوح البلدان ،ص ٢٣٩ .
(هذه الرؤوس عبارة عن رقيق كما ورد في حديث الليث بن سعد بأن الصلح بين المسلمين والنوبه ،على أن لا نقاتلهم ولا يقاتلونا وان يعطونا رقيقا ونعطيهم بقدر ذلك طعاما) .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

أما في عهد عبد الملك بن مروان فقد دخل حسان بن النعمان بلاد أفريقية ،وقتل الكاهنة بعد أن استنجد الأهالي به وخرجوا اليه بالذهب والفضة على أن يبقيهم في أرضهم ومزارعهم ،وكان من نتائج ذلك كثرة السبي من أفريقية (١).

٢ - نتائج الفتوحات الاسلامية في العهد الأموي :

استؤنفت الفتوح الاسلامية بعد أن استقرت قواعد الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان في أفريقية وبلاد "ماوراء النهر" في الحملات البحرية ضد القواعد البحرية البيزنطية في شرقي البحر الأبيض المتوسط ضد القسطنطينية ، الا أنهما لم تتمخض عن فتوح للمسلمين ، كما لا تحدثنا المصادر عما أفاء الله به من أموال في المعارك التي خاضوها في هذه الفتوح في عهد معاوية ، الا القليل منها ،فمن ذلك ماذكره الذهبي بأن عبيد الله بن زياد افتتح بعض مملكة بخارا وصالحه أهل طبرستان على خمسمائة ألف درهم في السنة (٢)،وذكر ابن الأثير أنه فتح رامني ونسف وبيكند وغنم منهم غنائم كثيرة ، كما لقي الترك وهزمهم وظهر منه بأس شديد حين ولايته على خراسان(٣).

ثم جاءت الموجة الثانية من الفتوح في العصر الأموي،وخاصة في الربع الأخير من القرن الأول الهجري لتطلق طاقات العرب من جديد فتمد الرقعة الاسلامية الى أواسط آسيا وفي حوض الهند وبلاد البنجاب ، وتشمل بلاد المغرب الشمالية وتجوز الى الأندلس ، ثم تجوز جبال البرانس الى جنوب ووسط فرنسا حتى تتوقف موجتها بعد هزيمة العرب سنة ١١٤هـ في موقعة بلاط الشهداء(٤).

---

(١) ابن الأثير ،المصدر السابق ،جـ ٤ ،ص ٣٦٩ ، ٣٧١ .

(٢) الحافظ شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ،جـ١،ص ٣٩ .

(٣) - ابن الأثير ، المصدر السابق ،جـ ٣ ،ص ٤٩٩ ،
- أنظر أيضا عن تلك الغزوة ومصالحة الخاتون (ملكة بخاري) : البلاذري ، فتوح البلدان ،ص ٤٠١ .

(٤) أنظر : ابن كثير ، المصدر السابق ،جـ ٩ ، ص ٨١ ومايليهما .

وقد حصل المسلمون في هذه الفتوحات العظيمة في الشرق والغرب في عهد الوليد بن عبد الملك على مغانم عظيمة عادت بالثراء الكبير والترف العظيم على الدولة الأموية في عهده. ومما أوردته المصادر في هذا الصدد أن قتيبه بن مسلم الباهلي لما استولى على قلعة نيزك غنم منها من الأموال والسبي الشيء العظيم(١)، ولما غزا بيكند (إحدى مدن بخاري) سنة ٨٧ هـ حصل على غنائم عظيمة من الذهب والفضة وأصنام الذهب، ومن جملتها صنم تم سبكه فخرج منه مائة وخمسون ألف مثقال من الذهب، ووجد في خزائن الملك أموالا كثيرة إضافة إلى الأسلحة والسبي(٢). وصالح ملك خوارزم على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع(٣).

وصالح أهل الصغد على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال في كل عام، وأن يعطوه في ذلك العام ثلاثين ألف فارس، وقيل أنه صالحهم على مائة ألف فارس وبيوت النار وحلية الأصنام فقبض ذلك وأتى بالأصنام فكانت كالقصر العظيم فأخذ ماعليها وأمر بها فأحرقت واستخرج من مسامير الذهب منها مايساوي خمسين ألف مثقال(٤)، كما حلف قتيبة أن يطأ تراب الصين ويختم على أعناق أبناء ملوكها أثناء توغله في مناطق تلك البلاد حيث غنم مغانم عظيمة، إلا أن ملك الصين استرضاه بأن بعث إليه (تنفيذا ليمينه) بتراب من أرضه في صينية من ذهب ليطأها، وبعث بجماعة من أولاده وأولاد ملوك الصين ليختم على أعناقهم، وبعث إليه من الهدايا والنفائس الشيء الكثير(٥).

---

(١) ابن كثير: المصدر السابق، ج ٩، ص ٨١ .

(٢) الطبري، المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٣٢ ومايليه .

(٣) الطبري، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٧٠ .

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٧١، ٥٧٣ .

وعن ذلك أنظر أيضا :

- ابن كثير، المصدر السابق، ج ٩، ص ٨٦،
- وقد ذكر أن من جملة السبي الذي حصل عليه جارية من ولد يزد جرد أهداها قتيبه إلى الوليد بن عبد الملك فولدت له يزيد بن الوليد .

(٥) ابن كثير، المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٤٢ .

كما توغل محمد بن القاسم في بلاد السند ووصل الملتان من بلاد الهند وقتل سدنة (البد) معبودهم الأكبر،وحصل على الذهب الذي بالمعبد الذي كان في بيت سمي"ببيت الذهب" قيل أن طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية ،يلقى اليه الذهب من كوة في وسطه ،فذكر المقدسي أنه أصاب بها أربعين بهارا من الذهب ـ والبهار ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون منا ذهبا [1]ـ . وحددها ابن خرداذبة بأن مبلغ ذلك يكون ألفي ألف وثلثمائة ألف وسبعة وتسعين ألفا وستمائة مثقال [2].

وبعد أن دانت أفريقية للخلافة الأموية خرجت الجيوش الاسلامية الى جزر البحر المتوسط وبلاد أوروبا حيث دانت جزيرة "ميورقة" للعرب وظفروا منها بكثير من الغنائم والسبي حيث بلغ الخمس ستين ألف رأس من السبي ،يقول ابن الأثير : (ولم يذكر أحد أنه سمع بسبي أعظم من هذا) [3].

ومما حصل عليه طارق بن زياد وموسى بن نصير من فتح بلاد الأندلس ماحصلوا عليه في مدينة المائدة من أصناف الدر والجوهر،ومنها مائدة سليمان بن داوود عليه السلام،التي وصفت أنها من زبرجد أخضر وحافاتها وأرجلها مكللة باللؤلؤ والمرجان والياقوت ، ولها ثلاثمائة وستون رجلا [4]. كما حصلوا على قاعة عظيمة في احدى مدن الأندلس فيها من اليواقيت والجواهر والزبرجد والذهب والطنافس الحريرية المنسوجة بقضبان الذهب المنظومة باللؤلؤ

---

(١) "البدء والتاريخ ،ج ٤ ،ص ٧٧ ،
ـ أنظر أيضا مقدمة ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٣٣" .

(٢) أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبة ،المسالك والممالك، مكتبة المثنى ، بغداد ،ص٥٦ .

(٣) الكامل في التاريخ ،ج ٤ ،ص ٥٤ ،
ـ أما ابن كثير ، المصدر السابق ،ج ٩ ،ص ١٧٣ ، فقد ذكر أن الخمس من السبي بلغ أربعين ألفا .

(٤) أنظر في هذا الصدد :
ـ ابن الأثير،المصدر السابق،ج ٤،ص ٥٦٣،
ـ ابن كثير،المصدر السابق،ج ٩ ،ص ١٧٢،
كما تعددت المصادر التي ذكرتها الا أن ياقوت الحموي لم يذكرها وذكر قصة غريبة عن مدينة اسمها مدينة النحاس في بلاد الأندلس سمع بها عبدالملك بن مروان فأمر موسى بن نصير بالمسير اليها لفتحها والحصول على كنوزها غير أنه لم يستطع فتحها لما لاقاه من الأهوال. أنظر ذلك في ج ٥ ،ص ٨٠ .

ما ليس له نظير(١) .

أراد موسى بن نصير أن يناله الفخر بما أحرزه طارق بن زياد في فتوحات الأندلس فسار اليه وشاركه في الفتوح ، ولما انتهيا من الفتوحات سار بنفسه الى الوليد بن عبد الملك في دمشق محملا بالأموال والكنوز التي تم الحصول عليها ومعه ثلاثون ألف فتاة من بنات ملوك القوط وأعيانهم ومن نفائس الجوهر فورد الشام وقد مات الوليد(٢) ، بينما يذكر ابن كثير بأن موسى بن نصير دخل المسجد على الوليد بن عبد الملك في يوم جمعة والوليد على المنبر ، فبهت لما رأى ماعليهم من الحرير والجوهر(٣) .

وتذكر المصادر والمراجع كثرة انفاق الوليد بسعة في عهده فيقول في ذلك محمد كرد علي : (كان غرامه بعمران البلاد واقامة المصانع والجوامع واقتناء الضياع ، فقلده رعاياه في ذلك .. لوفرة الثروة في أيدي الناس) ، ويضيف الى ذلك بقوله : (وقد كتب أحد عمال الوليد بن عبد الملك أن بيوت المال قد ضاقت من مال الخمس ، فكتب اليهم أن يبنوا المساجد)(٤) .

وننقل ماكتبته المصادر عن بناء المسجد الأموي في عهد الوليد بن عبد الملك ونتحدث بايجاز عن هذا المسجد الرائع الذي بناه الوليد والذي دفعه الى بنائه رغبته في أن يكون في عاصمته مسجد كبير يليق بعظمة هذه العاصمة والدولة التي تمثلها ، ويذكر المسعودي أن الوليد

---

(١) ابن كثير ، المصدر نفسه ، جـ ٩ ، ص ١٧٢ .
(٢) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٥٦٦ .
(٣) البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ١٧٣ .
(٤) الادارة الاسلامية في عز العرب ، ص ٩٢ .

ابتدأ ببناء المسجد الجامع بدمشق سنة ٧٨ هـ وأنه أمر أن يكتب بالذهب على اللازورد في حائط المسجد : (ربنا الله ، لا نعبد الا الله ، أمر ببناء المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين في ذي الحجة سنة سبع وثمانين)(١).. وظل العمل في المسجد قائما حتى سنة ٩٦هـ .. وساهم فيه ألوف العمال المختصين الذين جمعوا من أطراف الولايات العربية(٢)، ويذكر ابن جبير (أن تكاليف البناء بلغت أحد عشر مليونا ومائتي ألف دينار)(٣)،ويدعي ياقوت الحموي في معجم البلدان أن الوليد (أنفق على عمارته خراج المملكة سبع سنين)(٤). بينما ذكر جميل نخله المدور بأن الوليد قد غرم في هذا الجامع من الدنانير المضروبه زنة مائة وأربعة وأربعين قنطار بالدمشقي ، وذلك يعادل عشرة آلاف ألف دينار(٥).

كما ذكر فلهوزن النفقات على حملات الشرق التي أعدها الحجاج في عهد الوليد فقدر حملة الهند بستين ألف ألف درهم ، بينما بلغ العائد منها بعد الانتصارات التي تحققت مائة وعشرين ألف ألف(٦).

كما فتح المسلمون في عهد الوليد بن عبد الملك جزيرة سردينية وغنموا منها مغانم كبيرة(٧).

---

(١) المسعودي ،مروج الذهب ،ج ٢ ،ص ١٤١ .

(٢) شبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أميه ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
- وقد ذكر شبيه عاقل وصفه كاملا من خلال ماورد في بعض المصادر والمراجع التي تحدثت عن هذا البناء الضخم .

(٣) رحلة ابن جبير ، ص ٢٣٥ .

(٤) - ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج ٢ ،ص ٤٦٦ ،
- أنظر أيضا عن عمارة المسجد وتكلفته : ابن عساكر،تاريخ مدينة دمشق ، ج ١ ،ص ٢٠٦ .

(٥) حضارة الاسلام في دار السلام،الطبعة الأميرية بالقاهرة،ص ٢٢٧.(نقلا عن الخميس ، اخبار الدول والاسلام ،المطبعة الأميرية ،ج ٢ ،ص ٣١١) .

(٦) تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٤٥ .

(٧) عن قصة غزوها واخفاء أهلها الذهب في البحر ،
أنظر في هذا الصدد :
- ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ٥٦٧ ومايليها .

وفي عهد سليمان بن عبد الملك تم فتح جرجان وطبرستان فبعث الجراح بن عبد الله من فتح جرجان ودغستان إلى سليمان بن عبد الملك ملايين من الدراهم.(١) كما حاصر يزيد بن المهلب طبرستان وأجبر حاكمها (الأصبهذ) على دفع جزية على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف درهم نقدا ، ومائتي ألف وأربعمائة حمار موقرة (٢) زعفرانا ، وأربعمائة رجل على رأس كل رجل برنس ، وعلى البرنس طيلسان ولجام من فضة وسرقة (٣) من حرير (٤).

وقد أصاب يزيد بن المهلب في غزواته هذه أموالا كثيرة ونفائس عظيمة من هذه البلاد ، وكان معظم جيشه من أهل الشام ، فقد كان جيشه مائة وعشرين ألف فارس كان منهم من أهل الشام ستون ألف فارس (٥).

وفي عهد هشام بن عبد الملك أوغل الجراح بن عبد الله الحكمي في بلاد الترك وصالحوه على الخراج والجزية (٦). كما استطاع مروان بن محمد سنة ١١٤ هـ دخول بلاد الخزر وفتح القلاع والحصون ، ودان له ملكها (ملك السرير) وصالحه على ألف رأس وخمسمائة غلام ، وخمسمائة جارية سود الشعر ، ومائة ألف مدي (٧). كما دخل قلعة (غوميك) وبها سرير الملك الذهب فصالحه على أن يؤدي

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٦٩ .
(٢) الوقر : جمعها أوقار ، وهي الحمل الثقيل .
(٣) السرق : شقق الحرير أو أجوده والواحدة تسمى سرقة .
(٤) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٥٣٥ .
(٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٥٣٥ ،
 - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٧٦ .
(٦) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٦٧ ومايليه .
(٧) المدي : مكيال في الشام ومصر يسع تسعة عشر صاعا .
انظر بصدد الفتح لهذه المنطقة وما أحرزه مروان بن محمد من انتصارات ، وما أوقعه من فروض للصلح :
 - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢١٠ .

له في كل سنة ألف رأس ، ومائة ألف مدي ، وفتح الكثير من المدن في تلك البلاد [١]، كما صالح أهل "تومان" على مائة رأس وعشرين ألف مدي ، وفتح "سغدان" ووظف على "طيرنشاه" عشرة آلاف مدي كل سنة [٢].

كما استطاع أسد القسري دخول "طخارستان العليا" واستولى على قلعة "التبوشكان" - وكان متحصنا بها الحارث بن سريج وأهله - فسبي من فيها وباعهم فيمن يزيد [٣]. كما فرق جنوده بين "بلاد الختل" وحصل على السبي والغنائم [٤]. كما حاصر الخاقان - وكان يناصر الحارث بن سريج - واستولى على عسكره فاستاق مائة وخمسين ألفا من الأغنام كما حوى على الأمتعة والأواني من الفضة والذهب ، وسبى النساء والأطفال ، وأرسل بالبشرى والغنائم إلى هشام بن عبد الملك [٥] .

كما استطاع أسد بن عبد الله القسري التوغل في بلاد المشرق ودخل "هراة" واستولى على أموال أهالي جبال هراة التي خبأوها في الكهوف [٦].

كما أحرز نصر بن سيار انتصارات كبيرة في عهد هشام بن عبد الملك في بلاد ماوراء النهر ، فغزا "فرغانة" ، وسبى منها ألف رأس سوى الغنائم [٧] .

كما استعمل هشام بن عبد الملك عبيد اللّه بن الحجاب على أفريقية والأندلس سنة ١١٧هـ فبلغ أرض السوس الأقصى ، فغنم من غزواته من السبي الشيء

---

(١) ابن الأثير ،المصدر السابق ،ج ٥ ،ص ٢٤٠ .
(٢) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٤١٠ .
(٣) انظر ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج ٥ ،ص ١٩٧ ومايليه .
(٤) ابن كثير ،المصدر السابق ،ج ٩ ،ص ٣٢١ .
(٥) أنظر في هذا الصدد :
- ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٣٢٣ ،
- الذهبي ،المصدر السابق ، ج ١ ،ص ٨٠ .
(٦) ابن كثير ،المصدر السابق ،ج ٩ ،ص ٢٤٤ .
(٧) ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج ٥ ،ص ٢٣٧ .

الكثير (١). كما سير جيشا في البحر الى "سردينية" و"صقلية" فأصابوا من الغنائم ما لم ير مثلها (٢).

ولنا أن نقدر مقدار تلك المبالغ التي ضربت على البلاد المفتوحة في العصر الأموي من جزية وخراج ، اضافة الى أخماس الغنائم التي كان يبعث بها الى بيت مال الخلافة ، وعلى سبيل المثال يذكر لنا الماوردي مقدار ما كان يجبى من خراج عن سواد العراق منذ فتحه عمر بن الخطاب ، وحتى نهاية العصر الأموي ، وفي هذا الصدد يقول : (جبى عمر بن الخطاب السواد فكان الخراج مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف ، وجباه عبيدالله بن زياد مائة ألف ألف وخمسة وثلاثين ألف ألف درهم ، وجباه الحجاج مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف ، وجباه عمر بن عبد العزيز رحمه الله مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف ، وكان ابن هبيرة يجبيه مائة ألف ألف ، سوى طعام الجند وأرزاق المقاتلة ، وكان يوسف بن عمر يحصل منه في كل سنة من ستين ألف ألف الى سبعين ألف ألف ، ويحتسب بعطاء من قبله من أهل الشام ستة عشر ألف ألف) (٣).

ومما يذكر أيضا في هذا الصدد أن معاوية بن أبي سفيان استصفى لنفسه كل ماكان لكسرى وآل كسرى من الضياع ،وكان والي العراق يحمل اليه من مال صوافيه في تلك النواحي خمسين ألف ألف درهم من أرض الكوفة وسوادها (٤) ، فمنها كانت صلاته وجوائزه ، كما فعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن مثل مافعل بالعراق من استصفاء ما كان للملوك من الضياع واتخاذها لنفسه (٥).

---

(١) ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ١٩٠ .
(٢) ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ١٩١ .
(٣) الأحكام السلطانية ، ص ١٧٥ .
(٤) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .
(٥) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٧٠ .

كما كثر الرقيق من السبي الذي عاد على الدولة الأموية ،فقد كانت الدولة تملك رقيقا خاصا يسمى "رقيق الخمس "،وهو حصتها من أسرى الحروب الذين لم يسرحوا أو يوزعوا على الجند المحاربين ، وقد تكاثر هذا النوع من الأسرى في دمشق في عهد الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان ، فقد أسر موسى بن نصير ثلاثمائة ألف أسير من أفريقية أرسل خمسهم إلى الوليد ، وعاد موسى بن نصير إلى دمشق بعدد كبير من الأسرى الأندلسيين ، وبلغ من كثرة رقيق الخمس في دمشق أن سليمان بن عبد الملك أعتق سبعين ألف مملوك ومملوكة وكساهم، كما أن عبيد بن عبد الرحمن القيسي - والي أفريقية من قبل هشام بن عبد الملك - قدم على الخليفة بدمشق ومعه من الغنائم أموال كثيرة وعشرون ألف عبد[١] .

ومن هذا نرى أن عائد الفتوحات الإسلامية كان له أكبر الأثر في مظاهر الغنى التي ظهرت أول الأمر في عهد الخليفة عثمان بن عفان في المدينة المنورة، ثم انتقل هذا الترف إلى دمشق حاضرة الأمويين ، حيث كانت عائدات الفتوحات الإسلامية تتدفق على الدولة ،مما أدى إلى ازدهار الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأموي، وقد ظهر ذلك في قصور الأمويين وفي حياتهم العامة والخاصة ، وفي المظهر الحضاري العام لدمشق خاصة ، ولبلاد الشام عامة ، وبعد هذا العرض المطول لمظاهر الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي بصفة خاصة ، نستطيع أن نستنتج أن المسلمين قد نعموا في ظل هذا الرخاء الاقتصادي بحياة طيبة ابتعدت عنها قسوة الكد في سبيل لقمة العيش بما نتج عن خراج الأرض والجزية ، وتوفر الأيدي العاملة بحسن معاملة أهل الذمة ، إضافة إلى عائد الفتوحات الإسلامية التي أغدقت خيراتها على الدولة ، وكان هذا الخير قد عم الولايات ، سواء كان ذلك في عهد الخلفاء الراشدين ،

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع نفسه ، ص ٨٨ .

أم الأمويين ، فعمرت الأرض ، وبنيت القصور ، وظهر آثر هذه الخيرات على المجتمع الإسلامي . غير أن طبيعة النفس البشرية قد طغت على بعض النفوس ، سواء كان من خلفاء بني أمية أو من ولاتهم ، فظهرت مظاهر الثراء الفاحش لدى بعض الولاة ، كما ظهر بينهم التعصب القبلي ، وبدأ الظلم يطغى في معاملة أهل الذمة في الولايات من حيث أخذ الجزية منهم بغير حق بعد إسلامهم ، كما زاد من ذلك وجود التفرقة بين العرب والموالي ماليا ، واستئثار العرب بالمناصب الكبيرة ، فعمت الاضطرابات والفتن والصراعات القبلية في أنحاء الولايات الإسلامية ، مما كان له أسوأ الأثر على خزانة الدولة الأموية .

الفصل الثاني

الفصل الثاني

الزراعة في بلاد الشام في العصر الأموي

أولاً : أنواع الأراضي .

أ ـ أنواع الأراضي في حكم الشريعة الإسلامية .

ب ـ أنواع الأراضي في بلاد الشام في العصر الأموي .

١- الأراضي الخراجية .

٢- الأراضي الإقطاعية :-

(أ) الإقطاعات الخاصة بخلفاء بني أمية .

(ب) إقطاعات خاصة للأمراء والأشراف والقبائل .

جـ ـ أراضي الوقف والأحباس .

ثانياً : إهتمام الخلفاء الأمويين بإقامة السدود ومد القنوات .

ـ عيد النيروز وارتباطه بجباية الخراج في العهد الأموي .

ثالثاً : المحاصيل الزراعية .

ـ المحاصيل العامة لبلاد الشام .

ـ المحاصيل الزراعية في أشهر مدن بلاد الشام .

أولا : أنواع الأراضي :

أ - أنواع الأراضي في حكم الشريعة الإسلامية :

يقول الماوردي في أحكامه : (والأرضون كلها تنقسم إلى أربعة أقسام) ، وقد فصلها على النحو التالي :

أ - ما استأنف المسلمون إحياءه فهو أرض عشر ، ولا يجوز أن يوضع عليها خراج .

ب - ما أسلم عليه أربابه ، فهم أحق به ، أرض عشر ولا يجوز أن يوضع عليها الخراج .

جـ - ما ملك من المشركين عنوة وقهرا ، فاختلف عليها الفقهاء :

(١) فتكون على مذهب الشافعي ، رحمه الله ، غنيمة تقسم بين الفاتحين ، وتكون أرض عشر لا يجوز أن يوضع عليها الخراج .

(٢) وجعلها مالك وقفا على المسلمين بخراج يوضع عليها .

(٣) وقال أبو حنيفة : الإمام مخير بين الأمرين .

د - أرض المشركين التي صالحوا عليها فهي مختصة بوضع الخراج عليها وهي على نوعين :

(١) أن ينزلوا عن ملكها عند الصلح فتصير وقفا على المسلمين كالذي انجلى عنه أهله ، ويكون الخراج المضروب عليهم أجرة لا تسقط بإسلامهم ، ولا يجوز لهم بيع رقابها ، ويكونون أحق بها ما أقاموا على صلحهم ، ولا تنتزع من أيديهم ، سواء أقاموا على شركهم أم أسلموا ، ولا يسقط عنهم بهذا الخراج جزية رقابهم إن صاروا أهل ذمة مستوطنين .

(٢) أن يستبقوها على أملاكهم ، ولا ينزلوا عن رقابها ، ويصالحوا عنها بخراج يوضع عليها ، فهذا الخراج جزية تؤخذ منهم ما أقاموا

على شركهم ، وتسقط عنهم باسلامهم ويجوز أن لا يؤخذ منهم جزية رقابهم (١).

هذا وقد وضع المسلمون قواعد تعامل وفقها أرض الخراج ، فخراج الأرض يحدد سنويا ، ويراعى عند تحديده عدة أمور منها : سهولة السري وصعوبته ، وزيادة الغلة ونقصانها ، وما يسقى بماء المطر ، وما يسقى بماء النهر ، وهذه الأمور تؤكد حرص المسلمين على صالح زراع الأرض ، وصالح الاقليم ذاته ، وقد طبقت هذه القواعد على الأرض الخراجية في العراق ، والجزيرة ،وفارس ، والشام (٢).

ب - أنواع الأراضي في بلاد الشام في العصر الأموي :

١ - الأراضي الخراجية :

كما سبق وأشرنا أن غالبية بلاد الشام قد فتحت صلحا على أن يعطي أهلها الخراج والجزية للدولة الاسلامية ، اضافة الى ذلك فان عمر بن الخطاب ، لم يقسم الأرض وانما جعلها في أيدي أهلها يزرعونها على أن يؤدوا عنها الخراج ، ومن أسلم منهم يعفى من أداء الخراج ، ونقل مابيده من الأرض الى يد الذميين من أهل قريته يؤدون عنها خراجها الى المسلمين ، وكان عمر بن الخطاب قد أوقف الأرض على المسلمين حتى لا ينصرفوا الى الزراعة ، وامتلاك العقار الثابت مما يؤدي الى انصرافهم عن الجهاد وفتور الروح العسكرية (٣).

---

(١) الأحكام السلطانية ، ص ١٤٧ .
(٢) فتحية النبراوي ، المرجع السابق ، ص ١٤٥ .
(٣) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج ١ ، ص ١٨٦ .

وأذكر المعارضة الشديدة التي واجهها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الصحابة رضوان الله عليهم،وخاصة بلال بن رباح وذلك حين فتح سواد العراق حيث ذكر أبو يوسف : أنه لما افتتح السواد شاور عمر رضي الله تعالى عنه الناس فيه ، فرأى عامتهم أن يقسمه،وكان بلال بن رباح من أشدهم في ذلك ، وكان رأي عبد الرحمن بن عوف أن يقسمه ، وكان رأي عثمان وطلحة رأي عمر رضي الله تعالى عنهم ، وكان رأي عمر رضي الله تعالى عنه أن يتركه ولا يقسمه حتى قال عند الحاحهم عليه في قسمته : اللهم اكفني بلالا وأصحابه. فمكثوا بذلك أياما حتى قال عمر رضي الله تعالى عنه لهم : قد وجدت حجة في تركه وأن لا أقسمه قول الله تعالى : * لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً* فتلا عليهم حتى بلغ قوله تعالى : * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ * (١). قال : فكيف أقسمه لكم وأدع من يأتي بغير قسم ؟ فأجمع على تركه وجمع خراجه واقراره في أيدي أهله ، ووضع الخراج على أراضيهم والجزية على رؤوسهم (٢).

كما روى أبو يوسف أن جماعة من المسلمين أرادوا من عمر بن الخطاب على أن يقسم الشام كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، وأنه كان أشد الناس عليه في ذلك الزبير بن العوام وبلال بن رباح ، فقال عمر : اذن أترك بعدكم من المسلمين لا شيء لهم! ثم قال: اللهم أكفني بلالا وأصحابه.. قال: وتركهم عمر ذمة يؤدون الخراج الى المسلمين (٣)،فأوقفها عمر بمشورة الصحابة وموافقتهم،ومنهم علي بن أبي طالب ،ومعاذ بن جبل،وطبقت نفس القاعدة التي مسح بها سواد العراق على أرض الشام،وارتفع خراج الشام في عهد عمر الى خمسمائة ألف دينار وفقا للعملة البيزنطية (٤).

ويبدو أنه على الرغم من منع عمر بن الخطاب العرب من امتلاك الأراضي ، الا أن العرب قد امتلكوا بعض أراضي منطقة الشام وذلك أثناء حصار دمشق ،

---

(١) سورة الحشر ، آية ٨ ، ١٠ .

(٢) كتاب الخراج ، ص ٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧١ .

(٤) النظم الادارية والمالية في الدولة العربية الاسلامية ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

فقد عسكروا في منطقة تقع في مرج بردى - بين قرية المزة ومرج شعبان - وزرعوا أرضها،وشيدوا الدور بها،فأقرها عمر بن الخطاب على المقاتلة على أن يؤدوا عنها العشر،ثم أقر ملكيتها لهم عثمان بن عفان ،كما امتلك العرب أراضي أخرى كانت ملكا للروم أوأهل دمشق الذين قتلوا أو غادروا البلاد.(١)

كما أمر عثمان بن عفان أمير الشام معاوية بن أبي سفيان أن ينزل العرب في مواضع نائية من المدن والقرى ، ويأذن لهم في اعتمال الأرضين التي لا حق فيها لأحد(٢).

وقد ظلت الأراضي الزراعية الواسعة موقوفة(٣)مقبلة(٤)،وتدخل قبالتها الى بيت المال خلال عهد الخلفاء الراشدين ، حيث أنهم حرصوا على أن يستعملوا على الخراج عمالا لا يكلفون الناس فوق طاقتهم ومن ذلك أن أبا عبيدة بن الجراح قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : دنست أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر : يا أبا عبيده اذا لم أستعن بأهل الدين

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٢) عبد العزيز الدوري،العرب و الأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام، ضمن بحوث المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ،الجامعة الأردنية ،عمان،والدار المتحدة للنشر،بيروت ،١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ،ص ٢٧ .

(٣) الوقف في اللغة : الحبس ،وفي الشرع : حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة ،وهذا عند أبي حنيفة ،وعند صاحبيه :حبس العين عن التمليك مع التصدق بمنفعتها ،والوقف مصدر وقفت الأرض وغيرها أقفها ،ويعبر عنه بالحبس فيسمى وقفا لأن العين موقوفة ،وحبسا وهو جعل منفعة مملوك ولو بأجرة أو غلة .

- أحمد الشرباصي ،المعجم الاقتصادي الاسلامي،دار الجيل،١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

(٤) القبالة :يقال قبلتك الضيعة أي ضمنتها لك والتزمت بها،و الاسم القبالة - بفتح القاف - وهي الضمان. والقبالة - بضم القبالة - هي الكفالة لأن الكفالة أوكد تقبل وتقبلت به - أي تكلفت به - وقيل لها :قبالة لأنها أوكد تقبل. والقبيل : الكفيل .

وقيل القبالة : هي أن يتقبل الرجل النخل والشجر والزرع فيشتريه بشيء معلوم ولم يبد صلاح الزرع بعد.وفي الأغاني" أن المتوكل قال لمروان الأصغر عن ضيعة له في اليمامة .قد قبلتك اياها مائة سنة بمائة درهم" .

- أحمد الشرباصي ، المرجع نفسه ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

على سلامة ديني فبمن أستعين؟ قال : أما ان فعلت فأغنهم بالعمالة عن الخيانة. يقول اذا استعملتهم على شيء فأجزل لهم العطاء والرزق لا يحتاجون.(١) وكان يجبى في عهد عمر بن الخطاب من العراق مائة ألف ألف أوقيه في كل سنة، ثم يخرج اليه عشرة من أهل الكوفة وعشرة من أهل البصرة يشهدون أربع شهادات بالله أنه من طيب مافيه ظلم مسلم ولا معاهد(٢). وكان ذلك الوضع من الحرص على سلامة حسن معاملة عمال الخراج وعدم ظلم الناس وسلامة الأموال حرص عليه بقية الخلفاء الراشدين، فنجد علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه قد حرص على حسن معاملة العمال حيث كتب الى عامله يقول : "أما بعد فاستخلف على عملك واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض السواد كورة كورة فتسألهم عن عمالهم، وتنظر في سيرتهم..."(٣).

ولكن توزيع هذه الأراضي الى اقطاعات أدى الى انتهاء هذه الأرض والنظر الى أرض الخراج ، والبدء في بيعها. يقول في ذلك عبد العزيز الدوري : (ألح الأشراف على عبد الملك والخليفتين بعده باقطاعهم من أرض الخراج فرفضوا ، ولكنهم سمحوا لهم بشراء الأراضي الخراجية ، والتي تحولت الى عشرية ، وشمل ذلك ضياعا واسعة وقرى ، وجاء عمر بن عبد العزيز وأخبره عماله على الأردن والغوطة بانتقال أراضي أهل الذمة الى المسلمين ، فأمر بايقاف البيع ، وأصدر أمرا عاما بمنع بيع الأراضي الخراجية حماية لبيت المال ، وربما للحد من تكوين الملكيات الكبيرة)(٤)، ويشير عصام الدين عبد الرؤوف الى هذا المنع بقوله :(غير أنه لم يعدها الى ماكانت عليه ، كما لم يجعلها أرض خراج ، بل تركها أرض عشر ، وأقر بقاءها في يد من آلت اليهم ، لتعذر اعادتها الى وضعها الأول ، كما أبقى الأرض التي اشتراها المسلمون بغير اذن ولاة الأمر على حالها لنفس السبب)(٥)، ويضيف فرج الهوني ، بأنه أمر برد الاقطاعات التي

---

(١) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، ص ١١٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١١٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .
(٤) العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام ، ص ٢٩ .
(٥) الحواضر الاسلامية الكبرى ، ص ٧٩ ، ٨٠ .
(نقلا عن ابن عساكر، تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ٥٩٦ .

أخذت بدون حق مثل الأرض التي أقطعت لبني نصر ، وكانت تابعة لاحدى الكنائس بالشام[١]. أما ابن عساكر فقد ذكر أن هذا القرار الذي أقره عمر بن عبد العزيز سار الى سنة مائة من الهجرة ، (وأن بيع أي أرض خراجية بعد سنة مائة مردود)[٢]، وهذا يعني أن عمر بن عبد العزيز قد حصر هذه الأراضي التي تم التصرف بها .

وقد سار على النظام الذي أقره عمر بن عبد العزيز كل من يزيد وهشام ابني عبد الملك بن مروان ، واستمر هذا المنع الى أن توفي هشام بن عبدالملك سنة ١٢٥هـ ، فعاد المسلمون الى شراء الأراضي الخراجية الى نهاية الدولة الأموية[٣]، وفي هذا يقول عبد العزيز الدوري : (ومع التزام أخلافه خاصة هشام بخطته ، الا أن ذلك لم يجد ، واستمر الشراء مما أدى الى جعل الخراج على الأرض بصرف النظر عن المالك ، وهكذا كان للشراء أثر واضح في تكوين الملكيات ، وفي ظهور طبقة ملاكين جدد)[٤]، فقد كان هشام بن عبد الملك يحاسب عماله على شراء الأراضي الخراجية بشدة ، فمن ذلك بلغه أن خالد القسري اشترى أرضا من أراضي الغوطة بدون اذن ، فغضب غضبا شديدا ، وأرسل الى الوليد بن عبد الرحمن عامله على الغوطة ، وفرض عليه غرامة مقدارها أربعمائة دينارا[٥].

وكان للالجاء[٦] اضافة الى الشراء أثر في تكوين ملكيات كبيرة في الدولة الأموية ، فمن أمثلة ذلك انتقال بالس وقراها الى ورثة مسلمة بن عبد الملك ، بعد أن احتمى به أهلها وطلبوا اليه حفر قناة من الفرات الى أراضيهم ، ويقول في ذلك عبد العزيز الدوري : (ولم يقتصر هذا الاتجاه على بداية الفترة الأموية ، كما ينتظر بعد الفتوح ، ولكنه استمر ولعله ازداد قوة واتساعا في الفترة الأموية المتأخرة)[٧].

(١) النظم الادارية والمالية في الدولة العربية الاسلامية ، ص ٢٥٣ .
(٢) تهذيب تاريخ دمشق ، جـ ١ ، ص ١٨٥ .
(٣) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٨١ .
(٤) العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام ، ص ٢٩ .
(٥) عبدالمنعم صالح نافع ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في الشرق الاسلامي في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك ، رسالة ماجستير (لم تطبع) جامعة القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص ١٤٩.
(نقلا عن ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، جـ ١ ، ص ٥٨٧) .
(٦) اللجا : المعقل والملاذ . التجأ الى فلان : استند اليه واعتضد به . لجاه الى كذا : ألجأه . و ـ ماله جعله لبعض الورثة دون البعض ، قالوا : ولا تكون التلجئة الا للوارث . المعجم الوسيط ، جـ ٢ ، ص ٨١٥ .
(٧) العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام ، ص ٢٩ .

٢ - الأراضي الاقطاعية :

عرفت القطائع (١) منذ عهد الرسول،صلى الله عليه وسلم،وقد أقطع تميم الداري قريته في بيت لحم وأقرها له عمر بن الخطاب بعد فتح الشام، ويثبت ذلك أنه: (لما أسلم تميم الداري قال: يارسول الله، ان الله مظهرك على الأرض كلها،فهب لي قريتي من بيت لحم،قال: هي لك، وكتب له بها،فلما استخلف عمر وظهر على الشام،جاء تميم الداري بكتاب النبي،صلى الله عليه وسلم،فقال عمر: أنا شاهد ذلك، فأعطاها اياه) (٢).

كما توسع عثمان بن عفان في منح القطائع،وعاونه في ذلك واليه على الشام معاوية بن أبي سفيان،فانه بعد أن أمره الخليفة بانزال العرب بمواضع نائية من المدن والقرى، أنزل معاوية بني تميم الرابية،ووطن القبائل في منطقة الرها،وجلا أهل بالس وقاصرين والقرى القريبة من الفرات حيث وطنها أبو عبيدة لجماعة من المقاتلة،ووطنت القبائل على السواحل السورية بعد أن صدر الأمر الى معاوية بتحصين السواحل وشحنها بالمقاتلة،فأقطعهم انطاكية، وكذلك في أنطرسوس ومرقية وبلنياس (٣).

كما يذكر ابن عساكر بعض الصوافي (٤) التي حولت الى اقطاعات بأن (هناك بعض من القرى الصافية التي استصفاها المسلمون من الروم،منها أندركيسان بدمشق،وقبيس بالبلقاء،وما على باب حمص من جيعانا) (٥)،وأنها ظلت خلال عهد عمر وجزء من عهد عثمان تدخل قبالتها من الأموال الى بيت المال

---

(١) الاقطاع: نظام يقوم على العلاقة بين السادة ونوابهم،يقضي بأن يملك الأولون الآخرين قطائع من الأرض على سبيل المنحة لهم ولأولادهم .
- المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٧٤٥ .

(٢) أبو عبيد،المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

(٣) عبد العزيز الدوري،العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام،ص ٢٨ .

(٤) الصوافي: الأملاك والأرض مات أهلها ولا وارث لها،والضياع كان يستخلصها السلطان لخاصته وواحدتها صافية.
- المعجم الوسيط،ج ١ ،ص ٥١٨ .

(٥) تهذيب تاريخ دمشق،ج ١،ص ١٨٤،بلنياس كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر. ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج ١ ،ص ٤٨٩ .

وتخرج أموالها ضمن أرض الخراج ، إلى أن كتب معاوية إلى عثمان بن عفان ، بأن الأموال التي لديه لا تقوم بالمؤن ووفود الروم ، وسأله إقطاع هذه الأرض ، فسمح له بها ، وبقيت على هذه الحال إلى أن قتل عثمان ، وآفضى الأمر إلى معاوية فأقرها لأهله من الفقراء والمسلمين(١).

وفي عهد الدولة الأموية توسع معاوية في منح الأراضي ، فقد سأله أناس من قريش ، وأشراف من العرب أن يقطعهم من أراضي الصوافي ففعل ، كما قام بمسح شامل للصوافي في الشام والجزيرة ، وأعطى منها الإقطاعات لأهل بيته وخاصته ، فمن هذه الإقطاعات قرية النمرانية (٢) بالغوطة، أقطعها لنمران بن يزيد المدحجي ، وأقطع يزيد بن معاوية ، سعيد بن مالك بن بحدل الكلبي إقليم بيت الآبار(٣)، كما أقطع مروان بن الحكم لعمر الأزدي قرية من غوطة دمشق(٤).

وكان الأشراف يلحون في طلب الإقطاعات ، فنفدت أرض الصوافي في فترة عبد الملك بن مروان ، وراح هذا الخليفة يقطع من أراض خراجية صارت لبيت المال لوفاة أصحابها دون ورثة ، فأقطع عبد الملك ضيعة زملكا(٥) لحفص

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٢) قرية بالغوطة (ياقوت الحموي ،المصدر السابق ،جـ ٥ ،ص ٣٠٤) .

(٣) عبد العزيز الدوري ، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام ، ص ٢٩ - ٣٠ .
- والآبار : قرية يضاف اليها كورة من غوطة دمشق في عدة قرى ، (ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،جـ ١ ،ص ٥١٩) .

(٤) محمد زينهم محمد عزب ، المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٥) زملكان : ذكر ياقوت الحموي : أنهما قريتان إحداهما ببلخ والأخرى بدمشق ، وأما أهل الشام فيقولون زملكا قرية بغوطة دمشق .
(المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٥٠) .

بن عمر الأزدي ، والقعقاع قرية قرب حلب ، وداود بن مروان بن الحكم الداودية [١] ، وأقطع الوليد بن يزيد ضياعا غنية بالبثنية [٢] ، لمعاوية بن عمرو بن عتبة [٣] . وأقطع الوليد بن عبد الملك جند إنطاكية أرض سلوقية ، كما أقطع مسلمة بن عبد الملك قوما من ربيعة في إنطاكية [٤] . وأقطع مروان بن محمد القطائع للجند بالمصيصة [٥] .

ويبدو أن حكم بني أمية لم يكد يستقر في بلاد الشام حتى كانت غوطة دمشق موزعة بين قبائل اليمن وقبائل قيس ، وكان اليمنيون أغلب في قرى الغوطة ، أما داريا فكانت أعظم قرى أهل اليمن بغوطة دمشق [٦] .

---

(١) لم أجدها في معجم البلدان للحموي ، وذكرها ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، (جه ،ص ٢١٧) أن لداود بن مروان بن الحكم أرض معروفة بالداودية شمالي الأرزة من إقليم بيت لهيا .

(٢) قيل البثنية : قرية بين دمشق وأذرعات أو ناحية من نواحي دمشق ، كما يذكر ياقوت الحموي بأن البثنية حنطة منسوبة إلى بلدة معروفة بالشام .
(المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٣٣٨) .

(٣) عبد العزيز الدوري ، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٤) محمد زينهم محمد عزب ، المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٧٠ .

(٦) القاضي عبد الجبار الخولاني ، تاريخ داريا ، تحقيق سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م ، ص ٩ .

أ - **الاقطاعات الخاصة بخلفاء بني أمية وأمرائها :**

كانت هناك إقطاعات خاصة للخلفاء الأمويين في بلاد الشام إلى جانب الإقطاعات في جميع أنحاء الولايات الإسلامية ، ومن هذه الإقطاعات أنه كان لمعاوية بن أبي سفيان ضيعة بالبلقاء كانت لأبيه سفيان بن حرب أيام تجارته إلى الشام في الجاهلية (١)، كما كان له أرض في فلسطين وكورة عسقلان (٢)، كما كان له قرية سام (٣) في الغوطة وقرية طرميس (٤)، كما كان لابنه عبدالله بن معاوية المرج (٥)، وكانت قرية السطح (٦) قرب دمشق لعتبة بن خالد بن أبي سفيان وورثها ابنه عمرو ، وكانت الصفوانية (٧) من نواحي دمشق لخالد بن يزيد (٨)، وكان لسليمان بن عبد الملك مزرعة تعرف بالسليمانية (٩).

---

(١) البلاذري ،فتوح البلدان ،ص ١٣٥،- ذكرها ياقوت الحموي (نقنس) من قرى البلقاء كانت لأبي سفيان ايام كان يتجر الى بلاد الشام ثم لولده من بعده ، (المصدر السابق ،ج ٥ ،ص ٣٠٠) .

(٢) محمد زينهم محمد عزب ، المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٣) سام : من قرى دمشق بالغوطة من إقليم خولان (ياقوت الحموي،المصدر السابق ، ج ٣ ،ص ١٧٢) .

(٤) طرميس من قرى دمشق (ياقوت الحموي ،المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ٣٢) .

(٥) لم يذكر أي مرج إلا أن ياقوت الحموي قد ذكر مرج عذراء من غوطة دمشق ، (المصدر السابق ، ج ٥ ،ص ١٠٠) .

(٦) السطح : قرية من قرى دمشق خارج باب توما كانت لعتبة بن أبي سفيان ، (ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ٣ ،ص ٢٢٠) .

(٧) الصفوانية من نواحي دمشق خارج باب توما من إقليم خولان (ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤١٤) .

(٨) عبد العزيز الدوري ، العرب و الأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام ، ص ٢٩ .

(٩) محمد زينهم محمد عزب ، المرجع السابق ، ص ١٠١ .

وترك عمر بن عبد العزيز ضيعتي بدا[١] وجزين[٢] في منطقة بعلبك ، كما كانت له عين تروي ضياعا بالسويداء[٣]. أما هشام بن عبد الملك فقد كانت له ضياع بالأردن[٤]، كما تملك - وهو أمير - على دورين وقراها باقطاع، ثم تملك قرى مثل سلعوس[٥] وكفر جدا[٦] قرب الرها ، وأحيا أراضي زراعية واسعة في الرصافة، وحفر نهرين لاروائها[٧]، وذكرها قدامة بن جعفر باسم الهني والمري[٨]. كما أقطع ابنته عائشة بر أسكيفا تعرف باسمها[٩].

وكانت قرية ريسون[١٠] بالأردن ضيعة لمحمد بن مروان[١١].

---

(١) بدا قرب أيلة من ساحل البحر ، وقيل بوادي القرى ، وقيل بوادي عذرة قرب الشام ، (ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٥٦) .

(٢) لم يذكر ياقوت الحموي الا قريتين احداهما بنيسابور والأخرى في أصبهان ، وبها مياه وأشجار ومنتزهات ، (أنظر : معجم البلدان، ج ٢ ، ص ١٤٠) .
(ولعل هذا الاسم أطلق على القرية تمثلا بقرية جزين بأصبهان لما في وصفها من جمال) .

(٣) عبد العزيز الدوري ، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام ، ص ٣٠ .

(٤) محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، دار الأنصار ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧ م ، ص ٢٥٩ .

(٥) لم يذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان .

(٦) ذكرها ياقوت الحموي (كفر جديا) ، قرية من قرى الرها كانت ملكا لهشام بن عبد الملك ، وقيل هي من قرى حران .
(المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦٩) .

(٧) عبد العزيز الدوري ، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام ، ص ٢٩ .

(٨) الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣١٥ .

(٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٨٥ .

(١٠) ريسون : قرية بالأردن (ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٢) .

(١١) عبد العزيز الدوري، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام، ص ٣٠ .

ب - **إقطاعات خاصة للأمراء والأشراف والقبائل :**

منح خلفاء الدولة الأموية الأراضي إلى أمرائهم وخواصهم ، فأصبح لكثير من الأمراء والأشراف من العرب قرى وضياع ، سواء كان بأرض الشام أو غيرها من الولايات .

ومن الإقطاعات التي كانت موجودة في أيدي هؤلاء في بلاد الشام في هذه الفترة قرية تنهج[١] لعباد بن زياد بن أبي سفيان ،ولسعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان قرية الفدين [٢] في حوران ، ولمسلمة بن عبد الملك أرض بغراس [٣]، وقرى وضياع في شمال سورية مثل الاسكندرونة وعين السلوز[٤] وبحيرتها ، إضافة إلى بالس وقراها - التي حفر لها نهرا مقابل الثلث من واردها - بعد العشر ، ثم صارت ملكا لورثته ، كما كانت هناك ضياع بيد الأمراء والأشراف ، فكان لعمرو بن العاص ضيعة عجلان في بيت جبرين ناحية السبع (وفيها سبع آبار) بفلسطين ، وكان لحميد بن عقبة إقطاع بدمشق ، وكانت لإبان بن مروان بن الحكم أرض إبان[٥] ،وللأسود المحاربي قطائع بداريا ،

---

(١) قرية بها حصن من مشارف البلقاء من أرض دمشق ، (ياقوت الحموي،المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥١) .

(٢) الفدين : من أرض حوران ، (ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج ٤،ص ٢٤٠) .

(٣) ذكر البلاذري (فتوح البلدان،ص ١٦٨) درب بغراس ضمن فتوحات المسلمين للثغور الشامية .

(٤) عين السلوز : قرب إنطاكية ،ذكرها ياقوت الحموي (المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٧٨) (عين السلور) .

(٥) لم توجد في معجم البلدان ، وذكر صلاح الدين المنجد،معجم بني أمية ، دار الكتاب الجديد،بيروت ،الطبعة الأولى ،١٩٧٠م،ص ٥، أن ابان هذا صاحب دار سيف وسوق الأساكفة الجدد التي تليها،وإليه تنسب أرض ابان خلف الفليين موضع المسجد الذي يعرف اليوم بالمسجد الجديد،وقيل إن الدار المعروفة بدار سيف في الأساكفة شرق زقاق العجم كانت دار إبان بن عبد الملك هذا ،وكان له حمام بجانب الدار خربت .

وكانت في ناحية خولان بالغوطة عدة قرى فيها ضياع لجماعة من أشراف بني أمية ، وكانت خاف [(١)] مزرعة لأبي الورد الكلبي[(٢)]. هذا وقد وزعت الأراضي التي لا مالك لها قبل الفتح الإسلامي لبلاد الشام على ملاك جدد ،وأدى ذلك إلى وجود طبقة كبيرة من الملاك الكبار من العرب في بلاد الشام ، ويعلق عبد العزيز الدوري على هذا بقوله : (وإن ضياعهم كانت في مناطق خصبة ومهمة، ومثل هذه الضياع الكبيرة تحتاج إلى الفلاحين والعمال الزراعيين ، ولعلهم كانوا يعيشون في تجمعات قروية حولها ، وربما أعطيت الأراضي بقطع إلى مزارعين صغار)[(٣)].

كما تم إحياء كثير من الأراضي الموات على أيدي جماعات قبلية أحيتها وتملكتها في مناطق واسعة من مدن وقرى الشام ، مثل حمص والرسن على نهر العاصي ، ويبدو أن جماعات كبيرة من هذه القبائل عملت بالزراعة (فانتقلوا من ملاكين غائبين أو مقاتلة متمركزين في مراكز معينة إلى طور الاهتمام بالزراعة ومزاولتها)[(٤)].

---

(١) لم يوجد ذكرها في ياقوت الحموي،معجم البلدان ، وقد ذكرها عبدالعزيز الدوري نقلا عن ابن العديم ، ج ١ ، ص ٥٤ .

(٢) عبد العزيز الدوري ، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) عبد العزيز الدوري ، المرجع نفسه ، ص ٣٠ .

(٤) عن القبائل العربية وتمركزها في بلاد الشام ، أنظر :
عبد العزيز الدوري ، المرجع نفسه ، ص ٣١ .

جـ - آراضي الوقف والأحباس :

وكانت هناك أيضا بالشام آراضي الوقف والأحباس ويقصد بها الأراضي التي يخصصها المسلمون للأغراض الدينية للصرف على المساجد والمؤذنين والقراء والمنقطعين للعلم ، وللمجاهدين والفقراء والمحتاجين واليتامى، وفك الأسرى ، ولبناء المساجد والحصون ، أو للمنافع العامة ، ففي الشام حبس معاوية منطقة الصوافي مصدرا لفقراء المسلمين ، كما كانت بغراس في منطقة انطاكية الساحلية وقفا للفقراء والمساكين[(١)].

(١) محمد زينهم محمد عزب ، المرجع السابق ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

ثانيا : اهتمام الخلفاء الأمويين بإقامة السدود ومدّ القنوات :

منذ أن فتح اللّه على المسلمين بلاد الشام والعراق ومصر كانت أهداف عمر بن الخطاب ، رضي اللّه عنه تنشيط الزراعة في البلاد المفتوحة ، حتى تجني البلاد الإسلامية والأمة الإسلامية جمعاء من خيرات هذه البلاد ، فعلى سبيل المثال فإنه خصص ثلث إيراد مصر لعمل الجسور والترع لإصلاح طرق الري[(١)] ، كما كان يشترط على أهل الذمة إصلاح الجسور والطرق[(٢)].

وقد اعتنى العرب الذين وفدوا إلى هذه البلاد بالزراعة فيذكر محمد كرد علي على لسان أحد علماء الافرنج قوله عن العرب : (والعرب عمال زراعة ورجال براعة برعوا في سقي الجناين واخترعوا النوافير العجيبة ووطّنوا النباتات)[(٣)].

وقد اعتنى الخلفاء الأمويون والولاة في الأقاليم بإصلاح وسائل الري ، وإقامة السدود والقناطر ، وتطهير الترع ، وردم المستنقعات ، وحفر النهيرات والجداول ، والعناية بالطرق[(٤)].

وكان يصرف من بيت المال في عهدهم مبالغ حسنة لتحسين هذه الوسائل ، كما كان بيت المال مسئولا عن حفر الترع للزراعة وغيرها من المصالح[(٥)].

ولما دخل العرب بلاد الشام كانت المنشآت الخاصة بالزراعة في المدن القديمة قد صممت منذ العصر الروماني ، ومنها مدينة "دمشق" التي أجروا

---

(١) يحي الكتاني ،المرجع السابق ،ج ٢ ،ص ٤٨ .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٧٨ .
(٣) خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٤٦ . (لم يذكر اسم العالم) .
(٤) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .
(٥) عمر أبو النصر ، الحضارة الأموية العربية في دمشق ، ص ٢٤٨ .

فيها القنوات لتوصيل المياه إلى داخل المدينة ، حتى ظلت لعدة قرون (وصلت إلى القرن العشرين) (١) ومن هذه المنشآت الرومانية التي حفظتها لنا أمهات الكتب الإسلامية ، ماذكره المقدسي عن مدينة "صور" فذكر أن لها قناة معلقة يدخل منها الماء إلى المدينة (٢)، وذكرها القزويني على أنها احدى عجائب الدنيا وهي من أحد الطرفين إلى الآخر على قوس واحد ، وليس في جميع البلاد قنطرة أعظم منها (٣).

كما ذكر ابن شداد عن قناة آخرى لمدينة حلب : أن هذه القناة كما قيل هي عين ابراهيم الخليل (وتأتي من حيلان شمال حلب)، وقيل أن الملك الذي بنى حلب وزن(٤) ماءها إلى وسط المدينة ،وبنى عليها ، وقد وصف تركيب هذه القناة وصفا دقيقا ، كما ذكر أن هذه القناة قد جددت في عهد عبدالملك بن مروان ، ويؤكد أن هذه القناة ليست إسلامية كما ذكرت بعض المصادر ، وإنما هي في الأصل من المنشآت الرومانية القديمة (٥).

---

(١) أحمد غسان سبانو ، دمشق في دوائر المعارف ،(عن دائرة المعارف البريطانية)، ص ١٦٧ .

(٢) احسن التقاسيم ، مطبعة بريل ، ليدن ، ص ١٦٤ .

(٣) آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م ، ص ٢١٧ .

(٤) وزن الشيء : رجح ، ووازن بين الشيئين : أي ساوى وعادل ، الموزون : شيء موزون على وزن أو مقدار معلوم .

(٥) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، نشر سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م ،ص ١٤٣،١٤٤ ، أنظر أيضا :

- عبد الله مراش ، مختصر تاريخ حلب ، دار الكتب ، القاهرة ، مخطوط رقم ١٩٥٦ ، تيمورية ، ورقة ٨٣/٨٤ .

ولما تولى الأمويون الخلافة الإسلامية عنوا كثيرا بطرق الري الزراعية ، سواء كان القديم منها أو الحديث ، وفي ذلك يقول عبد القادر عياش : (إن الأمويين اعتنوا بالري في وادي الفرات في سورية وأخرجوا من الفرات الجداول والترع العديدة التي روى التاريخ الإسلامي أسماءها وأوصافها ، وذكرها بعض الشعراء ، إلا أن المغول في القرن السابع الهجري / الثالث الميلادي أتوا فدمروا هذه الجداول وقتلوا السكان)(١).

ويذكر أيضا عبد القادر عياش عن المنطقة السورية وعن ضفاف الفرات بالذات بأن بها إنشاءات للري منذ عصر الآكاديين والسومريين حيث أنشأوا السدود ، وشقوا الجداول ونظموا الري وبنوا خزانات المياه واستخدموا الري المنظم ، فأخرجوا بذلك العديد من المحاصيل الزراعية ومنها الشعير والقمح والذرة والتمور والزيتون(٢).

وقد ظهرت عناية الخلفاء الأمويين بمنشآت الري الزراعية ومياه الشرب في العديد من مدن بلاد الشام ، سواء كانت هذه المنشآت تخدم العامة أو الخاصة. فعلى سبيل المثال نذكر أن قصر الحلابات وهو أحد القصور التي أنشأها خلفاء بني أمية في الشام (شرق مدينة الزرقاء بالأردن) أنشئت إلى الشمال الشرقي منه بركة كبيرة ووجد عندها بعض المنشآت المهدمة الآن تماما ، ولا يستبعد بأن الماء كان يجلب إليها من الأزرق أو من وادي الضليل ، بالإضافة إلى مايجتمع فيها من مياه الأمطار ، إذ ثبت بالاستطلاح الزراعي أن هذه المنطقة

---

(١) مشاركة مدن الفرات في سورية ، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية - عمان ، والدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، ص ٢٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

- وهي على تخوم البادية كانت ولا تزال أرضا زراعيـــــة [1].

ويقول عبد العزيز الدوري في ذلك : (وتجدر الإشارة إلى أن قصور الأمراء الصحراوية لم تكن للنزهة فقط ، بل مراكز للاستثمار الزراعي ، ويضيـــف إلـــى ذلك قوله : (وكانت منشآت الري حولها من قنوات وصهاريج ومجـــاري لإرواء حقول ومشاريع زراعية في المنطقة بين الصحراء والأرض المزروعة علـــى الحـــد الشرقي جهة بادية الشام ، وهي إن كانت على آثار مشاريع سابقة إلا أنهـــا تدل على تقدير الأمويين لأهمية الأرض ، وعلى إحياء أرض خالية بعد الفتح) [2].

ومن الانشاءآت التي أنشأها في بلاد الشام الخليفة الأول معاويـــة بـــن أبي سفيان من أجل العناية بالزراعة، حفر الآبار، وإقامة السدود للانتفـــاع بالمياه [3]، وإنشاء المصانع [4] على الطرقات [5].

ومن الأعمال الجليلة التي خلدها التاريخ ليزيد بن معاوية هـــو حفـــره لنهر سمي باسمه في سفح جبل قاسيون [6] . ويذكر ياقوت الحموي ، أنه يسقـــي ما لا يصل إليه ماء بردى ولا ماء ثوري [7].

---

(١) فواز طوقان : الحائر في العمارة الأموية ، (عن المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام) ، الجامعة الأردنية ، عمان ، والدار المتحدة للنشر ، بيـــروت ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، ص ١١٠ .
وعن القصور التي أنشأها خلفاء بني أمية في بادية الشام أنظر :
- زكي محمد حسن : فنون الإسلام / دار الفكر العربي ودار الكتـــاب الحديث ، الكويت ، ص ٤٤ - ٥٣ .

(٢) العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام ، ص ٣٣ .

(٣) يوسف العش ، الدولة الأموية ، ص ١٥٨ .

(٤) المصانع : جمع مصنع وهو الحوض تجمع فيه مياه المطر .

(٥) محمد كرد علي ، الإدارة الإسلامية في عز العرب ، ص ٨٠ .

(٦) أبو الفرج العش ، آثارنا في الإقليم السوري ، ص ٢٨ .

(٧) معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٤٣٦ .

وقد ذكر ابن عساكر عن أسباب انشائه (أنه كان نهر صغير "ببناطيا" يجري فيه شيء من الماء يسقى ضيعتين في الغوطة لقوم يقال لهم : بنو فوقا ولم يكن لأحد غيرهم فيه شيء ، فماتوا في خلافة معاوية بن أبي سفيان،ولم يبق لهم وارث ،فأخذ معاوية ضياعهم وأموالهم ،فلم يزل كذلك حتى مات معاوية في رجب سنة ستين وولي ابنه يزيد،فنظر الى أراضي واسعة ليس لها ماء - وكان مهندسا [(١)]- فنظر الى النهر فاذا هو صغير،فأمر بحفره ،فمنعه من ذلك أهل الغوطة ودافعوه ،فلطف بهم على أن ضمن لهم خراج سنتهم من ماله ، فأجابوه الى ذلك،فاحتفر نهرا سعة عرضه ستة أشبار في عمق ستة أشبار) [(٢)].

أما عهد الوليد بن عبد الملك فقل أن نجد مصدرا من أمهات الكتب لم تتحدث عن المنشآت في عهده ،فقد كان مهتما بالعمران والبناء وقلده في ذلك رعاياه ،فأقام المصانع والجوامع وحرص الناس في أيامه على التشييد والتأسيس [(٣)].

ويقول الثعالبي في ذلك : (كان الأغلب على الوليد بن عبد الملك حب البناء،واتخاذ المصانع واعتقاد [(٤)] الضياع) [(٥)].كما ذكر الطبري ارساله الكتب الى عمال الولايات باصلاحات طرق الري [(٦)].

(١) هذا حسب وصف ابن عساكر،تهذيب تاريخ دمشق ،ج ١،ص ٢٤٥ .

(٢) تهذيب تاريخ دمشق،ج ١،ص ٢٤٥،٢٤٦،
وأنظر أيضا :
- ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ،ص ١٣،
- والشبر،مابين طرف الخنصر والابهام بالتفريج مابينهما .

(٣) محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ،ج٢،ص ١٧٠ .

(٤) اعتقد الشيء : حازه لنفسه .

(٥) لطائف العارف ،ص ١١٦ .

(٦) كتب الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة ،وخرجت كتبه الى البلدان بذلك .(الطبري : المصدر السابق، ج ٦ ، ص ٤٣٧) .

وقد اهتم الوليد بالعناية بطرق وصول الماء إلى المسجد الأموي عن طريق قنوات من جميع أبوابه، وإنشاء فوّارات الماء بداخله (١). وكان الوليد بن عبد الملك لما بنى المسجد اشترى ماء من نهر السكون يقال له "الوقية" فجعله في القناة الى المسجد (٢).

ولما بنى سليمان بن عبد الملك مدينة الرملة شكا اليه أهالي المنطقة قلة الماء لديهم (٣)، وذكر القلقشندي أنه كانت لديهم قناة ضعيفة قد أجراها لهم عبد الملك (٤). على أنه يبدو أن هذا غير صحيح لأن المدينة بناها سليمان بن عبد الملك ، فربما هناك خطأ غير مقصود من ذكر القلقشندي لعبد الملك ، أو أن القناة التي ذكرها كانت خارج المدينة. أما البلاذري فقد ذكر أن سليمان (احتفر لأهل الرملة قناتهم التي تدعى بردة ، واحتفر آبارا أخرى ، وولى النفقة على بنائها بالرملة ومسجد الجماعة كاتبا نصرانيا يقال له البطريق بن النكسا (٥).

وذكر ابن عساكر أنه : (قل الماء في خلافة سليمان بن عبد الملك حتى لم يبق في بردا الا شيء يسير ، فشكوا ذلك الى سليمان .. فأمر سليمان بن عبد الملك بكراء الماء من أصل ماء العين وظل العمل بهذا الكراء طوال خلافة سليمان (٦). كما ذكر أن عمر بن عبد العزيز كانت له عين ماء بالسويداء تروي ضياعا له (٧) .

---

(١) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٥٩.

(٢) ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

(٤) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٠٠ .

(٥) فتوح البلدان ، ص ١٤٩ .

(٦) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

(٧) عبد العزيز الدوري ، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام ، ص ٣٠ .

واهتم هشام بن عبد الملك بالانشاء والتعمير والعناية بالزراعة وطرق الري[١]،فقد قال المسعودي عنه : (كان يجمع الأموال ويعمر الضياع ... ، واتخذ القنى والبرك ، بطريق مكة)[٢]،ولما بنى قصر الحائر في بادية الشام أجرى به قناة تمتد حوالي ٤٠ كيلو مترا[٣]،كما أمر بحفر نهيرات صغيرة في دمشق لتزويد أهلها بالمياه اللازمة للري والشرب[٤].وأمر بكري ترع دمشق لما شكا اليه الناس قلة الماء[٥]،كما أمر ولاته على الأقاليم بشق الأنهار والاهتمام بطرق الري الزراعية[٦]،كما شكا الناس من أهل "حرستا" الى هشام قلة الماء وسألوه شرب سقائهم وماء لمسجدهم،من ماء نهر يزيد ، فكلم هشام فاطمة بنت يزيد في ذلك فأجابته (على أن يحتفر نهرا صغيرا يجري الى مسجدهم للشرب لاغير،وفتح الحجر الذي يمر منه الماء بقرية حرستا فترا[٧]،في فتر مستدير،يجري لهم من الأرض على مقدار شبر من ارتفاع بطن الأرض،وسأله عبد العزيز - مولى هشام - أن يجري لهم شيئا يسقي ضيعته،فأجابه بعد أن سأل في أمره يوم الأربعاء ، وصيرت لهم ماصية [٨]

---

(١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٩٦٥م ، ج ١ ، ص ٣٣٣ .

(٢) مروج الذهب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

(٣) فواز طوقان ، المرجع السابق ، ص ٦٩ .

(٤) عبد المنعم فالح ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

(٥) أنظر عن كراء هذه الترع : ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٥ ومايليه .

(٦) أمر هشام والي الموصل بحفر نهر الى داخل البلدة بلغت تكلفته ثمانية آلاف ألف درهم . ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج ٥ ،ص ٢٤١ . كما حفر خالد القسري نهر الجامع بالكوفة ، ونهر المبارك في واسط ، كما أقام قنطرة على نهر دجلة . البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٩ .

(٧) الفتر : مابين طرف السبابه وطرف الابهام اذا ما فتحتهما .

(٨) الممص : آلة المص ، ومصمص الماء : حركه بطرف لسانه .

فتحتها شبر في أصغر من شبر ، ثم سأله خالد على أن يسقي ضيعته فأجابه إلى يوم الخميس ، فهيئت عليه ماصية كحكايته)[١]. كما أحيا هشام أراضي واسعة بالرصافة ، وحفر نهرين لإروائها[٢] .

ويذكر لنا فواز طوقان عن طرق الري بقصر الحائر الغربي (رصافة هشام) عن أبنية تتواجد معها أعمال مائية ضخمة للسقاية والري التى كانت تستمد من سد حربقة ويبعد "١٦,٥" كيلو مترا جنوبي القصر ، وكان هذا السد قد بني منذ عهد الرومان ، ويذكر أن وراء هذا السد كانت تتجمع المياه في بحيرة صناعية ، بلغت مساحتها ٨٠٠ x ١٥٠٠ مترا تقريبا ، ويشير إلى أنه بوصول المياه إلى هذا السد من السيول قد تكونت مع الزمن رواسب طينية داكنة ، وبالتالي أصبحت أرضا خصبة صالحة للزراعة مازالت تستخدم حتى اليوم ، كما يشير إلى طريقة وصول مياه السد إلى القصر بأنها كانت عملية في منتهى الدقة والإتقان والحذق الهندسي ، فالقناة التي كانت توصل مياه السد إلى القصر ، كانت تتفرع منها عدة أقنية لري المزروعات وغيرها[٣] .

ولم تتوقف الإنشاءات الخاصة بالري وطرق الزراعة بعد عهد هشام بن عبد الملك ، فنذكر على سبيل المثال حفر نهر في الأردن في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك[٤].

هذا ولم يقتصر بناء المنشآت الخاصة بالري على خلفاء بني أمية ، فقد قام الأمراء وكبار الدولة أيضا بهذا الدور الهام في الدولة الأموية ،ومما

---

(١) ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٤ - ١٥ .
(٢) عبد العزيز الدوري ، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام ، ص ٢٩ .
(٣) لمزيد من التفاصيل عن هندسة هذا الإنشاء أنظر :
- فواز طوقان : الحائر في العمارة الأموية ،(عن المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاذ الشام) ،ص ٧٧ ومايليه .
(٤) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٤٨ .

يذكر في هذا الصدد أن مسلمة بن عبد الملك حفر نهرا من الفرات لسقيا أراضي أهل بالس والقرى القريبة منها ، بعد أن سأله أهلها أن يحفر لهم النهر على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد تسديد العشر ، فحفر لهم النهر الذي عرف باسمه (١).

كما يذكر محمد كرد علي أنه كان للغوطة حظ عظيم من العناية في العهد الأموي ، حيث نزلها رجال من بني آمية عمروا فيها القصور ، وآنشأوا المزارع وشقوا الجداول وعنوا باستثمارها واستنباتها (٢).

ويضيف عصام الدين عبد الرؤوف عن دمشق ومنشآت الري بها بقوله : (وكانت بيوت دمشق تصل إليها مياه الشرب ، ومع أن نهر بردى كان يمد المدينة بما تحتاجه من الماء ، فان الأمويين أظهروا مهارة منقطعة النظير في تجهيز بيوت المدينة بما تحتاجه من الماء وذلك بإقامة أحواض تنبثق منها المياه الصافية ،كما أقاموا سبعة جداول تجري في أنحاء المدينة ، بالإضافة إلى المجاري العديدة التي كانت تربط كل منزل بالمجرى الرئيسي) (٣).

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .
(٢) غوطة دمشق ، ص ٢٨ .
(٣) الحواضر الاسلامية الكبرى ، ص ٩٧ .

عيد النيروز وارتباطه بجباية الخراج في العهد الأموي :

ظل النيروز كما في العهد الساساني والبيزنطي أول السنة المالية طوال حكم الخلفاء الراشدين والأمويين ،فكان النيروز هو موسم جباية الخراج ، وربما هذا الموعد من كل عام قد طبق في الولايات الاسلامية التي تم فتحها على عهد عمر بن الخطاب ، وتم فيها مسح السواد وحدد فيها ضريبة الجزية والخراج(١) ، واذا كان النيروز هو بدء السنة المالية الا أن الخراج كان يجبى في عهد الساسانيين في ثلاثة أنجم(٢)،وربما طبق العرب ذلك في العراق وفي مناطق أخرى ، اذ يذكر الطبري أنه في كتاب الصلح الذي كتبه عمرو بن العاص لأهل مصر ، "أن عليهم ما عليهم أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم(٣)،واذا كان الخليفة عمر قد قام بمسح السواد ،فلابد أن يكون قد قام بهذه العملية في الشام والجزيرة ، وبالرغم من أن المصادر العربية لا تذكر سوى أن القادة فرضوا الجزية والخراج ،فان تيوفانس يذكر أنه في العام الثلاثين من حكم هرقل، أجرى عمر احصاء لكل الأراضي والرجال والحيوان(٤) ،ولكن ليس هناك ذكر لمقدار الخراج المفروض على الأرض الا اذا اعتبرنا أن الخراج كان يؤخذ عينا في الجزيرة والشام ،وأن مقداره كان مدين من حنطة ،وثلاثة أقساط من الزيت في كل شهر لكل انسان ، وودك وعسل) (٥).

وقد كان الفرس يكبسون السنين شهرا كل مائة وعشرين سنة ، وكان من الممكن أن يضيفوا يوما واحدا كل أربع سنين بنفس طريقة الروم ، ويعتبر يوم النيروز هو يوم يجمع فيه الخراج(٦) ، ولم يكن لعيد النيروز في صدر

---

(١) نجده خماش ، الادارة في العهد الأموي، ص ١٨١ .

(٢) أبو حنيفه الدينوري ، الأخبار الطوال، دارة المسيرة ، بيروت ، ص ٧١ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠٩ .

(٤) دانيل دينيت ، الجزية والاسلام ، ص ١٠٨ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٣١ .

(٦) طه ندا ، الأعياد الفارسية في العالم الاسلامي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد السابع عشر ، ١٩٦٣م ، ص ٣٣ .

الاسلام أي شأن في المجتمع الاسلامي، (خاصة وأن الرسول قد نهى عن الاحتفال به)، الا أن معاوية بن أبي سفيان بعد أن تولى الخلافة أعاد الاهتمام به لبعض العوامل الاقتصادية، فقد أعاد معاوية هدايا النيروز والخراج وأمر أن تحمل اليه، فكان يحمل اليه في السنة عشرة آلاف ألف درهم (أي عشرة ملايين درهم)[١]. ويوضح لنا طه ندا هذا الأمر بقوله: (ويظهر أن معاوية أراد أن يفيد من هذا العيد كما كان يفيد منه ملوك الفرس القدماء)[٢]، أما عمر بن عبدالعزيز فقد رفض أن يقبل من المسلمين هذه الهدايا، وكان يكتفي في خراج النوروز بجمع الخراج وحده، ويرفض ماعدا ذلك من الهدايا[٣]، الا أن الخلفاء قد عادوا فقبلوا هذه الهدايا، وكانت هدية حسان النبطي الى هشام بن عبد الملك من الكثرة والفخامة حتى أن هشاما استكثرها لنفسه، وأمر أن تضم لبيت المال[٤].

وأما عن علاقة جباية الخراج وأعياد النيروز في الدولة الاسلامية، فنوضح بأن جباية الخراج كانت في السنة الهجرية في عهد الخلفاء الراشدين، على الرغم من أن جني المحصول يتم حسب فصول السنة، ولكن تعاقب الفصول واختلافها مع السنة الهجرية جعل أمر جباية الخراج عسيرا على مدار السنة، بحيث أصبح استحقاق جباية الخراج في نهاية العام الهجري لا بدايته، الأمر الذي دعا الى تحويل السنة الخراجية السابقة الى السنة التالية لها[٥].

---

(١) - الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ٢٤،
- فؤاد عبد المعطي صياد، النوروز وأثره في الأدب العربي، جامعة الدول العربية، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٤٧.

(٢) الأعياد الفارسية في العالم الاسلامي، ص ١٤.

(٣) - تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٠٦، ابن عساكر، تهذيب تاريخ مدينة دمشق، ج ٥، ص ٢١،
- الجاحظ، المحاسن والاضداد، ص ٢٨٣.

(٤) القاضي الرشيد، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق صلاح الدين المنجد، سلسلة التراث العربي، الكويت، ١٩٥٩م، ص ١٥، طه ندا، الأعياد الفارسية، ص ١٤.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٥٤.

ويقول في ذلك عبد المعطي صياد : (ومن هنا وجد سبب رئيسي لبقاء النوروز في الدولة العربية باعتباره عيد رأس السنة التي اختارها العرب مقياسا لزمانهم ، وعليه يتوقف تحصيل الخراج)، كما أضاف سببا آخر لبقاء هذا العيد في الدولة الاسلامية بقوله : (لقد استرعى هذا التقليد انتباه خلفاء بني أمية ، ووجدوا فيه فرصة سانحة لأن تكون الهدايا التي تقدم في أيام النوروز موردا آخر من موارد الدخل للدولة)(١).

على أنه يبدو أنه لم تكن له الصفة الرسمية ، حيث أبطل الاسلام كبس السنين ، ونشأ عن ذلك أن حل ميعاد جباية الخراج قبل نضج الزرع وأدرك هشام بن عبد الملك ماحاق بالزرع من ضر نتيجة لذلك(٢).

وقيل أن الدولة الأموية قدمت ميعاد جباية الخراج نحوا من شهر ، فاجتمع أصحاب الأراضي في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) وطلبوا اليه أن يؤجل ميعاد الخراج هذا الشهر ، ولكن الخليفة رفض محتجا بقوله : * إِنَّمَا النَّسِيءُ(٣) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ *(٤)(٥).

---

(١) النوروز وأثره في الأدب العربي ، جامعة الدول العربية ، بيروت ، ص ٤٦ .
(٢) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ٥٤ .
(٣) النسيء : التأخير ، ومنها تأخر حرمة المحرم الى صفر أيام الجاهلية ، وفي التنزيل ما جاء في الآية الكريمة (أعلاه) .
- المعجم الوسيط ، المجلد الثاني ، ص ٩١٦ .
(٤) سورة التوبة ، آية ٣٧ .
(٥) - القلقشندي ، المصدر السابق ج ٣ ، ص ٥٦ ،
- حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

ثالثا : المحاصيل الزراعية :

عرفت أرض الشام الزراعة وإنتاج الأراضي الزراعية منذ الأزمنة القديمة في العهود السامية ، حيث أشار الباحثون عن تاريخ بلاد الشام وأرضها الى أنواع الآلات المستعملة للفلاحة والزراعة ، كما أشاروا إلى أنواع المزروعات التي وجدت في الفترات القديمة السامية المتعاقبة في أرض الشام ، فقد عرفت هذه المنطقة الزراعة منذ عصر ماقبل التاريخ ، فهناك ثلاث مناطق متباينة للنبات — في هذا العصر — تقع جنبا إلى جنب في الأراضي السورية ، فالسهل الساحلي والسفوح المنخفضة للمرتفعات الغربية تضم النباتات المعتادة في سواحل البحر المتوسط ، وتتصف هذه المنطقة بوجود الشجيرات الدائمة الخضار ونباتات الربيع التي تزهر بسرعة وتعطي أريجا قويا ، كما تزدهر أنواع النباتات التي زودت الإنسان بأهم موارده الغذائية كالقمح والشعير والدخن (نوع من الذرة) والتي كانت تنمو بصورة طبيعية في أرض الشام(١).

كما أدخلت إلى هذه المنطقة أنواع من المزروعات ومنها الذرة الصفراء ، والبصل والثوم والخيار وسائر الخضار ، كما عرفت هذه المنطقة أنواعا من محاصيل الفواكه القديمة ومنها التين والزيتون والتمر والعنب ، ثم أدخلت عليها أنواع أخرى من الفواكه مثل الموز وأشجار الحمضيات ، وأما أهم أشجار هذه المنطقة فهي السنديان وصنوبر بلاد البحر المتوسط والتوت والزان ، وفي أعالي جبال لبنان الغربي والشرقي وهي المنطقة الثانية توجد الأشجار القوية الصامدة مثل الشوح والأرز وسائر النباتات ذات الأثمار المخروطية ، أما المنطقة الثالثة النباتية من جهة هضاب سورية الشرقية فإن الحرارة الشديدة وقلة الأمطار،فتكاد تنعدم فيها الأشجار ،وتظهر الأعشاب في مواسم معينة (٢).

(١) فيليب حتي ،تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ،ج ١ ،ص ١٧ ، ٥١ .
(٢) فيليب حتي ، المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٥٢ .

فاذا كانت منطقة بلاد الشام قد عرفت الزراعة منذ عصر ماقبل التاريخ وتطورت هذه الزراعة خلال أزمنة متعاقبة فقد سعى سكان هذه البلاد في الأزمنة السامية من سكانها الكنعانيون الى انماء أنواع الاقتصاد في أراضيهم وتوسعوا في تطوير الطرق الزراعية حيث وجدت بقايا أعمال الزراعة الكنعانية بين ١٥٠٠، ١٣٠٠ ق.م. في تل بيت مرسيم (قرية سفر القديمة)، وعرفت المحاريث وآلات الحرث والدرس والحصاد والطحين ، وعرفت محاصيل تلك الفترة بما لا يختلف عن المحاصيل المعروفة في هذا العصر، فقد كانت المحاصيل النموذجية هي القمح والشوفان ، والشعير والفاصوليا والعنب والزيتون والتين والرمان والجوز (١).

فمن الواضح اذا أن أرض الشام وقت أن دخلها المسلمون الفاتحون كانت مثالا للأرض المعطاءة التي لا تبخل على من يعتني بها بادرار الخير الوفير عليه، وحينما دخل العرب الفاتحون الى أرض الشام وما جاورها من الأراضي كان هدفهم الاستقرار والاستيطان ، اضافة الى نشر الاسلام ، وقد زاد الشعور بهذا الهدف ما منحه اياهم خلفاء بني أمية من أراض ، مما جعلهم يستوطنون الأرض ويعمرون الديار، وكان كثير من هذه الأراضي قد خلت من أهلها السابقين سواء أكانت أرض موات أو خلا عنها أهلها بعد الفتح (٢). ويستدل على أن هذه الهجرات القبائلية التي تبعت الفتح أنها هجرات استيطانية أعطيت أراض للزراعة والرعي، كما أن القبائل العربية القديمة بدورها أعطيت أراض جديدة، ففي هذا الصدد يقول عبدالعزيز الدوري: (ومع قلة المعلومات المتوافرة، فان ماوصل يكفي للدلالة على أن

---

(١) فيليب حتي ، المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) أنظر الى هجرة القبائل العربية واستيطانها في أرض الشام منذ الفتح الاسلامي ومابعده : عبد العزيز الدوري ، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام ، (عن المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ، ص ٢٦ ومابعدها) .

هذه الأراضي كانت أراضي خالية في أماكن نائية أو استراتيجية، أو أنها أراض جلا عنها أهلها نتيجة ظروف الفتح ، أو من الأرض الموات) [١]، ويستند على ذلك بقول أبي حفص الشامي : "كل عشري بالشام فهو مما جلا عنه أهله فأقطعه المسلمون فأحيوه ، أو كان مواتا لاحقا لأحد فيه فأحيوه بإذن الامام" [٢]، كما يتضح من قول أبي حفص الشامي حسب ما ذكره البلاذري عما جاء عن بلاد الجزيرة : "سألت المشايخ من أعشار بلد ديار ربيعة والبرية فقال : هي أعشار ما أسلمت عليه العرب ، أو عمرت من الموات الذي ليس في يد أحد أو رفضه النصارى فمات وغلب عليه الدغل [٣] فأقطعه العرب" [٤].

وكان الحائزون على هذه الأراضي من عرب الجزيرة العربية — الذين تعودوا على الفروسية والرعي والذين لم يعتادوا الزراعة ، فتركوا الأرض للفلاحين مقابل نسبة من المحاصيل أو بالمزارعة [٥].

وكانت صادرات أرض الشام قبل الفتح الاسلامي معروفة من حبوب وكروم وزيوت وفواكه من أراضي البقاع وغوطة دمشق [٦]، فمن غير المعقول أن تهمل هذه المحاصيل الزراعية بعد أن حاز العرب أرضها ، وهم أرباب التجارة الذين جابوا البلاد في سبيل استجلاب الخيرات ، وعرفوا تجارة الشتاء والصيف ،فيما بين الشام واليمن ،لذا نجد الأمراء والأشراف الذين حازوا هذه الأراضي

---

(١) عبد العزيز الدوري ، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام ،ص ٢٧ .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ،ص ١٥٧ .
(٣) الدغل : الشجر الكثير الملتف .
(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٨٤ .
(٥) عبد العزيز الدوري ، المقال السابق ، ص ٢٨ .
(٦) محمد أسعد طلس ، تاريخ العرب ، دار الأندلس ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣م ، مجلد ١ ، ج ٢ ، ص ٦٠ .

يبعثون من ينوب عنهم في إقطاعاتهم ، ويتولى أمور الأرض والفلاحين وإعطاء العشور عن الأرض (١).

إن أكثر الأشجار عراقة في أرض الشام هي : التين والزيتون والعنب ، وقد أورد الله تعالى الأوليين في قسمه : قال تعالى : * وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ *(٢). وقد عرفت شجرة الزيتون بأنها لا تحتاج إلا للقليل من العناية ، كما أنها تشكل مصدرا غذائيا للطبقات الفقيرة ، ويستخدم زيتها للسرج وخاصة الأديرة المتواجدة في أرض الشام ، وكذلك يستخدم نواها للتدفئة ، أضف إلى ذلك بعض الأغراض الطبية المتعارف عليها لدى الشاميين(٣).

ويستدل من كتب الخراج على أن المحاصيل الزراعية المتوفرة بكميات كبيرة في أرض الشام هي التي وضع عليها الخراج ، فقد وضع عياض بن غنم بالجزيرة (على كل جمجمة دينارا ومدين قمحا وقسطين زيتا وقسطين خلا)(٤) ، كما أن عبد الملك بن مروان حين استقل مايؤخذ من أهل الذمة وأحصى الجماجم وحسب كسب العامل ونفقته في السنة ، قدر المسافات ووضع الخراج على الكروم والزيتون(٥).

ويقول في ذلك فالح حسين بأن الخل والزيت كانا يدفعان ضريبة عينية في بلاد الشام مما يدل على أن الكرمة والزيتون كانت محاصيل أساسية لدى الفلاحين في الشام في العهد الأموي(٦).

---

(١) عبد العزيز الدوري ، المقال السابق ، ص ٣٠ .
(٢) سورة التين ، آية رقم ١ ، ٢ .
(٣) فيليب حتي ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٣ .
(٤) أبو يوسف ، المصدر السابق ،ضمن موسوعة الخراج ، ص ٤١ .
(٥) أبو يوسف ،نفس المصدر والصفحة .
(٦) الحياة الزراعية في الشام في العصر الأموي،نشر الجامعة الأردنية ،عمان ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ص ١١٠ .

المحاصيل العامة لبلاد الشام :

أما عن المحاصيل العامة التي تزرع في بلاد الشام فقد جمعها القلقشندي (نقلا عن كتاب مسالك الأبصار) بحيث أوضح جميع المزروعات التي عرفتها بلاد الشام منذ أقدم العصور وهي :

من الحبوب : البر والشعير والذرة والأرز والباقلا والبسلة والجلبان (١) واللوبيا والحلبة والسمسم والقرطم. وبه من أنواع البطيخ والقثاء ، ومن الخضروات القلقاس والملوخيا والباذنجان واللفت والجزر والهليون والقنبيط (٢) والرجلة والباقلا اليمانية ويزرع قصب السكر في أغواره. أما الفواكه فالتين والعنب والرمان والقراصيا والبرقوق والمشمش والخوخ والدراق والتوت والفرصاد (٣)، ويكثر بها الكمثرى والتفاح والسفرجل ، كما توجد به أنواع أخرى من المزروعات مثل الجوز والبندق والأجاص والعناب والزعرور والزيتون ، كما تزرع أغوارها الحمضيات كالأترج والليمون والكباد والنارنج ،وكذلك يزرع الموز . أما رياحينيه فهي الآس والنرجس والبنفسج والياسمين والنسرين والورد (٤).

ونظرا لاختلاف أنواع المحاصيل في بلاد الشام حسب اختلاف التربة والمناخ ووفرة المياه ، فقد وضحنا أنواع المحاصيل الهامة في بلاد الشام والمحاصيل التي جلبت الى أرض الشام من مناطق أخرى ثم أصبح لها أهمية جيدة في المحاصيل الزراعية ، ثم بينا أهمية زراعتها حسب وجودها بوفرة في أشهر المدن ، فيذكر أن البرتقال وأنواع أشجار الحمضيات نقلت بعد عام ٣٠٠ هـ ، وأن الأرز والقطن من المحاصيل التي لا أهمية لها ،كما يذكر أن قصب السكر نقل زراعته العرب من الصين فأصبح من محاصيل الغور الرئيسية ، كما يذكر أن القطن نقله العرب الى سورية ولا يمكن الجزم بوجوده في العصر الأموي ،

(١) الجلبان : نوع من العشب الحولي من الفصيلة القرنية يؤكل بذره .
(٢) القنبيط : القرنبيط .
(٣) الفرصاد : نوع من التوت .
(٤) صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

كما نشير الى انتشار زراعة القمح بكثرة وأنه لابد أنها حظيت باهتمام كبير في العصر الأموي لأهميتها الغذائية (١).

ونشير أيضا الى أهمية زراعة الزيتون في العصر الأموي، ونذكر أن معاصر الزيت ترجع الى عصر عيسى عليه السلام (٢). وأن أهمية زراعة الرمان في بلاد الشام وتعدد المناطق التي كثر فيها وأهمها الغوطة (٣). كما نذكر زراعة محاصيل الجوز والبندق والفستق ، ونشير الى أن أهم محاصيل الفستق تكثر في حلب (٤). كما أن زراعة الكروم ومحاصيلها الغنية في بلاد الشام متعددة الأنواع وصفها البدري بأنها بلغت خمسين صنفا ، كما أن كروم العنب قد وجدت في الجابية أيام الفتح العربي (٥). كما يشير محمد كرد على نقلا عن المؤرخ ميشو : الى زراعة البصل في عسقلان بأنه لا توجد دار في أوربا اليوم الا وتعرف البصل الذي جاء اسمه وأصله من عسقلان (٦).

ومما زاد في انتاج هذه الأرض ومحاصيلها الزراعية وفرة المياه الجارية في بعض مناطقها من الأنهار والبعض الآخر من العيون ، كما تعتمد بعض المناطق على المطر فتكون محاصيلها أعذاء (٧) تسقى بماء السماء ، فمنطقة فلسطين لا توجد بها مياه جارية سوى عيون لا تكفي للزراعة ولكنها ذات أرض خصبة ، وتعتمد جبالها على زراعة الزيتون والعنب والجميز (٨)، وتعتمد منطقة الأغوار على بحيرة طبرية خاصة في زراعة قصب السكر (٩)، وتعتمد دمشق وغوطتها على الأنهار وأهمها نهر بردى (١٠).

---

(١) - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٣ ،
- القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٨٧ ،
- فالح حسين ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، ص ١٠٦، ١٠٧ .

(٢) البلخي ، البدء والتاريخ، ص ١٠٦، ابن رسته ، الاعلاق النفيسه ، ص ١٩٨ .

(٣) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٤ .

(٤) البدري ، نزهة الأنام ، ص ٢٤٧ .

(٥) - الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١٥٧ ،
- البدري ، نزهة الأنام ، ص ٢٢٣ .

(٦) خطط الشام، ج ٤ ، ص ١٤٧ .

(٧) أعذاء : العذى جمعه أعذاء.. الزرع لا يسقيه الا المطر .

(٨) حسين عطوان ، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام ، دار الجيل، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٩) المرجع نفسه ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(١٠) المرجع نفسه ، ص ٤١ ، ٤٢ .

وبذلك نجد بلاد الشام قد توافرت لديها جميع مقومات الزراعة ، أضف إلى ذلك ، أن الفتح الإسلامي كان سببا في جلب الرقيق من جميع أنحاء البلاد ، وهذا الرقيق استخدم في زراعة الأراضي وبالتالي نقل خبرات بلادهم ، إضافة إلى زراعة أنواع جديدة من المحاصيل الزراعية ،فيذكر أن عبد الملك بن مروان بعث بعدد من الرقيق البيض والسودان إلى جعفر بن الزبير في المدينة للعمل في إصلاح الزراعة (١).

المحاصيل الزراعية في أشهر مدن بلاد الشام :

تميزت مدن بلاد الشام من أقصاها الى أدناها بمحاصيل زراعية وفيرة ومتنوعة ، نظرا لكثرة المياه الوفيرة من الأنهار في بعضها واعتماد بعضها الآخر على مياه الأمطار . فقد أوردت لنا بعض المصادر اعتماد الزراعة في كل منطقة على نوعية مصادر الري بها ، بينما اكتفت بعض المصادر الأخرى بذكر نوعية المحاصيل بها . ونبتدئ هذه المناطق بمدينة دمشق وغوطتها الغنية بالزراعة ، فقد كانت من الروعة والجمال ماجعل العديد من الشعراء يتغنى بجمالها وعبق أزهارها ، ويصف أنهارها بصورة تجذب إليها القلوب وتحبب فيها النفوس . قال الشاعر ابن قرباص في وصف أنهارها وأزهارها :

وَتَحَدَّثَ المَاءُ الزُّلالُ مَعَ الحَصَى
فَجَرَى النَّسِيمُ عَلَيهِ يَسْمَعُ مَاجَرَى
فكَأنَّ فَوْقَ المَاءِ وَشْياً ظَاهِرًا
وَكَأنَّ تَحْتَ المَاءِ دُرًّا مضمَرًا (٢)

---

(١) عبد الله السيف ، المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٢) أبو البقاء عبد الله البدري : نزهة الأنام في محاسن الشام ، ص ٥٥ .

– ولم أجد ترجمة عن الشاعر ابن قرباص في التراجم .

وأوجز أحد الشعراء في جمع أسماء أنهارها بوصف شعري بقوله :

شَوْقِي يَزِيْدُ وَدَمْعُ الصَّبِّ مَابَرَدَا
وبَانَ يَأسٍ مِنَ المَحْبُوبِ حِينَ بَدَا

وَمَدَّ مَعِي قَنَوَاتُ وَالعَزُولُ حَكَى
ثَوْرًا يَلُومُ الفَتَى فِي عِشْقِهِ حَسَدَا

عَلَى مُغَنِّيَةٍ بِالجَنْكِ جَاوَبَهَا
وَخِلُّهَا مَاتَ فِي خَلْخَالِهَا كَمَدَا (١)

وتخرج مياه الغوطة من عين تسمى الفيجة وتجري في شعب تنفجر فيه العيون فيأخذ منه نهر عظيم أجراه يزيد بن معاوية (٢)، ويشرف عليها جبل قاسيون الذي وصفه ابن طولون قائلا : (لقاسيون سفحان يفصل بينهما نهر يزيد ،فما كان على ضفته الشمالية فهو السفح الأعلى ، وهو سفح كبير خال من الماء لم يكن ينتفع فيه إلا بزرع شيء من الحنطة والشعير المسقيين بماء السماء ، ولم يكن فيه شيء إلا محلة دير مران) . أما السفح الأدنى ، فهو ماكان على ضفة نهر يزيد الجنوبية ، وهو سفح مزدهر ناضر عملت فيه يد الإنسان فنظمته ونسقته ،وغرست فيه أنواع الأشجار المثمرة والنجوم والبقول والأزهار والرياحين ، ويرجع الفضل في ازدهاره إلى نهر يزيد الذي يستمد من مائه خيراته وبركاته، فالزرع فيه صيفا وشتاء ، خريفا ، وربيعا ، حيث

---

(١) نعمان القساطلي ، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢م ، ص ١١٤ — ١١٥ .

(٢) الاصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحسيني ، دار القلم ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م ، ص ٤٥ .

— الفيجة : قرية بين دمشق والزبداني عندها مخرج نهر دمشق بردي ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج ٤ ، ص ٢٨٢ .

يمون دمشق طوال العام بأنواع الخضروات والبقول ، كالسلق ، والبراصيا ،والكرات ، والسبانخ ، والكزبرة ،والبقدونس ،والخس ،والفجل ، وغيرها)[١] .

وكان بسفح قاسيون مزرعة لسليمان بن عبد الملك تدعى "الميطور" غرست بها الأشجار وكثرت بها الزراعة ، ومن محاصيلها الفستق والبندق والتين[٢] .

كما ذكر القلقشندي : "الصالحية" في سفح جبل قاسيون وتشرف على مدينة دمشق ، وقد كثرت بها الزراعة من ثمار وفواكه ورياحين[٣]. كما ذكر البدري بأن بها نهرين يجريان هما نهر ثورا ، ونهر يزيد ، ومن محاصيلها البلح والأترج والكباد ،ويذكر أن من كثرة ثمارها أن بعض الفقراء كان يضع مكتلة[٤] على رأسه ويسرح في طريق البساتين ، فيعود وقد امتلأ مكتله مما يسقط من الأثمار من غير أن يتناوله بيده[٥] .

ومن حاصلات القرى الواقعة حول دمشق والتي تزدهر فيها المزروعات اشتهرت "يبنا" بالتين الدمشقي[٦] ، كما اشتهرت "المزة" – وهي قرية كبيرة وسط بساتين دمشق[٧] – بالمشمش والجوز والتين والتفاح والرمان والتوت والزيتون، كما تنتج من الخضار الكوسا والباذنجان والبندورة والفاصوليا ، والحبوب

---

(١) محمد ابن طولون الصالحي : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق ، القسم الأول ، ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦١ ،
– البدري ، نزهة الأنام ، ص ١٨٥ .

(٣) صبح الأعشى ، ج ٤ ،ص ٩٥ .

(٤) مكتل : جمع مكاتل ، زنبيل من خوص يحمل فيه التمر وغيره .

(٥) نزهة الأنام ، ص ١٩١ .

(٦) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٧٦ .

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج ٥ ،ص ١٢٢ .

بأنواعها،كما عرفت بأزهارها وعطرها[١]. ويذكر البدري أن حكماء اليونان لما رأوا الجانب الشمالي يصلح لزراعة الأزهار ورأوا طيبة أرض الجانب القبلي اختاروها لغرس الأشجار[٢].

كما اشتهرت "النيرب" - ويقال النيربان - النيرب الأعلى وهو الذي بين نهري يزيد ، وثورا وهو الذي يلي سفح قاسيون ،والنيرب الأسفل هو مابين ثورا وبردى[٣]- وذكر البدري أن بوادي النيربين شجرة توت تطرح التوت الأبيض والأسود[٤]،كما اشتهرت بأشجارها المثمرة وكثرة أشجارها[٥].أما بانياس ، وبها القنوات وهي أسفل الربوة[٦]،فيزرع بها الأرز ويجلب إلى دمشق[٧].

أما البلقاء وهي من أعمال دمشق فقد ذكرها الحموي بأن بها مزارع واسعة تمتاز بجودة حنطتها[٨]،أما المقدسي فقد ذكر أن بها (معدن الحبوب والأغنام[٩].

كما تمتاز صيدنايا - من أعمال دمشق - بكثرة الكروم[١٠]،وكذلك قيسارية التي اشتهرت بالكروم والبساتين ، وماؤها من العيون[١١].

(١) شمس الدين محمد بن علي بن طولون ،تاريخ المزة وآثارها ،تحقيق محمد عمر حمادة ،دار قتيبة ،دمشق ،الطبعة الأولى،١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ،ص ٣٤ (المحقق).

(٢) نزهة الأنام ، ص ١١٣ .

(٣) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٦١ .

(٤) نزهة الأنام في محاسن الشام ، ص ٢١٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٦) محمد بن طولون الصالحي ، المصدر السابق ، القسم الأول ، ص ٤٨ .

(٧) غرس الدين الظاهري ، كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، صححه بولس راويس ، المطبعة الجمهورية ، باريس ، ١٩٨٤م ، ص ٤٦ .

(٨) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .

(٩) أحسن التقاسيم ، ص ١٧٥ .

(١٠) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٣٨ .

(١١) الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٨٦ .

وكانت حوران تمد مدينة دمشق بالقمح منذ عهد الرومان[١]. أما دمشق نفسها فقد ذكر (ابن الراعي) بأنها اشتهرت بالمشمش[٢]. أما أبو البقاء البدري فقد عدد أصناف المشمش الذي تجود بزراعته دمشق إلى واحد وعشرين صنفا[٣]، كما كانت تجود بزراعة القطن[٤]، وتكثر الكمأة وقت الربيع بها[٥]، كما تكثر بها زراعة الكروم ويصنع منه الزبيب[٦]، كما يوجد بها شجر الحماما (وهو لأجل الترياق) وهو معلق عال يصعب الوصول إليه[٧]. وقد تحدث جوستاف لوبون عن زراعة دمشق بقوله : (بأن الزراعة بلغت شأنا رفيعا أيام سلطان العرب، خاصة في دمشق وماحولها من المدن الكبرى)[٨].

ويمتد جبل لبنان متصلا بأرض الشام حيث اشتهر بكثرة مزروعاته، فقد ذكر ياقوت الحموي بأن لبنان اسم جبل مطل على حمص به من الزروع والفواكه تنشط بدون جهد أحد في زراعتها[٩]. ومن أشهر مدنه بيروت التي اشتهرت بزراعة قصب السكر، إلى جانب النباتات التي ينتفع بها الناس ومنها الريباس[١٠]

(١) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ١٣١.
(٢) البرق المتألق في محاسن جلق، مخطوط، دار الكتب، تيمورية، ورقة ١١٩.
(٣) نزهة الأنام في محاسن الشام، ص ١١٣.
(٤) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ١٥١.
(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، (تراجم العين)، تحقيق سكينة الشهابي ومطاع الطرابيشي، ص ٣٦٣.
(٦) جمال الدين القاسمي وخليل العظم، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق ظافر القاسمي، نشر معهد الدراسات العملية العليا، باريس، ج ٢، ص ٣٢١.
(٧) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ١٤٨.
(٨) حضارة العرب، ص ١٥٢.
(٩) معجم البلدان، ج ٥، ص ١١.
(١٠) الريباس : له خواص طبية، انظر :
— ابن سينا : القانون في الطب، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م، ص ٢٨٩.

والبرباريس[١]، والقاوينا (عود الصليب) والقيسة والبقس[٢] والقبقب ، ومن أشجاره الأشتوان ، والزراوند[٣]، والقراصيا والزيزفون[٤]، كما ذكر المقدسي بأنها تزرع الزيتون والأعناب[٥]، كما ذكر الحميري بأنه بها التفاح الذي لا يضاهيه أي نوع آخر[٦]، أما ابن حوقل فقد ذكر زراعة النخيل وقصب السكر ببيروت[٧]، ووصفها القلقشندي بأنها مدينة جليلة على ضفة البحر الرومي بها جبل فيه معدن الحديد ولها غيضة من أشجار الصنوبر ، وشرب أهلها من قناة تجري إليها وكذلك من الآبار[٨].

وذكر المقدسي مدينة بعلبك بأنها مدينة قديمة وبها معدن الأعناب[٩]، كما ذكر القلقشندي أنه تحف بها غوطة عظيمة ذات بساتين كبيرة مشتبكة الأشجار بها الثمار الفائقة والفواكه المختلفة[١٠]، ويذكر الحميري بأن الماء يشق وسطها ، ويدخل كثيرا من ديارها ، وعلى النهر أرحاء ومطاحن وهي كثيرة الغلات والفواكه والكروم[١١]،كما ذكر ابن بطوطة أن بها صناعة دبس العنب[١٢].

---

(١) شجرة شائكة من فصيلة البرباريسيات ثمارها بيضاوية كثيرة الأزهار تزرع بعض أنواعها للزينة وبعضها للاستخدام في الطب . المنجد في اللغة،ص٣١ .

(٢) البقس ، واحدته بقسه شجرهرجي أوراقه بيضوية الشكل ينبت في المناطق الكلسيه،خشبه ثمين . المنجد في اللغة ، ص ٤٥ .

(٣) زراوند : نبت مشهور يسمى باليونانيه رسطولوخيا معناه دواء يبريء المفاصل وهو كثير الوجود بالشام .(ابن سينا ،المرجع السابق،ص ٨٥) .

(٤) محمد كرد علي ، خطط الشام ،ج ٤،ص ١٤٨ .

(٥) أحسن التقاسيم ،ص ١٦٢ .

(٦) الحميري، الروض المعطار ، ص ٥٠٨ .

(٧) صورة الأرض ، ص ١٦٢ .

(٨) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١١٠ ، ١١١ .

(٩) أحسن التقاسيم ، ص ١٦٠ .

(١٠) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١١٠ .

(١١) الروض المعطار ، ص ١٠٩ .

(١٢) تحفة النظار (رحلة ابن بطوطة) ، كتاب التحرير رقم ١٦٦،القاهرة ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، ص ٦٢ .

كما اشتهرت "الغرزل" في إقليم البقاع بالزبيب الجوزاني ، وبعلبك بمعدن الأقطان والأعناب والأزهار[١].

كما اشتهر جبل عاملة – وهو متصل بجبل لبنان – بكثرة القرى التي تكثر بها زراعة الأعناب وأثمار الزيتون[٢].

كما اشتهرت "دركوش" – وتقع على نهر العاص – بزراعة العنب الكبير الحجم[٣].

ومن المدن الشامية ، اشتهرت مدينة حلب التي وصفها القزويني بأن الله خصها ببركة عظيمة ،فيزرع فيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكروم والمشمش والتفاح والتين عذي[٤] يسقى بماء المطر فيأتي غضًا رويا يفوق ما يسقى بماء[٥] السيح[٦] ، •أما المقدسي فقد ذكر بها زراعة القطن والأشنان[٧][٨] ، وقد ارتبط اسم حلب باسم نهر الذهب الذي قيل عنه ان أوله يباع بالميزان وآخره يباع بالكيل ، فيزرع في أوله القطن وسائر الحبوب ، أما آخره فيمتد إلى بطيحة يجمد فيها الملح[٩].

---

(١) محمد كرد علي ، خطط الشام ،ج ٤،ص ١٤٨ .
(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم ،ص ١٦٢ .
(٣) القلقشندي ،صبح الأعشى ، ج ٤ ،ص ١٢٨ .
(٤) العذي : جمع أعذاء : الزرع لا يسقيه إلا المطر .
(٥) سح الماء : صبه صبا متتابعا،سحا وسحوحا: سال وانصب غزيرا ، والسحوح شدة المطر .
(٦) آثار البلاد وأخبار العباد،ص ١٨٣ .
(٧) الأشنان : شجر من الفصيلة الرمرامية ينبت في الأرض الرملية ويستعمل هو ورماده في غسل الثياب والأيدي .
(٨) أحسن التقاسيم ،ص ١٨١ .
(٩) ياقوت الحموي،المصدر السابق ،ج ٥ ،ص ٣٢٠ .

ومدينة سرمين - إلى الغرب من حلب - تعتمد على مياه الأمطار وأرضها خصبة تكثر بها أشجار التين والزيتون(١).

أما جبل السماق - من أعمال حلب - فهو منبت السماق ، وتكثر به زراعة الفواكه والحبوب منها المشمش والقطن والسمسم وتعتمد على مياه الأمطار(٢) ، كما يكثر به التفاح الكبير الحجم ذو اللون الأحمر(٣)، وعدد محمد كرد علي على أنواع المزروعات به وهي التين والزيتون والفستق والسماق والحبة الخضراء(٤) .

كما اشتهرت بطياس - قرية من قرى حلب - بكثرة الورد والآس والزيتون(٥) . كما اشتهر تل أعرن - من نواحي حلب - بصنف من العنب الأحمر المدور ينسب إليها(٦).

أما حماة - فهي مدينة قديمة تقع بين حمص وقنسرين - تكثر بها البساتين والثمار(٧). وذكر ابن حوقل بأن حماة وشيزر مدينتان صغيرتان نزهتان(٨)، تكثر بها أشجار الفواكه والخضر(٩). وذكر ابن بطوطة أن بها نوعا من المشمش (المشمش اللوزي) إذا كسرت نواته وجد بداخلها لوزة حلوة الطعم(١٠).

---

(١) القلقشندي ،المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ١٢٦ .
(٢) القزويني ،المصدر السابق ،ص ٢٠٧ .
(٣) ياقوت الحموي ،المصدر السابق ،ج ٥ ،ص ٣٠٦ .
(٤) خطط الشام ،ج ٤ ،ص ١٤٧ .
(٥) ياقوت الحموي،المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٤٥٠ .
(٦) ياقوت الحموي،المصدر نفسه ،ج ٢،ص ٣٩ .
(٧) القلقشندي ،المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ١٤٠ .
(٨) نزه المكان - نزاهة - بعد عن الريف وفساد الهواء،- الأرض : تزينت النبات ، فهو نزه ونزيه .
(٩) صورة الأرض ، ص ١٦٣ .
(١٠) تحفة النظار ، ص ٥١ .

وحمص التي تقع على نهر العاصي تكثر بها زراعة الكروم وثراها طيب للزراعة وبها كثير من الفواكه [١]. وذكرها الأصطخري بأن زروعها أعذاء (تسقى من ماء المطر) [٢].

أما شيزر - غرب حلب - ففيها كثير من المزروعات والفواكه وأكثرها الرمان [٣]. وأما تدمر - من أعمال حمص - فأرضها سباخ بها أشجار النخيل والزيتون [٤].

واشتهرت "معرة النعمان" بكثرة زراعة الفواكه المتعددة ومنها المشمش والتفاح والكمثرى والخوخ والكرز والرمان وأشجار الحمضيات والعنب والتين والزيتون ، كذلك من الحبوب الحنطة والشعير،ومن الخضروات الخيار والقثاء والكوسا والقرع واللوبيا والباذنجان والبندورة والباميا والفاصوليا والفليفلة الخضراء والحمراء والخس والفجل والبصل وغيره [٥]،وذكر ابن بطوطة أن أكثر شجرها التين والفستق الذي يحمل الى مصر [٦]. ويذكر ابن جبير بأن بلاد المعرة وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه ،ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين [٧].

كما ذكرت من المدن الشامية آرك ،وهي ذات نخل وزيتون [٨]،وكفر طاب ، وبها ثمار كثيرة من الزيتون والرمان والكروم [٩].

---

(١) الحميري :المصدر السابق ، ص ١٩٨ .
(٢) المسالك والممالك ، ص ٤٦ .
(٣) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١١٤ .
(٥) محمد سليم الجندي ، تاريخ معرة النعمان ،مطبعة الترقي ،دمشق ،١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، ج ١ ، ص ٢٧٥ - ٢٨١ .
(٦) تحفة النظار ، ص ٥٢ .
(٧) رحلة ابن جبير ، ص ٢٢٩ .
(٨) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٥٣.
(٩) الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٠٠ .

ولا تقل أرض فلسطين من بلاد الشام جودة عن سائر المنطقة بأكملها ، فقد اشتهرت بكرومها وتينها وزيتونها ،فقد ذكر ابن حوقل أن أكثر زراعتها الزيتون والجميز والتين[١].

أما المقدسي فقد ذكر أن بفلسطين أشياء لا تجمع الا بها مثل قضم[٢] قريش والمعنقة والعينوني والدوري وأنجاص الكافوري وتين السباعي والدمشقي والقلقاس والجميز والخرنوب والعكوب[٣]والعناب وقصب السكر والتفاح الشامي والرطب والزيتون والأترج والنيل والراسن[٤]والنارنج واللفاح[٥]والنبق والجوز واللوز والهليون والموز والسماق والكرنب والكماة والترمس والطري والثلج ولبن الجواميس والشهد وعنب العاصمي والتين التمري[٦]،واشتهرت بيت المقدس (ايلياء) بزراعة الفواكه وغيرها في الغور والسهل ، ومن أنواع محاصيلها الأترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز[٧]،وليس ببيت المقدس ماء جار سوى عيون لا تتسع للزروع[٨]،وقد ذكر الحميري أن بها حياضا مصهرجة لداوود عليه السلام لجمع مياه الأمطار،وخارجها بساتين ومزارع وأشجار الزيتون[٩]. أما منطقة الغور فيزرع بها قصب السكر على طرف بحيرة طبرية[١٠]،كما ينبت القلقاس بأرض الغور[١١].

---

(١) صورة الأرض ، ص ١٥٩ .

(٢) قضم قريش ، الصنوبر ، والمعنقة ، جنس من الكمثرى ، والعينوني نوع من الزبيب .
- المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٣) العكوب : بقلة برية من الفصيلة المركبة ،يتبقلونها في الربيع في دمشق ويطبخونها .

(٤) الراسن : نبات يشبه الزنجبيل .

(٥) اللفاح :نبات عشبي معمر سام طبي،من الفصيلة الباذنجانية ،ويسمى "البيروح" ، ينبت بريا في بعض أنحاء الشام .

(٦) أحسن التقاسيم ، ص ١٨١ .

(٧) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد،ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٨) الاصطخري ، المصدر السابق ،ص ٤٤ .

(٩) الروض المعطار،ص ٦٨ .

(١٠) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ج٤،ص ٢١٧ .

(١١) البدري ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

أما مدينة الرملة فيزرع بها التين والنخل والفواكه [١]، كما ينبت السذاب[٢] بريا في جبال تلك المنطقة [٣]. أما نابلس فقد ذكرها المقدسي بكثرة الزيتون[٤]، وذكر محمد كرد علي بأن الله خصها بالزيتون المبارك الذي تستخرج منه الزيتون ، كذلك يزرع بها البطيخ الأصفر الزائد الحلاوة [٥].

أما الجفار — بين فلسطين ومصر — فتمتاز بنخلها وطيب رطبها ،وكذلك كروم العنب وشجر الرمان[٦]، وتليها في ذلك مدينة العريش آخر مدن الشام وبها صنوف الثمار والرمان والنخل الكثير[٧].

وحبري — احدى قرى فلسطين — ولد بها عيسى عليه السلام — وبها كروم وأعناب ولا يرطب بها النخل[٨] (ولكن جعلت لها آية) قال تعالى : * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا *[٩] .

أما مآب فهي كثيرة اللوز والأعناب[١٠].

وعكا على ساحل الشام تكثر بها غابات الزيتون[١١].

---

(١) محمد كرد علي ،خطط الشام ،ج ٤،ص ١٤٩ .

(٢) السذاب : نبات من فصيلة السذابيات ، قوي الرائحة أزهاره صغيرة قلما تري ، له بعض الفوائد الطبية ،لكن استعماله خطير للغاية .
— لويس معلوف ، المنجد، ص ٣٢٨ .

(٣) ناصر خسرو، سفر نامه ، ترجمة يحي الخشاب ، دار الكتاب الجديد ،بيروت ، ١٩٧٠م ،ص ٥٥ .

(٤) أحسن التقاسيم ، ص ١٧٤ .

(٥) خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٥٠ .

(٦) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(٧) ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١١٣ .

(٨) الرطب : نضيج البسر قبل أن يصير تمرا .

(٩) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

(١٠) المقدسي ، المصدر نفسه ، ص ١٧٨ .

(١١) ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .

كما تشتهر الشوبك بالزيتون والمشمش والكمثرى والرمان[١]، وعسقلان يكثر بها النخل ويمتاز بصنوف من التمر والرمان ، وكذلك الجميز[٢]، كما ذكر فيليب حتي أن بصل عسقلان له شهرة كبيرة وكذلك الحناء[٣] .

وتمتاز "أريحا" بمعدن النيل[٤] وكثرة النخيل ، وتزرع بها الكروم ، ويضرب المثل بورودها وأزاهيرها ، ويخرج من أرضها الزقوم والسدر والنبق[٥]، أما ياقوت الحموي فقال أنها ذات نخل وموز وسكر،وله فضل على سائر سكر الغور[٦].

وبيسان - بين حوران وفلسطين - توصف بكثرة نخيلها[٧]، كما ذكر المقدسي بأن بها النيل والتمور والأرز[٨].

أما زغر - مدينة قديمة متصلة بالبادية[٩]- ففيها بسر[١٠]يقال له الأنقلاء لونه كالزعفران والنيل كثير وجيد به[١١]، وأهل زغر يلقحون الكروم كما يلقح النخل[١٢].

---

(١) محمد كرد علي ، خطط الشام ،ج ٤،ص ١٥٠.

(٢) محمد كرد علي ،المصدر السابق ،ج ٤،ص ١٤٧ .

(٣) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،ج ١،ص ٣٢٥ .

(٤) النيل : جنس نباتات محوله أو معمرة من الفصيلة القرنية ،تزرع لاستخراج مادة زرقاء للصباغ من ورقها تسمى النيل والنيلج .

(٥) محمد كرد علي ،خطط الشام ،ج ٤ ،ص ١٤٨،١٤٩ .

(٦) معجم البلدان،ج ٣،ص ١١١ .

(٧) ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج ١،ص ٥٢٧ .

(٨) أحسن التقاسيم ، ص ١٨٠ .

(٩) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٥٧ .

(١٠) أبسر النخل : صار ماعليه بسرا،البسر: الواحدة بسرة ،جمع بسار: التمر اذا لون ولم ينضج ،والبسر: الغض من كل شيء ،والبسر: الماء البارد .

(١١) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٤٩ .

(١٢) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

ويبرود - قرية من قرى بيت المقدس - ذات أشجار وكروم وزيتون وسماق.(١)

واشتهرت ملطية - إحدى الثغور الشامية - بأشجار الجوز واللوز والكروم والرمان وسائر الثمار الشتوية والصيفية وهي مباحة لا مالك لها (٢). وبالقرب منها سروج ، وتكثر فيها الكروم (٣).

وتعتبر إنطاكية أنزه بلاد الشام لطيب هوائها وعذوبة مائها وكثرة الفواكه بها، فتزرع بها الحنطة والشعير تحت شجر الزيتون(٤)، كما ينمو بها نبات عرق السوس كنبات بري قرب المستنقعات(٥). كما تكثر في حارم - قرب إنطاكية - زراعة الرمان(٦)، كما تكثر بطرابلس الأشجار والكروم والمروج وبها عين فوارة (٧)، ومن محصولاتها الزيتون والكروم وقصب السكر وأنواع من الفاكهة والغلات الشيء الكثير(٨). كذلك النارنج والترنج والموز والليمون والتمر.(٩) كما تشتهر صيدا بالتين والزبيب وكثرة الفواكه (١٠)، وذكر المقدسي كابل - على ساحل البحر - وتكثر بها زراعة قصب السكر وتصنيعه (١١). كما تعتبر

---

(١) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ٥ ،ص ٤٢٧ .

(٢) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) الحميري ، المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

(٤) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ١ ،ص ٢٦٦،٢٦٧ .

(٥) فيليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،ج ١،ص ٣٢٥ .

(٦) فالح حسين ، المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٧) القلقشندي ، المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ١٤٣.

(٨) الحميري ، المصدر السابق ، ص ٣٩٠ .

(٩) ناصر خسرو ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(١٠) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(١١) أحسن التقاسيم ، ص ١٥٤، ١٦٢. وقد ذكرها ضمن مدن الأردن ، (ولم أجدها في معجم البلدان لياقوت الحموي) أو في أي من الكتب والأطالس الجغرافية التي رجعت اليها .

التينات - على شاطيء البحر - مركزا هاما لزراعة شجر الصنوبر، فتصدر أخشابه إلى مصر والثغور[١]. وتكثر في بالس على شط الفرات زراعة القمح والشعير ، كما تكثر في قنسرين زراعة الفستق والتين والكروم[٢]، كما عرفت منبج - من جند قنسرين شرقي حلب - بكثرة زراعتها لأشجار التوت[٣]،وبها الكروم أعذاء على ماء المطر[٤]، كما اشتهرت بالشيح والقيصوم[٥][٦].

وعرفت قرية أُندرين بكروم العنب وهي التي تغنى بها الشاعر عمرو بن كلثوم بقوله :

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا
وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا (٧)

كما اشتهرت داريا بالبطيخ الداراني[٨].

---

(١) الاصطخري ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .
(٢) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .
(٣) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٧ .
(٤) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ .
(٥) القيصوم : نبات طيب الرائحة يتداوى به .
(٦) القزويني ، المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .
(٧) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦١ .
(٨) البدري ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

الحرف والصناعات في بلاد الشام في العصر الأموي

- الحرف والصناعات في بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي .
- أنواع المعادن الموجودة في بلاد الشام والصناعات القائمة عليها .
- صناعة المنسوجات والطرز .
- صناعة الخزف والفسيفساء والزجاج .
- صناعة التحف المعدنية .
- صناعة الجوهرات والتحف العاجية .
- صناعة السفن .
- صناعة التحف الخشبية
- صناعة الأسلحة .
- استخراج الزيوت وصناعة الصابون .
- صناعة السكر .
- صناعة العطور .

الحرف والصناعات في بلاد الشام قبل الإسلام :

استخدم أهل الشام منذ القدم المعادن المستخرجة من باطن الأرض في التصنيع وقد كشفت الحفائر الأثرية في بلاد الشام عن بعض الصناعات التي قامت فيها في العصور القديمة ،ومن أمثلة ذلك ماوجد في "تل حلف" على نهر الخابور بمنطقة الجزيرة السورية من الفؤوس اليدوية المزدوجة وماعثر عليه من نماذج ورسومات لأول العربات من الخشب التي استخدمت في وسائل النقل ، وعن استعمال العجلة في صناعة الأواني الفخارية منذ حوالي عام ١٥٠٠ق٠م، كما ذكرت التوراة خامات الحديد السورية واستخدام الحديد في فلسطين حوالي عام ١١٨٠ ق٠م ، ومما يؤكد معرفة منطقة بلاد الشام لصناعة النسيج منذ أمد بعيد ماوجدته العالمة الأثرية "كاتلين كينون" من آثار حيث وجدت تمثالا يخص آلهة الخصب (حسب معتقداتهم) وقد ظهر عليه عباءة فضفاضة مما يؤكد أن النسيج كان معروفا قبل الميلاد، هذا إضافة إلى ماوجد من آثار أبنية بأشكال هندسية وطرق ري زراعية (١).

وهذا يدل على أن بلاد الشام عرفت الصناعات الحضارية الراقية منذ عهود طويلة ، ولذلك فمن الصعب أن نحدد نشأة صناعات بعينها في العصر الأموي ولكن نستطيع القول أن العرب الفاتحين لبلاد الشام وغيرها من المناطق التي انضوت تحت راية الإسلام كان لهم الفضل في رعاية هذه الصناعات التي ارتقت في العصر الأموي عما كانت عليه من قبل (٢).

---

(١) عن حضارة الشام القديمة أنظر :
- احمد غسان سبانو : مكتشفات مثيرة تغيّر (تاريخ دمشق القديم) ، إرم ذات العماد، سلسلة دراسات ووثائق الشام رقم٧،منشورات دار قتيبه ،دمشق ، ص ٢٢٠ - ٢٢٦ ٠

(٢) م٠س٠ ديماند : الفنون الإسلامية ،ترجمة أحمد عيسى،دار المعارف ، القاهرة ،ط ١٩٨٢،٣م ،ص ٢٤ ٠

هذا ولم يكن الفاتحون للشام بعيدين عن أعمال الصناعات منذ كان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خزازين أي يعملون الخز ، وهي نساجة تنسج من صوف وإبر يسيم[١].

كما أحدث العرب الرحا الهوائية بالرياح المترددة وكان ذلك سنة ٢٩ بعد الهجرة في خلافة عثمان[٢]. وكان أهل المدينة يقدمون على الشام واليمن لشراء الثياب[٣].

وتشير المراجع التاريخية إلى أن خلفاء الدولة الأموية جلبوا مواد البناء، واستقدموا مهرة الصناع من شتى الولايات لإقامة المدن الجديدة، وإنشاء القصور والمساجد، واستعانوا في بناء مسجد دمشق بعمال من السوريين، والبيزنطيين لتجميله وزخرفته بالفسيفساء في حين أشرف على عمارته مهندس إيراني[٤]، ومعنى هذا أن الأمويين رعوا الصناعات التي كانت موجودة في

---

(١) عبد الحي الكتاني : التراتيب الإدارية ، ج ٢، ص ٦٠ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٩ .

(٤) م . س . ديماند، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

- ولم نجد في المراجع العربية مايؤكد قول (ديماند) بالاستعانة بمهندس إيراني، إلا أن زكي محمد حسن في كتابه (فنون الاسلام، ص ٣٢-٣٣) يقول : أن المسلمين في سورية تأثروا بالعمائر المسيحية التي شاهدوها، وبدأوا يفكرون في تشييد مساجد توازي في العظمة كنائس المسيحيين..، وكان جل اعتمادهم في البداية على الصناع - الفنيين من المسيحيين السوريين والقبط ، ثم أضاف بقوله : والحق أن الأساليب الزخرفية في الشرق الأدنى قبيل الإسلام بلغت غاية تطورها على يد المسلمين فيما نسميه بالطراز الأموي، وذلك بفضل النظام الذي عرفه العالم القديم باسم الليتورجيا Leiturgia وقوامه في الإسلام التزام أقاليم العالم الإسلامي بتقديم الصناع والفنيين ومواد الصناعة إلى الحكومة المركزية للقيام بماتريده من الأعمال الفنية .

- أما نبيه عاقل في كتابه، تاريخ خلافة بني أمية، ص ٢٢٨، فقد ذكر عن =

بلاد الشام ، كما أدخلوا عليها أنماطا جديدة من الصناعات باستقدام الصناع من الولايات الإسلامية الأخرى التي كانت تحت لواء الدولة الإسلامية ، إضافة إلى ماكان يجلب من أسرى الفتوح الإسلامية ، وبذلك أصبحت الصناعات والحرف في عهد الدولة الأموية طابعا حضاريا مميزا ، وهذا مايجعلنا نأخذ برأي جوستاف لوبون الذي يقول : (أن العرب احترموا منذ دور الفتح الأول آثار الأمم التي ملكوها، ولم يفكروا في غير الانتفاع بحضارتها وترقيتها، وذلك خلافا لكثير من الأمم الفاتحة التي جاءت بعدهم) (١).

أنواع المعادن الموجودة في بلاد الشام والصناعات القائمة عليها :

إن أي مهارات تظهر في أي مجتمع لابد وأن تكون قد توافرت به الخامات التي يمكن للفرد أن يستخدمها ويطورها، وقد منّ اللّه على بلاد الشام بخيرات عظيمة سواء على ظاهر الأرض أم في باطنها. وقد سبق وأن تحدثنا عن حاصلاتها الزراعية والتي كان لها دور كبير في الصناعات التي قامت في بلاد الشام، أضف إلى ذلك أن اللّه خصّ هذه البلاد بوفير من المعادن المكتشفة واستفاد منها الأولون الذين سكنوها منذ عهود غابرة، فمعادن الحديد توجد في جبال بيروت(٢)، وكانت تحمل إلى مصر منذ عهد قدماء المصريين(٣)، كما اشتهرت فلسطين منذ العهود القديمة بخامي الحديد والنحاس(٤)، حيث ذكرهما اللّه جل

= بناء المسجد الأموي أنه ساهم فيه الوف العمال المختصين الذين جمعوا من أطراف الولايات العربية .

(١) حضارة العرب ، ص ١٧٠ .

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٨٤ .

(٣) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٦٠ .

(٤) موسى عبد الغفار أحمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين في العهد الأموي،رسالة ماجستير،(لم تطبع) ، كلية الآداب ،جامعة القاهرة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص ٢٤ .

وعلا في القرآن الكريم فسيدنا داود عليه السلام كان يصنع الدروع وفي هذا يقول تعالى : "وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيْدَ"(١)، كما يقول تعالى : "وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ"(٢)، كما استخدم داود عليه السلام الجن في تشكيل مايحتاجه من الصناعات واستخدم النحاس والزجاج والرخام ، وفي ذلك يقول اللّه تعالى: *يَعْمَلُونَ لَهُ مَايَشَاءُ مِنْ مَحَرِيبَ وَتَمَثِيلَ وَجِفَانٍ*(٣). وتوجد معادن الحديد في سفوح جبال لبنان واتربتها وبطون الأودية، ومنها البترون ، وكسروان ، والمتن ، وقرية دمة، وبيت شباب ، وفي عكا ، ومشغرة، والغرزل ، ومجاري الأنهار مثل : نهر الكلب ونهر ابراهيم ، ومن هذه الأماكن تؤخذ مواد المسابك لمعامل الحديد ، كما يوجد في جبال اللاذقية معادن حديد بكميات كبيرة (٤) ، كما يوجد الطين الذي يعمل منه البواتق التي يسبك فيها الحديد في جبل البشر الذي يمتد إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية (٥).

أما النحاس فيوجد في جبل جوشن - غرب حلب - ومنه النحاس الأحمر ، وتوجد دلالات على أن هذا النحاس كان يستخرج في العصر الأموي(٦).

---

(١) سورة سبأ ، آية رقم ١٠ .
(٢) سورة سبأ ، آية رقم ١٢ .
(٣) سورة سبأ ، آية رقم ١٣ .
وأنظر : السيوطي ، تفسير الجلالين ،دار المعرفة ،بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ٥٦٤ .
(٤) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٦١ .
(٥) ياقوت الحموي، المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٤٢٦ .
(٦) انظر ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ،ج ٢،ص ١٦١ .
- جوشن : جبل في غربي حلب ،ومنه كان يحمل النحاس الأحمر وهو معدنه ويقال : أنه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن علي رضي اللّه عنه ونساؤه ، وكانت زوجة الحسين حاملا فأسقطت هناك فطلبت من الصناع في ذلك الجبل خبزا وماء فشتموها ومنعوها فدعت عليهم .
- ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ،ج ٢ ، ص ١٨٦ .

كما يوجد النحاس في قرية أهمج في كسروان ، وفي الجنوب الغربي من حلب ، وكان منه في عين جر[١] فأكدى[٢] لكثرة ما استخرج منه[٣]، وقد اعتمدت صناعة المصابيح والمرايا في العصر الأموي ومابعده على هذين المعدنيين استنادا على ما أوردته مصادر التاريخ الإسلامي[٤].

وعرفت بلاد الشام صناعة الزجاج الذي يوجد بكثرة في رمل حلب ويعمل منه الزجاج وهو رمل أبيض كالاسفيداج[٥][٦]، كما وجد معدن الزجاج في بيت حبرون يستخرج ويباع في الأنحاء[٧]، كذلك يوجد بين عكا ، وصور ساحل رملي يتوفر فيه رمل من نوع معين يستخدم لصناعة الزجاج ، وكانت هذه الرمال تحمل إلى صيدا وتصهر هناك[٨].

أما معدني الذهب والفضة ، فقد توفرا في بلاد الشام واحتوت جبال اللاذقية على معدن الرصاص الممزوج بالفضة[٩] ، كما تكثر الفضة في شمال بعلبك ومصياف ، وعلى ضفاف العاصي فيمايلي إنطاكية معدن ذهب ، ومعدن

---

(١) عين الجر : موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق . أنظر ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ج ٤ ، ص ١٧٧ .
(٢) أكدى : قال تعالى ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾ سورة النجم ، آية ٣٤.
معنى أكدى : افتقر بعد غنى ،والمطر قل ونكد والمعدن كدى ،والعام أجدب.
(٣) محمد كرد علي : خطط الشام ،ج ٤،ص ١٦١ .
(٤) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٨٠ .
(٥) الاسفيداج : الاسبيداج (بياض الرصاص) .
(٦) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ج ١ ،ص ٤٢٦ .
(٧) محمد كرد علي ، خطط الشام ،ج ٤،ص ١٦١ .
(٨) السيد عبد العزيز سالم ،دراسة في تاريخ مدينة صيدا ،ص ٤٧ .
(٩) محمد كرد علي ، خطط الشام ،ج ٤،ص ١٦٠ - ١٦١ .

ومعدن رصاص فضي ،ومعدن اثمد [١]،وحجر الكحل ،ومعدن فحم ، ومعدن ذهب ، ومعدن الطفال [٢]،المعروف بالبيلون في أرجاء كلز ،وانطاكية. وكان في قرية يعفور – من عمل دمشق – معدن فضة ، وفي الجنوب الشرقي من تدمر، وفي أرجاء انطاكية توجد معادن الذهب ولكنها بكميات قليلة ، كما كان يوجد معدن الذهب في مقاطعة جرش في أرض تسمى تلول الذهب ، وقد قيل أن سليمان عليه السلام كان يستخرج الذهب منها [٣]. كما يوجد في الرملة ملح يصلح للصاغة بكميات وفيرة يسمى (الحُمَّر) ويستخرج من البحيرة (المنتنة) [٤]، كما توجد معادن الكبريت بالأغوار [٥]،ومعدن الزاج [٦]في جبل اللكام [٧]. ويوجد بأرض فلسطين معدن الرخام ، والحجر الأبيض ،وله مقاطع في منطقة السهل الساحلي من بيت جبرين ، كما توجد مقاطع لحجارة البناء في المرتفعات الشرقية [٨]،وفي نواحي انطاكية توجد عدة معادن للصبغ [٩]،كما توجد بأرض بيروت مغرة [١٠]جيدة [١١]،وكذلك في جبل البشر جهة بادية الشام [١٢].

---

(١) الاثمد : عنصر معدني بلوري الشكل قصديري اللون صلب هش يكتحل به .

(٢) الطفال : الطين اليابس . وكلز : قرية بين حلب وانطاكية ،
– ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٧٦ .

(٣) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٦٢ – ١٦٣ .

(٤) – ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٧٩ ،
– البلاذري ، التنبيه والاشراف ، ص ٨١ .

(٥) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٨٤ .

(٦) الزاج : ملح يستعمل في الصباغ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ،ص ١٦٣ .

(٨) موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٩) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٦٣ .

(١٠) المغرة : طين أحمر يصبغ به الثياب .

(١١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٨٤ .

(١٢) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٢٦ .

صناعة المنسوجات والطرز :

أ - المنسوجات :

كانت فينقية تحتكر كل الأنسجة الثمينة ، وكانت الأنسجة الفنيقية تقدم على ماسواها ، ليس فقط لحسن نسجها وإتقان حياكتها ، ولكن أيضا لصبغها بالأرجوان أو البرفير[1]، وكان هذا الصبغ يستخرجونه منصدف بحري يدعى "بلسان العلم" Maurex Thunculus وهو أنواع ، وألوانه تتراوح بين الأزرق الناصع ، والبنفسجي الضارب إلى اللون الوردي القاني، وقد أفاض بلينيوس في تاريخه الطبيعي ثم يوكلس في وصف هذه المادة الصبغية وأفادوا أن أهل صور ، وصيدا حفظوا سرّ صناعة الأرجوان ، وضنّوا بإذاعته على غيرهم حتى عهد الرومان[2]. والجدير بالذكر أنه مازالت بقايا أصداف متراكمة في أكوام على طول الساحل الجنوبي من صيدا ، فقد أسست المعامل لتصنيع هذه الأصباغ على سواحل صور، وصيدا، وساربيتا، واستخدم صباغته في المنسوجات الصوفية والحريرية والكتانية ؛ وكانت تقع شمال صيدا مدينة تسمى فورفيريون (أي مدينة الأرجوان) تخصص أهلها في تصنيع الأصباغ الأرجوانية[3] .

ويعلق أرنست قيل على المنسوجات الفنيقية وارتباطها بمظاهر الإمبراطورية الشرقية بقوله : (إن عصر الامبراطورية الشرقية هو عصر أبهة وفخامة خاص بحضارة يسيطر فيها كبار الملاكين والموظفين والرؤساء الكنسيين ، فأبهة الثياب التي تميز تماما عهدا وتقليدا شرقيين ترتبط بالنسبة إلينا

---

(١) البرفير : اللون المركب من الأحمر والأزرق .

(٢) غستون دوكوسو ، تاريخ الحرير في بلاد الشام ،مجلة المشرق ،بيروت ، السنة الخامسة عشر،١٩١٢م ،ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم ، دراسة في تاريخ مدينة صيدا، ص ٤٥ .

فيما يتعلق بسورية بالأرجوان الفينيقي الذي كان ولا يزال مستعملا في صناعة الحرير في المحرفات الإمبراطورية)[١]، وإضافة إلى أنواع الصباغة التي استخدمها الفنيقيون في صباغة الأنسجة ، فقد كانت الصباغة تتصل بالمنتجات الزراعية لأن الخيوط التي تصبغ تغزل من القطن أو الصوف أو الحرير ، كما أن الأصباغ نفسها تستخرج من النباتات التي يزرع بعضها[٢]، وكانت البتراء تنقل تجارتها من الأصباغ من صيدا، وصور[٣]. وقد اهتم الأمويون وكبار العرب في بلاد الشام ودمشق خاصة بالملابس المكونة من الحلل ، والقمصان ، والطيالسة ، والعمائم، بينما كان سكانها من غير العرب يلبسون العباءات الفضفاضة ،وعلى رؤوسهم العقال ، أو الكوفية المخططة ذات اللون الأحمر، أو الأصفر[٤]، وقد تطورت صناعة الصباغة القديمة في العهد الأموي مع زيادة شراء الناس وميلهم إلى استعمال الملابس المصبوغة ، وليس أدل على ذلك من اهتمام الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك بالصباغة ,اذ كانت دار الصباغين من أوائل المباني في مدينة الرملة التي أنشأها . وقد استعمل الصباغون كثيرا من الألوان المستخرجة من المنتجات الزراعية ،ومنها ماكانت تستخرج من نبات الوسمة[٥] ، ويستخرج منه النيلة ، كما استخرج الصباغون اللون الأحمر من نبات الحناء

---

(١) أرنست ڤيل،الحياة الثقافية والفنيةفي بلاد الشام في نهاية العصر القديم ، ص ٦ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٧٠ .

(٣) رشيد عبد الله الجميلي ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، مكتبة المعارف ، الرباط ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م ، ص ٤٧ .

(٤) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٥) نبات الوسمة : نبات يزرع في منطقة الغور وخاصة في مدينة اريحا بفلسطين . وهو ورق النيل أو نبات يختضب به .
- ابن قيم الجوزيه ،الطب النبوي،دار مكتبة الحياة ،لبنان ،ص ٣٧٥ .
- المنجد في اللغة ، ص ٩٠١ .

ومن نبات الفوة [١]،واستخرج الصباغون اللون الأسود من شجرة العفص[٢] بعد طبخ الثمار مع الخل العربي[٣]. ومن أهم الصناعات التي اشتهرت في العصر الأموي صناعة المنسوجات الحريرية وخاصة في عهد سليمان بن عبد الملك[٤].

لم تكن صناعة الحرير أصلا موجودة في بلاد الشام فقد كانت تجلب اليها الأقمشة الحريرية من بلاد الصين ، وكانت تجارة الحرير معروفة عبر طريق يسمى باسمها ، الا أن الرومان نقلوا سر صناعة الحرير في عهد الامبراطور جستنيان بعد أن أضرت الحرب الفارسية بطريق تجارته وأصبحت القسطنطينية في ضيقة عظيمة بسبب نقص المادة الحريرية. واحتكر جستنيان صناعة الحرير لصالح الامبراطورية،الى أن استطاع راهبان استجلاب شرانق الحرير من الصين داخل عصاة مجوفة ، فما أن وصل دود القز الى بلاد الشام الا وأقبل السوريون على صناعته وتربية دودة القز ، وانتشرت معامل الحرير في بيروت ثم حمص وحماة [٥]، ويظهر تعسف الامبراطورية البيزنطية في احتكار جهود المصانع لصالح الدولة فقد علم جستنيان بما نالته صناعة الحرير من النجاح فحدا به الطمع لتوفير مالية الدولة الى أن يحتكر العمل ، فأمر بأن تكون معامل الحرير كلها مال الدولة وأن لا يسمح بنسجه ولا بصبغه الا في معامل الحكومة،وزاد على ذلك أمرا آخر لكل باعة الحرير بأن يبيعوا لتلك المعامل

---

(١) نبات الفوه : جمع أفاوية ، نبات عروقه حمراء بعضه يزرع وبعضه ينبت من غير زرع ، يصبغ ويداوى به ، ويعرف أيضا بعروق الصباغين ،
- المنجد في اللغة ، ص ٦٠١ .

(٢) عفص الثوب : صبغه بالعفص وواحده (عفصة) نتوء يحصل على شجرة البلوط . أو على نباتات أخرى بتأثير حشرات تسبب نموه وتهيء فيه بيضها ومن نتوء شجرة البلوط يتخذ الحبر والأصباغ ، وشجرة البلوط كثيرة الانتشار في اقليم الشام. أنظر : لويس معلوف ، المنجد ، ص ٥١٥ .

(٣) موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .

(٥) أنظر : غستون دوكوسو ، المرجع السابق ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

وحدها شرائقهم بأسعار محدودة،وأن من يتجاوز تلك الأوامر يقضى عليه قضاء مجرم جان على السلطان عينه فيحكم عليه بأشد العقوبات ، فكانت تلك الأحكام ضربة كادت تقضي على صناعة الحرير في أنحاء الشام،حتى أن العرب لما فتحوا الشام وجدوا معامل الحرير في بيروت ، وصيدا،وأرواد ، ليس الا معامل خاملة ، وبقيت تلك الصناعة خاملة حتى عهد بني أمية الذين أنهضوها من خمولها،فقيل أن معاوية أول خلفائهم أنشأ في قصره المسمى بالخضراء في دمشق معملا للحرير فعرفت منسوجاته بالطرز ، وشاعت في كل الأقطار ، وكان الخلفاء يهدونها لعمالهم ، وما لبثت صور ، وحلب ، أن فتحت مجال هذه الصناعة وفتحت معامل لها (١)،وقد تسابق الصناع الى اجادة هذه الصناعة ، وتهافت الأعيان ورجال الدولة الى اقتنائها ، واشتهرت دمشق بجمال ومتانة هذه الصناعة (٢). ومن أنواع الثياب في القديم ، ثياب عرفت بأسماء معينة ، منها المنير ، والمعين ، والمسير ، والمفوف ، والمنهم ، ولاشتهار دمشق بالحرائر والمنسوجات الغزلية الفائقة بوشيها وحسن طرازها ، عرفت اسم هذه المنسوجات باسم المدينة فيقال لها (داماسكو)،ومن الصناعات التي كانت في الشام ، وما برحت تفخر بها صناعة الشقق الحريرية والقطنية (ولصناعتها تفنن في نقشه وصبغه يدل على رسوخ قدم الصناعة)(٣).ومما يجدر ذكره أن تلك الأصناف السابقة الذكر لم يتوصل المؤرخون الى تحديد الفترة الزمنية التي أطلقت فيها هذه الأسماء على صناعة المنسوجات الشامية ، ولما فتح العرب بلاد الشام،حاكوا أقمشتهم على الطراز الساساني، أو القبطي، أو الرومي(٤). وقد وصف البدري

---

(١) – مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٣٧ ،
– غستون دوكوسو ، المرجع السابق ،ص ٢٨٤ – ٢٨٥ .

(٢) – البدري ،نزهة الأنام ، ص ٢١٤ ،
– جورجي زيدان ،دمشق الشام (تاريخها وآثارها وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية)،ضمن سلسلة دراسات ووثائق دمشق الشام رقم (٥) ، لأحمد غسان سبانو ،دمشق (مقالات مجموعة)،دار قتيبة ،ج١،ص ٤٨ .

(٣) محمد كرد علي ، خطط الشام ،ج٤،ص ٢٠١ – ٢٠٣ .

(٤) محمد أديب آل تقي الدين الحصيني،كتاب منتخبات التواريخ لدمشق ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى،١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ج ٣ ، ص ١١٣٧ .

صناعة المنسوجات في بلاد الشام قائلا : (ومن محاسن الشام مايصنع فيهما من القماش والنسيج على تعداد نقوشه وضروبه ورسومه ، ومنها عمل القماش الأطلس بكل أجناسه وأنواعه ،ومنها عمل القماش الهرمزي على اختلاف أشكاله وتباين أوصاله ،ومنها عمل القماش الأبيض القطني المصدر لأحياء القصور وأموات القبور ، وبها أيضا القماش السابوري بجميع ألوانه وحسن لمعانه)[١]. كما وصفت ببعلبك الثياب المنسوبة اليها[٢] ،وعرفت قرية أعناك[٣]، بعمل البسط والأكسية الجيدة المنسوبة اليها[٤] ،كما وصفت سرمين الثياب القطنية المنسوبة اليها[٥] ،وكانت زراعة القطن قد انتقلت الى الشام من شمال فارس والعراق والجزيرة فصنعت منه الأقمشة المشجرة وسميت باسم الدمشقيات ، ولا نستبعد أن تكون زراعة القطن قد نقلت مع الفتوح العربية ودليلنا على هذا أن هذه الزراعة انتقلت الى بلاد الأندلس في القرن الثالث الهجري[٦] .كما أننا لا نستطيع أن نجزم بوجود هذه الصناعات في هذه المدن في العصر الأموي، الا أنه من خلال عرضنا لصناعة الحرير في بلاد الشام لا يمكن أن ننفي وجود هذه الصناعة .

وظهرت صناعة الخز والقطيفة في عهد هشام بن عبد الملك[٧]، فأظهر اهتمامه بها وقلده الناس في ذلك[٨].

---

(١) محاسن الشام ، ص ٢١٤ .
(٢) ابن بطوطه ، المصدر السابق ، ص ٦١ .
(٣) أعناك : بلدة من نواحي حوران من أعمال دمشق .
(٤) ياقوت ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .
(٥) ابن بطوطه ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .
(٦) أحمد مختار العبادي ، الحياة الاقتصادية في الدولة الاسلامية : ضمن دراسات تاريخ الحضارة العربية ، مطبوعات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ٣٤١ .
(٧) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، ج ١ ، ص ٣٣٣ .
(٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

الصناعات الصوفية والقطنية :

اشتهرت بلاد الشام قديما باستخراج الأصباغ من محارات الموريكس حيث كان أهالي صيدا قديما يقومون بصبغ المنسوجات الصوفية والكتانية [(١)]،ويبدو أن سكان دمشق اعتادوا لبسها بهذه الألوان ذات اللون الأحمر أو الأصفر في عباءآتهم الفضفاضة وكذلك لبس العقال والكوفية [(٢)]. كما عرفت صناعة المشدات المعروفة (بالكمار) وهي تنسج من الصوف وهي متممة للباس أهل الشام[(٣)]. وكما اشتهرت بلاد الشام بزراعة القطن[(٤)]، ولذلك اشتهرت الشام أيضا بصناعة الأقمشة المنسوجة من الحرير والقطن[(٥)]. وقد صور لنا محمد كرد علي صناعة النسيج عامة في بلاد الشام بقوله : (وقلما أخرجت الشام رذالة المتاع ورديئه، بل كانت تخرج جيدة ونفيسة) ، حيث ذكر من هذه الصناعات الأكسية والبسط التي اشتهرت بها "أعناك" والثياب البعلبكية والبلعسية نسبة إلى (كورة البلعاس) ، وكذلك الخميصة الشامية مصنوعة من المرعزي والصوف ، كما يؤكد محمد كرد علي على أن بلاد الشام قد عرفت غزل وندف القطن وصناعته منذ القدم[(٦)].

وكان لأهل رصافة هشام مهارة في عمل الأكسية ، وكل رجل فيهم غنيهم وفقيرهم يغزل الصوف ، والنساء ينسجن ، وكانت تعمل في الشام الأكسية المرنبانية ، وهو ماقد خلط في غزله وبر الأرانب ، وكانت تصنع منه القطيفة المخملية ، كما عرفت منبج بالأكسية التي كانت تعمل فيها وتنسب إليها ،فيقال "الأنبجاني" – وهو كساء صوف وله خمل[(٧)]. ومن الصناعات الصوفية أيضا صناعة

---

(١) السيد عبد العزيز سالم ،دراسة في تاريخ مدينة صيدا، ص ٤٥ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٣) محمد كرد علي ، خطط الشام ،ج ٤،ص ٢٠٣ .

(٤) جوستاف لوبون،المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

(٥) محمد سعيد القاسمي،قاموس الصناعات الشامية ،ج ١،ص ٣٩.

(٦) خطط الشام ،ج ٤،ص ٢٠٠.

(٧) محمد كرد علي ، المرجع نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٠١ .

الأعبئة (العبي) فهي من أهم الصناعات على اختلاف أنواعها ، ومنها الخشنة التي يلبسها الفلاحون ، وحياكتها في غاية المتانة ، وتتوفر في دمشق وحمص وحلب ، وقرى القلمون ، وذلك لتوفر مادتها الأولية ، ولأنها لباس عامة الفلاحين ، كما توجد أيضا صناعة أعبئة من الصوف النحيف والوبر (للخاصة) من الأمراء وكبار الشخصيات[1].

ويذكر ابن خلدون الأطوار التي تغير فيها لباس العرب وسكناهم بقوله : (وكان العرب لعهد الخلفاء الأولين من بنى أمية ، إنما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من الوبر والصوف ، ولم تزل العرب لذلك العهد بادين إلا الأقل منهم .. فلما تفننت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبذخ ، ونزلوا المدن والأمصار ، وانتقلوا من سكنى الخيام إلى سكنى القصور .. اتخذوا للسكن في أسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتا مختلفة الأشكال .. ، من القوراء والمستطيلة ، والمربعة ، ويحتفلون فيها بأبلغ مذاهب الاحتفال والزينة ، ويدير الأمير القائد للعسكر على فساطيطه وفازاته من بينهم سياجا من الكتان)[2].

---

(١) محمد كرد علي ، المرجع نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٣٨ .

ب - الطـــــرز :

أما ماذكرته المصادر عن صناعة الطرز ، فقد ذكر القلقشندي تعريفهـــا بقوله : (إنها : نقش اسم السلطان على ماينسج ويرقم من الكسوة والطـــرز المتخذة من الحرير أو الذهب ، بلون مخالف للون القماش أو الطرز لتصير الثيـــاب والطرز السلطانية مميزة عن غيرها ، تنويها بقدر لابسها من السلطان أو مـــن يشرفه بلبسها عند ولاية وظيفة ، أو إنعام أو غير ذلك . وعلى ذلك كانت خلفاء الدولتين : بني أمية ، وبني العباس)(١)، كما ذكر ابن خلدون بقوله: (كان ملوك العجم من قبل الإسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك وأشكالهـــم أو أشكال وصور معينة ، ثم اعتاض ملوك الإسلام عن ذلك بكتب أسمائهم مـــع كلمات أخرى تجري مجرى الفأل أو السجلات ، وكان ذلك في الدولتين من أبهـــة الأمور وأفخم الأحوال)(٢).

وعندما فتح العرب بلاد الشام، وجدوا دور طراز لصناعة المنسوجـــــات الحريرية في بيروت وأرواد ، وصيدا(٣)، وكانت الدور المعدة لنسج أثوابهـم في قصورهم تسمى "دور الطراز" ، وكان القائم على النظر فيهـــا يسمـــى "صاحب الطراز" ، حيث ينظر في أمور الصباغ ، والآلة، والحاكة فيها، وإجراء أرزاقهم، وتسهيل آلاتهم، ومشارفة أعمالهم ، وكانوا يقلدون ذلك لخـــواص دولتهم ، وثقات مواليهم(٤). ومن هؤلاء كان جنادة بن أبي خالد، يكتب لهشام بن عبد الملك على الطراز ، واسمه موجود على الثياب الهاشميـــة(٥).

---

(١) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٧ .
(٢) المقدمة ،ص ٢٣٧ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم ،دراسة في تاريخ مدينة صيدا،ص ٤٥ .
(٤) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٣٧ .
(٥) الجهشياري ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .

وتميزت الملابس في دمشق في العهد الأموي بالطرز ، فكان الخلفاء ينقشون أسماءهم ، أو علامات تميزهم على أثوابهم بخيوط من الذهب ، أما الولاة والعمال والجند ، فكانوا يرتدون زيا طرز عليه اسم الخليفة [١]. وقد احتاجت الدولة الأموية للصناع المتدربين ، ومن أوائل من ظهرت الحاجة اليهم من الصناع هم الحاكة وعمال الطراز ، وأغلب الظن أن مهرة العمال في تلك الصناعة كانوا من الفرس ، اذ أن كلمة "طراز" كانت فارسية الأصل،مما يعني أن تلك الصناعة بلغت درجة راقية عند ملوك الفرس[٢].

ومعنى الطراز : هو التطريز ، وعمل المدبج[٣] أو الشريط الكتابي الذي ينسج في لحمة الثوب وسداه ، ثم تطورت كلمة الطراز ، فأصبحت تعني المصنع الحكومي الذي تصنع فيه الثياب[٤]. كما اتسع مدلول كلمة الطراز ، فأصبحت تستعمل للكتابة على الورق ، والنسيج ، وزخارف قطع النسيج السادة المطرزة[٥]. ويبدو أن الخلفاء الأوائل من بني أمية هم الذين اتخذوا دور الطراز في قصورهم ، الا أن هناك دلائل على أنه كان هناك دار للطراز الملكي مقرها الاسكندرية ،وأن أقدم قطعة نسيج عثر عليها ترجع الى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك[٦].

وغلب الوشي في صناعة الحرير في عهد الدولة الأموية[٧]،وشاع في عصر سليمان بن عبد الملك نوع من الترف والتأنق في الزي،فقد فرض على رجاله ،

---

(١) مقدمة ابن خلدون ،ص ٢٣٧ .

(٢) - المقدمة لابن خلدون ، ص ٢٣٧ ،
- موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٣) المدبج : دبج الشيء دبجا : نقشه وزينه .

(٤) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٦٨٥ .

(٥) سعاد ماهر محمد ، النسيج الاسلامي ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، ١٩٧٧م ، ص ٢٤ .

(٦) سعاد ماهر محمد ، المرجع نفسه ، ص ٢٧ .

(٧) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٦٠ .

وأهل بيته ، وخدامه ، ارتداء الموشى ،لشدة ولوعه بهذا النوع من النسيج الذي تدخل في لحمته وسداه خيوط الذهب[١].

وقد عرف الخلفاء الأمويون بشدة التأنق في المظهر والملبس ، فارتدى معاوية الملابس "الدبيقية" [٢]،وكان سليمان بن عبد الملك يجلب الثياب الموشاة أيضا من اليمن ، والكوفة ، والاسكندرية [٣]، فقد ذكر عن رجاء بن حيوة لما كان يوم الجمعة ، لبس سليمان بن عبد الملك ثيابا خضرا من خز ، ونظر في المرآة فقال : (أنا والله الملك الشاب) فخرج الى الصلاة ولم يرجع [٤].

وذكر المسعودي : أنه كان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشي ، وفي أيامه عمل الوشي الجيد باليمن ، والكوفة ، والاسكندرية ، ولبس الناس جميعا جبابا وأردية ، وسراويل ، وعمائم ، وقلانس ... وأمر أن يكفن في الوشي[٥].

وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك يتأنق في ملبسه ، فيقال أنه لبس القلنسوة من الوشي المذهب[٦]،كما شوهد عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو يلبس برنس خز[٧].

---

(١) - مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٣٧ ،
- السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ الدولة العربية ، ص ٦٨٧ .

(٢) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١٧ ،
والدبيقية : ثياب تنسب الى دبيق قرية بمصر بين الفرما وتنيس ،
- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ .

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٤) ابن الجوزي ، مختصر سيرة العمرين ، مخطوط ، دار الكتب ، القاهرة ، تيمورية ، القسم الثاني ، ورقة ٢٩ .

(٥) مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .

(٦) جميل نخله المدور ، المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(٧) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ،ص ٥٥ ،
- والخز من الثياب : ماينسج من صوف وابريسم ، وما ينسج من ابريسم خالص ، والابريسم : نوع من أفضل أنواع الحرير .

وكان الخلفاء يخلعون هذه الثياب على رجال الدولة الأموية،واقتدى بهم أمراؤهم ، وكبار دولتهم ، فقد لبس أنس بن مالك خلعة من الخز ، وذكر ابن سعد ذلك فقال : (حدثنا عبد السلام بن شداد أبو طالوت قال : رأيت على أنس عمامة خز ، وجبة خز ، ومطرف خز ، فقالوا له : مالك تنهانا عن الخز وتلبسه أنت ؟ فقال : ان أمراءنا يكسوناها ، فنحب أن يروه علينا) [١] .

ولم تكن المنسوجات الحريرية والموشاة تستخدم في الملابس فقط في الدولة الأموية،بل كانت تستخدم أيضا في المجالس والمفروشات ، والستائر، فقد كان مجلس هشام بن عبد الملك مفروشا بالرخام وعواميد الذهب والطنافس الحمراء [٢]. كما كان يخرج للتنزه،فيضرب له سرادق من حبرة [٣]،أفرشته من خز أحمر [٤] ، كما كانت أستار جامع بني أمية من الوشي والابريسم [٥].

ولعل من أكبر التفاخر الذي ظهر بالثياب الغالية ، ماقيل عن هشام بن عبد الملك بأنه خرج حاجا ، فحملت ثيابه على ستمائة جمل [٦]، وكان لديه اثنى عشر ألف قميص من الوشي [٧].

---

(١) الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٢٣ — ٢٤ ،
(هذا ما أورده ابن سعد في طبقاته ، ولم أجد دليلا يبيحه).
(٢) أنظر : الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٦٦ .
(٣) الحبرة : ثوب من قطن أو كتان مخطط كان يصنع باليمن .
(٤) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، جـ ٥ ، ص ٥٧ .
(٥) جميل نخلة المدور ، المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .
(٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٥ ، ص ١٨٠ .
(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٣٥٣.

صناعة الخزف والفسيفساء والزجاج :

أ - صناعة الخزف [١] :

كان الفتح الاسلامي لبلاد الشرق الأدنى بداية عهد جديد في تاريخ فنون الخزف ، وقد اتبع الخزافون المسلمون في أول الأمر الأساليب التقليدية السائدة في مصر وسوريا والعراق وإيران ، ثم بدأ الفنانون يبتكرون تدريجيا أساليب جديدة في زخرفة الخزف[٢] ، وقد عرفت بلاد الشام صناعة الخزف منذ عهد الأنباط فقد كانت صناعة الأواني الفخارية أهم ماكانوا يشتغلون به من صناعات ، وكان فخارهم من الرقة ودقة الصناعة بحيث كان لا يقل جودة عن الخزف الصيني ، وكانت الجفان الفخارية تزدان بنقوش دقيقة تدهن باللون الأسود . وتعبر القطع الخزفية التي أسفر عنها الكشف الأثري سواء كانت هذه القطع خاصة بالكؤوس أو الصحون عن تفوق في هذه الصناعة فهي من الدقة بحيث تشبه قشر البيضة [٣] ، وقد اشتهرت تجارة البتراء بهذا النوع من التجارة [٤] .

وعرف أهل صيدا أيضا صناعة التحف الخزفية في العهدين اليوناني ، والروماني ، ولكنهم لم يصلوا في إجادتها إلى ماوصلت إليه الشعوب الأخرى التي اشتهرت بهذا النوع من الصناعة ، كالصينيين واليونانيين والمصريين ، وذلك لعدم توافر مواد صلصالية جيدة في متناول يدهم [٥] .

---

(١) الخزف ، ماعمل من الطين وشوي بالنار فصار فخارا .

(٢) - م.س. ديماند ، المرجع السابق ، ص ١٦٤ ،
- أنور الرفاعي ، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص ١٥٥ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ١١٣ .

(٤) رشيد الجميلي ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم ، دراسة في تاريخ مدينة صيدا ، ص ٤٧ .

كما نقلت صناعة القاشاني (وهو نوع من الخزف الصلب المموّه بألوان وأصباغ بديعة ، ونقوش رائعة منسوبة الى بلدة كاشان بالقرب من أصفهان) فعرفها الكنعانيون ، وتناولها الفرس واليونان والرومان ، واتصلت بالعرب في صدر الإسلام(١) ، وقد عثر على أفران عند أبواب مدينة دمشق تؤكد النشاط في صناعة الخزفيات في دمشق منذ أقدم العصور(٢).

وبما أن هذه الصناعة قديمة في منطقة بلاد الشام فلابد وأنها لم تندثر نظرا لاستمرار أطوار الحضارة في هذه المنطقة ، ومما يستدل به على أن هذه الصناعة استمرت خلال الفترة الإسلامية بقايا القاشاني الذي عرفت صناعته مدينة دمشق في الجوامع والحمامات (٣). كذلك عرف من أنواع الخزف ، الخزف الغير المدهون وهو من الأشكال التي صنعت في أوائل العصر الإسلامي وهي نفس الأشكال المعروفة في العصر الساساني والتي تتكون من كلجات(٤) كبيرة لخزن الماء ، وأباريق صغيرة وزمازم عثر عليها بأماكن مختلفة بالعراق وسورية وإيران(٥).

---

(١) محمد أديب آل تقي الدين الحصيني ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١١١٣ .

(٢) أحمد غسان سبانو ، دمشق في دوائر المعارف ، عن دائرة المعارف العالمية يونفرسال ، ص ١٨١ .

(٣) عيسى اسكندر معلوف ، حضارة دمشق ، ضمن سلسلة دراسات ووثائق دمشق رقم (٥) لأحمد غسان سبانو ، دمشق (مقالات مجموعه) ، ص ٢٧ .

(٤) الكلج : الرجال الأشداء ، (ولم يرد لها معنى آخر في القاموس .

(٥) م.س. ديماند ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

ب - صناعة الفسيفساء :

الفسيفساء كلمة مشتقة من اللغة اليونانية ، والمقصود بها الموضوعات الزخرفية المؤلفة بوساطة جمع أجزاء صغيرة ومتعددة الألوان من الزجاج أو الحجر ، وتثبيتها بعضها إلى جانب بعض فوق الجص أو الاسمنت ، وقد تكون هذه الموضوعات الزخرفية هندسية ، أو نباتية ، أو رسوم كائنات حية ، والأغلب أن تكون تلك الأجزاء الصغيرة مكعبات دقيقة . وقد امتاز الفن الإغريقي المتأخر ، والفن الروماني بالفسيفساء الحجرية ذات الموضوعات التصويرية ، وأكثر ما استخدمت في الرسوم على الأرض ، بينما امتاز الفن البيزنطي بالفسيفساء الزجاجية التي استعملت في رسوم الجدران ، وقد استعمل الفنانون في العصر الإسلامي المكعبات الزجاجية الصغيرة ، ولكنهم جمعوا معها في بعض الأحيان المكعبات الحجرية والصدفية [١].

لذا فان هذه الصناعة في العصر الإسلامي الأول كانت امتدادا لما كانت عليه في العصر البيزنطي ، فكان منها الصناعات النفيسة التي ازدهرت بشكل خاص في القرن الثاني الهجري[٢] ، فقد استخدمت الفسيفساء في كثير من الأبنية من مساجد وقصور وحمامات في العصر الأموي ، وحفظت لنا الآثار الأموية كثيرا من هذه الفسيفساء التي تصور مدى دقة هذه الصناعة وجمالها ، فقد وجد علماء الآثار الكثير من المناظر البديعة التصميم ، والتي مازالت تحتفظ بألوانها وبريقها الزاهي[٣].

---

(١) زكي محمد حسن ، فنون الاسلام ، ص ٦٤٣ .
(٢) محمد أديب آل تقي الدين الحصيني ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١١٢٨ .
(٣) م.س . ديماند ، المرجع السابق ، ص ٣٥ .

ولا ريب في أن أبدع ماوصل إلينا من الفسيفساء في العصر الإسلامي هي فسيفساء قبة الصخرة ، وفسيفساء المسجد الجامع في دمشق ، وكانت الفسيفساء تغطي الجدران الخارجية في قبة الصخرة ، ولكن لم يبق شيء من هذه الفسيفساء ، أما الذي لا يزال محفوظا إلى اليوم ، فالفسيفساء التي تغطي بعض الأجزاء الداخلية ، ولا ريب أن قسما كبيرا من هذه الفسيفساء المحفوظة يرجع إلى سنة ٧٢ هـ كما تشهد بذلك كتابة بالخط الكوفي البسيط من الفسيفساء المذهبة على أرضية زرقاء ، وتقع في أعلى التثمينة الداخلية بجوار السقف ، وتضم هذه الكتابة آيات قرآنية جاء في نهايتها النص التاريخي : "بنى هذه القبة عبد الله عبد الله[(١)] الإمام أمير المأمون في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضي عنه آمين رب العالمين والحمد لله" ، ولاشك في أن هذه الكتابة كانت تشمل على اسم عبد الملك بن مروان ، ولكنه حذف وكتب اسم المأمون عوضا عنه ، بغير أن يفطن الصانع إلى لزوم تغيير التاريخ ، فان سنة ٧٢ هـ لا تقع في حكم المأمون وإنما تقع في حكم عبد الملك ، فضلا عن أن اسم المأمون وألقابه مكتوبة بخط يخالف سائر الكتابة ، وفي مكان أضيق من المكان المناسب لعدد حروفها بالنسبة إلى القياس المتبع في سائر الكلمات ، ولون الكتابة المضافة أقتم من لون الكتابة الأصلية[(٢)].

ويؤكد م.س. ديماند بأن صناعة الفسيفساء السورية بأيدي فنانين سوريين بقوله : (ونشاهد في فسيفساء قبة الصخرة لبيت المقدس التي ترجع إلى سنة ٧٢ هـ ، أنواعا عديدة من الأشجار النخيلية ، وأغلب الظن أن هذه الفسيفساء من صناعة الفنانين المسيحيين السوريين الذين استعاروا ما استعاروه من الفنون السورية قبل الإسلام)[(٣)].

---

(١) هكذا وردت في النص المنقول عن زكي محمد حسن وكذلك باقي العبارة .

(٢) زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ص ٦٤٣ .

(٣) فنون الاسلام ، ص ٣٥ .

كما أثبتت مارجريت فان برشم في بحثها عن فسيفساء قبة الصخرة أنها من صنع عمال سوريين بوجه عام ، وليست من صنع عمال بيزنطيين ، وأنه من المحتمل أن يكون بعض عمال من أجناس مختلفة قد أسهموا مع العمال السوريين ، وأن ذلك قد يفسر وجود بعض العناصر الساسانية في زخارف هذه الفسيفساء (١) .

أما فسيفساء الجامع الأموي في دمشق ، فان معظمها أصابه التلف بسبب الحرائق المختلفة التي شبت في الجامع فلم تبق منها إلا أجزاء صغيرة ، إلى أن أتيح للاستاذ دي لوريه de lorey سنة ١٩٢٧م أن يكشف أجزاء عظيمة الشأن كانت حتى ذلك الوقت مغطاة بالملاط ، وأهم هذه الأجزاء المكتشفة مايقع على مقربة من المدخل الرئيسي للجامع ، وقوام هذا الجزء الكبير رسم نهر في مقدمة المنظر ، وعلى ضفته الداخلية أشجار ضخمة تطل على منظر طبيعي ، فيه رسوم عمائر بين أشجار وغابات ، ومن هذه الحفائر رسم ملعب للخيل ، ورسم قصور ذات طابقين ، وأعمدة جميلة ، ورسم بناء مربع الشكل ، وله سقف صيني الطراز ، كما نرى رسم عمائر صغيرة تبدو كأنها موضوعة الواحدة فوق الأخرى ، وفوق النهر المذكور قنطرة تشبه قنطرة فوق نهر بردى بدمشق ، مما حمل على القول بأن هذه الرسوم قد تكون لمناظر في مدينة دمشق نفسها (٢).

كما زينت جدران المسجد بفصوص من الذهب والفسيفساء ممزوجة بأنواع من الأصباغ العجيبة تمثل أشكالا من الرسوم لم ير أبهج منها في العيون (٣)، وغطيت الجدران بالتلبيسات النفيسة ،منها تلك الصفائح من الرخام المتعدد الألوان التي

---

(١) زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ص ٦٤٧ .

(٢) زكي محمد حسن ،المرجع نفسه ، ص ٦٤٧ .

(٣) جميل نخله المدور ، المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

ارتفعت حتى مخارج الأقواس وفوقها قطع الفسيفساء الرائعة من الزجاج[(١)] .

وصفوة القول أن قوام زخارف الفسيفساء في الجامع الأموي رسوم العمائر والمناظر الطبيعية لذاتها وبغير أن تكون ثانوية في الصورة بالنسبة إلى صور آدمية لها الصدارة كما يعرف في بعض زخارف الفسيفساء البيزنطية ، والتأثر بالأساليب الفنية الهلينستية ظاهر جدا في رسوم الفسيفساء التي نحن بصددها ، ومن المحتمل أن صانعيها نقلوا موضوعاتهم الزخرفية عن نماذج قديمة ، ولم يكونوا بعيدين عن التأثر ببعض الأساليب الفنية الساسانية تأثرا بسيطا ، مما يحمل على القول بأنهم كانوا من أهل الشام ، وأنهم يمثلون المدرسة الفنية المحلية التي ازدهرت من الفنون الهلنستيه في سورية حين فتحها العرب[(٢)].

كما ظهرت أنواع من الفسيفساء في قصور الأمويين ومنها ماوجد في قصر هشام بخربة المفجر ، ثم ماكشف في خربة المنية بفلسطين[(٣)]، وفي قصر خربة المفجر وجدت قطعة كبيرة تفرش قاعة الاستراحة بالحمام الكبير من الفسيفساء[(٤)] .
واقترنت صناعة الفسيفساء بالرخام والمرمر ، فقد كانت جدران المسجد الأموي مغطاة بلوحات من الرخام وأرضه مفروشة بالمرمر[(٥)]، ونظرا لتوافر معدن الرخام في منطقة الشام فقد تقدمت صناعة الرخام في العصر الأموي[(٦)].

بعد هذا العرض نستنتج أن صناعة الفسيفساء في بلاد الشام كانت موجودة وقديمة وان تأثرت بطابع فني دخل عليها من تواجد مؤثرات خارجية نتيجة وجود كثير من الرقيق الذين لابد وأن يكونوا من الصناع في بلاد الشرق إلا أن الصناعة الأصلية موجودة في الإقليم .

(١) جان سوفاجيه ، المرجع السابق ، ص ٢٦ .
(٢) زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ٦٤٩ .
(٤) عفيف البهنسي ، الفن الإسلامي في بداية تكونه ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ١٥٠ .
(٥) أنور الرفاعي ، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ، ص ٦٧ .
(٦) عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٨م ، ص ٢٦٤ .

صناعـــة الزجـــاج :

أما صناعة الزجاج فهي صناعة قديمة جدا ، وقد اختلف المؤرخون في منشأ صناعتها فقيل أن أول معرفتها كان في مصر في عصر ماقبل التاريخ[١]، وقيل أن صنع الزجاج كان أولا في فينقية ثم صدرت مصر وسورية إلى حوض البحر المتوسط كل مصنوعاتها الزجاجية وسرعان ماورث المسلمون عن الفنيقيين والسوريين والمصريين مهارتهم في صنع الزجاج[٢]. ويشير السيد عبد العزيز سالم عن دراسة صناعة الزجاج وشهرتها لصيدا التي ينسب لأهلها ابتكار الزجاج والمرايا الزجاجية ، أن ما أسفرت عنه الحفريات الأثرية في مصر تدل على أن المصريين القدامى عرفوا هذه الصناعة قبل الفنيقيين بعهود طويلة ، كما يفيد بأن مادة النطرون التي تدخل في صناعة الزجاج كانت متوفرة في مصر ولم تكن تتوفر في فينقيا ، ويرجح أن الفنيقيين تعلموها من مصر وأنهم كانوا يستوردون هذه المادة منها ثم توسعوا في صناعة الزجاج على نطاق واسع حتى أصبحت صيدا والصرفند[٣] وصور من أكبر مراكز صناعة الزجاج في حوض البحر المتوسط[٤].

واذا كانت صناعة الزجاج وليدة الحضارة المصرية أو الفنيقية فإن الاثباتات المؤكدة تشير إلى أن بلاد الشام عرفت صناعة الزجاج على نطاق واسع، فقد أثبتت الحفريات الاستعمال الواسع لصناعة الزجاج في العهد البيزنطي لأواني المائدة والشراب المصنوعة من الزجاج[٥]، وقد نقلت صناعة الزجاج من

---

(١) عبد المنعم ماجد ، المرجع نفسه ، ص ٢٦٣ .
(٢) عطية القوصي ، الحضارة الإسلامية ، ص ١١٣ .
(٣) صرفنده : قرية من قرى صور من سواحل بحر الشام .
(٤) انظر عن : تاريخ صناعة الزجاج في صيدا وآثارها :
ـ السيد عبد العزيز سالم ، دراسة في تاريخ مدينة صيدا ، ص ٤٦ .
(٥) أرنست ڤيل ، المرجع السابق ، ص ٦ .

صور الفنيقية إلى دمشق الآرامية فأنشئت المعامل واشتهر الزجاج الدمشقي مثل غيره من الصناعات الدمشقية (١).

وقد ذكر الحميري صور بأنها من بلاد الشام ولها ربض كبير يعمل فيه جيد الزجاج والفخار (٢).

وذكر الثعالبي بلاد الشام بأن من خصائصها الزجاج الذي يضرب به المثل في الرقة والصفاء فيقال : أرق من زجاج الشام وأصفى من زجاج الشام (٣).

وقال الشاعر الأقيشر (٤) الذي عاش في زمن بني أميه :

لَهَا مِنْ زُجَاجِ الشَّامِ عُنُقٌ غَرِيبَةٌ تَأَنَّقَ فِيهَا صَانِعٌ وَتَخَيَّرَا (٥)

غير أن زكي محمد حسن يشير إلى الآثار التي اكتشفها منقبوا الآثار ومنهم علماء اختصوا بدراسة الزجاج وحددوا تواريخ معينة لينسبوا إليها أنواعا من التحف الزجاجية ، فيؤكد بعدم الاطمئنان إلى النتيجة التي يصل إليها ذلك الباحث فيقول : (الواقع أننا حين ندرس المنتجات الزجاجية في فجر الإسلام ، يجب أن نتذكر أن الشرق الأدنى اشتهر منذ العصر الروماني بصناعة الأواني الزجاجية الجميلة ، ولاسيما في مصر والشام ، بل أن شهرة وادي النيل في هذا المضمار ترجع إلى العصور القديمة ، كما يجب أن نذكر أن الأساليب الفنية التي عرفها الشرق الأدنى في صناعة الزجاج قبل الإسلام ظلت سائدة فيه خلال القرون الأربعة الأولى بعد الهجرة ،وكان التطور في هذا الميدان أبطأ منه

---

(١) محمد أديب آل تقي الدين الحصيني ،المرجع السابق ،ج ٣ ،ص ١١٣٨ .

(٢) الروض المعطار ، ص ٣٦٩ .

(٣) لطائف المعارف ، ص ١٥٧ .

(٤) الأقيشر : هو المغيرة بن عبد الله بن معرض الأسدي ، شاعر هجاء ،عالي الطبقة من أهل بادية الكوفة ،كان عثمانيا - من رجال عثمان بن عفان وأدرك دولة عبد الملك بن مروان - أنظر :
- الزركلي ، المرجع السابق ،ج ٧ ، ص ٢٧٧ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٠، ص ٨٩ .

في غيره من ميادين الفن الإسلامي ، وفضلا عن ذلك فقد كان الإقبال على استعمال الزجاج في فجر الإسلام عظيما ، وكانت الأساليب الفنية في هذا العصر مشتركة بين الأقاليم الإسلامية المختلفة ، فلسنا نستطيع أن ننسب بعض التحف الزجاجية إلى العراق دون مصر أو الشام أو إلى إيران دون أي إقليم إسلامي آخر ، اللهم إلا إذا قام على صحة هذه النسبة دليل يمكن الاطمئنان إليه)[١].

لذا فان صناعة الزجاج كباقي صناعات بلاد الشام يصعب فيها تحديد نهاية العصر البيزنطي وبداية الفترة الإسلامية لهذه الصناعة ، فقد كانت الفترة الأخيرة للعصر البيزنطي تعتبر فترة جيدة لصناعة الخزف والزجاج على السواء ، حيث كانت جودة الصناعة الحرفية اليدوية على درجة دقيقة وراقية حتى نهاية الحكم البيزنطي لبلاد الشام[٢].

على أن أنواع الصناعات الشامية للزجاج قد تعددت أصنافها وتنوعت ، فقد برع أهالي صيدا في صناعة الزجاج الشفاف غير الملون والملون والقاتم الذي يشبه الخزف ويسمح بنفاذ الضوء ، والزجاج الذي لا يخترقه الضوء[٣]، واشتهرت دمشق قديما بصناعة الزجاج الذي كان يضرب بصفائه المثل وكان يتخذ للزينة ومنه الأكواب والآنية على اختلاف أنواعها[٤]، وحفظت الآثار الزجاجية في العصر الأموي دقة صنع الكؤوس الزجاجية المموهة بالمينا ء وبعضها يحمل كتابة مثل سمير ، ومسافر[٥].. كما اشتهرت دمشق وحلب وإنطاكية وصور وعكا والخليل بأنواع الزجاج الشامي[٦].

---

(١) زكي محمد حسن ،المرجع السابق ، ص ٥٨١ – ٥٨٢ .

(٢) Waler Emil Kaegi, J. R. "New perspective on the last decades of the Byzantine era" p. 22.

(٣) السيد عبد العزيز سالم ،دراسة في تاريخ مدينة صيدا ،ص ٤٦ .

(٤) محمد كرد علي ،دمشق مدينة السحر والشعر ،دار الفكر ،دمشق ،ص ١١٩ .

(٥) أبو الفرج العشي ، آثارنا في الإقليم السوري ،ص ١٥٧ .

(٦) أنور الرفاعي ،تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ، ص ١٦٠ .

ومن الآثار التي وجدت في قصور الأمويين ومساجدهم من أنواع الزجاج ماوجد من الزجاج الملون في قصر هشام بن عبد الملك في الرصافة (١) وماوجد في قبة الصخرة من الزجاج المذهب(٢). كما ذكر ياقوت الحموي أنه كان بجامع بني أمية (كتابة بالذهب في الزجاج محفورا سورة ألهاكم التكاثر.. إلى آخرها) (٣).

صناعة التحف المعدنية :

كان صناع التحف المعدنية في فجر الإسلام يسيرون على منوال زملائهم في العصر الساساني في إيران ، والعصر القبطي في مصر ، وقد بلغت صناعة التحف المعدنية أوج عزها في إيران قبل الإسلام ، كما يشهد بذلك ماعثر عليه من الصواني والأباريق والصحون الذهبية والفضية ، ومعظمه وجد في شمال إيران جنوب روسيا (٤).

ويصعب علينا تحديد بداية صناعة التحف المعدنية في بلاد الشام نفسها (٥) وليس ثمة شك في أن هذه الصناعة في العصر الأموي قد تأثرت بالأساليب الفنية الساسانية وزميلاتها الهلينسينة والمسيحية الشرقية التي كانت مزدهرة

(١) أبو الفرج العشي، آثارنا في الاقليم السوري، ص ٢٩ ،
- عفيف البهنسي ، المرجع السابق ، ص ١٥١ .

(٢) عفيف البهنسي ، المرجع نفسه ، ص ٦٠ .

(٣) معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ .

(٤) زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ص ٥٠٨ .

(٥) وقد عاش الأمويون في الشام حيث ازدهرت من قبل مدارس من الفنون الهلينسينة والمسيحية الشرقية والتي تأثرت ببعض الأساليب الفنية الساسانية بحكم الجوار،كما ازدهرت أيضا في بلاد الشام في العصر البيزنطي صناعة التحف المعدنية حيث ازدهرت الفنون الهلينستية والمسيحية الشرقية والتي تأثرت ببعض الأساليب الفنية الساسانية بحكم الجوار .

قبل الاسلام. كما يمكن القول أن الأمويين استخدموا في هذه الصناعة - وفي غيرها من الصناعات الفنية - الصناع والفنيين المهرة في جميع الأمصار الاسلامية، وان كانت الصناعة المعدنية قد تأثرت بهذه الأساليب القديمة، الا أنها تأثرت أيضا بتعاليم الدين الاسلامي،فلم يقبل صناع التحف على صناعة التماثيل على النحو السابق لفترة ماقبل الاسلام وتميزت هذه التحف بزخرفتها بالحز [١] والتنزيل [٢] بالذهب والفضة [٣].

وقد حفظت لنا الآثار الاسلامية بعض التحف التي تدل على دقة الصناعة وتأثرها بالفنون الشرقية ،ومنها ابريق من البرونز يعتبر تحفة فنية ،وينسب الى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، كذلك هناك مباخر وأواني للماء تنسب الى بداية العصر الاسلامي [٤] .ومن أواني الماء هذه مما هو على هيئة بطة أو حمامة أو ديك أو غزال أو حصان أو أسد ، ولعل أبدعها بطتان (من مجموعة بوبرنسكي في متحف الأرميتاج) ، احداهما من العصر الساساني والأخرى من فجر الاسلام [٥].

وتجدر الاشارة هنا الى أن الأواني المعدنية هذه كلها أدوات للاستخدام مثل المباخر وآنية الماء ، وليست تماثيل مجسمة يخشى منها التقديس والعبادة كما كان الحال قبل الاسلام .

---

(١) الحز : حزه ، أي قطعة ولم يفصله .
(٢) نزل الشيء : أي رتبه ووضعه منزله .
(٣) زكي محمد حسن ، الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٠م ، ص ٢٣٧ .
(٤) زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .
(٥) زكي محمد حسن ، فنون الاسلام ، ص ٥١٠ .

ومن أبرز الصناعات المعدنية التي يمكن أن تؤكد وجودها في منطقة الشام سك العملة ، ولعل صناع العملة الذين أتقنوا سكها كانوا من فارس حيث كانت الدولة الأموية تستقدم مهرة الصناع ، وقد ورث الأمويون المصانع القديمة بعمالها المهرة ، كما ضرب عبد الملك بن مروان العملة الإسلامية الخالصة فلم يبق فيها أثر للتصاوير التقليدية (١).

صناعة المجوهرات والتحف العاجية :

أما صناعة المجوهرات والتحف العاجية فقد عرفتها سورية منذ عهود قديمة ، وقد تأثر الفن الإسلامي بالزخارف المسيحية الشرقية المحفورة على العاج والمجوهرات ، ومن أمثلة الأسلوب السوري المشهورة الحشوات العاجية التي تزين كرسي الأسقف ماكسيمان في رافنا (٢) وبزخرفتها بفروع العنب (٣).

ويشير آرنست فيل إلى الآثار التي وجدت من صناعة التحف والحلي والمجوهرات السورية من صناعات تدمر بقوله : (لا نملك غير عدد محدود من كنوز $\frac{1}{4}$ الصياغة السورية وأهمها قد اكتشف حديثا في خرائب أحد بيوت بيروت في القرن السادس الميلادي وهو يعطي نماذج من صياغة ذلك العصر : الأقراط والخواتم والمدليات والأساور) ، ويوضح بأن حلي تدمر المنحوتة لابد وأن يكون لها مقابل في سائر أنحاء سورية في عهد الامبراطورية الشرقية ويشير إلى أن هذه الاكتشافات ربما تكون نقطة دلالة مستقبلية (٤). وقد أشارت بعض المصادر والمراجع إلى صناعات الحلي السورية القديمة ، فذكر البدري أن في دمشق

(١) موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .
(٢) رافنا : مدينة في إيطاليا وهي عاصمة الامبراطورية الغربية .
(٣) م.س. ديماند ، المرجع السابق ، ص ٢٦ .
(٤) الحياه الثقافية والفنية في بلاد الشام في نهاية العصر القديم ،ص ٧٠٦ .

تعمل صناعة الذهب المسبوك والمضروب والمجرور والممدود والمرصوع [١] ، وكذلك صناعة التنزيل والترصيع وهي تنقيش الحديد أو الفولاذ بالذهب أو الفضة أو معدن آخر وتسمى بالأفرنجية (داما سكين) نسبة إلى دمشق لأن الأفرنج أخذوها عنها وهي في الغالب لتزيين السلاح وقد اتقن الدمشقيون القدماء هذه الصناعة وأوصلوها إلى درجة الكمال[٢].

وقد أشار أبو الفرج العش إلى مجموعة من الحلي وجدت في بلاد الشام وتنسب إلى العصر الأموي وهي مجموعة من أساور المعاصم وأساور العضد الفخمة والخلاخيل والأقراط والأطواق والشكلات[٣] والخواتم والحجب ، وبعض هذه الحلي مصنوع بالضغط والتطريق لتبدو زخارفها بارزة وبعضها مكونة من أسلاك ذهبية ثخينة مجدولة ، وبعضها منسوج من خيوط رفيعة وبعضها مرصع بالأحجار الكريمة وأكثر هذه الحلي من الذهب الخالص وبعضها من الفضة [٤] .

صناعة السفن :

وعرفت بلاد الشام بوفرة أخشابها فقد زودت غابات الأرز والصنوبر سكان لبنان الأقدمين بأحسن الأخشاب لبناء سفنهم[٥]، فقد برع أهالي صيدا في العهد الفنيقي في صناعة السفن بما توفر لديهم على سفوح جبال لبنان من

---

(١) محاسن الشام ، ص ٢١٤ .
(٢) أنظر عن هذه الصناعة :
— أحمد غسان سبانو ، دمشق في دوائر المعارف (عن دائرة المعارف العربية) ، ص ٦٢ .
(٣) شكل شكلا ، وشكلت المرأه شعرها : ضفرت خصلتين من مقدم رأسها على اليمين والشمال — تشكل : المرأه : وضعت على رأسها إضماهة من الزهر .
(٤) آثارنا في الاقليم السوري ، ص ١٦١ .
(٥) — فيليب حتي ، تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين ، ج ١ ، ص ٥٤ ،
— السيد عبد العزيز سالم ، دراسة في تاريخ مدينة صيدا ، ص ٣٨ .

غابات الأرز والشربين[١]،كما كان حصن التينات[٢]على ساحل البحر المتوسط مقطع لخشب الصنوبر[٣].وعندما ملك المسلمون بلاد الشام اتجهت أنظار والي الشام معاوية بن أبي سفيان الى غزو البحر لصد الأعداء ففكر في تقوية الجيش الاسلامي بأسطول بحري[٤]،وقد أمر معاوية بجمع مهرة الصناع وجعل صناعة السفن في عكا ثم نقلت الصناعة الى صور في عهد هشام بن عبد الملك[٥] وقيل أن معاوية ابتنى ألف وسبعمائة سفينة شراعية اتخذ أعوادها من جبل لبنان.[٦]

وقد ذكرنا في بدء الصناعات الخشبية صناعة السفن لأهميتها في العصر الاسلامي من الناحية العسكرية وذلك للتصدي لخطر البحرية البيزنطية في حوض البحر الأبيض المتوسط ولحماية سواحل الشام من الأسطول البيزنطي .

صناعة الخشب :

واشتهرت بلاد الشام أيضا في العصور القديمة بصناعة التحف الخشبية ،والتي ظلت قائمة بها في العصر الاسلامي،ومما يذكر في هذا الصدد عمل أول منبر من الخشب في المدينة في عهد الرسول،صلى الله عليه وسلم،حيث اختلفت الأقوال عن صناعته وصانعه ،ومن ذلك ماذكره جابر بن عبد الله : أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يارسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه ،فان لي غلاما نجارا؟ قال :"ان شئت" ،قالت فعملت له المنبر[٧].

---

(١) الشربين : جنس شجر جميل من فصيلة الصنوبريات ينبت بريا في بلدان المتوسط يستخرج منه القطران وخشبه جيد . المنجد في اللغة ،ص ٣٨١ .
(٢) فرضة على بحر الشام قرب المصيصة ،
- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٦٧ .
(٣) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ .
(٤) موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .
(٥) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٦٢٠ .
(٦) عبد الحي الكتاني ، التراتيب الادارية ،ج١،ص ٣٧٣ .
(٧) الخزاعي التلمساني ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

وعلى الرغم من اختلاف الآراء فيمن صنع المنبر وأسباب صنعه الا أن الاشارات الى صنع المنبر تدل على أنها من صنع نجار من بلاد الشام ، وأنه قد تمرس على هذه الصناعة والمعرفة لعمل الصناعات الخشبية (١).

وقد حفظت لنا الآثار الاسلامية ، العديد من التحف الفنية الخشبية ، سواء ماهو قائم البناء الى عصرنا هذا ، أو ما حفظته المتاحف العربية والعالمية لهذه التحف ، وقد وجدت بعض هذه الزخارف الخشبية التي تأخذ الطابع الهلينستي واضحة في الكوابل الخشبية (المساند) بالمسجد الأقصى ببيت المقدس (٢)، كما وجدت الزخارف الخشبية الهندسية والنباتية في المسجد الأموي والتي أشار اليها المؤرخ جوستاف لوبون بأن : سقفه كان مصنوعا من الخشب المموه بالذهب (٣)، كذلك وجدت من بقايا هذه النقوش والزخارف الخشبية في الرصافة من بلاد الشام (٤).

ومما يجدر ذكره أنه يوجد في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة مجموعة من صناعات الخشب ذي الزخارف يرجح أنها من صناعة العصر الأموي أو صدر العصر العباسي (٥). ويلاحظ أن هذه الزخارف الخشبية الموروثة عن الفن الهلنستيي تصور عناقيد أوراق العنب والفروع الملتوية التي تحصر بينها العناصر الزخرفية (٦)، كما تتميز زخرفة العصر الأموي أيضا بأوراق الأكنتس (٧) وكيزان الصنوبر (٨).

---

(١) أنظر : الكتاني ،التراتيب الادارية ،جـ ١ ، ص ٦٧ .

(٢) م٠س٠ ديماند،المرجع السابق ،ص ١١٥ .

(٣) حضارة العرب ، ص ١٧٠ .

(٤) عفيف البهنسي ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٥) عبد الرحمن زكي ، المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٦) عبد الرحمن زكي ، المرجع نفسه ، ص ١٨ .

(٧) الاكنتس : (Acanthus) أو شوكة اليهود : شوك الجمل ، وهو نبات جميل الورق يغلب وجوده على شواطيء البحر المتوسط ،
— المنجد في اللغة ، ص ١٥ .

(٨) أبو صالح الألفي ، الفن الاسلامي دار المعارف ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ص ٢٨٠ .

صناعة الأسلحة :

عرفت بلاد الشام قديما صناعة الأسلحة ، فقد ذكر أن الامبراطور دقلديانوس الروماني أنشأ في القرن الثالث للميلاد مصنعا للأسلحة في دمشق [١] .

وكان لدمشق مهارة خاصة في صنع السيوف ولأهلها طريقة في سقيها وطرقها وسحبها لا مثيل لها.. ولا نعرف وقتا لظهور هذه الصناعة في دمشق ، لكنه ثبت أنها قديمة ترجع الى عصر الرومان ، وقد زادت اتقانا أيام العرب [٢] .ونظرا لأهمية السلاح لدى العربي وأهمها السيف فقد عرفت لهذه الصناعة سوقا خاصة وصناعة رائجة ، وعرف الى جانب السيف صناعة الرمح وتعددت أسماؤها [٣] ، كما اشتهرت دمشق بصناعة الفولاذ الدمشقي ومنذ عهود سحيقة وكان تصنيع الفولاذ سرا كبيرا بقيت محافظة عليه - حتى غزاها تيمورلنك - وأخذ صانعي الفولاذ [٤] .

ويبدو أن الفولاذ كان يجلب الى الشام - منذ قبل الميلاد بزمن طويل - من علكنده في هندستان وكان الدمشقيون يصنعون من هذا الفولاذ نصالا للسهام والرماح والسيوف والسكاكين صلبة جدا وماضية ،وأما أسطحتها فمصقولة ومغطاة بخطوط دقيقة كأنها عروق سوداء وبيضاء [٥] . ومن القديم كانت دمشق تفاخر بما تصنع من السيوف المحلاة لما اختصت به من الصفاء والاخضراء تكتب فيها آيات وأشعار بماء الذهب ، ومثل ذلك الخناجر والرماح وتطريق الحديد مما عرفت به دمشق قبل الاسلام [٦] .

---

(١) محمد كرد علي ، دمشق مدينة السحر والشعر ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢) جورجي زيدان ،دمشق الشام ، ضمن سلسلة دراسات ووثائق الشام رقم (٥) ، لأحمد غسان سبانو ، دمشق ،(مقالات مجموعة)،ص ٤٧ .

(٣) أنظر : محمد سعيد القاسمي ، قاموس الصناعات الشامية ،ج ١ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ .

(٤) أحمد غسان سبانو ،(مكتشفات مثيرة تغير تاريخ دمشق القديم ، (أرم ذات العماد) ، ص ٢٢٥ .

(٥) أحمد غسان سبانو ، دمشق في دوائر المعارف ، عن دائرة المعارف العربية ، ص ٦١ .

(٦) محمد كرد علي ،دمشق مدينة السحر والشعر ، ص ١١٦ .

وقد ذكرت المصادر والمراجع أسماء للسيوف التي عرفت صناعتها في المدن الشامية ، فقد عرفت السيوف المشرفية المنسوبة إلى مؤتة لأنها من مشارف الشام [١]، كما ينسب إلى بصرى السيوف البصرية - فقد كانت آهلة بالسكان زمن الفتح وكان العرب يقصدونها بتجارتهم [٢] ، وكانت مشارف حوران ولبنان غنية بمعدن الحديد ، كما كانت تقطع أشجار السنديان لتذويب الحديد واستخراج الفولاذ [٣]، كما عرفت السيوف الأريحية والدمشقية [٤]، كما نسبت إلى دياف - من قرى الشام ، وقيل من قرى الجزيرة - الإبل والسيوف [٥]، وكانت تصنع بعمتا - قرية من قرى الأردن - النبل الفائقة [٦].

---

(١) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٧٥ .

(٢) محمد أديب آل تقي الدين الحصيني ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٨٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٣٢ .

(٤) موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٧٩ ،
الأريحية الدمشقية : نسبة إلى أريحا والي دمشق .

(٥) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٩٤ ،
يذكر ياقوت الحموي : بأن أهل دياف نبط وكلما عرضوا برجل أنه نبطي نسبوه إليها ، وقال الفرزدق :
ولكن ديافي أبوه وأمه ... بحوران يعصرن السليط أقاربه
وقال الأخطل :
كأن نبات الماء في حجراته ... أباريق اهدتها دياف بصرخدا
فهذا يدل على أنها بالشام لأن حوران وصرخد من رساتيق الشام .

(٦) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٥٣ .

استخراج الزيوت وصناعة الصابون :

أ - استخراج الزيوت :

كان لتصنيع المنتجات الزراعية دورا هاما في بلاد الشام ، فقد حبى اللّه هذه الأرض بنعمة وافرة من خيرات أرضها وعلى الأخص الزيتون والكروم، وقد أدت وفرة الزيتون في بلاد الشام إلى استخراج الزيت منه (١)، وقد اشتهرت بعض المدن والقرى الشامية بوفرة الزيتون ومنها نابلس(٢) وسرمين(٣) وعكا (التي بها غابة زيتون تقوم بسرج جامعها وزيادة(٤) ووادي موسى - قبلي بيت المقدس) (٥) .

وقد عرف أهالي غوطة دمشق استخراج الزيت من زيتونهم والطحينة والشيرج من سمسمهم (٦) .

وعرفت عسقلان استخراج الزيوت والشيرج (٧)، كما كان يعصر السليط - أي دهن السمسم - في ديماس من حوران(٨)، وقد عرفت بلاد الشام صناعة استخراج الزيوت منذ أقدم العصور ومما يؤكد لنا انتشار هذه الصناعة في أنحاء البلاد بقايا معاصر الزيت من بقايا أحجار الطواحين التي كانت تستخدم في هذه الصناعة الزيتية والتي يرجع تاريخها إلى عهد الفنيقيين(٩)، وقد مرت صناعة

---

(١) موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٥٠ .

(٣) ابن بطوطه ، المصدر السابق ، ص ٤٧ - ٥٢ .

(٤) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

(٥) القزويني ، آثار البلاد ، ص ٢٧٩ .

(٦) محمد كرد علي ، غوطة دمشق ، ص ٦١ - ٦٢ .

(٧) مصطفى مراد الدباغ ، الموجز في تاريخ الدولة العربية في بلاد فلسطين ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص ٢٢٥ .

(٨) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٥٧ .

(٩) محمد سعيد القاسمي ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٣ .

الزيوت بثلاث مراحل : الدق ـ العصر ـ التقطير ، ويتحدث ج. تات عن المنطقة الشمالية من سورية ويعقد مقارنة بين المناطق المنبسطة وطرق الزراعة بها والمناطق المرتفعة ، فقد ذكر أنها تتميز بزراعة الأشجار وتربية الحيوانات وحدد نوعية الزراعة في المرتفعات الجبلية ، فالهضبة الجيرية تزرع الزيتون والكروم وأشجار الفاكهة ، وقد شهدت صناعة الزيوت في الهضبة الجيرية نشاطا فعالا وذي أهمية قصوى ، فقد استعملت الطاحونة (١)ـ الرحي ـ المكونة من قطعتين من الصخر دائرية ، كما استعملت آلة الرجازة (٢)في عملية العصر وقد مثلت الوسيلة التقنية الأكثر تطورا ، كما أنها كانت منتشرة بشكل واسع في القرنين الأوليين ، وكانت عملية التقطير تختصر على مرحلة واحدة فقط (٣)، كما عرف أهل الشام عصر الزيوت بواسطة العود وهو شجر عظيم من الجوز يقطعون أغصانها وينجرونها ويستعملونها لعصر الزيت(٤).

ومن أنواع الزيت المعروفه : الزيت الركابي(٥)وهو غاية في الصفاء(٦).

---

(١) الطاحونه : جمع طواحين ، الرحى : بيت الطحين. المطاحن: الرحى وهي اما يديرها الماء أو الهواء أو البخار.

(٢) الرجازة : وعاء أو كساء يجعل فيه حجاره ويعلق بإحدى جانبي الجمل أو الهودج ليعدله .

(٣) G. Tate; "Lës:campagnes du Nord de la syrie 40 - 70 siecles" The fourth international conference on the history of Bilad Al-Sham "from the onset of the Byzantine era until the close of the Umayyad era," Amman 1983, p. 4.

(٤) جمال الدين القاسمي،وخليل العظم،قاموس الصناعات الشامية ،ج ٢،ص ٤٥٦ .

(٥) سمي بالزيت الركابي لأنه كان يحمل على الإبل من الشام (الثعالبي،لطائف المعارف ، ص ١٥٧) .

(٦) القزويني ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

ب - صناعة الصابون :

أما صناعة الصابون فقد تلازمت مع صناعة الزيوت منذ أقدم الأزمنة ، فيقال أن أول من عمل الصابون سليمان عليه السلام[(١)]، وكانت هذه الصناعة موجودة في القطر الشامي منذ عهود قديمة[(٢)]، وقد اشتهرت نابلس بصناعة الصابون الذي عرف بالصابون الرقي[(٣)]، كما صنع أهالي الغوطة الصابون من زيتهم[(٤)]، وعرفت بالس صناعة الصابون[(٥)]، وعملت سرمين الصابون الآجري والمطيب[(٦)]، ومن المدن التي اشتهرت أيضا بصناعة الصابون حلب وإنطاكية وطرابلس ودمشق واللاذقية وحيفا ورام الله وكلز وإدلب وغيرها من مدن وقرى لبنان[(٧)].

= - الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١٥٦ ،
- عن طريقة صناعة الزيت في الشام أنظر :
- محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ،ص ١٩٠ .

(١) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٨ ،
- الأبشهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٢) محمد أديب آل تقي الدين الحصيني ، المرجع السابق ،ج ٣ ،ص ١١٤٣ .

(٣) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٥٠ .

(٤) محمد كرد علي ، غوطة دمشق ، ص ٦٢ ، - وعنه أشهر المصابن ، أنظر : محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ،ص ١٩٠ .

(٥) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

(٦) ابن بطوطه ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٧) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٥٧ - ١٥٩ .

صناعـــة السكـــر :

جاءت زراعة قصب السكر وصناعة السكر من الهند إلى ايران في القرن السابع الميلادي ، ثم لما فتح العرب إيران نقلوا زراعة قصب السكر وصناعة السكر إلى الشرق العربي (العراق وسوريا ومصر)[١]، ويشير أحمد مختار العبادي إلى أن صناعة السكر قد صمتت عنها المصادر القديمة ، ولم تعرف كلمة (سكر) إلا من العرب وهي تحوير لكلمة (شكر) التي استعملها الفرس[٢]، وقد انتشرت زراعة قصب السكر في عدة مناطق من إقليم الشام وخاصة منطقة الغور في أيام الحكم العربي[٣] ، وانتشرت صناعة السكر على ضفاف الأردن وإنطاكية وطرابلس وعكا ويافا، كما ذكر المقدسي عن مدينة كابل - وهي من مدن الشام الساحلية - أن بها مزارع الأقصاب وبها يطبخ السكر الفائق[٤] .

---

(١) عثمان الكعاك ، الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٥م ، ص ١٠٤ ،
- بينما ذكر جلال مظهر : أن الفرس نجحوا في زراعة قصب السكر حوالي سنة ٥٠٠م ، وأن السكر كان من الغنائم التي استولى عليها البيزنطيون من كسرى .
- انظر حضارة الاسلام وأثرها في الترقي العالمي ، مكتب الخانجي ،القاهرة ، ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٢) الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية ، ص ٣٥٣ .

(٣) محمد كرد علي ، خطط الشام ، جـ ٤ ، ص ١٥٧ ،
- ناصر خسرو ، المرجع السابق ، ٤٧ ، (ملاحظته عن صناعة عسل السكر من القصب في مدينة طرابلس) .

(٤) أحسن التقاسيم ، ص ١٦٣ .

صناعة العطور :

وعرفت الشام كلها برياحينها وأزهارها ، كما عرف عن الخلفاء الأمويين اهتمامهم بالطيب والعطر ، فقد ذكر ابن عساكر أن عبد الله بن راشد كان على طيب خلفاء بني أمية وأنه كان يصنع الطيب للخلفاء(١)، وكانت صناعة العطور موجودة في الشام في عصر بني أمية ، ومما يشهد بذلك أن بكير بن ماهان أتى دمشق فابتاع بها عطرا وخرج إلى الشراة في هيئة عطار أثناء دعوته لآل البيت (٢).

وكانت الزهور والورود من أهم فروع الزراعة، وكانت للطيوب(٣) والعطور ومستقطرات الزهور شأن منذ الأزمان المتطاولة ـ وكان للأقدمين غرام بأنواع العطور فيستعملون المسك والعنبر والزعفران ، وكان لهم طيب يقال له الغالية وهو مسك وعنبر يعجنان بالبان(٤)، كما عرفت دمشق صناعة عطر الورد وما يستقطر من زهر دمشق(٥).

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق سكينه الشهابي ومطاع الطرابيشي ، ص ٢٨٥ .

(٢) مؤلف من القرن الثالث الهجري ، اخبار عن الدولة العباسية وفيه أخبار عن العباس وولده ، ص ١٩٥ .

(٣) تطيب بالطيب : أي تعطر به من عطر ونحوه ، والطيب والطيوب كل ذي رائحة عطرة .

(٤) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٥٧ .

(٥) محمد كرد علي ، دمشق مدينة السحر والشعر ، ص ١٢٢ .

الفصل الرابع

الفصل الرابع

الحياة التجارية في بلاد الشام في العصر الأموي

أ ـ التجارة الداخلية في بلاد الشام .

- طرق القوافل الداخلية .
- طرق التجارة المائية الداخلية .
- المدن التجارية الهامة .
- الموانئ البحرية .
- الأسواق المحلية في المدن الشامية .
- تنظيم ومراقبة الأسواق .
- نظام ومواعيد الأسواق .

ب ـ التجارة الخارجية ودور بلاد الشام في ازدهار حركة التجارة العالمية .

- طرق التجارة العالمية عبر بلاد الشام .
- تجارة الحرير وتأثيرها على مسار التجارة العالمية لبلاد الشام .
- طرق التجارة البحرية .
- طرق القوافل .
- العناية بطرق القوافل وإقامة الخانات .
- صادرات بلاد الشام .
- واردات بلاد الشام .
- عشور التجارة .

أ- التجارة الداخلية :

تعتبر بلاد الشام من أهم المناطق القديمة في العالم في الانتاج الزراعي من ناحية ، ومن ناحية أخرى في تبادل المنتجات الزراعية والصناعية التي تعتمد على التصنيع الزراعي وغيره من المنتجات التي يمكن تبادلها داخليا أو خارجيا . فمنذ أن بدأ الإنسان في هذه المنطقة ينتج أكثر من حاجته للاستهلاك وأصبح لديه فائض انتاجي ، أخذ يتبادل سلعه مع جيرانه من الدول المجاورة (في مصر والعراق مثلا) ، وكذلك فيما بين مدن المنطقة نفسها. وقد أسهمت بلاد الشام في هذا العمل إسهاما كبيرا ، فكانت تقوم بنقل المتاجر ، وتعنى بخزنها وتهتم بتسويقها ، وبالتالي قامت مدن القوافل التي تنطلق منها القوافل عبر بلاد الشام(1).

وكان لازدهار التجارة في بلاد الشام في العصر الأموي صلة وثيقة بالعهد السابق لقيام هذه الدولة ، وذلك لارتباط حركة التجارة بين بلاد الشام ومكة ، فقد كان لتجار مكة صلة تجارية كبيرة ببلاد الشام ، وخصوصا بالنسبة للطرق المؤدية إلى فلسطين ودمشق وبعض موانيء البحر المتوسط الشامية مثل غزة . وهذه التجارة التي كانت قد استمرت فترة طويلة قبل الإسلام يسرت لزعماء مكة التجاريين المعرفة الدقيقة للأوضاع السائدة في جنوب بلاد الشام بشكل خاص ، والقواد الذين انتدبهم أبو بكر ، والذين قادوا الحملات في أيام عمر(١٣-٢٣هـ، ٦٣٤ - ٦٤٤م) كانوا من المهاجرين المكيين ، وكانوا على معرفة بالبلاد وطرقها ودروبها ، ومن ثم فليس ثمة غرابة في توجيه قواد فتح الشام إلى

(١) نقولا زيادة ،التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب ، عن المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ،الجامعة الاردنية ،عمان،١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، ص ٣ .

الطرق التي كان يسلكها تجار العرب في تجارتهم الى بلاد الشام (١).

وقد ارتبطت هذه الطرق التي سلكتها تجارة بلاد الشام بمدن هامة كان لها الدور الكبير في اتساع التجارة وازدهارها في العصر الأموي ، وبعض هذه المدن كان لها دور كبير في ازدهار هذه التجارة منذ العصر البيزنطي ، وبعضها الآخر نما وازدهر عقب الفتح الاسلامي ، وفي ظل الدولة الأموية ، لذا فقد ارتبطت حركة القوافل الداخلية بمراكز لها الدور الفعال في النشاط التجاري العام الذي عم بلاد الشام .

(١) نقولا زياده ، المرجع نفسه ، ص ٢٢ .
- فقد أمر عمرو بن العاص - وهو الموجه الى فلسطين - أن يتبع طريق أيلة (العقبة) ، ويزيد بن أبي سفيان - ووجهته دمشق - أن يتبع طريق تبوك ، ومثله كان شأن شرحبيل بن حسنة ووجهته الأردن ، ولما وجه أبو بكر خالد بن الوليد من العراق الى الشام كان خالد يعرف طريقه - قرقيسيا ثم دومة الجندل (الجوف اليوم) وتدمر والقريتين - بحيث يمكنه أن يصل الى مشارف دمشق .

طرق القوافل الداخلية :

تأثرت الطرق الداخلية بالأوضاع السياسية لبلاد الشام منذ عصور سحيقة ، فتارة نجد طرقا مسلوكة ، وتارة نجد طرقا يحول دون سلوكها ظهور بعض العقبات حسب الظروف التي تنشأ داخل المنطقة ، ولكن هذه الظروف ما تلبث أن تزول ، ومن ثم فلم تكن تمثل عائقا مستديما في الحركة التجارية داخل منطقة بلاد الشام . وتارة أخرى نجد طرقا قديمة ذكرتها المصادر خلال أزمنة سابقة للعصر الاسلامي بمراحل بعيدة الا أنه لم يتأكد لدينا ما يثبت أن تبدلا ما طرأ على هذا الطريق أو ذاك ، وكل ما تأكد لدينا هو ما رأيناه من تأثر هذه المدينة أو المركز التجاري للمدينة ، أما الطريق فيظل معروفا لدى التجار . مثال ذلك ماذكره نقولا زيادة عن طريق تجاري كان يبدأ من مدينة (أفسوس) في العصر السلوقي على شاطىء آسية الصغرى ، ويتجه شرقا الى أرض الرافدين ، وطريق آخر كان يبدأ من (طرسوس) ويتجه الى شمال سورية وفينيقية وفلسطين(١).

كما أن آثار مدينة تدمر تقع بالقرب من حمص وعلى مسافة تبعد نحو ١٥٠ كم الى الشمال الشرقي من دمشق في منتصف الطريق تقريبا مابين دمشق والفرات ، مما جعل مدينة تدمر مركزا هاما للقوافل التجارية التي تسير بين العراق والفرات(٢).

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٩ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ١١٥ .

أما عن الطرق الداخلية التي ذكرها بعض المؤرخين والتي نستخلصها من خلال أحداث الفتوح الاسلامية ، فقد ذكر الواقدي ، أن قافلة عرضت لجيش أبي عبيدة من الساحل آتية من بعلبك محملة أغلبها بالسكر والفستق والتين وغير ذلك استولى عليها المسلمون[١]، كما ذكر ياقوت الحموي أن القوافل تعبر جسر منبج من حران الى الشام[٢].

أما ابن حوقل فقد ذكر : (أن الطريق الى بالس - أول مدن الشام من العراق - عامرا ومنها الى مصر وغيرها سابل[٣]، وكانت فرضة[٤] لأهل الشام على الفرات)[٥]. كما ذكر الحميري أن : (لد : من مدن فلسطين بالشام ، وهو منزل جميل ، فيه ناس يعمرونه ، وفيه تنزل الرفاق الواصلة من الشام الى مصر والقافلة من مصر الى الشام)[٦].

وقد كانت طرق القوافل الداخلية خلال العصر الأموي على النحو التالي :-

أ - كانت بعض القوافل تتجه من تبوك[٧] في شمال الحجاز الى بصرى التي كانت من المدن التجارية الهامة في فلسطين ، وكانت ملتقى القوافل بين الخليج العربي والبحر المتوسط والحجاز .

---

(١) فتوح الشام ، دار الجيل ، ص ١٣١ .
(٢) معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٩٠ .
(٣) سابل : مسلوك .
(٤) الفرضة : من النهر مشرب الماء منه ، ومن البحر محط السفن .
(٥) صورة الأرض ، ص ١٦٥ .
(٦) الروض المعطار ، ص ٥١٠ .
(٧) - الأصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٢٥ ، ٢٦ ،
- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٤٠ .

ب - وكان هناك مسلك آخر لهذه القوافل نفسها بحيث تتجه الى أيلة[١] ومنها تسير في طريق ممهد أنشأه الروم ينتهي في غزة .

جـ - كما كان هناك طريق يتجه من حوران مارا بدمشق ويتجه جنوبا الى مآب ويلتقي بطرق القوافل القادمة من الحجاز .

د - وكانت القدس تقع عند ملتقى طريقين هامين ، أحدهما كان يصل بين بادية الشام شرقا والبحر غربا ، والثاني يصل بين مدينة الخليل جنوب القدس ونواحي رام الله شمالا[٢].

هذا كما توجد الطريق الشمالية للقوافل التي تنتقل باستمرار بين الخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط حيث ينتهي الى مدينة طرابلس[٣].

وكانت هضبة الأردن الطريق الرئيسي لتجار مكة الى أواسط بلاد الشام ، ولها منفذ الى البحر بالاضافة الى طريق الشام البري في شمال الغور عبر مرج ابن عامر[٤].

---

(١) - الاصطخري ، المصدر السابق ، ص ٤٣ ،
- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٧.
(٢) - الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٤٨ ،
- موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٥٩ .
(٣) - الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٢٩ ،
- عمر عبد السلام تدمري ، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ، مؤسسة الرسالة ، دار الايمان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، جـ ١ ، ص ٤٨ .
(٤) - الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٢٨ ، ٤٥ ،
- نقولا زياده ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

طـرق التجارة الماثيـة الداخليـة :

كانت الأنـهر والجداول تستعمل في تسيير وسائل النقل المائيـة بيـــن التجمعات الريفية وبين المدن،فكانت السفن تنقل الحبوب والقار المستخدم فـي صناعة السفن من بلدة هيت[1]منذ الألف الثالث ق٠م،وقد استمر استعمال الكلك[2] - الذي كان مستعملا منذ عهد سومر - الى أوائل القرن العشرين في كل أنحاء وادي الفرات ،وقد اختلفت الحمولات التي نقلت عبر الفرات ،حيث بلغت بعض الحمـولات حوالي ٣٦ طنا،وكانت تشحن جميع البضائع بواسطة الطريق النهري،ومنها الماشية والخشب والذهب والفضة حيث كان يشحن من الأناضول وشمال سورية ، وكانـت التجارة البحرية تتعدى الخليج العربي الى الهند،وغالبا مايكون النقل البـري قائما جنبا الى جنب مع النقل النهري ، فكانت الحبوب تنقل على ظهور القوافل الى السفن في مرفأ بالس منذ القـدم[3].

كما كانت تحمل الغلال عبر بحيرة طبرية الى مدينة طبرية[4]، ومـن بيسان الى طبرية يسمى الغور لأنها بقعة بين جبلين وسائر مياه الشام تنحدر وتجتمع فتكون بحرا زخارا أوله من بحيرة طبرية،وجميع الأنهار تنصب فيـه مثل نهر اليرموك وأنهار بيسان وماينصب من جبال بيت المقدس،وجبل قيـس ابراهيم عليه السلام،وجميع ماينصب أيضا من نابلس يجتمع الكل حتى يقع فـي بحيرة زغر٠٠،وفيه سفن صغار تحمل الغلات وصنوف الثمر الى أريحا وسائر أعمال الغـور[5].

---

(١) هيت : غربي الفرات ،ناحية في العراق (لواء الديلم) مركزها مدينة هيت، عندها كانت القافلات تقطع الفرات في طريقها بين بغداد وحلب ٠
- الاصطخري ،المصدر السابق ،ص ٥٤ ٠
- لويس معلوف ،المنجد في الأدب والعلوم ،ص ٥٥٩ ٠

(٢) الكلك ،جمعه (كلكات) مركب يسير في أنهر العراق ويعرف أيضا بالطوف ،
- لويس معلوف ،المنجد في اللغة والأدب والعلوم ،ص ٦٩٥ ٠

(٣) عبد القادر عياش ، المرجع السابق ،ص ٢٦١ ٠

(٤) الحميري ، المصدر السابق ، ص ٣٨٥ ،
طبرية : مدينة من بلاد الشام بينها وبين عكا مسيرة يومان ، كما أنها تقع على بحيرة عذبة يخرج منها نهر الأردن وهي بحيرة طبريـة ٠

(٥) الحميري ، المصدر نفسه ، ص ٤٣١ ٠

المــدن التجاريـــة الهامـــة :

تعددت المدن التجارية الهامة في بلاد الشام منذ أمد بعيد ، إلا أن بعض هذه المدن قد استمرت في الاحتفاظ بازدهارها ونشاطها التجاري عقب الفتح الإسلامي ، وبعضها الآخر إما تلاشى تماما ، أو فقد أهميته التجارية ، وأصبح مجرد قرية أو مدينة خاملة الذكر(١).

ويذكر هيج كيندي أن نمو المدن الداخلية لبلاد الشام يعود إلى تركيبة من التطورات الاقتصادية والسياسية ، وأن معظم الطرق التجارية عبر سورية ترتبط بالعراق والحجاز ، وكانت المدن الداخلية مثل حلب ودمشق في موقع مثالي لتستفيد من هذه الحركة التجارية (٢).

كما يتحدث موسى عبد الغفار أحمد عن فلسطين وموقعها التجاري بصفة خاصة بأنها على الركن الجنوبي من الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، وأنها بذلك تتوسط ثلاث قارات ـ آسيا وأوربا وأفريقيا ـ فكان الإقليم منذ فجر التاريخ القديم مركزا تجاريا هاما تجمعت فيه وخرجت منه سلع من مختلف الأقطار في تلك القارات(٣).

كما يتحدث فرانسوا ڤيلنوڤ عن منطقة حوران التي شكلت وحدة حضارية ثابتة ومستمرة خلال العهود الرومانية والبيزنطية والأموية ، ويؤكد بأن حضارة زراعة الكروم قد أخذت مكانها في العصر الأموي في المنطقة المسماة

---

(١) Hugh, Kennedy, "The Towns of Bilad Al-Sham and the Arab Conquest". In the fourth international conference on the history of Bilad Al-Sham, The University of Jordan, Amman 1983, p. 1.

(٢) Ibid, p. 14.

(٣) الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين في العهد الأموي، ص ٥٨ .

"جبل العرب"(١). ولنا أن نتحدث عن كل مدينة تجارية أسهمت بدور فعال خلال العهد الأموي في حركة التجارة ، وكان لها دور في رفع المستوى الاقتصادي لمنطقة الشام سواء كانت ملتقى للقوافل أو كانت منتجه ومسوقة للصادرات والواردات ، ومن أهم هذه المدن (مدينة دمشق) عاصمة الدولة الأموية نفسها ، فهي المدينة الرئيسية للتجارات القديمة ، وتتميز بطرقها المتعددة إلى كثير من جهات القوافل التجارية التي تحمل أصناف البضائع منها وإليها(٢). وقد عرفت هذه المدينة بأهمية طرقها التجارية منذ أمد بعيد ، فقد كانت عاصمة "لفينيقية اللبنانية" وأهم مراكز الحكومة قبل الإسلام ، وقد واصل الخلفاء الأمويون جهودهم في تقوية وتعزيز دورها خلال فترة حكمهم ، فبقيت المدينة مركزا حضاريا هاما ، وتوسعت على حساب بقية المدن الأخرى ، فكان من ذلك أنها جذبت الحركة التجارية إليها بل وهاجر إليها عدد من السكان الذين كانوا يسكنون في المدن الصغيرة(٣).

---

(١) Francois Villenuve, " Contribution de L'Archeologie Al'histoire Economique Et sociale des villages du Hawran (IVeme - VIIeme Sieclse AP, J, C.)", The fourth international conference on the history of Bilad Al-Sham "from the onset of Byzantine era until the close of the Umayyad era". The University of Jordan, Amman 1983, p. 1, 3.

(٢) أنظر كتاب أحمد غسان سبانو ، دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية ، (نص أحمد وصفي زكريا ، المعلمة الإسلامية) ص ١٢١ ، وعن (دمشق في موسوعة لاروس) ، ص ١٨٣ .

(٣) Hugh Kennedy; OP, Cit, p. 7, 8.

وازدهرت حلب (بيرويا) في العصر الإسلامي تحت حكم الأمويين ، وكانت نقطة وصل هامة مع العراق بحكم موقعها في شمال بلاد الشام[1]، وقد اشتهرت حلب بأسواقها القديمة المسقوفة[2].

كما ازدهرت حمص التي حلت محل آبامي البيزنطية وأصبحت قاعدة للمسلمين ومدينة لها أهمية سياسية كبيرة[3].

ومن أهم مدن الشام في العصر الروماني مدينة حماه (ابيفانيا)، إلا أنها في العصر الإسلامي لم تكن بنفس الازدهار الذي بلغته مدينة حمص[4].

وفي جند الأردن اشتهرت طبرية وأصبحت المركز الإداري للإقليم، إضافة إلى بعض المدن الصغيرة للمنطقة التي نشطت ، وحلت محل بعض مدن تلك المنطقة التي اضمحلت مثل دير كيسارية وصفورية وعجلون ، ودابورية ، وحلت محلها مدن صغيرة في العهد الإسلامي مثل قداش - قرب بحيرة الحولة - وكابول على الطريق الى عكا والتي وصفت بأنها مدينة زراعية مزدهرة ، كما ازدهرت عكا كميناء رئيسي للمنطقة ومقر بناء السفن ، إلا أن هشام بن عبد الملك نقل صناعتها إلى صور[5]، وقد ذكر الحميري عكا بقوله : (أنها مجمع السفن والرفاق وملتقى تجار المسلمين والنصارى)[6].

وفي منطقة جند فلسطين اشتهرت مدينة قيصرية والتي كانت مقر السلطة الإدارية في العهد البيزنطي إلا أنها اضمحلت وحلت محلها مدينة الرملة في

---

(١) Hugh Kennedy, Op, Cit, p. 5

(٢) أبو الفرج العش ، آثارنا في الإقليم السوري ، ص ٧٧ .

(٣) Hugh Kennedy, Op, Cit, P. 6

(٤) Ibid, p. 7

(٥) Ibid, p. 10 - 11

(٦) الروض المعطار ، ص ٤١٠ .

العهد الأموي ، والتي أصبحت لها مكانة مزدهرة في ذلك الوقت . كما كانت غزة أحد المدن الهامة والتي عرفها تجار قريش في عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ولكنه يبدو أنها فقدت أهميتها التجارية بعد ذلك . كما اشتهرت يافا أو (ابو لونيا) قديما بحكم موقعها إذ تعتبر الميناء الوحيد لذلك الإقليم ، وقد استفادت من قربها من مدينة الرملة . كما اشتهرت مدينة القدس ، وعلى الرغم من مكانتها الدينية سواء في العهد البيزنطي أو الإسلامي إلا أنه لم تعرف لها أنشطة تجارية ، وكانت تعتمد على دعم الحجاج وحماية الحكام الذين كانوا ينفقون على مشاريعها العمرانية (١).

ولعبت إنطاكية دورا هاما في تجارة بلاد الشام ، فقد كانت مركزا هاما للطرق التجارية منذ العصر السلوقي ،وتعتبر صلة الوصل بين شمال سورية وقبرص ومصر (٢)، وقد ذكرها الحميري بأنها من المدن اليونانية القديمة ، وبها الأسواق وصناع الثياب (٣) .

وتعد بُصرى من المدن التي عرفها المسلمون مبكرا ، فكانت من المدن التجارية الهامة ، وقد ذهب إليها أبو بكر الصديق في تجارة له (٤).

وفي سهل البقاع تقع بعلبك (هليوبولس) ، وقد كانت مدينة زراعية مزدهرة ، وسوقا للمنتجات الزراعية (٥).

---

(١) Hugh Kennedy, Op, Cit, p. 12 - 13

(٢) نقولا زياده ، المرجع السابق ، ص ٨ .

(٣) الروض المعطار ، ص ٣٨ .

(٤) ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق ثروت عكاشه ،الطبعة الثانية ،دار المعارف ، مصر ، ص ٣٢٨ .

(٥) Hugh Kennedy, Op, Cit, p. 10.

كما ازدهرت الحميمة - التي تقع في الجنوب الشرقي من البحر الميت - بموقعها التجاري الممتاز وأشرفت على طريق القوافل ، كما كانت صُغر أو (زغر) - من منطقة الغور بعيدا عن الساحل - وظهرت أهميتها التجارية لموقعها الآمن بعيدا عن مشاكل الروم والأمويين(١).

<u>الموانيء البحرية :</u>

تتميز (أيلة) بأنها ذات موقع جغرافي وتجاري ممتاز ، فهي ملتقى طرق القوافل من وإلى الشام(٢). وقد كان لأيلة أهمية كبيرة عبر العصور، فهي آخر الحجاز من جهة الشام ، وآخر مصر من جهة الشرق ، وآخر الشام من جهة البحر ، وقد لعبت دورا هاما في تجارة الإغريق والرومان والبيزنطيين والمسلمين(٣).

ويستدل من الدراسات التاريخية عن بعض مدن الشام الساحلية مثل طرطوس وبانياس واللاذقية ، أنها كانت في العصر الأموي مراكز دفاعية بحرية ،وأنه لم يكن لها أية أهمية اقتصادية أو سياسية(٤).

أما المدن الساحلية التي اشتهرت في العصر الأموي بأهميتها السياسية والاقتصادية والتجارية ، فهي صور وصيدا وطرابلس ، فصور كانت المركز السياسي والإداري وعاصمة لجنوب لبنان وإحدى القواعد البحرية في العصر الأموي،

(١) موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٢) الحميري ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٣) يوسف غوانمة ، أيلة (العقبة) وعلاقاتها الاقتصادية والتجارية مع الجنوب العربي وبلاد الشام حتى سنة ٦١٠م ،عن المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ،عمان ،١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، ص ٣ - ٥ .

(٤) Hugh Kennedy, Op, Cit, P. 7.

بينما كانت صيدا ذات أهمية تجارية (١)، وكانت من أشهر أسواق العطور (٢) . وأما عن طرابلس فقد أضحت أكثر المدن أهمية على الساحل السوري في العصر الإسلامي (٣)، وكانت لها أهمية اقتصادية وتجارية وحربية منذ عهد بعيد ، إذ أنها تعتبر المنفذ الرئيسي للطرق التجارية التي تصلها بأهم مدن الشام ، حلب ، ودمشق ، وتدمر ، وكذلك بالعراق ، والخليج العربي . ولقربها من غابات الأرز ، أصبحت قاعدة لصناعة السفن ، وقد اهتم بها الخلفاء الراشدون والأمويون لكونها الميناء الطبيعي لمدينتي دمشق وحمص (٤).

الأسواق المحلية في المدن الشامية :

كانت التجارة داخل دمشق مركزها الأسواق ، فكانت كل طائفة من التجار تقيم في سوق معين ، ويمكثون إلى ما بعد الظهر ، ولا يعودون إلى منازلهم إلا في المساء ، وكانت الحوانيت تمتد على طول الشارع من الجانبين (٥). وذكرت المصادر كثيرا من هذه الأسواق والتي كان منها على سبيل المثال سوق القمح وسوق الحُمر (٦).

وقد تعددت الأسواق في مدينة دمشق حيث جاء ذكرها في "معجم بني أمية" عن اسمائهم ومقرات دورهم ، ومنها دار عتبة بن صخر بن أمية في درب الحبالين (٧)، وكان لعبيد اللّه بن زياد دار في الدرب النافذ إلى سوق الأساكفة

---

(١) Hugh Kennedy, Op. Cit. p. 9.

(٢) سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر ، بيروت ،ط٣، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م ، ص ٢٥ .

(٣) Hugh Kennedy, Op. Cit, p. 9.

(٤) عمر عبد السلام تدمري ، المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٤٩ .

(٥) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٦) ذكرها الطبري في عهد الخلافة الأموية ،المصدر السابق،ج ٧،ص ٢٤٠ .

(٧) صلاح الدين المنجد ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

العتق[١]، ولرملة بنت معاوية دار في عقبة السمك في زقاق الرمان المعروفة إلى الآن[٢]، وكان لعلي بن خالد بن يزيد بن معاوية دار في الدرب النافذ إلى سوق الرقيق ، كما ينسب سوق القلانسيين إلى أم حكيم بنت يحي زوجة هشام بن عبد الملك[٣]. كما ورد اسم نفيع بن ذؤيب مولى الوليد بن عبد الملك وكاتب المستغلات مكتوبا في لوح في سوق السراجين[٤]. كذلك ورد في خبر دخول أبي عبيدة بن الجراح دمشق ولقائه بخالد بن الوليد أنه التقى به عند سوق الزيت[٥]. كما ذكر ابن عساكر سوق الطير وسوق اللؤلؤ في ترجمة سلم بن زياد المتوفي سنة ثلاثة وسبعين[٦].

ولعلنا نستطيع حصر أسواق دمشق في حالة عودتنا إلى كتاب أبي البقاء البدري[٧]، وكذلك لابن المبرد في كتابه عن الأسواق[٨].

هذا ويتضح من أسماء الأسواق التي ذكرت في دمشق مدى التخصص في أصناف البضائع وعرضها في السوق المخصص لها ، ويذكر محمد سعيد القاسمي بعض التجارات في دمشق والأسواق المتخصصة ومنها سوق الخياطين وكانت غالبيته من

---

(١) صلاح الدين المنجد ، المرجع نفسه ، ص ١١٨ .
(٢) صلاح الدين المنجد ، المرجع نفسه ، ص ٢١٣ .
(٣) صلاح الدين المنجد ، المرجع نفسه ، ص ١٣١ ، ٢١٩ .
(٤) الجشهياري ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .
(٥) أحمد عادل كمال ، الطريق إلى دمشق (فتح بلاد الشام) ،دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص ٣٧٣ .
(٦) تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٦ ، ص ٢٣٧ .
(٧) نزهة الأنام في محاسن الشام ، ص ٣٦ .
(٨) ابن المبرد : يوسف بن عبد الهادي ، نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق بدمشق ، تقديم حبيب الزيات ، مجلة المشرق ، بيروت ، ١٩٣٩م ، ص ٢٢ ومايليه .

التجار اليهود[١]. كما نذكر بعض أسواق المدن الشامية ومنها سوق بطنان من أعمال حلب ويعمل فيها الكرباس[٢] ويحمل إلى دمشق ومصر[٣]. كذلك أسواق حمص فهي مبلطة وسككها مفروشة . كما كانت لحلب أسواق جميلة وبها فنادق كثيرة[٤]. كما كان الطريق الى بالس - أول مدن الشام من العراق - عامرا[٥].

كما تعددت أسواق الغوطة ، وكانت هذه الأسواق تصدر مابها الى دمشق وتأخذ من دمشق الموجود بأسواقها[٦]. ومنبج إحدى مدن الشام القديمة كانت مليئة بالأسواق ودكاكينها وحوانيتها كأنها المخازن الكبيرة لاتساعها.[٧]

كما أن سوق أزرعات - قرب البلقاء - وتعرف اليوم (بدرعا) كان لها شهرة تجارية ، وكانت تلي بُصرى في الأهمية التجارية لدى تجار قريش حيث كانت لهم سوقا تجارية[٨].

وكانت السلع تعرض في أسواق بلاد الشام حسب اختلاف المدينة وحاجاتها ، فكانت المواد الغذائية الرئيسية في فلسطين مثلا هي القمح ، والشعير ، وزيت الزيتون ، والخل ، كما كان أكثر ما يعرض بأسواقها السلع التي تنتجها بقصد الاستهلاك المحلي من المواد الضرورية ، وكانت هناك منتجات زراعية تستهلك في حينها لأنها لا تتحمل التصدير مثل الفواكه والخضروات والبقول التي تتلف سريعا.[٩]

---

(١) قاموس الصناعات الشامية ،تحقيق ظافر القاسمي ،ط ١،ص ٨٥ .

(٢) الكرباس : ثوب غليظ من القطن .

(٣) ياقوت الحموي،المصدر السابق ، ج ١ ،ص ٣٠٣ .

(٤) ابن حوقل ،المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

(٥) ابن حوقل ، المصدر نفسه ، ص ١٦٥ .

(٦) محمد كرد علي ، غوطة دمشق ، ص ٣٢ .

(٧) الحميري ، المصدر السابق ، ص ٥٤٧ .

(٨) سعيد الأفغاني ، المرجع السابق ، ص ٣٧٢ .

(٩) موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٧٤ - ٧٦ .

ويبدو أن السلع المعروضة في أسواق بلاد الشام وبخاصة المنتجات الزراعية التي تشتهر بها كل مدينة ، والمنطقة المحيطة بها ظلت عبر العصور ثابتة ، وان كان الأمر لا يخلو من بعض التطورات أو التغير حسب الحاجة الاستهلاكية لكل مدينة وقرية .

وكانت أسواق حلب تعادل أسواق دمشق في الاتساع وبما يعرض فيها من بضائع مختلفة كالحرير والصوف وأنواع الفراء من السمور[1] والفنق[2] وغير ذلك[3].

تنظيم ومراقبة الأسواق :

كان بالأسواق عمال يشرفون على تنظيمها ويعملون على عدم بروز الحوانيت حتى لا يعوق ذلك نظام المرور داخل السوق ، كما كانوا يتولون استيفاء الديون ، واختبار الموازين والمكاييل ، ومعاقبة التجار ، ومنع التدليس والغش في المقاييس والمكاييل والموازين[4]. وقد جرت العادة أن يوكل أمر هذه المراقبة إلى المحتسب ، إلا أنه لم تظهر صورة عمل المحتسب واضحة إلا في نهاية العصر الأموي[5].

---

(١) السمور ، حيوان شديي ليلي من الفصيلة السمورية من آكلات اللحوم ، يتخذ من جلده فرو ثمين ويقطن شمال آسيه .

(٢) الفنق أو (الفنك) ، نوع من فصيلة الكلبيات شبيه بالثعالب فروته من أجود أنواع الفراء .

(٣) عبد المنعم صالح نافع ، المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٠١ .

(٥) ـ ظهر نظام مراقبة الأسواق منذ عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ومن تلاه من الخلفاء الراشدين والأمويين ، فكانت سمراء بنت نهيك الأسدية تمر في الأسواق ، كما استعمل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، سعيد بن العاص بعد الفتح على سوق مكة ، وعمر على سوق المدينة .
ـ انظر عن ذلك : عبد الحي الكتاني ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٥ ، =

وكان الخليفة الوليد بن عبد الملك يمر في سوق البقالين ويسأل عن ثمن حزمة البقل ثم يقول للبقال : (زد فيها فانك تربح)(١)، وربما فعل الخليفة ذلك مع مختلف الباعة ، وراقب الأسعار حتى لا ترتفع عما يتناسب مع دخل الرعية . كما كان هشام بن عبد الملك يقف بباب القصاب فيسأله عن سعر اللحم، ورأى رجلا من خاصته يبتاع لحما فغمزه فأتاه فسأله : بكم يشتري؟ فقال : بدرهم. قال له هشام : أحسنت وأكثر من هذا سرف . كما كان يقف بباب البقال ويسأله بكم يبيع الحزمة من كذا وكذا.. فيقول له البقال : بفلسين ، فيقول هشام : زد فيها فانها تستحق أكثر من ذلك(٢).

ولربما كان الخلفاء يتدخلون في تخفيض الأسعار ، يؤكد ذلك أن رجلا قال للخليفة عمر بن عبد العزيز : (ما بال الأسعار عالية في زمانك ،وكانت في زمان من قبلك رخيصة ؟ قال : ان الذين كانوا قبلي يكلفون أهل الذمة فوق طاقتهم ، فلم يكونوا يجدوا بدا من أن يبيعوا أو يكسد مافي أيديهم، وأنا لا أكلف أحدا الا طاقته ، فباع الرجل كيف شاء. فقال : لو أنك سعرت لنا . قال : ليس الينا من ذلك شيء انما السعر لله)(٣).

= - على أن ولاية السوق ظهرت حين تولى ابان بن الوليد سوق واسط والحسبة في عهد والي العراق خالد بن عبد الله القسري ،
- أنظر عن ذلك : عبد المنعم صالح نافع ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ١٦٥ .

(٢) عبد المنعم صالح نافع ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .
(نقلا عن البلاذري ، أنساب الاشراف ، مخطوط ، المجلد الثامن ، ورقة ٢٥٣) .

(٣) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، ص ٧٦ .

نظـام ومواعيـد الأســواق :

وكانت الأسواق هي المركز الرئيسي للتجارة الداخلية في مدن الشرق الاسلامي ، ولكن لم ترد لنا أخبار وافية عن طريقة تنظيم هذه الأسواق ، الا أنه غالبا ما كان أصحاب كل مهنة أو تجارة يجتمعون في مكان واحد ، داخل السوق الكبير ، وتمتد دكاكينهم على طول الشارع من الجانبين حتى تسهل رقابتهم على الدولة [١]، كما كانوا يمكثون الى مابعد الظهر في دكاكينهم ويتناولون فيها غذاءهم ولا يعودون الى منازلهم الا مساء [٢].

ويبدو أن أعداد التجار والمساحة التي يحتلونها في السوق كانت تختلف بحسب طبيعة عملهم وحاجة سكان المدينة الى بضاعتهم . فعلى سبيل المثال كان سوق الصباغين في مدينة الرملة يحتل مكانا ظاهرا بالنسبة للمهن الأخرى بدليل أن سليمان بن عبد الملك عندما اختط المدينة في عهده خصص موضع دار الصباغين مباشرة بعد تحديد مواضع الأماكن الهامة مثل قصر الامارة ومسجد المدينة [٣]،وربما يعزى ذلك الى أن سليمان بن عبد الملك عرف بشغفه للبس والزينة وزخرفة الألوان .

وكان للشاميين مواعيد لأسواقهم الموسمية عرفت منذ الجاهلية ، فقد كان النبط يقدمون على بلاد العرب ، ويقيمون لأنفسهم سوقا سنوية يحشدون لها [٤] ،

---

(١) - الأصفهاني ، الأغاني ،ج ٦ ،ص ١٣٨ ،
- الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٩٨ ،
- موسى عبد الغفار أحمد ،المرجع السابق ،ص ٧٤ ،
- مصطفى مراد الدباغ ، المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .

(٢) عبد المنعم صالح نافع ، المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٧٠ .

(٤) - سعيد الأفغاني ، المرجع السابق ، ص ٢٢ ،
- ابن سعد ، الطبقات ، ج ١ ، ص ٧٨ .

كما أن أزرعات كانت تقيم سوقا سنوية بعد سوق بصرى بسبعين ليلة يطول أمدها ، وغالبا ماتكون طوال الصيف ، وهذه السوق استمرت بعد الاسلام [١].

وقد اعتاد المسلمون بصفة عامة أن يقيموا الأسواق في أوقات معينة في المدن التجارية الهامة بدمشق ، وكان سوقها يمتد من باب دمشق الى المسجد الكبير ، وكان يجتمع فيه التجار وأصحاب الحرف ، حيث تنشط الحركة التجارية وتتنوع بها السلع القادمة من مختلف الجهات بحكم أنها عاصمة الخلافة الأموية [٢].

---

(١) سعيد الأفغاني ، المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .

(٢) عبد المنعم صالح نافع ، المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

ب - التجارة الخارجية ودور بلاد الشام في ازدهار حركة التجارة العالمية :

طرق التجارة العالمية عبر بلاد الشام :

عرفت بلاد الشام منذ عصور سحيقة بأهميتها التجارية سواء كان ذلك فيما تنتجه تلك البلاد وتصدره إلى البلاد الأخرى ، أو ماكانت تتمتع به من موقع يجعلها جسرا لطريق التجارة المار عبر الشرق والغرب والشمال والجنوب لمرور قوافل وسفن التجارة العالمية ، فقد ازدهرت دمشق كمركز تجاري عند ملتقى طرق القوافل الصحراوية (١)، كما كانت تدمر مركزا هاما للقوافل التجارية بين العراق والشام (٢).

ولعبت بعض المدن الشامية دورا كبيرا في ترويج البضائع خاصة الحرير ، ومن أهم هذه المدن التي قامت بترويج هذه الصناعة ، مدينة صيدا التي ازدهرت بها منذ الألف الأول ق.م ، واستمرت صناعة النسيج بها خلال العصرين الروماني والبيزنطي ، ثم العصر الإسلامي (٣).

وكانت القوافل التجارية تمر عبر صحراء سورية وبين بلاد مابين النهرين نحو سنة ١٧٠ ميلادية ، وهذا الطريق هو ما أطلق عليه اسم "طريق الحرير" الذي ينطلق من إنطاكية ، فيجتاز الفرات ثم أقباتان ، ويبلغ مرفأ بامير (٤) ، وكان التجار الشرقيون يتلقون البضائع القادمة من الشرق الأقصى عبر واد في السفح الصيني ، كما أن سورية أدخلت الجمل إلى بلاد المغرب فأصبح الأداة الرئيسية للتجارة (٥).

(١) أحمد غسان سبانو، دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية "عن دمشق في دائرة المعارف البريطانية"، ص ١٦٧.

(٢) رشيد عبد الله الجميلي ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٣) السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي ، ص ٤٢ .

(٤) منطقة جبال وأنجاد في أواسط آسيا بين روسيا والصين وافغانستان عرفت باسم "سطح العالم" .

(٥) جورج لوفران، تاريخ التجارة، منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث ، ترجمة هاشم الحسيني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص ١٨ .

كما أورد نعيم فرج ذكر الطريق التجاري الموصل إلى الهند والصين عن مخطوطة (الطرق من جنة آدم حتى الرومان) ، والتي ترجع إلى ماقبل القرن السابع الميلادي ، فذكر فيها الطرق التجارية ، بأنها تبدأ من الهند أول مركز في الشرق الذي يصدر البضائع عبر إيران ، فتصل إلى سورية برا وبحرا ، ومنها تنقل إلى القسطنطينية أو إلى روما عبر البحر الأبيض المتوسط ، ومن روما تنقل إلى غاليا "فرنسا"،كما أشارت المخطوطة بأن التجار السوريين قد لعبوا الدور الأول في التجارة العالمية ، ومما يشهد على ذلك ، شواهد القبور المكتشفة في فرنسا ، والتي كتبت عليها كتابات باللغة السورية (السريانية) ترجع إلى القرنين السادس والسابع الميلادي(١).

كما أشار أيضا إلى كتاب "الطبوغرافية المسيحية" لمؤلفه قزما الملاح (ت ٥٢٢م) الذي تحدث فيه عن مدينةأكسوم عاصمة الحبشة بأنها كانت مركزا تجاريا هاما ، حيث ذكر بأن الناس كانوا يذهبون الى أقاصي الأرض للحصول على الحرير الخام ، وذكر أن الوصول إلى بلاد الصين عبر طريقين الأولى بحرية في الجنوب ، والثانية برية في الشمال(٢).

وأشار كذلك إلى أن المؤرخ "فيلوستورغيوس" قد أظهر مدى انتشار السوريين في بلاد الأحباش حتى المحيط الخارجي ، حيث ذكر أنهم لازالوا يتحدثون باللغة السورية ، مشيرا إلى أن هؤلاء قد نقلهم

---

(١) "أضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام ودورها في التجارة العالمية في العهد البيزنطي" ، ص ٣١ .

(٢) نعيم فرج ، المرجع نفسه ، ص ٣٢ .

الاسكندر المقدوني ، ويدلل بذلك على وجود مستعمرات في سواحل الهندوستان الغربية ، كما يشير أيضا إلى مايؤكده قزما الملاح من وجود جاليات عربية سورية في موانيء الهند لها دور في النشاط التجاري(١).

ولقد كانت تجارة الحرير أهم تجارة عنيت بها بلاد الشام ، فقد جاء عن "بروكوبيوس الكيساري" ، عن صناعة الحرير وتجارته في بلاد الشام ، أن الحرير كان يصل إلى مدن الشام الساحلية عن طريق البحر ، فقد كان التجار يستوردونه من الهند ، وينقلونه على السفن الحبشية إلى ميناء أدوليس "عدول" على ساحل الحبشة ، ثم أيلة ، ثم ينقل من أيلة عبر الطرق البرية إلى ساحل بلاد الشام ، كذلك كانت طرق القوافل البرية الممتدة من الصين إلى أواسط آسيا وإيران تنتهي في الساحل الشمالي ، وعبر هذه الطرق كان يتم نقل الحرير الخام(٢).

ولعب ميناء أيلة ، دورا هاما في تجارة بلاد الشام منذ أزمنة بعيدة ، فقد كان يعتبر (باب البلاد الشامية) على المحيط الهندي وأفريقية والشرق الأقصى ، فموقعها في فم رأس الخليج جعلها تتحكم في طرق المواصلات البرية التي تربط مصر والشمال الافريقي بالحجاز والجنوب العربي ... واتضحت أهمية هذا الميناء في عهد الفنيقيين والفراعنة والبطالمة ، وكانت السفن القادمة من الهند تفرغ حمولتها في موانيء جنوب بلاد العرب ، دون أن يسمح لها باجتياز بوغاز باب المندب ، ومن ثم تأخذ السلع طريقها عبر طريقين، الأول :

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٣ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٨ .

طريق بحري يسير بمحازاة الساحل الأفريقي أو في محازاة ساحل بلاد العرب ، حتى أقصى الشمال في البحر الأحمر إلى آيلة والقلزم ، أما الطريق الثاني فهو بري يمر بسبأ ومعين إلى آيلة ثم البتراء ، ومن هناك إلى غزة والبحر المتوسط[1].

تجارة الحرير وتأثيرها على مسار التجارة العالمية لبلاد الشام :

استطاعت "روما" في عهدها الامبراطوري أن تحكم سيطرتها العسكرية على آسيا الصغرى وأرمينية ، واحتلت سورية وفلسطين ومصر ، وقضت على دولة الأنباط ودولة تدمر ، وامتدت الطرق التجارية البرية من شواطيء البحر الأبيض المتوسط إلى مدن الصين الشمالية ، فانتقل الحرير الخام والمصنوعات الحريرية ، إلى أن وصلت إلى عاصمة الدولة - روما - فكان ذلك سببا في الاهتمام بتجارة الحرير من الصين ، والبضائع المتنوعة من الهند ، ثم سقطت روما وحل محلها القسطنطينية ، عاصمة الدولة البيزنطية ، التي اهتمت بهذه التجارة وطرقها العالمية فسعت في السيطرة على الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى بلاد الشرق الأقصى[2]، واتحدت مصر البطلمية وسورية السلوقية تحت السيطرة الرومانية ، ثم أصبحتا من أهم ولايات الدولة البيزنطية ، فأدى

---

(١) يوسف درويش غوانمه ، المرجع السابق ، ص ٦ - ٧ .

(٢) يقول نعيم فرج : أنه من أهم عوامل الجذب التي أدت إلى نشأة مدينة القسطنطينية كعاصمة للقسم الشرقي من الامبراطورية الرومانية والذي عرف فيما بعد بالامبراطورية البيزنطية بعد سقوط روما والقسم الغربي من الامبراطورية الرومانية تلك التي تتمثل في مركز الثقل الاقتصادي (الصناعي والتجاري والزراعي) ،في الولايات الشرقية من الامبراطورية الرومانية ،وبخاصة مصر وسورية(بلاد الشام) ، ومن جهة ثانية ،فقد دفع نقل العاصمة من روما إلى القسطنطينية عجلة التطور الاقتصادي في الشرق إلى الأمام ، وظلت مدن سورية تحافظ على نشاطها الاقتصادي بعد نشوء القسطنطينية حتى الفتح العربي الإسلامي - المرجع السابق ، ص ٥ .

ذلك إلى نمو التبادل التجاري حيث صارت بضائع سورية ومصر تصل إلى الهند والصين ، كما صارت خيوط الحرير الصينية ، وأفاوية الهند تصل إلى بيزنطة [١]. وكانت هذه الحرائر الخام تصنع في بلاد الشام ، ثم تصدر إلى أوربا ، وخاصة ماكانت تطلبه الكنيسة والأباطرة من الأنسجة الحريرية المصبوغة باللون الأرجواني [٢]. غير أن الصراع البيزنطي الفارسي كان له أكبر الأثر في التأثير على هذه التجارة القادمة من الشرق ، فالتجار الفرس والبيزنطيون كانوا وسطاء تاجروا ببضائع الشعوب الخاضعة لسلطتهم والشعوب المجاورة لهم ، وامتدت الخطوط التجارية عبر آسيا ، ولم تكن تخضع لسلطة واحدة ، وانما ساهمت في التجارة العالمية شعوب عديدة منها : اليونانيون ، والسوريون ، والفرس ، والسغد ، والأتراك ، والهنود ، والصينيون ، والعرب ، ـ وكانت روما قد سيطرت على الخطوط التجارية في آسيا الصغرى ، وبلاد الشام ، وشمال بلاد النهرين ـ ، ثم دأبت القسطنطينية خليفة روما في السيادة على القسم الشرقي من الامبراطورية الرومانية على أن تحافظ على النفوذ الروماني ـ اليوناني في هذه المناطق ، وأدت السياسة التوسعية لكل من بيزنطة وفارس إلى تصادم حربي ، مما عرقل الحركة التجارية على الخطوط البرية عبر آسيا الصغرى ، فوجهت بيزنطة اهتمامها الى الطريق البحري القديم والمؤدي إلى الهند عبر البحر الأحمر [٣].

وقد بدأ الصراع الفارسي/البيزنطي على طريق التجارة المؤدية إلى الهند والصين منذ القرن السادس الميلادي واستطاعت فارس السيطرة على الطريقين البرية عبر أواسط آسيا ، والبحرية عبر الخليج العربي ، ثم بدأت تنافس بيزنطة في

(١) نعيم فرح ، المرجع نفسه ، ص ١ - ٢ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي ، ص ٤٤ .
(٣) نعيم فرح ، المرجع السابق ، ص ٣ .

السيطرة على الطريق الثالثة ـ طريق البحر الأحمر ـ ، فعمدت بيزنطة إلى إقامة قوات دفاعية على الحدود ضمانا لطرقها التجارية البرية ، وحمايتها من الأخطار الفارسية ، وهجمات الأعراب في جنوب سورية ، وأقوى هذه الخطوط الدفاعية الذي يبدأ من أيلة على البحر الأحمر منتهيا إلى الفرات قرب قرقيسيا وخلف دجلة .. ، وساعد هذا الإجراء على سرعة تحرك القوات إلى الجهات الخطرة في أقرب وقت وأسهل وسيلة . ولما كان من سياسة الدولة البيزنطية إبقاء بوابة التجارة الشرقية مفتوحة ، كان لابد من الاصطدام العسكري بين العملاقين ، وامتد هذا الصراع إلى الجنوب العربي وساحل أفريقية أكسوم ، فتأثرت تجارة البحر الأحمر وتعدى ذلك الى الطرق البرية . وهذه العوامل مجتمعة هي التي أدت إلى اضمحلال الاقتصاد البيزنطي(١).

ولكن البيزنطيين لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا الصراع والتدهور الاقتصادي ، فحاولوا إحكام سيطرتهم على التجارة القادمة من الهند باتجاه القلزم وأيلة ، وأقاموا ديوانا للمكوس في جزيرة جوباتا (تيران) عند مدخل الخليجين(٢)، كما أقامت العلاقات الودية مع الحبشة ومملكة حمير في اليمن والإمارات العربية الصغيرة على طول الطرق التجارية الممتدة من سورية إلى جنوب الجزيرة العربية ، ثم تطور الأمر إلى مساندة بيزنطة للأحباش في احتلال اليمن، وقام الفرس بدورهم بمساندة اليمنيين في طرد الأحباش من اليمن وهم الذين اعتمدت عليهم بيزنطة في الوساطة التجارية ، وقلصوا النفوذ البيزنطي في اليمن ، ثم قام الفرس أخيرا بحكم اليمن وهو ما أدى إلى تدهور النشاط البيزنطي التجاري في اليمن والبحر الأحمر(٣).

---

(١) يوسف درويش غوانمه ، المرجع السابق ، ص ١١ ، ١٢ .

(٢) يوسف درويش غوانمه ،المرجع نفسه ، ص ١٣ .

(٣) نعيم فرج ، المرجع السابق ، ص ٤ .

ويروي لنا بروكوبيوس الكيساري تفاصيل الأزمة التي أصابت صناعة الحرير وتجارته في القرن السادس الميلادي ، فالتجار الفرس استغلوا وضعهم كوسطاء محتكرين ، كما استغلوا توتر العلاقات بين بيزنطة وإيران،فرفعوا أسعار الحرير الخام ، مما أدى إلى ارتفاع أسعار الأقمشة الحريرية المصنعة في المدن البيزنطية ، وبصورة خاصة في مدن بلاد الشام ، وكذلك ازداد عدد المراكز الجمركية في الأراضي الفارسية والبيزنطية ، فكان كل مركز يحصل على ضريبة مقدارها $\frac{1}{10}$ ثمن البضائع الحريرية أو غيرها ، فارتفع بذلك ثمن الحرير[1].

على أن البيزنطيين استطاعوا معرفة سر صناعة الحرير الطبيعي،وأقاموا مصانع لتحويل شرانق الحرير إلى نسيج حريري في سورية وسواحل فينيقية[2] ، فقد كانت فرصة طيبة للبيزنطيين عندما تمكنوا من تهريب ديدان القز من الصين وتربيته ، حيث أقاموا له مراكز صناعية في كل من بيروت وصور وإنطاكية وبعض المدن اليونانية وفي مصر والقسطنطينية[3]، وأصدر الامبراطور جستنيان أمره باحتكار صناعة الحرير لتغطية نفقات الدولة ، فأضر ذلك بكثير من المصانع الصغيرة التي أغلقت أبوابها في تلك الفترة[4].

ومن خلال هذا الصراع الذي نشأ في جنوب الجزيرة العربية وأدى إلى اضمحلال شأن قوة عرب الجنوب وسنحت الفرصة لظهور قوة منافسة ، وهي قوة قريش في وسط الجزيرة العربية لتلعب دورا له أهميته في حركة التجارة الدولية البرية القادمة من الجنوب العربي والهند إلى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط ، ووثقت

---

(١) نعيم فرح ، المرجع نفسه ، ص ٣٩ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي،ص ٤٥ .
(٣) يوسف درويش غوانمه ، المرجع السابق ، ص ١٣ .
(٤) نعيم فرح ، المرجع السابق ، ص ١٣ .

قريش صلاتها بمن جاورها من البلدان ، وارتبطت بعلاقات جيدة مع الحبشة عبر البحر الأحمر ، وكانت من أثرها أن أول هجرة سنة ٦١٥م كانت إلى الحبشة ،كما كان لأيلة علاقاتها التجارية البحرية مع الجنوب والساحل الأفريقي والهند والصين ، وقد منحها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أمانا (لسفنهم وسياراتهم[١]في البر والبحر ولهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر)[٢].

وقوة قريش التي ظهرت في بدء الأمر كقوة مسيطرة على التجارة أراد الله لها وللدولة الإسلامية أن تكون لها السيادة على الدولتين الفارسية والبيزنطية ، وتقضي على قواها المسيطرة سواء كان ذلك في الخليج العربي ، أو في البحر الأحمر ، وتسيطر على التجارة في بلاد الشام بعد الفتح الإسلامي لها ، وبذلك سنحت الظروف لبلاد الشام بأن تكون مرة أخرى القوة المسيطرة على التجارة العالمية ، والمعبر الرئيسي للتجارة العالمية بين الشرق والغرب[٣] .

أما فيليب حتي فقد أراد أن يبين أن النشاط الاقتصادي لسورية قد ضعف بعد استيلاء العرب عليها ، ومع هذا فهو يعترف بالنشاط البحري في العهد الأموي إذ كتب يقول : (ان انفصال سورية عن الامبراطورية البيزنطية أضعف تجارتها البحرية إلى حد ما٠٠ ، ولكنها استعاضت عن ذلك نوعا ما بأسواق جديدة أتيحت لها بسيادتها على فارس وآسيا الوسطى ، وقد وصلت سفن الحجاج حتى جزيرة سيلان البعيدة وتعرضت أحيانا لغارات القرصان الهنود)[٤].

---

(١) السيارات : القوافل ، وجاءت في التنزيل العزيز : "وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ" ، سورة يوسف ، آية ١٢ .
(٢) يوسف درويش غوانمه ، المرجع السابق ، ص ١٣ .
(٣) نعيم فرح ، المرجع السابق ، ص ٩ .
(٤) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

كما يتحدث محمد يوسف النجرامي عن العلاقات التجارية بين الهند والعرب في العصر الأموي فيقول : بأن ميناء كولم تلي بالهند مقصد التجار العرب حيث يزود السفن بما تحتاج إليه من مؤن خلال رحلاتها الطويلة إلى الصين ، وأضاف بأن هذه العلاقات التجارية مع الهند قد تقدمت تقدما مزدهرا في العصر الأموي حتى أصبح لساحل مالابار أهمية اقتصادية كبرى لدى العرب ، فقد كان يمدهم بخشب الساج لسفنهم(١).

ومرت ظروف التجارة بتغيرات خلال فترة الفتوح الإسلامية ، فقد كانت حركة التجارة قبيل الإسلام نشطة عبر الجزيرة العربية ، وبأيدي القرشيين ، ولكنها مرت بنوع من الضعف بعد هجرة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، إلى المدينة ، ثم استمر هذا الضعف بعض الشيء خلال فترة الفتوحات ، ولكن ما أن استتب الأمر للعرب المسلمين ودانت لهم الشام والعراق وفارس ومصر ، حتى نشطت الحركة التجارية من جديد ونمت واتسعت باتساع الفتوحات(٢) .

وأوضح الحبيب الجنحاني ظهور نشاط القرشيين بعد الإسلام في حرية التجارة وظهور الثراء العظيم في المجتمع القرشي بعد القضاء على الدولتين الفارسية والبيزنطية في بلاد الشام ، وفي هذا يقول : (إن سيطرة الدولة على المسالك التجارية الدولية بعد فتح المناطق الساسانية والبيزنطية قد نشطت التجارة ، وأكسبتها ديناميكية جديدة ، وأصبحت أسواق الأمصار الجديدة تنافس أسواق مكة في منطقة الحجاز)(٣). ويتضح لنا من هذه الأقوال أن

---

(١) العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ،دار الفكر،بيروت، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص ٢٣ .

(٢) أنور الرفاعي ، النظم الإسلامية ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٣) التحول الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع صدر الإسلام، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م ، ص ٥٠ .

مراكز الدولة الإسلامية سواء كانت في الحجاز أو في دمشق أو في العراق أو في مصر ، وهي المناطق التي خضعت للدولة الإسلامية بعد حركة الفتوح الإسلامية الأولى أصبحت سوقا عالمية تستقبل الواردات من الطرق التجارية العالمية ،وتعود بمنافعها على الدولة الإسلامية ، ذلك بأن القضاء على الدولة الساسانية ونفوذها في الخليج العربي كان له تأثير قوي في مجال التجارة البحرية ، فقد ظهرت أمصار جديدة في منطقة الخليج ومنها البصرة ، كما ظهرت أهمية عمان بمرافئها التجارية التي أصبحت ذات بعد عالمي ، وفي طليعة هذه المدن العمانية تظهر (صحار) عاصمة عمان القديمة ، وقد كانت تحمل إليها تجارة الصين، فقد تم تحول الحياة التجارية بعد الفتح الإسلامي تدريجيا خلال القرن الأول الهجري (١) .

كما أن بني تغلب كانوا قد وطدوا أقدامهم في القرن السادس الميلادي على المجرى الأدنى لنهر الفرات ، وكانت قصبة منازلهم في القرن الأول للهجرة / السابع الميلادي وسط الجزيرة بين قرقيسيا ونصيبين والموصل ، حيث كان يمر بأرضهم طريق الهند التجاري ، إذ كانت تمر آنذاك بالجزيرة الطرق التجارية في جميع الاتجاهات (٢).

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٥٢ ـ ٥٥ .

(٢) صالح الحمارنه ، المرجع السابق ، ص ٥٥٤ .

طرق التجارة البحرية :

إذا نظرنا إلى بلاد الشام من ناحية موقعها للتجارة البحرية والبرية على التوالي ، وجدنا أنها تتميز بموقع فريد ، ذلك أن موقعها الجغرافي جعلها مركزا هاما لالتقاء التجارة العالمية وتفرعها منها وإليها ، حيث تلتقي بتجارة الشرق الأقصى ، وتجارة الجنوب العربي ، وتجارة أفريقية وأوربا عبر موانيء رئيسية هامة وخطوط ملاحية لعبت دورا هاما في التجارة منذ أقدم العصور ، هذا وتصل التجارة العالمية البحرية إلى بلاد الشام عبر طريقين :

١ - الطريق الأول : هو الخليج العربي ، ويعتبر من أهم الطرق الملاحية الناقلة لتجارة الشرق الأقصى والصين إلى بلاد الشام ، فكانت التجارة تصل إلى موانيء الخليج العربي ، ثم تنقل بحرا عن طريق نهر الفرات ، ومنه عبر بادية الشام إلى مدن الشام وموانئه الرئيسية ، ومنها عبر البحر الأبيض المتوسط إلى أوربا (١). ويبدو أن صحار - وهي من أقدم موانيء عُمان - كان لها دور كبير في هذه التجارة ، فقد ذكر الحميري بأنه كان يقصدها التجار ، وإليها تجلب بضائع اليمن ، ويتجهز منها بأنواع التجارات ، وتسافر منها مراكب الصين (٢). هذا وقد ازدادت أهمية الدور الذي يلعبه طريق الخليج العربي في حركة التجارة العالمية بين الشرق والغرب بعد أن قامت الخلافة العباسية ، وأصبح العراق مركز الدولة الإسلامية ، بل ازدادت أهمية هذا الطريق أكثر وأكثر بعد أن قام التجار المسلمون برحلاتهم البحرية إلى الشرق الأقصى ووصلوا إلى سواحل الصين (٣).

---

(١) - موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٥٩ ،
- عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٢) - الروض المعطار ، ص ٣٥٤ ،
- أنظر أيضا : سعيد الأفغاني ، أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ص ١٥ .

(٣) عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ص ٧٦ .

٢ - الطريق الثاني ، وهو طريق البحر الأحمر : وعن هذا الطريق كان يعتبر ميناء أيلة (العقبة) باب البلاد الشامية على المحيط الهندي وأفريقية والشرق الأقصى ، ومن هنا جاءت أهميتها التجارية والاستراتيجية ، أضف إلى ذلك أن موقعها في فم رأس الخليج ، جعلها تتحكم أيضا في طرق المواصلات البرية ، التي تربط مصر والشمال الأفريقي بالحجاز والجنوب العربي[١]، وعن هذا الطريق كانت تصل سلع الشرق الأقصى وشرق أفريقية وجنوب الجزيرة العربية إلى بلاد الشام[٢].

وقبل الإسلام كانت الحرب سجالا بين بيزنطة والحبشة من جهة ، والفرس من جهة أخرى للسيطرة على تجارة البحر الأحمر ، حتى أشرقت شمس الإسلام، فدخل تاريخ تجارة البحر الأحمر مع هذه الإشراقة في طور جديد كان العرب فيه هم سادة هذا البحر[٣]. وفي العصر الأموي ازدهرت تجارة البحر الأحمر ، والمحيط الهندي ، واهتم الخلفاء الأمويون بتجارة الشرق ، وعملوا على إنشاء محطات تجارية على الساحل الشرقي الأفريقي ، لتأمين هذه التجارة، ويشهد على ذلك ماقام به الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) من إرسال قوات في سنة ٧٥ هـ إلى ساحل أفريقية الشرقي حيث اتخذت هذه القوات قاعدة لها في جزيرة لامو - الواقعة في المياه الساحلية مابين الصومال وكينيا - هذا وقد قام الأمويون عقب نزول قواتهم في أرخبيل اللامو بإنشاء عدد كبير من المواني التجارية على الساحل الأفريقي الشرقي لحماية تجارة الشرق في مياه المحيط الهندي[٤]، وحظيت أوربا من هذين الطريقين إلى بلاد الشام بسلع وبضائع

---

(١) يوسف درويش غوانمه ، المرجع السابق ، ص ٦ .

(٢) موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٣) عطيه أحمد محمود القوصي ، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦ هـ ، رسالة دكتوراه (لم تطبع)، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م ، مسجلة برقم ١١٤٩، ص ١٩ .

(٤) عطيه القوصي ، المرجع نفسه ، ص ٢٢ .

الشرق الأقصى وشرق أفريقية ، وجنوب الجزيرة العربية ، وكان لتجار اليهود الرادانية دور في هذه التجارة ، فقد ذكر ابن خرداذبة : أن التجار اليهود كانوا يسلكون ثلاثة طرق ، الأول : طريق البحر من فرنسا إلى سورية ، ومن هناك إلى العراق والخليج العربي حتى الهند والصين ، والثاني : عبر اسبانيا وبعد عبور مضيق جبل طارق إلى الساحل الشمالي لأفريقية حتى مصر فالبحر الأحمر إلى الهند ، والثالث : عبر وسط أوربا إلى أرض الخزر (الأتراك الذين يعيشون حول بحر قزوين) ، ومنها يعبر اليهود إلى داخل آسيا حتى يصلوا إلى الهند (١).

كما ذكر الحميري أن القسطنطينية وخليجها المشهور وهو الداخل من بحر الشام في البحيرة التي تتصل بالقسطنطينية يصل إليها التجار المختلفون من العراق والشام (٢) .

---

(١)- ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ١٥٣ .
- عطيه القوصي ، المرجع نفسه ، ص ٣٠
(٢) الروض المعطار ، ص ٤٨١ .

طـرق القوافـــل :

وعرف العرب منذ الجاهلية التجارة بين اليمن والشام ، فكانت لقريش رحلتا الشتاء والصيف ،حيث كانت رحلة الشتاء تشد الى اليمن،ورحلة الصيف تشد الى الشام ومقرها بصرى من أرض الشام(١) ،وقد لعبت بصرى مدة دورا هاما في تجـــارة القوافل فهي مفتاح الطريق الى دمشـق(٢).

ومع اطلالة فجر الاسلام على بلاد الشام واستقرار كثير من العـرب فيهـا بعد الفتح الاسلامي لا نستغرب أن ازدادت هذه التجارة اتساعا ، ذلك أنـه قـد توفرت للعرب المسلمين في بلاد الشام فرصتين ذهبيتين معا ، فأولهما : حبهـم ومعرفتهم للتجارة وأساليبها،والثانية : مركزهم الرئيسي في بلاد الشام وبها من الخيرات مابها، اضافة الى موقعها الهام للتجارة العالمية ،وقد تعددت طـــرق التجارة المارة ببلاد الشام لنقل المتاجر اليها من جميع الجهات ،فقد كـــان هناك طريق للقوافل يحمل تجارة اليمن والحجاز بمحازاة البحر الأحمر(٣) ،وهذا الطريق هو الذي كانت تسلكه قريش اذا أرادت الشام ، وهو الطريق الذي سلكتــه قافلة قريش القادمة من الشام والتي اعترضتها فيه المسلمون فكانت غزوة بـدر الكبرى(٤) ، وقد ذكر ابن الأثير أن أهم تجارة قريش كانت الفضة(٥).

وأما بضائع الهند وفارس فكانت تنقل برا عن طريق عمان والعـراق الـى البادية ،حتى ينتهي بها المطاف الى بلاد الشام(٦). كما كانت نصيبين ـ مـــن بلاد الجزيرة ـ على طريق القوافل من الموصل الى الشـام(٧).

---

(١) انظر في ذلك :
- رسائل الجاحظ ،تقديم علي أبو ملحم ،منشورات مكتبة دار الهـــلال ، بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م ،ص ٤١٣ ،
- السيد محمود شكري الألوسي البغدادي ،بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب دار الكتب العلمية ،بيروت ، ج ٣ ، ص ٣٨٦ ومايليهـا .

(٢) ابن الأثير،الكامل ، ج ٢ ،ص ٤٠٩ .

(٣) موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

(٥) - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .
- ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٥٥ .

(٦) سعيد الأفغاني ، المرجع السابق ، ص ١٥ - ١٦ .

(٧) ياقوت الحموي،المصدر السابق ،ج ٥ ، ص ٢٨٨ .

ومن أهم الطرق التي اهتم بها المسلمون هو طريق الحج الشامي ، فقد كان الركب يخرج من مدينة دمشق حيث يتجمع الحجاج في هذه المدينة ثم يتجهون الى قرية تسمى (الكسوة) تنزل فيها القوافل فتتزود منها بالماء لوفرة الأنهار بها [١]. ومنها الى الصنمين وهي قرية في أوائل حوران [٢]، ومنها الى بصرى — وهي أول المدن التي افتتحها المسلمون في بلاد الشام [٣]— ، ويسير الركب متجها الى أيله ، وهي آخر مدن الحجاز وأول الشام على ساحل البحر الأحمر فيجتمع بها حجاج الشام وحجاج مصر [٤]،ثم الى تبوك ،في اتجاههم الى المدينة ثم مكة [٥] ، كما كان لهذا الطريق أهمية في الفتوحات الاسلامية حين عبر أبو عبيده طريقه الى الشام فاعترضته قافلة لقريش محملة بالسكر والفواكة المجففة فاستولى عليها [٦].

ولقد كان لهذا الطريق أهميته التجارية حيث كانت تصل قوافل الشام محملة بأصناف البضائع ، فقد كانت قوافل التجارة تصل الى المدينة ومنها تجارة عبد الرحمن بن عوف [٧].

وكان هناك طريق بري آخر لتجارة الصين والشرق مرورا بأواسط آسيا وايران وبلاد العراق ، ومنها عبر البلقاء الى تدمر ثم الى مدن فلسطين وموانئها [٨]. وقد كان لطريق تدمر أهمية كبيرة في نقل التجارة العالمية

---

(١) ياقوت الحموي،معجم البلدان ،ج ٤ ، ص ٤٦١ .

(٢) ياقوت الحموي،معجم البلدان ،ج ٣ ، ص ٤٣١ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج ٢ ،ص ٤٠٩ .

(٤) الحميري،الروض المعطار،ص ٧٠،القزويني ، آثار البلاد ، ص ١٥٣ .

(٥) ياقوت الحموي،معجم البلدان ،ج ٢ ، ص ١٤ .

(٦) الواقدي ، فتوح الشام ، ص ١٣١ .

(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج ٧ ، ص ١٦٤ .

(٨) موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ، ص ٥٩ ،
كانت تدمر (وبها سميت مملكة تدمر) من أهم المدن التجارية الواقعة على طرف البادية تفصل مابين الشام والعراق وظهرت أهمية موقعها التجاري في أول القرن الثاني للميلاد واستمرت قوتها وشهرتها في عهد ملكتها زنوبيا حتى سقطت هذه المملكة سنة ٢٧٢ م ،
— لطفي عبد الوهاب يحي ، العرب في العصور القديمة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٤٣٥ .

من الشرق والغرب قبل الاسلام،واذا كان هذا الطريق قد فقد كثيرا من أهميته بعد سقوط تدمر، الا أنه مالبث أن استعاد هذه الأهمية بعد اتخاذ الأمويين بلاد الشام مركزا لخلافتهم[١].

وأما عن تجارة دمشق وطرق القوافل بها،فقد ظل الطريق التجاري بها قائما بدون تغيير في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين ، فقد كانت سياسة الأمويين العمل على تسهيل نقل التجارة لما في ذلك من أهمية في انعاش الحركة التجارية في بلاد الشام[٢]،فقد كانت القوافل تصل الى دمشق[٣] عن طريقين : أحدهما : طريق يحاذي الطريق النهري عبر الفرات ، ثم تنطلق الى دمشق ، والطريق الثاني : يبدأ من اليمن ويجتاز بلاد الحجاز الى بصرى ثم الى دمشق عبر بادية الشام[٤].

العناية بطرق القوافل واقامة الخانات :

عني الأمويون بتسيير سبل التجارة،فنشروا الأمن والطمأنينة في أنحاء دولتهم،وأقاموا المحطات والآبار في طرق القوافل[٥]،كما كانت طرق قوافل الحج موضع عناية الخلفاء،فمن ذلك ماحدث في سنة ٨٠ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان حين تضرر الناس في القرى الموصلة الى مكة من جراء الأمطار،فاهتم بذلك عبد الملك وأرسل الى عامله الأموال لينفقها على كل من تضرر من جرائها[٦]،كما اهتم الوليد بن عبد الملك فكتب الى عامله على المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز بتسهيل الثنايا وحفر الآبار في البلدان[٧]،وفي سنة ٩١ هـ

---

(١) أحمد غسان سبانو،دمشق (مقالات مجموعة) عن مقالة لعيسى اسكندر معلوف ، ص ٢٧ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٣) - أنظر : عبد القادر عياش ، المرجع السابق ، ص ٢٦١ ،
- عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٤) - عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع نفسه ،ص ٥٥ ،
- أحمد غسان سبانو،دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية ،
- (عن المعلمة الاسلامية لأحمد وصفي زكريا) ،ص ١٢١ .

(٥) ابن خلدون ،المصدر السابق ،ج ١ ،ص ١٩٦ .

(٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦٥ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٦ ، ص ٤٣٧ .

حج الوليد بن عبد الملك واهتم بطريق الحج وقسم الدقيق والأموال ، وكان عامله على مكة خالد بن عبد القسري[١]،وفي خلافة عمر بن عبد العزيز اهتم بطرق الحجيج وحفر آبارا في مناطق مختلفة في طريق الركب الشامي[٢].

وقد كان لهذه الطرق التجارية والموسمية الهامة العناية بطرق ومنازل المارين بها[٣].

ومن المنازل والخانات التي ذكرتها المصادر التاريخية ماذكره ياقوت الحموي أن في تل السلطان - قرب حلب في الطريق الى دمشق - خان ومنزل للقوافل[٤]،كما ذكر ثنية العقاب - وهي فرجة في الجبل الذي يطل على غوطة دمشق من ناحية حمص - بأنها نقطة القوافل المغربية الى دمشق من الشرق[٥] ، وثنية العقاب هذه هي التي نزلها خالد بن الوليد حين حضر من العراق الى الشام أثناء الفتوحات الاسلامية[٦]. كما ذكر الغولة أنها منزلا للقوافل وخانا على مسيرة يوم بين حمص وقارا[٧]،وذكر المقدسي أن في الرملة في فلسطين فنادق وحمامات[٨].

كما كان يوجد في دمشق فنادق أشبه بالأسواق الكبيرة ينزل بها التجار القادمون اليها ، فيضعون بضائعهم في أسفلها ، وينامون في أعلاها ، وأنه كان يطلق على هذه الأسواق اسم المخازن أو الفنادق[٩]، وكانت "الكسوة" أول منزل تنزله القوافل اذا خرجت من دمشق متجهة الى الحجاز أو الى مصر[١٠].

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ،جـ ٤ ، ص ٥٥٥ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٦ ، ص ٥٦٧ .
(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٧ ، ص ١٦٧ .
(٤) معجم البلدان ،جـ ٢ ،ص ٤٢ .
(٥) المصدر نفسه ، جـ ٤ ، ص ١٢٣ .
(٦) المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٨٥ .
(٧) المصدر نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ .
(٨) أحسن التقاسيم ، ص ١٦٤ .
(٩) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .
(١٠) سليمان عبد الغني مالكي ،المرجع السابق ، ص ٣٩ ومايليها .

صادرات بلاد الشام :

كان من أهم صادرات بلاد الشام القمح والدقيق والزيت[١] ، كما اشتهرت بتجفيف المشمش والفريك بالشمس[٢] ،وكان ذلك من صادراتها الرئيسية لكثرة هذه المحاصيل بها . ومن الصادرات المشهورة في بلاد الشام أيضا الفاكهة اليابسة (المجففة) والفستق واللوز والكعك[٣] .

وكانت دمشق تصدر المنسوجات الى القسطنطينية ومصر وأرمينية ، وبقية جهات سورية ،وكانت لها تجارة واسعة مع منطقة حوران في زراعة الحنطة ، كما كانت تصدر كل سنة جانبا كبيرا من الطحين والبرغل الى بيروت[٤] ،وكذلك العسل والسمن[٥] والملح والكبريت[٦] .

وكان الضافطة - وهم قوم من الأنباط - يقدمون المدينة بالدرمك (الدقيق الحواري) والزيت في الجاهلية وبعد أن دخلها الاسلام[٧] .

ومن المدن التي اشتهرت بتصدير محاصيلها الزراعية معرة النعمان التي كانت تصدر التين والفستق الى مصر[٨] ،وكانت فلسطين تصدر الزيت والخروب

---

(١) - ابن كثير ،البداية والنهاية ،ج ٧ ،ص ١٦٣ ،
- محمد حسن شراب ،المدينة المنورة في العصر الأموي،مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ،ومكتبة علوم القرآن،دمشق وبيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص ٣٣٢ ،
- وقد ذكر أن تجارة عبد الرحمن بن عوف القادمة من الشام كان أهل المدينة يسمعون لها رجة ،وقد بلغت احدى هذه القوافل سبعمائة حمل تحمل الطعام من الشام ،
- ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٦٤ .

(٢) محمد كرد علي ، غوطة دمشق ، ص ٣٨ .

(٣) ابن عساكر،تاريخ مدينة دمشق،(تراجم العين) ،تحقيق شكري فيصل،ص ١٦٤.

(٤) نعمان القساطلي ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٥) عبد الحي الكتاني ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٣ .

(٦) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٨٤ .

(٧) - ابن منظور ، المصدر السابق ،ج ١ ،ص ١٦٣ .
- الضافط : الذي يجلب الميرة والمتاع .

(٨) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .

والصابون والتفاح وقضم قريش والقطن والنيلة والتمور والحبوب والخضر والمنسوجات القطنية والحريرية [1]. كما اشتهرت قرى الشام بصادراتها من الماشية منذ عهود قديمة نظرا لخصوبة الأرض وكثرة أراضي رعي الماشية [2] ، ومن صادراتها الصناعية التي اشتهرت بها أيضا منذ العهود القديمة السيوف والزجاج والأدوات المطلية بالميناء [3] والغراء [4].

هذا وقد عدد المقدسي أنواع صادرات بلاد الشام الزراعية منها والصناعية والتي كانت تنقلها تجارات القوافل ، والتي ازدهرت من عائدها بلاد الشام [5] .

واردات بلاد الشام :

تعددت المصادر والمراجع في تصنيف الواردات القادمة الى العالم الاسلامي بصفة عامة ،فاذا كانت بلاد الشام ودمشق خاصة مقر خلفاء بني أمية ، فلا يستغرب أن تكون جميع هذه الواردات قد وصلت الى بلاد الشام ،وأهمها العطور والطيوب التي عشقها العرب وعرفوها منذ القدم، اضافة الى أن كثيرا من هذه الواردات التي انتقلت صناعتها بعد ذلك الى بلاد الشام، ومنها الحرير على سبيل المثال. فمن واردات دمشق الأواني وأدوات الغزل والمنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية والكتانية والنيلة والأرز والسكر [6] والجلود المدبوغة [7].

---

(١) مصطفى مراد الدباغ ، المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .

(٢) — الشابشتي ، كتاب الديارات ، ص ٢٣٧ ،
— البلاذري ،فتوح البلدان ، ص ١٧٥ ،
— جمال الدين القاسمي ،المرجع السابق ،ج ٢ ،ص ٢٣١ .

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف ،المرجع السابق ،ص ٥٤ .

(٤) ذكر ياقوت الحموي (معجم البلدان) ،ج ٥ ، ص ١٤٥) أن المصيصة كانت تصنع الغراء ومنها كان يحمل الى الآفاق .

(٥) عن هذه الصادرات أنظر :
— المقدسي ، أحسن التقاسيم ،ص ١٨٠ — ١٨١ .

(٦) نعمان القساطلي ، المصدر السابق ، ص ١٢٥.

(٧) جوستاف لوبون ،المرجع السابق ، ص ١٦٧.

وكانت السيوف تستورد من الهند الى بلدة الخط في عمان وتسمى السيوف الخطية [١]. وقد عدد القزويني واردات بلاد الشام من الشرق والجنوب ، فذكر أن سليمان بن عبد الملك كان يبعث الى مهرة – بأرض اليمن – يشتري النجائب المهرية [٢]. كما ذكر أن تجار المسلمين كانوا يجلبون القرنفل من جزيرة برطايل [٣]،ويجلبون من سقطرى الصبر ودم الأخوين [٤]،والفلفل من مليبار [٥] ، ويجلبون من قبرص اللادن الجيد والزاج القبرصي [٦]،والزاج الذهبي ومعدن التوتيا من كرمان [٧]،كما وصف القزويني مدينة عدن – على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن – أنها مرفأ مراكب الهند وبلدة التجارة ومرابح الهند ، وبها مغاص اللؤلؤ [٨]،لهذا فلابد وأن هذه اللآليء كانت تصل الى بلاد الشام ضمن التجارات الواردة اليها من الجنوب . وكان يجلب من سرنديب الحرير والياقوت بجميع ألوانه والبلور والماس وأنواع كثيرة من العطر [٩]،وكان يجلب القطران من القيارة [١٠]على مقربة من دجله فيحمل الى الشام وعكا والى جميع البلاد

---

(١) ياقوت الحموي،المصدر السابق ، ج ٣ ،ص ٤٤٩ .

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد،ص ٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٨١ ،
جزيرة برطايل ،قريبة من جزيرة الزانج في حدود الصين ممايلي الهند ،
– أنظر : المصدر نفسه ، ص ٣٠ ،٨١ .

(٤) دم الأخوين : ويعرف أيضا باسم "العندم" أو "البقم"،وهو خشب نباتي يصبغ به . المصدر نفسه ،ص ٨٢ .

(٥) القزويني ،المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

(٦) المصدر نفسه ،ص ٢٤٠ .

(٧) المصدر نفسه ،ص ٢٤٧ .

(٨) القزويني ،المصدر نفسه ،ص ١٠١ .

(٩) الحميري ، المصدر السابق ، ص ٣١٣ .

(١٠) القيارة : موضع على مقربة من دجلة وبالجانب الشرقي منها وعن يمين الطريق الى الموصل ، وفيه وهدة من الأرض سوداء كأنها السبخة قد انبط الله فيها عيونا صغارا وكبارا تنبع بالقار،وربما يقذف بعضها بحباب منه كأنه الغليان وتصنع له أحواض يجتمع فيها ،
– أنظر عن هذه المنطقة : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٨٨ ،
– ونحن لا نستبعد أن هذه المنطقة هي منطقة النفط الحالية بالعراق .

البحرية [١]،وكان العنبر الجيد يستخرج من البحر الأحمر (القلزم) [٢]،كما كانت قوافل الحجاز تنقل الى فلسطين الجلد المدبوغ وبعض النباتات الطبية والزبيب الطائفي أحيانا،ومن اليمن الروائح والعطور وبعض المنسوجات مثل الثياب النجرانية،والسيوف اليمانية،ومن أفريقية الذهب والعاج والأبنوس وريش النعام [٣]. كما كان المسك والعنبر القادم من فارس له أهمية كبرى في واردات بلاد الشام [٤].

وذكر الثعالبي أن يزيد بن عبد الملك كان يحب الخيل ، فكان الناس يتنافسون في اهداء أفضلها اليه،وكان هشام بن عبد الملك يحب الثياب ونفائس اللباس ، وكان الناس يتبارون في تجارتها [٥].

عشور التجارة :

أما عن جباية عشور التجارة،فقد وجدت في عهد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه،عندما بعث زياد بن حدير على العشور [٦]،وأمره بأن يفرض على أهل الحرب العشر،وعلى الذمي نصف العشر،وعلى المسلم ربع العشر،حيث قال في ذلك أبو عبيد : (وكان مذهب عمر فيما وضع من ذلك ، أنه كان يأخذ من المسلمين الزكاة،ومن أهل الحرب العشر تاما لأنهم كانوا يأخذون من تجار المسلمين مثله اذا قدموا بلادهم،فكان سبيله في هذين الصنفين بينا واضحا) [٧].

---

(١) الحميري ، المصدر نفسه ،ص ٤٨٨ .
(٢) ابن خرداذبه ، المصدر السابق ،ص ٦١ .
(٣) موسى عبد الغفار أحمد ، المرجع السابق ،ص ٧٨ .
(٤) أحمد مختار العبادي ،المرجع السابق ،ص ٣٧١ .
(٥) لطائف المعارف ، ص ١١٧ .
(٦) - كان قد أرسله عمر على عشور الشام والعراق ،
- أبو يوسف ، كتاب الخراج ،ص ١٣٥ .
- فتحية النبراوي ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .
(٧) أبو عبيد ، المصدر السابق ، ص ٤٧٣ ،
- وعن الزكاة ، أو ربع العشر يقول عبد الخالق النواوي : (النظام المالي في الاسلام ،ص ١١٧) أن هذه الضريبة لا تؤخذ الا اذا بلغت الأموال المتجر =

وقد وضع عمر بن الخطاب هذه الضريبة لأسباب لم تكن قد ظهرت واضحة في عهد الرسول ، صلى اللّه عليه وسلم ، أو في عهد خليفته أبي بكر الصديق ، رضي اللّه عنه ، وهذه العشور أوردها أبو عبيد وبين أسباب كره المسلمين لها والتخوف من عمل العاشر وكراهة المكس بقوله : (وجوه هذه الأحاديث التي ذكرنا فيها العاشر وكراهة المكس والتغليظ فيه : أنه قد كان له أصل في الجاهلية يفعله ملوك العرب والعجم جميعا ، فكانت سنتهم أن يأخذوا من التجار عشر أموالهم إذا مروا بها عليهم)(١). ثم يوضح فعل عمر بن الخطاب في وضعه العشر بقوله : (وإنما فعل في العشر مافعل لما أعلمتك من مصالحته إياهم عليه ، ولم يكن ذلك بعهد النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، لأن الذين صالحهم لم يكن شرط عليهم منه شيئا ، وكذلك دهر أبي بكر ، وإنما فتحت بلاد العجم في زمن عمر ، فلهذا كان الذي كان)(٢).

كما أورد أبو يوسف سبب وضع عمر بن الخطاب لعشر التجارة بقوله : (ان أهل منبج - قوم من أهل الحرب - وراء البحر ، كتبوا إلى عمر بن الخطاب ، رضي اللّه تعالى عنه : "دعنا ندخل أرضك تجارا وتعشرنا". قال : فشاور عمر أصحاب رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فأشاروا عليه به ، فكانوا أول من عشر أهل الحرب . كما كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب : "أن تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر، قال : فكتب إليه عمر : "خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين ، وخذ من

= فيها نصاب الزكاة في حق الجميع وهو عشرون دينارا من الذهب ، ومائتا درهم من الفضة ،فإن لم تبلغ ذلك لم يؤخذ شيء .

(١) المصدر السابق ، ص ٤٧١ - ٤٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٧٦ .

أهل الذمة نصف العشر،ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما ،وليس فيما دون المائتين شيء ،فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم،ومازاد فبحسابه ")(١).

كما أمر عمر بن الخطاب زياد بن حدير بعدم تفتيش المارين عليه بالتجارة(٢). وعن جباية الضرائب عند التجارة يقول عبد العزيز الدوري :(ويبدو أن أهل المدن لم يروا تعارضا بين اشتراكهم في الحملات العسكرية أو في الادارة،وبين متابعة التجارة،بل أنهم استمروا على ذلك في مجالات أوسع ، ولنا في فعاليات الزبير وطلحة وأبي هريرة وعبد الرحمن بن عوف أمثلة على ذلك،ووضعت ضرائب التجارة بصورة تشجع المسلمين عليها،وتحميي تفوقهم التجاري)(٣).

وكانت الجباية على العشور سنويا حيث كانت تثبت في سجلات فلا يؤخذ منهم حتى يحول الحول على التجارة(٤)،وكل ماكان يؤخذ من المسلمين من العشور فسبيله سبيل الصدقة،وسبيل ما يؤخذ من أهل الذمة جميعا وأهل الحرب سبيل الخراج(٥).

وقد فرضت العشور في الدولة الأموية على التجارة البرية والبحرية ، وكانت السفن التي تمر ببعض الثغور في عهد الدولة الأموية يؤخذ منها العشر على التجارة التي تحملها عينا أو نقدا،حيث كان عمال اليمن يأخذون هذه الضريبة من السفن التي تمر بسواحلهم قادمة من الهند تحمل الأعواد المختلفة والمسك والكافور والعنبر والصندل(٦).

ويبدو أن العشور التي فرضها عمر بن الخطاب لم يؤخذ بها على الوجه الصحيح في عهد الدولة الأموية بحيث فرضت ضرائب أخرى على التجارة وهي

---

(١) كتاب الخراج"ضمن موسوعة الخراج"،ص ١٣٥،- وقال ابن عساكر عن هذه العشور:(وهذا هو المسمى في اصطلاح أهل زمننا "كمرك" وهي كلمة أعجمية معناها المكس بالعربية،فهذا كان أول ظهوره في الاسلام في عهد عمر بن الخطاب،رضي الله عنه) .
- تهذيب تاريخ دمشق ،ج ٣ ، ص ١٤٠ .

(٢) أبو يوسف،كتاب الخراج ، ص ١٣٥ .

(٣) مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص ٨١ .

(٤) أبو عبيد ، كتاب الأموال ، ص ٤٧٥ .

(٥) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، ص ١٣٤ .

(٦) جورجي زيدان ، المرجع السابق ،ج ١ ، ص ٢٢٦ .

"المكوس"[(١)] . كما يؤكد وجود مراكز خاصة لجمع هذه المكوس في عهد الدولة الأموية ماكتبه عمر بن عبد العزيز الى عامله عبد الله بن عوف بقوله : (أن اركب الى البيت الذي برفح[(٢)] ،الذي يقال له بيت المكس فأهدمه ، ثم احمله الى البحر فانسفه نسفا)[(٣)] ،فمن المؤكد أن هذا المركز لم يكن الا لجمع مكوس فادحة وليست العشور التي استنها عمر بن الخطاب . كما أن عمر بن عبد العزيز كتب الى زريق بن حيان — وكان على عشور مصر — أن يطبق نظام أخذ العشور كما ورد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ،وألا يأخذ منهم العشور الى أن يحول الحول ،كما كان ينهى عماله أن يأخذوا من مأصره[(٤)] ،أو قنطرة ،أو طريق شيئا[(٥)] .

---

(١) المكس : الضريبة التي تؤخذ من التجار جمعها مكوس . المعجم الوسيط ، ج ٢ ،ص ٨٨١ .
العشور : مفردها عشر،وعشر المال أي أخذ عشر المال مكسا ، المعجم الوسيط ،ج ٢ ،ص ٦٠٢ .
عن هذه المكوس أنظر :
— جورجي زيدان ،المرجع السابق ،ج ١ ،ص ٢٢٧ ومايليها ،
— عبد المنعم صالح نافع ،المرجع السابق ، ص ١٥٠ .
— المقريزي،الخطط ،ج ٢ ، ص ٥٠٨ .

(٢) مدينة على الحدود بين مصر والشام .

(٣) أبو عبيد ، المصدر السابق ، ص ٤٧٠ .

(٤) المأصر : سلسلة تمد على النهر لمنع السفن من المرور،والحاجز في طريق العابرين لمنع المرور أو أخذ العشور ، جمعها مآصر . المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ١٩ .

(٥) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

الفصل الخامس

الفصل الخامس

الإصلاحات المالية للخلفاء الأمويين وأثرها على اقتصاد بلاد الشام

أ - عبد الملك بن مروان وسك العملة :-
- التعامل النقدي للعرب قبل الإسلام .
- الدنانير الإسلامية .
- توحيد النقد وسك العملة الإسلامية في عهد عبد الملك بن مروان .
- مناقشة نقش الصورة على نقود عبد الملك بن مروان .

ب - إصلاحات عمر بن العزيز :-
- رد المظالم .
- رد ما يخص الخليفة وبني أمية إلى بيت المال .
- الخراج والأرض .
- رفع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة .
- سياسته مع عمال الولايات لحفظ حقوق المسلمين .
- إصلاحه للنقد .
- إعادته حقوق بني هاشم
- إصلاحه في المواريث .
- حرصه على أموال المسلمين .
- تفقده لأحوال الرعية .

جـ - سياسة يزيد بن عبد الملك :-
- عدول يزيد بن عبد الملك عن إصلاحات عمر بن عبد العزيز المالية .
- عودة روح العصبية القبلية .

د - إصلاحات هشام بن عبد الملك .
- إعادة التوازن بين العصبيات القبلية .
- سياسته في جباية الخراج .
- سياسته في مجال النقد .
- سياسته في مجال الإصلاح الزراعي .
- الصعوبات التي واجهت سياسته الإصلاحية .

أ - عبد الملك بن مروان وسك العملة الإسلامية :

التعامل النقدي للعرب قبل الإسلام :

كان العرب يتعاملون بدنانير الذهب البيزنطية ودراهم الفضة الساسانية وبعض نقود اليمن الحميرية ، ولا يتسلمونها إلا وزنا بحساب الدرهم والمثقال باعتدادها تبرا (ذهبا) أو فضة بغض النظر عن كونها دنانير أو دراهم مضروبة ، خاصة الدراهم لاختلاف أنواعها وأوزانها ، ويطلقون على دنانير الذهب (العين) ، ودراهم الفضة (الورق)، واستمر ذلك إلى ظهور الإسلام، فأقره النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأبقاه على حالته [1].

وكانت دنانير هرقل ترد على أهل مكة في الجاهلية ، وترد عليهم دراهم الفرس البغلية ، فكانوا لا يتبايعون بها إلا على أنها (تبر) وكان المثقال عندهم معروف الوزن[2].

ونحن نعرف أن القرشيين كانت لهم رحلتان رئيسيتان أشار إليهما القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ [3] رحلة صيفية إلى الشام وأخرى شتوية إلى اليمن ، فكانوا يحصلون من معاملاتهم مع الشام على ربح طائل يصل إلى ١٠٠٪ ، بل كانوا يحصلون أحيانا من قافلة تجارية واحدة إلى الشام على خمسين ألف دينار من الذهب[4]، كما

(١) ناصر السيد محمود النقشبندي،الدرهم الإسلامي المضروب على الطراز الساساني،مطبوعات المجمع العلمي العراقي،بغداد،١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ،ج١،ص ٢.

(٢) البلاذري ،كتاب النقود ، ضمن مجموعة رسائل في النقود العربية والإسلامية وعلم النميات ، لانستاس الكرملي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة الثانية،١٩٨٧م ، ص ١٦ .

(٣) سورة قريش، آية رقم ١ ، ٢ .

(٤) عبد الرحمن فهمي ،النقود العربية ماضيها وحاضرها،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٤م، ص ٢٢ .

كانوا يحصلون على الدراهم الساسانية من تجارتهم الخارجية مع العراق وسواحل الخليج العربي ، إلا أنهم كانوا في الداخل يفضلون التعامل بالتبادل والمقايضة على الأكثر[١].

أ - الدراهم الإسلامية الأولى :

ولم تظهر آية أدلة على أن أي نقود قد سكت في عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أي ظل التعامل بالدنانير الهرقليه والدراهم الفارسية ، واستمر الأمر على هذا النحو في خلافة أبي بكر الصديق[٢]. كما تشير المصادر والمراجع إلى أن التعامل النقدي ظل كما هو خلال فترة حكم الخلفاء الراشدين أيضا وكذلك في عهد معاوية[٣]. إلا أن هناك دلائل تشير إلى ظهور بعض العملات النقدية في عهد عمر بن الخطاب ، فيذكر عبد الرحمن فهمي في كتابه النقود العربية أنه عندما استخلف عمر بن الخطاب وفتح الله على المسلمين بلاد الفرس ، أقر النقود الساسانيه في إيران والعراق كما هي بلغتها وحروفها البهلوية وكذلك بشاراتها وشعائرها غير الإسلامية، وحافظ على أسماء دور السك وتاريخ الضرب باللغة البهلوية ، وفي سنة ١٨هـ ضرب الدراهم وزاد عليها عبارة "الحمد لله" وفي بعضها "محمد رسول الله" ، وفي البعض الآخر

---

(١) - محمد أبو الفرج العش ، النقود العربية مصدر وثائقي للتاريخ والفن ، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤م ، ص ٢٦٨،٢٦٩ .
- أنظر أيضا : عبد الرحمن فهمي ، موسوعة النقود العربية وعلم النميات ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٥م ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢) حسان علي حلاق ، تعريب النقود العربية والدواوين في العصر الأموي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م ، ص ٢٢ .

(٣) البلاذري ، كتاب النقود ، ص ١٦ .

(لا إله إلا الله وحده)[١]، وكتب عمر إلى الأجناد بمقدار الجزية بالدراهم على أهل الورق (الفضة) ، وبالدنانير على أهل الذهب[٢]، بينما قبل في الشام نموذج نقود الامبراطورية البيزنطية ، فهناك قطع من النقود قد طبعت في سنة ١٧ هـ مكتوبة باليونانية واسم دار الضرب (دمشق) دون تغيير للنقوش المرسومة على النقد البيزنطي[٣]. ويذكر مرجع آخر أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، حرص على إضافة نقوش عربية إسلامية على العملات المتداولة ، فضرب عمر "الفلوس"[٤] على طراز عملة هرقل سنة ١٧هـ مسجلا اسمه عليها بحروف عربية ، وهو أقدم فلس[٥] وصلنا حتى الآن[٦]. كما يذكر مرجع ثالث أن الدرهم الإسلامي ضرب في بادئ الأمر بأمر من عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، في السنة الثامنة من خلافته وهي سنة ٢٠ من الهجرة على طراز الدرهم الساساني ، وقد نقشوا على الطوق الذي يحيط بصورة كسرى بعض الكلمات بالحروف الكوفية مثل "بسم الله"، "بسم الله ربي"[٧]، ولما بويع عثمان بن عفان ، رضي الله

---

(١) عبد الرحمن فهمي ، النقود العربية ماضيها وحاضرها ، ص ٢٥ - ٢٧ .
(٢) عبد الرحمن فهمي ، موسوعة النقود العربية وعلم النميات ، ص ٣١ .
(٣) أنظر : فيليب حتي ، تاريخ العرب ، (طبعة جديدة منقحة) ، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٤م ، ص ٢٨٠ .
(٤) يراد بها نقود من النحاس .
(٥) الفلس : وجمعه فلوس معربة من اليونانية أصلها (أفلس) وهو نقد أثيني ، وقيل أن الفلس في اليونانية أو اللاتينية قطعة من النقود تساوي ربع أوقية ، وقيل الفلس نقد نحاسي صغير . أنظر مادة فلس وفلوس :
- أحمد الشرباصي ، المعجم السابق ، ص ٣٤٣ - ٣٤٥ .
(٦) حسان علي حلاق ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .
(٧) ناصر السيد محمود النقشبندي ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢ .

عنه ، ضرب في خلافته دراهم ونقش عليها عبارة التكبير "الله أكبر"[(١)]،ثم ضرب معاوية بن أبي سفيان دراهم مؤرخة بالسنتين الهجريتين ٤٣،٤١ وتحمل اسمه بالفهلوية "معاوية أمير المؤمنين"[(٢)].

الدنانير الاسلامية الأولى :

عرف العرب الدنانير من الروم والدراهم من الفرس ،وكان سعر التبادل كل عشرة دراهم تساوي سبعة دنانير[(٣)]،فأقر رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ، ذلك ،وأقره أبو بكر وعمر وعثمان وعلي،فكان معاوية فأقر ذلك على حاله[(٤)] .

وذكر المقريزي أن معاوية ضرب دينارا ذهبيا في عهده[(٥)]. كما يذكر ذلك أيضا عبد الرحمن فهمي ، ففي هذا الصدد يقول : (أما الدنانير البيزنطية التي تعامل بها العرب في فجر الاسلام ،فقد خضعت في سورية لتطور تدريجي ، فبدأت الشارات المسيحية تختفي من فوق تيجان الأباطرة ،وكذلك من فوق عصا المطرانية ،وتظهر الكتابات العربية وصورة الخلفاء ،الى أن أصبحت هذه الدنانير عربية تماما في عهد عبد الملك بن مروان)[(٦)]،ويخبرنا المقريزي أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠هـ) ضرب دنانير اسلامية عليها صورته متقلدا سيفه[(٧)]، ويضيف عبد الرحمن فهمي رأيه بقوله : (اذا كانت دراهم معاوية قد وصلت الينا - وبعضها محفوظ في المتحف البريطاني بلندن - فان دنانيره

---

(١) عبد الرحمن فهمي،النقود العربية ماضيها وحاضرها،ص ٢٥ .

(٢) محمد أبو الفرج العش ،المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

(٣) كان الدرهم يمثل $\frac{٧}{١٠}$ الدينار ومن ثم كان وزنه الشرعي ٢ر٩٧ جرام على أساس أن الوزن الشرعي للدينار ٤ر٢٥ جرام ،أنظر : عبد الرحمن فهمي ، المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٤) ابراهيم أحمد العدوي،التاريخ الاسلامي،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ، ص ٢٤٣ .

(٥) كتاب النقود القديمة الاسلامية ، عن كتاب رسائل في النقود العربية والاسلامية وعلم النميات ، عنى بنشرها الأب انستاس الكرملي ، مكتبة الثقافة الدينية ،ط ٢ ، ١٩٨٧م ، ص ٣٩ .

(٦) النقود العربية ، ماضيها وحاضرها ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٧) كتاب النقود القديمة الاسلامية ، ص ٣٩ .

التي يشير اليها المقريزي لم يصلنا منها شيء) ،وقد تصدى لخبر المقريزي هذا باحثون بين مؤيد ومشكك ، فمن المؤيدين لهذا الخبر عبد الرحمن فهمي اذ يقول : (ان عدم وصولها لا يتخذ دليلا على الشك في صحة هذه الأقوال لأنه ربما يكون السبب في اختفائها هو امتصاص هذا النوع من النقود لصهره خلال عمليات التعريب وسنرى أن الخليفة عبد الملك بن مروان أمر بأن تسحب من التداول جميع الدنانير المضروبة قبله عن طريق بيت المال ليعاد سكها على الطراز العربي الجديد الذي قرره) (١) .

هذا ويشكك البعض في رواية المقريزي وصحة ضرب هذا الدينار ويعتبر روايته رواية ضعيفة بلا سند ،فضلا عن كونها من مؤرخ متأخر "في القرن التاسع الهجري" بلا سند كما يناقش هذا المؤرخ للنقود الاسلامية قصة المقريزي بقوله : (والقصة التي أوردها المقريزي في منتصف القرن التاسع الهجري ، بأن معاوية ضرب دنانير عليها تمثال متقلدا سيفا فوقع منها دينار رديء في يد شيخ من الجند فجاء به الى معاوية وقال : يامعاوية ، انا وجدنا ضربك شر ضرب ، فقال له معاوية : لأحرمنك عطاءك ،ولأكسونك القطيفة (٢) ،هي قصة متأخرة أوردها المقريزي في القرن التاسع الهجري بلا سند ،وهي قصة خيالية لم تذكر لماذا كان ذلك الدينار رديئا ،ولماذا اعتبر الشيخ ضربه شر ضرب (٣) ،وأنه غير منطقي أن يضع معاوية عطاء الشيخ ثم في الوقت نفسه يكسوه القطيفة) (٤) ، ونستعين على تشكك الباحثين في ذلك الى ماذكره البلاذري في كتابه فتوح البلدان بسند (وهو

---

(١) النقود العربية ماضيها وحاضرها ،ص ٢٨ - ٢٩ .
- ويعلق عبد الرحمن فهمي في موسوعته بقوله : (واذا كان دينار معاوية لا يزال حتى اليوم مجهولا فانه بالامكان نسبة بعض الفلوس التي ضربت في ايلياء بفلسطين اليه وعليها صورة الخليفة مفروق الشعر على جبينه ويحمل السيف بيمينه .
- أنظر موسوعة النقود العربية وعلم النميات ،ص ٣٧ .

(٢) القطيفة : كساء له أهداب ،ودثار أو فراش ذو أهداب كأهداب الطنافس ، ونسيج من الحرير أو القطن صفيق أوبر تتخذ منه ثياب وفرش .
- كتاب النقود القديمة الاسلامية ، ص ٣٩ .

(٣) المقريزي ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٤) سمير شما ،النقود الاسلامية التي ضربت في فلسطين ، مطبعة الجمهورية ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص ٣٣ - ٣٤ .

مؤرخ مبكر من أوائل القرن الثالث الهجري) بأن عبد الملك بن مروان هو أول من ضرب الذهب عام الجماعة سنة أربع وسبعين (٧٤هـ)[1]،وما ذكره الطبري بسند في حوادث سنة ٧٦هـ من أن عبد الملك هو أول من ضرب الدراهم والدنانير. وذكر أن الضرب كان سنة ٧٦هـ[2]،فظهر الاختلاف بين المؤرخين في تاريخ الضرب .

ويناقش الباحث سميرشما تأييد رأيه بعدم ظهور مثل هذه الدنانير، ويؤكد على صحة نظريته من أن معاويه لم يضرب تلك الدنانير أن هناك نقودا قد ظهرت للمخالفين والثوار أمثال ابن الزبير وغيره قد ظهرت من نقودهم بعض القطع،كما يؤكد بأن ماظهر من النقد الذهبي وعليه تمثال متقلدا سيفا انما هو نقد عبد الملك بن مروان وقد وجد وهو يحمل تاريخ سنة ٧٤هـ[3]، أي بعد مقتل ابن الزبير واستتباب الأمر له في العراق وسواها من أقطار الخلافة الاسلامية،كما يوجد نقد ذهبي أقدم منه وعليه ثلاثة تماثيل،ولكلا النقدين أمثال من النقود النحاسية التي ضربت في فلسطين[4].

كما يذكر عددا من المصادر المؤيدة بأن عبد الملك بن مروان هو أول من ضرب الدنانير والدراهم مع ذكر تواريخ الضرب لها وهذه المصادر هي :-

(١) الطبري (عن أبي الزناد عن أبيه) : أن عبد الملك ضرب الدراهم والدنانير عامئذ (٧٦هـ) وهو أول من أحدث ضربها[5] .

(٢) البلاذري (عن أبي الزناد) : أن عبد الملك أول من ضرب الذهب عام الجماعة سنة أربع وسبعين ، و(عن المدائني) أن عبد الملك ضرب الدراهم والدنانير عامئذ (أي سنة ٧٦ هجرية) وهو أول من أحدث ضربها[6].

---

(١) فتوح البلدان ، ص٤٥٣ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ،جـ ٦ ،ص ٢٥٦ .

(٣) ولعلنا نؤيد هذا الرأي استنادا على ماذكره ناصر محمود النقشبندي في كتابه : الدرهم الاسلامي ،عن وجود درهم من الفضة ضرب سنة ٧٥ هـ ، ومحفوظ في متحف موسكو برقم (1 - ZUB) وعليه صورة عبد الملك .

(٤) النقود الاسلامية التي ضربت في فلسطين ، ص ٣٤ .

(٥) تاريخ الرسل والملوك ،جـ ٦ ، ص ٢٥٦ .

(٦) فتوح البلدان ، ص٤٥٣ ، ٤٥٥ .

(٣) ابن الأثير : (وفي هذه السنة ٧٦) هجرية ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم وهو أول من أحدث ضربها في الاسلام[١].

(٤) الذهبي : (وفيها (سنة ٧٥ هجرية) ضرب الدنانير والدراهم عبد الملك وهو أول من ضربها في الاسلام)[٢].

(٥) المقريزي : ذكر تسلسلا في ضرب النقود من قبل العرب هذه خلاصتها[٣] :

أ - عمر بن الخطاب ضرب كل عشرة دراهم ستة مثاقيل على نقش الكسرويه .

ب - العبارات العربية التي ذكرها عمر على الدراهم في بعضها "الحمد لله" وفي بعضها "محمد رسول الله" وفي بعضها "لا اله الا الله" .

جـ - عثمان زاد من العبارات "الله أكبر" .

د - وضرب معاوية أيضا دنانير عليها تمثال متقلدا سيفا .

هـ - دراهم عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب .

و - أن عبد الملك أمر بضرب الذهب عام ٧٤ ، ٧٥ هـ ، فلما استوثق الأمر له ... ضرب الدنانير والدراهم سنة ٧٦ من الهجرة .

(٦) ذكر ابن خلدون أن أول من ضرب السكة في الاسلام هو عبد الملك بن مروان[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ٤١٦ .

(٢) كتاب دول الاسلام ، ص ٥٥ .

(٣) النقود الاسلامية ، ص ٣٩ ومابعدها .

(٤) كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٣ ، ص ١٠٠ .

ونستطيع أن نستخلص مما سبق أن عددا كبيرا من المصادر الاسلامية ترجح أن عبد الملك بن مروان هو أول من ضرب النقود في الاسلام ، بينما تتفاوت في تاريخ الضرب ، وكذلك عدم تقديم وصف لشكل النقد المضروب الا ما أورده المقريزي من وصف دينار معاوية [١]. الا أن البلاذري قد ساهم في توضيح التسلسل في تطور ضرب النقود منذ عام ٧٤ هـ الى عام ٧٦ هـ [٢]، والذي من خلاله تتضح لنا أن دينار عبد الملك بن مروان مر بعدة مراحل منها المرحلة التي كانت عليها صورة عبد الملك ، فأنكرها في المدينة المنورة صحابة رسول الله [٣].

(١) المقريزي ، النقود الاسلامية ، ص ٣٩ .

(٢) رسالة النقود ، ضمن مجموعة رسائل النقود ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، ص ١٨ ، ١٩ .

(٣) المقريزي ، النقود الاسلامية ، ص ٤١ .

توحيد النقد وسك العملة الاسلامية في عهد عبد الملك بن مروان :

ومهما تعارضت الأقوال عن ضرب العملات قبل عهد عبد الملك بن مروان فما يهمنا فيها هو الأسباب التي دعت خلفاء المسلمين الى ضربها والتعامل بها ، الى أن وحد النقد العربي الاسلامي الخالص الخليفة عبد الملك بن مروان ، فقد ذكر ابن خلدون : (أن السكة التي كان يختم بها على الدراهم والدنانير كانت وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ، ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها ، وكان ملوك العجم يتخذونها ،... ولم يزل هذا الشأن عند العجم الى آخر أمرهم ، ولما جاء الاسلام أغفل ذلك ... وكانوا (يقصد العرب) يتعاملون بالذهب والفضة وزنا ، وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم ويردونها في معاملاتهم الى الوزن ، ويتصارفون بها بينهم الى أن تفاحش الغش في الدنانير والدراهم ...) وأضاف ابن خلدون الى ذلك قوله : (وأمر عبد الملك الحجاج - على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد - بضرب الدراهم ويميز المغشوش من الخالص وذلك سنة أربع وسبعين ... وقال المدائني سنة خمس وسبعين ، ثم أمر بصرفها في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله أحد الله الصمد) (١) .

فهذا ما كان من أمر الدراهم ، أما ما كان من أمر الدنانير ، فقد قال ابن خلدون في ذلك : (أول من ضرب الدنانير والدراهم مصعب بن الزبير بالعراق سنة سبعين بأمر أخيه لما ولي الحجاز وكتب عليها في أحد الوجهين "بركة الله" وفي الآخر اسم "الله" ، ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم "عبد الملك" ، وقدر وزنها على ما كانت استقرت عليه أيام

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٣٢ .

عمر وذلك أن الدرهم[(١)] كان وزنه أول الإسلام ستة دوانق[(٢)]، والمثقال [(٣)] وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم ، فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل ، وكان السبب في ذلك أن أوزان الدرهم أيام الفرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المثقال عشرون قيراطا[(٤)]، ومنها اثنا عشر ، ومنها عشرة ، فلما أحتيج إلى تقديره في الزكاة أخذ الوسط وذلك اثنا عشر قيراطا ، فكان المثقال درهما وثلاثة أسباع درهم ، وقيل كان منها البغلي [(٥)]

(١) الدرهم : ستة دوانق ، وفي زمن الرسول ،صلى الله عليه وسلم ،كان كل درهم ستة دوانق وكل عشرة سبعة مثاقيل،والدرهم من الدينار نصفه وخمسه أو سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم، والدرهم وزن كانت قريش تزن به الفضه وتزن الذهب بوزن تسميه دينارا ،ـ أحمد الشرباصي ، المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٢) الدانق : كلمة فارسية معناها حبه ،والدانق ثمان حبات وخمسا حبة من الشعير المتوسطة التي لم تقشر وقد قطع من طرفها ما امتد، وقيل الدانق سدس الدرهم وهو معرب (دانك) وهو عند اليونان حبتا خرنوب وعند المسلمين حبتان وثلث ، ويجمع على دوانق ودوانيق ،والدانق : قيراطان ، وفي سنة ست وسبعين جعل عبد الملك بن مروان الدانق قيراطين ونصفا ،ـ أحمد الشرباصي ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٣) المثقال : مايوزن به الشيء وهو من الثقل ، والمثقال في الأصل مقدار من الوزن لأي شيء كان من قليل أو كثير ، والناس يطلقونه في العرف على الدينار خاصة ،وليس كذلك في التنزيل " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " سورة الزلزال ، آية ٧ ، والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم، والمثقال زنة اثنين وعشرين قيراطا إلا حبة، وهو أيضا زنة اثنتين وسبعين حبة شعير ، وقيل أن المثقال ـ منذ وضع ـ لم يختلف عليه في جاهلية ولا إسلام ،ـ أنظر : أحمد الشرباصي ، المرجع السابق ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٤) القيراط : جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عشره في أكثر البلاد، وأهل الشام يجعلونه جزء من أربعة وعشرين ، وفي سنة ستة وسبعين جعل عبد الملك بن مروان القيراط أربع حبات ،ـ أنظر : أحمد الشرباصي ، المرجع السابق ، ص ٣٧٦ .

(٥) الدراهم البغليه : نسبة إلى بغله وهو اسم يهودي ضرب تلك الدراهم وكان يعرف برأس البغل وقد ضربها في مدينة أرميه بفارس ، وقيل إنها تسمى=

بثمانية دوانق ،والطبري[١] أربعة دوانق ،واليمني ستة دوانق ، فأمر عمر أن ينظر الأغلب في التعامل فكان البغلي والطبري وهما إثنا عشر دانقا وكان الدرهم ستة دوانق وإن زدت ثلاثة أسباعه وكان مثقالا ، وإذا أنقصت ثلاثة أعشار المثقال كان درهما ، فلما رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين الجاريين في معاملة المسلمين من الغش عيّن مقدارها على هذا الذي استقر لعهد عمر ، رضي اللّه عنه)[٢].

أما الماوردي فقد أوضح الظروف التي كانت تجري فيها المعاملات المالية في الولايات الإسلامية بقوله : (كان عمر بن الخطاب ،رضي اللّه عنه ، قسط الخراج على أهل السواد ومافتح من نواحي المشرق والمغرب ورقا وعينا ... وكان أهل البلدان يؤدون مافي أيديهم من المال عددا ولا ينظرون في فضل بعض الأوزان على بعض ، ثم فسد الناس ، فصار أرباب الخراج يؤدون الطبرية التي هي أربعة دوانق ،وتمسكوا بالوافي الذي وزنه وزن المثقال)[٣]،فكان من جراء ذلك أن حدث الضرر بالخراج والعدالة في جبايته[٤]. ولا نستبعد أن يكون عمر بن الخطاب قد أراد توحيد الأوزان وإبعاد الضرر الناتج عن تأدية الدراهم المغشوشة ، ونستند في هذا الرأي على ما أورده المقريزي بقوله : (وفي آخر مدة عمر وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل)[٥]. وقد ذكر البلاذري أن عمر وعثمان كانا (إذا وجدا الزيوف[٦] في بيت المال جعلاها فضة)[٧].

= البغليه نسبة إلى بغلى بلدة قريبة من الحلة بالعراق ، وهي أربعة دوانيق ،وقيل ثمانية دوانيق،ـ أحمد الشرباصي ،المرجع السابق ،ص ٥٣ ، ١٥٢ .

(١) الدراهم الطبريه :مضروبه في طبرستان ،قيل أنها أربعة دوانق وقيل ثمانية دوانيق ،ـ أحمد الشرباصي ،المرجع السابق ،ص ١٥٤ ، ٢٧١ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٣٣ .

(٣) الأحكام السلطانية ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٤) ابراهيم العدوي ، التاريخ الاسلامي ، ص ٢٤٣ .

(٥) المقريزي ، كتاب النقود ، ص ٣٨ .

(٦) الزيوف : هي المغشوشه .

(٧) المقريزي ، كتاب النقود ، ص ٢١ .

وقد أدخل عبد الملك بن مروان اصلاحات هامة في الدولة الاسلامية كان أهمها تعريب الدواوين ، وسك النقود الاسلامية .

أما تعريب الدواوين فقد شمل القراطيس التي كانت دولة الروم مازالت تستخدمها دون تغيير لشارة التثليث واسم المسيح على رؤوس الطوامير [1]،فقد كانت الدولة الأموية في صراع مستمر مع دولة الروم،وكان من نتائج هذا الصراع في عهد عبد الملك بن مروان قضية القراطيس ، وهو ورق تستورده بيزنطة من مصر وتدفع ثمنه دنانير بيزنطية ، وكان الأقباط في مصر هم الذين يصنعون هذه القراطيس يكتبون في أعلاها اسم المسيح ، ورأى عبد الملك أنه لا يجوز الاستمرار في هذه الكتابة في ظل الدولة الاسلامية وأمر أن تستبدل بعبارة «قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد» باعتبارها أنها لا تمس معتقدات النصارى،ولكن هذا التبديل أحدث ضجة في بيزنطة ،وكتب الامبراطور جستنيان الى عبد الملك مهددا بأنه اذا لم تعد القراطيس الى ما كانت عليه ، فسيرسل له دنانير منقوش عليها شتم النبي ، ولما كانت بيزنطة آنذاك هي الممول الرئيسي للدولة الاسلامية بالعملة المسكوكة ،فقد فم هذا التهديد عبد الملك واستشار خالد بن يزيد بن معاوية [2]بما يفعل فأشار عليه قائلا : (... يا أمير المؤمنين حرم دنانيرهم فلا يتعامل بها ، واضرب للناس سككا ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا في الطوامير ، فقال عبد الملك : فرجتها عني فرج الله عنك وضرب الدنانير) [3].

---

(١) ابراهيم العدوي،المرجع السابق ،ص ٢٤٤ .

(٢) ـ البلاذري ، فتوح البلدان ،ص ٢٤١ ،
ـ ابن الأثير : الكامل ،ج ٤ ، ص ٤١٧ .
ـ وقد طلب عبد الملك المشورة واهتمام المسلمين بالخطوة الأخيرة من التعريب ووضع الشكل النهائي للنقد العربي بمأثورات عربية صرفة من ضمنها آيات قرآنية .

(٣) ـ البلاذري ، فتوح البلدان ،ص ٢٤٢ ،
ـ نبيه عاقل ، المرجع السابق ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

ويعتقد أن هذا اجراء طبيعي لحركة التعريب التي شملت الدواوين، وتشير بعض المصادر والمراجع الى أسباب أخرى أدت الى قيام عبد الملك بن مروان بسك العملة الاسلامية ،وليس ثمة شك أن من بين هذه الأسباب موقف الامبراطور البيزنطي من أزمة القراطيس ، ولكنه ليس هو السبب الوحيد الذي دعاه الى ذلك ، فمن هذه الأسباب : ١ - أن الماوردي ذكر أن عمال زياد (بن أبيه) طالبوا أرباب الخراج بأداء الوافي وألزمهم الكسور،وجار عمال بني أمية الى أن ولي عبد الملك بن مروان ، فنظر بين الوزنين وقدر وزن الدراهم على نصف المثقال وخمس المثقال وترك المثقال على حاله [1].

٢ - كما بين المقريزي أن عبد الملك تخوف من نقص مال الزكاة بقوله : (وكان الذي دعا عبد الملك الى ذلك أنه نظر في أحوال الرعية وقال : "هذه الدراهم السوداء[2] الوافية ،والدراهم الطبرية العتق تبقى مع الدهر"، وقد جاء في الزكاة أن في كل مائتين ، وفي كل خمسة أواقي[3]خمسة دراهم ، وأشفق أن جعلها كلها على مثال السوداء العظام مائتين عددا يكون قد نقص من الزكاة ، وان عملها كلها على مثال الطبرية ويحمل المعنى على أنها اذا بلغت مائتين عددا وجبت الزكاة فيها كان فيه حيف وشطط على أرباب الأموال، فاتخذ منزلة بين منزلتين يجتمع فيها ،كمال الزكاة من غير بخس ،ولا اضرار بالناس ،مع موافقة ما سنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحده من ذلك، وكان الناس قبل عبد الملك يؤدون زكاة أموالهم شطرين من الكبار

---

(١) الأحكام السلطانية ، ص ٨١ .

(٢) الدراهم السوداء الوافية : وهي البغلية ، دراهم فارس ، الدرهم وزنه زنة المثقال الذهب ،
- المقريزي ، النقود الاسلامية ، ص ٢٨ .

(٣) أوقية : جمعها أواقي - اسم لأربعين درهما وهي من الذهب .

والصغار ، فلما اجتمعوا مع عبد الملك على ما عزم عليه ، عمد الى درهم واف فوزنه فاذا هو ثمانية دوانيق،والى الدرهم من الصغار فاذا هو أربعة دوانيق ، فجمعهما وجمل زيادة الأكبر على نقص الأصغر ، وجعلهما درهمين متساويين زنة كل منهما ستة دوانيق سوي ، واعتبر المثقال أيضا فاذا هو لم يبرح في آباد الدهور موفى محدودا كل عشرة دراهم زنة كل درهم منها ستة دوانيق فانها سبعة مثاقيل سوي . فأقر ذلك وأمضاه)[1].

٣ - ومنها أن ولايات الدولة - وخاصة مصر والشام - كانت تعاني من متاعب أخرى منها أن دولة الروم احتكرت الدينار البيزنطي وتحكمت في سعره ، اضافة الى ورود عملات فضية زائفة الى ديوان الخراج قللت من مقادير أموال جباية الخراج[2].

٤ - ومنها أن سوء العلاقات بين دولة الروم ودولة الخلافة الاسلامية الذي نشأ بسبب القراطيس ، قد أدى الى انقطاع التجارة بين الدولتين التي كان بها يتم التبادل بالأوراق والدنانير ، فكان ذلك دافعا آخر لعبد الملك في سك العملة الاسلامية ورغبته في تحقيق الاستقلال الاقتصادي للدولة[3].

٥ - ومنها أن سبب النزاع الذي وقع بين عبد ألملك وامبراطور البيزنطيين المعاصر (جستنيان الثاني) (٦٦ - ٦٧هـ / ٦٨٥ - ٦٩٥م) ، يتلخص في أن الهدنة بين الدولتين العربية والبيزنطية التي عقدت سنة ٦٧ هـ لمدة عشر سنوات تقضي بمهادنة الدولة البيزنطية للعرب على حدودها نظير

---

(١) المقريزي ، شذور العقود ، ضمن مجموعة وثائق ونصوص ، سلسلة رقم ١ ، نصوص تاريخية مختارة ،جمع وترتيب محمد زنيبر، الإسلام منذ الانطلاقة الأولى الى نهاية الدولة الأموية ، الرباط ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، ص ١٣٢ .
- والسوي : المستوي والمعتدل لا افراط فيه ولا تفريط .

(٢) ابراهيم العدوي ، المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

(٣) توفيق اليوزبكي ، دراسات في النظم العربية الاسلامية ، ص ١١٧ .

دفع اتاوة سنوية قدرها ألف دينار ذهب[1]، ولكن الهدنة نقضها العرب في السنة السادسة في حكم جستنيان الثاني أي في سنة ٧٣هـ/٦١٢م، لأن الاتاوة السنوية لم تدفع بسكة تحمل صورة الامبراطور البيزنطي، بل دفعت بسكة عليها صورة عبدالملك، ولم يكن من المسموح به أن تضرب السكة الذهب على غير أسلوب امبراطور الروم[2].

٦ - هناك اشارة أخرى الى أن سبب ضرب العملة الاسلامية الجديدة هو رغبة عبد الملك في اعادة حق ضرب النقود الى الخليفة، بعد أن ساهم في حق ضرب النقود كثير من الولاة والعمال الثائرين منذ أن قامت الحروب الأهلية عقب مقتل عثمان بن عفان[3]، ونذكر من هؤلاء الولاة زياد بن أبيه والي العراق من قبل معاوية الذي ضرب دراهم مماثله لدراهم معاوية، كما أن بعض الثوار والمطالبين بالخلافة فطنوا الى أهمية العملة لكونها مظهرا من مظاهر السلطان وسمة من سمات السيادة، فضربوا بأسمائهم عملات على غرار مافعله الخلفاء تعبيرا عن استقلالهم، ومن هؤلاء قطري بن الفجاءة الخارجي[4] وعبد الله بن الزبير وأخوه مصعب الذي ضرب الدراهم سنة ٧٠هـ، على ضرب الأكاسرة، وعليها "بركة"، وعليها "الله" وكانت دراهم قليلة كسرت[5] بعد، ويقال بأن عبد الله بن الزبير أول من ضرب الدراهم المستديرة وكانت الدراهم قبل ذلك

---

(١) - ذكر البلاذري (أن خيلا للروم خرجت الى جبل اللكام وعليها قائد من قوادهم ثم صارت الى لبنان وقد ضوت اليها جماعة كثيرة من الجراجمة وأنباط وعبيد أباق من عبيد المسلمين، فاضطر عبد الملك الى أن صالحهم على ألف دينار في كل جمعة، وصالح طاغية الروم على مال يؤديه اليه لشغله عن محاربته) وكان ذلك أثناء استعداد عبد الملك للشخوص الى العراق لمحاربة ابن الزبير.
- أنظر: فتوح البلدان، ص ١٦٤.

(٢) محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة الاسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٣) عبد الرحمن فهمي محمد، النقود العربية ماضيها وحاضرها، ص ٤٤.

(٤) - ذكر محمد أبو الفرج العش أن الدراهم التي ضربها قطري بن الفجاءة عليها مأثورة (لا حكم الا لله).
- النقود العربية الاسلامية مصدر وثائقي للتاريخ والفن، ص ٢٨٤.

(٥) كسر: الشيء هشمه وفرق بين أجزائه، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٨٧، ويقضي المعنى هنا أنها اما أتلفت أو صهرت وأعيد سكها.

ممسوحة غليظة فدورها عبد الله ونقش على أحد وجهي الدراهم "محمد رسول الله" وعلى الوجه الآخر "أمر الله بالوفاء والعدل"(١)، أما العملات التي وجدت قبل عبد الملك فقد كانت ممسوحة ، فلما جاء هو نقش عليها وأبقى على وزنها القديم،ويقول البلاذري في هذا الصدد : "رأيت الدنانير والدراهم قبل أن ينقشها عبد الملك ممسوحة وهي وزن الدنانير التي ضربها عبد الملك فيما بعد"(٢)،ولكنه عمل على ضبطها عن طريق الصنج الزجاجية العربية(٣) .

كما أشار محمد أبو الفرج العش أن هناك دينار مضروب على النمط المشرقي مضروب سنة ٢٧ هجرية محفوظ في متحف آشموليان في أكسفورد(٤).

وقد أشار محمد ضياء الدين الريس الى الأوضاع التي حلت بالدولة الاسلامية من جراء وجود العملات المغشوشة في الدولة الاسلامية وانقطاع التجارة بسبب سوء العلاقات مع دولة الروم بأنها (أدت الى نتائج اقتصادية خطيرة وضارة ، منها هبوط قيمة العملة وارتفاع أسعار الحاجيات وزوال الثقة المالية ، ومن أهمها الغبن الذي يقع على الدولة في استيفاء حقوقها من الضرائب ، فيؤدي ذلك الى نقص كمية الخراج)،ويضيف قائلا : (لكل هذه الأسباب ولأن ما كان يمكن أو يصح أن تظل الدولة ، بل امبراطورية كبيرة كالدولة العربية الاسلامية معتمدة في تعاملها التجاري أو الاقتصادي العام على نقود أجنبية ، فكان لابد من اتخاذ اجراءات لاصلاح هذا الوضع المالي الجامد الذي صار غير طبيعي،وأيضا لكي تستكمل الدولة شخصيتها أو مقوماتها الاقتصادية،وتحقق سيادتها أو استقلالها المادي)،ثم أضاف : (قرر عبد الملك اذن أن يحقق

---

(١) – المقريزي ،النقود الاسلامية ، ص ٤٠ ،
– حسان على حلاق ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .
(٢) كتاب النقود ، ص ١٨ .
(٣) حسان علي حلاق ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .
(٤) النقود العربية الاسلامية مصدر وثائقي للتاريخ والفن ، عن المؤتمر الاسلامي الأول ، ص ٢٧٧ .

للدولة استقلالها المالي ، ويجري الإصلاح الذي يزيل المفاسد الاقتصادية ،ويضمن سلامة العملة ، ويوفر الشروط اللازمة للنمو الاقتصادي ، وانتشار الرخاء ، وبذلك قرر إصدار العملة العربية)[1].

ويذكر محمد أبو الفرج العش وصف النقود العربية الأموية بقوله : (لم يبق من أثر قديم في الدينار العربي الأموي إلا قياسه ووزنه ، فقد احتفظ بهما تقريبا ، فكان قطر الدينار بين ١٨ ، ٢١ مم ،وكان وزنه ٢٠ر٤ — ٣٠ر٤ غ وهو أقل من وزن الدينار العربي المضروب حسب النمط البيزنطي ، وكان ذلك ضروريا من أجل إيجاد نسبة عادلة بين الدينار الذهبي والدرهم الفضي وزنا وقيمة . وأقدم دينار عربي ضرب في آخر سنة ٧٧هـ[2]وهو يحمل المأثورات التالية :

الظهر	الوجه
الله أحد الله	لا اله الا
الصمد لم يلد	الله وحده
ولم يولد	لا شريك له
بسم الله ضرب هذا	محمد رسول الله أرسله بالهدى
الدنير في سنة .....[3]	ودين الحق ليظهره على الدين كله .

---

(١) عبد الملك بن مروان ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٢) يستدل محمد أبو الفرج العش على ذلك بذكر ملاحظة في الحاشية بقوله : (لأنه لا يوجد دنانير مضروبة سنة ٧٧ هجرية حسب النمط البيزنطي ، والدنانير العربية الخالصة المضروبة في تلك السنة لا تزال نادرة ،يوجد منها في العالم حوالي عشر قطع) .

(٣) أغفل محمد أبو الفرج العش هنا ذكر تاريخ الضرب ، وربما لأنه ذكره سابقا بأنه سنة ٧٧ هـ . وتوضح الصوره التي نوردها في الملحق أن ذكر التاريخ موجود على النقد .

يحيط بالمدار في كل سنة من الوجه والظهر طوق دائري لا يظهر في أكثر الأحيان منه إلا جزء بسيط ، أو لا يبدو منه أي جزء ، أما قطر الدينار بين ١٨، ٢١ مم ووزنه بين ٢٠ر٤ - ٣٠ر٤ غ وهو أقل من وزن الدينار العربي المضروب على النمط البيزنطي . أما نصف الدينار : فيتراوح وزنه بين ٠٦ر٢ غ ، ١٢ر٢ غ ، تختلف مأثورة الوسط في الظهر عن تلك المرقومة على الدينار فهي "بسم اللّه - الرحمن - الرحيم" كل منها في سطر ، وقد كتب "النصف" عوضا عن "الدينر" ، وحذف "لا شريك له" من مأثورة التوحيد ، أما ثلث الدينار : يتراوح وزنه بين ٣٩ر١ - ٥٠ر١ غ ، والمأثورة نفسها ولكن "الثلث" عوضا عن "النصف" وحذفت كلمة "وحده" بعد كلمة التوحيد، ويلاحظ أن مكان الضرب لم يظهر على الدنانير العربية على الأكثر ، وهذا يعني أن الدنانير كانت تضرب بدمشق(١) .

وتدل دراسة مؤرخي علم النميات على أن سك العملة الذهبية في عهد عبد الملك بن مروان قد تدرج إلى عدة مراحل قبل إصداره للنقد العربي الإسلامي الخالص ، حيث كانت العملة الذهبية المتعامل بها هي السوليدوس Solidus البيزنطي الأصل حيث كانت النقود البيزنطية المتداولة قبل الإسلام هي نقود (فوكاس) (٦٠٢ - ٦١٠م) ونقود (هيراكليوس) (٦١٠-٦٤١م) ، وهذه مراحل تقليد نقد فوكاس الذهبي :

(١)- الوجه : مثل علية صورة نصفية للقيصر يعلو رأسه صليب ويحمل بيده اليمنى كرة يعلوها صليب ، وقد كتب عليه في المدار اسمه ودعاء بالبقاء .

---

(١) محمد أبو الفرج العش ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

– الظهر : مثل على السوليدوس شعار النصر تمسك بيمناها رمحا في ذروته الشارة المقدسة P وبيسراها كرة يعلوها صليب ، كتب في الفراغ الأيسر Victoria وفي الفراغ الأيمن AVCC والسمة وكتب تحت النصر مكان الضرب CONOB وهي مؤلفة من CON وتعني القسطنطينية و OB وتعني Obrizium أي الابريز = الذهب ، ولا يدري على وجه الضبط متى تم تقليد سوليدوس فوكاس ، لم يغير الساك أي شيء من المعالم الرئيسية للسوليدوس ، وإنما مسح عارضة الصليب ليبطل معناه الديني، وجعل في ذروة القسم القائم منه كرة صغيرة جدا .

(٢) الخطوة الثانية في التقليد استهدفت تقليد سوليدوس هيراكليوس وابنه وهذا وصفه :

– الوجه : مثل عليه صورة نصفية لكل من هيراكليوس وابنه ، وقد علا رأس كل منهما صليب واطي يبدو كأنه زهرة ثلاثية Trefle ، وبدأ في الفراغ بينهما صليب . كتب في المدار اسم القيصر وابنه مع الدعاء بالبقاء .

– الظهر : بدأ في الوسط الصليب البيزنطي المرفوع على قاعدة أربع درجات كتب في أسفلها Conob وفي المدار مأثور النصر ، احتفظ العرب أيضا بجميع مظاهر السوليدوس ، لكنهم حذفوا جناحي الصليب من فوق رأس القيصر وابنه ، ومسحوا الصليب بينهما ، واستغنوا عن قيمة الصليب البيزنطي في الظهر ، حيث بقيت العارضة فقط بحيث زال المعنى الديني له .

(٣) جاءت الخطوة الثالثة بتقليد سوليدوس هيراكليوس وولديه وهذا وصف الدينار الأصيل :

- الوجـــه : مثل هيراكليوس وولداه واقفين على رأس كل منهم صليـــب ، وباليد اليمنى في كل كرة يعلوها صليب ، ولا يوجد في المدار .
- الظهـر : الصليب البيزنطي في الوسط على أربع درجات وتحتـه Conob ، وفي المدار مأثورة النصر ، وفي الفراغ الأيسر من الصليب الشارة المقدسـة (ħ) .

في الدينـار المقلد حذفت عارضة الصلبان من الوجه ، وأزيلت قمـة الصليب البيزنطي من الظهر ، وحذفت الشارة المقدسة من الفراغ الأيسر ، ووضـــع عوضا عنهـا I وفي الفراغ الأيمن B ، أما مأثورة الضرب فقد بدت ناقصة ONOB (C) .

(٤) أما الخطوة الرابعة فقد كانت جريئة استهدفت تعديلا مهما وتعريبـــا لسوليدوس هيراكليوس وولديه : في الوجه رسم الأشخاص محور ومبســط ، وفي الظهر حذفت عارضة الصليب واستبدل بها كرة صغيرة ، وكتب بالعربية في المدار باتجاه حركة عقرب الساعـة :

بسم اللّه لا إله إلا اللّه وحده محمد رسـول اللّـــه .

وكتب إلى يسار الصليب المحـور B وإلى اليميـن I .

(٥) أتت الخطوة الخامسة وكانت تعريبـا واضحا في عهد عبد الملك بن مـــروان سنة ٧٤ هـ — ٦٩٦ م وهذا وصف الدينـار الجديـد :

- الوجـــه : مثل شخص عبد الملك واقفا متقلدا سيفا ، مرتديا ملابـــس مزركشة ، وكتب في المدار حوله حسب حركة عقرب الساعة :

" بسم اللّه لا إله إلا اللّه وحده محمد رسـول اللّـــه " .

- الظهـــر : بدأ في الوسط الصليب البيزنطي المحور ، وكتب حوله حسب اتجاه حركة عقرب الساعة : "بسم اللّه ضرب هذا الدينر سنة أربع وسبعيـــن" .

هذا الدينـار لا يزال فريدا في العالم ، وقد ضرب على نمطه دنانير فـــي السنوات ٧٥،٧٦،٧٧ هـ ، هذا كما حدث تغيـر في النقد العربي الساسانـــي

المؤرخ سنة ٧٥ هجريه ومر بحلقات التطور من الساساني إلى العربي في نفس الفترة وهو يحمل شخص عبد الملك متقلدا سيفا(١).

هذا وقد استغرق هذا الإصلاح المالي أربع سنوات منذ سنة ٧٣ هـ وهو فسخ المعاهدة البيزنطية العربية وتمت أهدافها بتعريب النقود تماما سنة ٧٧هـ(٢)، ولما صدرت العملة الإسلامية وكثرت ، أمر عبد الملك بمنع التعامل بالنقود الأجنبية الرومية والفارسية وغيرها(٣). كما أمر عبد الملك بن مروان أن تسحب من التداول جميع الدنانير المضروبة قبله عن طريق بيت مال المسلمين ليعاد سكها على الطراز العربي(٤).

---

(١) محمد أبو الفرج العش ، المرجع السابق ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .
- وقد ذكر ناصر النقشبندي عن موضوع التصوير على الدراهم قوله :(لم ينقش الخلفاء تصاويرهم على الدراهم المضروبة على الطراز الساساني بل نقشوا تصاوير الأكاسرة كما يشاهد على الدراهم ماعدا درهم موسكو رقم Zub - 1 المضروب سنة ٧٥ هـ ففي وجه منه تصوير كسرى الثاني حسب المعتاد، وفي الوجه الثاني تصوير عبد الملك بن مروان نقش محل كانون النار والموبذان ، وهو نادر جدا ، أما الدراهم المضروبه على الطراز الإسلامي فلم ينقش عليها تصوير ما) .
- الدرهم الإسلامي المضروب على الطراز الساساني ، ج ١ ، ص ٩ .
- وأنظر أيضا تطوير سك العملة الفضيه المضروبة على الطراز الساساني ، المرجع نفسه ، ص ٢٣ .

(٢) عبد الرحمن فهمي ، النقود العربية ماضيها وحاضرها، ص ٤٣ .

(٣) محمد ضياء الدين الريس ، عبد الملك بن مروان ، ص ٢٢٣ .

(٤) حسن محمود الشافعي ، العملة وتاريخها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص ٨٧ .

ومن الجدير بالذكر أن النقود الذهبية بعد التعريب لم يسمح الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بضربها في غير مصر وسورية فانحصر إنتاج الدنانير العربية في دار السك بدمشق والفسطاط[١].

أما الدراهم الفضية فقد ذكر عبد الرحمن فهمي أن أقدم الدراهم الأموية العربية ترجع إلى سنة ٧٩ هـ ضرب دمشق والكوفة ، وإلى سنة ٨٤ هـ ضرب واسط[٢]. على أن محمد أبو الفرج العش يوافينا بذكر درهم عربي خالص بقوله : (كان يظن أن أقدم درهم عربي خالص ضرب سنة ٧٩ هـ من دون ذكر مكان الضرب وهو فريد حتى الآن في العالم - إلا أنه ظهر درهم عربي خالص ضرب في البصرة سنة ٤٠هـ"نشره لافوا" أي في عهد علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وهذا وقت مبكر جدا ظهر فيه هذا الدرهم الفريد ، وقد ناقش هذا الأمر "ووكر" وأراد أن يثبت أن كتابة التاريخ مغلوطة على هذا الدرهم ، وأنه كان يجب أن يكتب النقاش "أربع وتسعين" فكتب "أربعين") [٣].

---

(١) عبد الرحمن فهمي ، المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٧ .

(٣) - يذكر محمد أبو الفرج العش ، المرجع السابق ، ص ٢٧٧ بأن (ووكر) نشر هذا الدرهم في كتابه الثاني (يقصد به (Some New Arab Sassanian Coins) ص ١٠٤ وهو محفوظ في دار الكتب المصريه بالقاهرة ،وكان نشره لين بول في كتابه الخاص بمجموعة المكتبة الخديوية تحت الرقم ٦٦ .

- هذا التعارض الذي ظهر بين العمله الفضية المسكوكة سنة ٧٩هـ والتي ذكرها عبد الرحمن فهمي بأنها مسكوكة في دمشق والكوفة وبين ماذكره محمد أبو الفرج العش بأنه يوجد درهم مضروب سنة ٧٩ هـ ولا يوجد عليه ذكر مكان الضرب يظهر الفرق بينهما أن ماذكره أبو الفرج العش درهم عربي خالص وهو فريد في العالم ، أما ماذكره عبد الرحمن فهمي فهو عن أقدم الدراهم الفضية بعد إصلاح عبد الملك للنقد ويقول بأنه وصل إلينا الكثير منها ،- انظر المرجع نفسه ، ص ٤٧ .

وقد بعث عبد الملك بن مروان بعد أن أصدر النقد الذهبي الإسلامي الخالص ، بعث إلى الحجاج بن يوسف الثقفي - والي العراق - وأمره بسك الدراهم على نفس النظام الذي تم به سك النقود الذهبية ، وما أن فرغ الحجاج من ضربه للدراهم حتى بعث بذلك إلى سائر الولايات الإسلامية لتضرب بها تلك الدراهم ، كما كتب إلى عماله بالأمصار يأمرهم بأن يقروا الناس على التعامل بالسكة الجديدة ، وأن يهددوا بالقتل كل من تعامل بغيرها [١] . غير أن البلاذري ذكر أن عبد الملك بن مروان آخذ رجلا يضرب على غير سكة المسلمين فأراد قطع يده ثم ترك ذلك وعاقبه [٢] .

والجدير بالذكر أن الروم بعد ذلك كانوا يميلون إلى التعامل بالدينار العربي حيث كان يزيد بنسبة ٢٪ ذهبا عن الدينار البيزنطي ، فقد كان وزن الدينار الدمشقي [٣] الذي ضربه عبد الملك ٤ر٢٥ جراما ،٦٦ حبة ، أما وزن الدينار البيزنطي فكان ٤ر٢٣ جراما [٤] .

---

(١) توفيق اليوزبكي ،دراسات في النظم العربية الإسلامية ، ص ١١٧ .
- وقد ذكر البلاذري ، فتوح البلدان ،ص ٤٥٣ أن الحجاج أمر بضربها في جميع النواحي سنة ست وسبعين .

(٢) البلاذري ،كتاب النقود،ضمن مجموعة رسائل في النقود العربية والإسلامية وعلم النميات لأنستاس الكرملي ، ص ٢٢ .

(٣) الدينار الدمشقي : جعل عبد الملك بن مروان وزن الدينار اثنين وعشرين قيراطا إلا حبه بالشامي (وهي التي عليها صورة عبد الملك) .
- أنظر : المقريزي ،شذور العقود،ضمن مجموعة وثائق ونصوص سلسلة رقم ١ ،نصوص تاريخية مختاره ،محمد زنبير ، المرجع السابق ، ص ١٣١ .
- أما الدنانير الميالة : فهي التي ضربها عبد الملك بن مروان على المثقال الشامي وهي الوازنه المائة دينارين وسميت الميالة لأنها فيها شيئا من الميل إلى الرجحان ، ويراد بها أنها تامه ،
- أحمد الشرباصي ، المرجع السابق ، ص ١٧٢ ،
- أنظر أيضا المقريزي ،شذور العقود،ضمن مجموعة نصوص تاريخية لمحمد زنبير ، ص ١٣٦ .

(٤) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٥٨ .

هذا إضافة إلى أن الأمويين قد خرجوا بإبداع جديد في النقد العربي الإسلامي وهو إثبات التاريخ الهجري المتسلسل على العملات الذهبية بصفة خاصة، فقد كانت بعض العملات النحاسية لا تحمل تاريخ إصدارها ، إلا أن الدنانير والدراهم في العصر الأموي قد أثبت عليها تاريخ الضرب عقب إصلاح النقد العربي الإسلامي من قبل عبد الملك ، وتلاه ذلك في العهود التالية ، حيث كان المتعارف عليه سابقا أن يصدر النقد البيزنطي أو الساساني يحمل تاريخا يبدأ من أول حكم كل ملك وليس تاريخا تقويميا ، فاذا أردنا أن نحدد تاريخ النقد وجب مقارنته بسلسلة تعاقب الملوك استنادا إلى التقويم الميلادي لنعرف على وجه الدقة تاريخ النقد . لهذا نعتبر النقود العربية الإسلامية من هذه الزاوية أفضل من جميع النقود المعاصرة والسابقة ، إضافة إلى أن النقود حملت في أول انشائها قبل التعريب اسم الخليفة أو الوالي بالفهلوية أو العربية (تتمثل في الدراهم) ولكن عندما أصبحت النقود عربية خالصة خلت الدنانير والدراهم من اسم الخليفة في العهد الأموي(١).

---

(١) محمد أبو الفرج العش ، المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

مناقشة الصورة على نقود عبد الملك بن مروان :

أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن بعده الخلفاء الراشدين الدراهم الفارسية والدنانير البيزنطية ، وتعامل بها المسلمون ، وكانت تحمل صور ملوك الفرس والروم (١) ، بل أن الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ضرب الدراهم على النقش الفارسي ، وكانت تحمل صورة كسرى ملك الفرس ، الا أنه زاد عليها بعض العبارات الاسلامية مثل "الحمد لله" ، أو "محمد رسول الله" ، أو عبارة التوحيد "لا اله الا الله وحده" ، وتعاقب الخلفاء الراشدون من بعده وضربوا الدراهم وتغيير العبارات مع الابقاء على الشارات الفارسية (٢) ، الا أننا لم نجد ما يشير الى كراهية المسلمين لهذه النقود .

وفي أوائل عهد الدولة الأموية تعامل المسلمون بدراهم ضربت في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وأخرى ضربت خلال ثورة عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب (٣) ، ولم نجد أيضا اعتراضات على سكها أو نقشها ، الى أن ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم الاسلامية ، وكتب عليها بعض العبارات الاسلامية ونقش عليها صورته ، فأنكرها صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لوجود الصورة المحدثة بها (٤) .

وكان عبد الملك بن مروان حين ضرب الدنانير الاسلامية في بادئ الأمر أراد أن يتعامل المسلمون بدنانير سليمة من الغش والنقصان (٥) ، وكان ذلك سنة ٧٤ هـ عقب فترة الفتن الداخلية ومقتل عبد الله ومصعب ابنا الزبير (٦) ،

---

(١) البلاذري ، كتاب النقود ، ص ١٦ .
(٢) المقريزي ، النقود الاسلامية ، ص ٣٨ .
(٣) المقريزي ، المصدر السابق ، ص ٣٩ ، ٤٠ .
(٤) المقريزي ، المصدر نفسه ، ص ٤١ .
(٥) البلاذري ، كتاب النقود ، ص ١٥ .
(٦) المقريزي ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

وكان ذلك من غير أن تزال الصورة ، بل تم نقش صورته بدلا من صورة الامبراطور البيزنطي ، مع بعض التحوير للشارات المسيحية [(١)]، ثم أعبقها اصلاحات الدراهم وضربها سنة ٧٥ هـ[(٢)]، حيث وجد درهم نادر في متحف موسكو يحمل رقم (ZUB - 1) ، وبه صورة كسرى ، والوجه الثاني عليه صورة عبد الملك بن مروان[(٣)]. الا أن هذه النقود حين وصلت الى مدينة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبها بعض صحابته أنكروا التعامل بها لوجود الصورة عليها[(٤)]، وذلك لكراهية المسلمين للتصوير .

ويبدو أن عبد الملك بن مروان قد أراد القيام باصلاحات جذرية في الدولة الاسلامية ، بعد انتهائه من ثورة ابن الزبير سنة ٧٣ هـ[(٥)]، وكان قد هادن الروم سنة ٧٠ هـ حين صالح ملكها على أن يدفع له في كل جمعة ألف دينار[(٦)]، فكانت تلك الفترة بمثابة كمون لعبد الملك الى أن يتفرغ من مشكلاته الداخلية والخارجية ويبدأ الاصلاحات ، فكانت منها سياسته في ضبط وزن الدنانير والدراهم ، وكتابة عبارات التوحيد عليها ، كما أنه أحدث ذلك أيضا في كتابة الرسائل والتي كانت ترد أوراقها من مصر مكتوب عليها عبارات مسيحية ، فغيرها وكتب عليها "قل هو الله أحد" ، فكان من جراء ذلك أن جاء تهديد ملك الروم اليه بطلب ازالة عبارة التوحيد أو أنهم يضربون دنانير عليها شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٧)] ،

---

(١) حسن محمود الشافعي ، المرجع السابق ، ص ٨٦ .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٥٣ .
(٣) ناصر النقشبندي ، الدرهم الاسلامي ، ج ١ ، ص ٩ .
(٤) المقريزي ، المصدر السابق ، ص ٤١ .
(٥) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٨٧ .
(٦) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٥٠ .
(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٤١ .

وكان هذا لعلمهم أن المسلمين ليس لديهم نقد ذهبي سوى الدينار البيزنطي فكانت مشاورة عبد الملك للمسلمين ، واشارتهم عليه بسك النقود الاسلامية ، فضربت النقود الأولى ، وكانت تحمل صورة عبد الملك وهي التي كرهها صحابة الرسول لاحداث الصورة بها ، فما كان من عبد الملك الا أن ضرب النقود الاسلامية الخالصة من أي رموز أو اشارات غير اسلامية وكتب عليها عبارة التوحيد وذلك سنة ٧٦ هـ(١).

وتجدر الاشارة الى أن المسلمين في أوائل عهدهم اضطروا الى التعامل بالنقد الفارسي والبيزنطي ، وكان ذلك لضرورة التعامل بها في أعمال البيع والتجارة وتحصيل الزكاة وجباية الأموال لعدم وجود نقد خاص بهم في ذلك الوقت ، وحينما سنحت الفرصة للدولة الاسلامية في عهد الأمويين ، وبعد استقرار أوضاع الدولة وارادتها الاستقلال بكيانها وتعاملاتها التجارية ، أصدرت سكة اسلامية خاصة بها .

---

(١) - الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٢٥٦ ،
- البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٤١ .

ب - اصلاحات عمر بن عبد العزيز المالية :

رد المظالم :

أوجزت المصادر الاسلامية اصلاح عمر بن عبد العزيز للأحوال المالية بوصفها رد المظالم ، فقال الماوردي : (كان عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، أول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها ، وراعى السنن العادلة وأعادها ، ورد مظالم بني أمية على أهلها)(١). وقال اليعقوبي المعروف بتشيعه : (ونكث عمر أعمال أهل بيته وسماها مظالم)(٢). كما أورد ابن الجوزي قول عمر بن عبد العزيز وهو يرد الأموال والعطايا التي تعطى عادة للخليفة حين يتولى الخلافة : (اني قد رأيت ذلك ليس عليّ فيه دون الله محاسب ، واني قد بدأت بنفسي وأهل بيتي)(٣).

ورد المظالم قد تمثلت في انجاز عمر بن عبد العزيز هذا في عملين هما في الواقع عمل واحد متكامل ، فهو قد انتزع الأرض والمال والثروة وكل المقتنيات التي كانت في صدر الاسلام ملكا لبيت مال المسلمين وكانت تمثل الثروة الأساسية للمجتمع والأمة ، انتزعها من حيازة الذين حازوها وملكوها وردها مرة أخرى الى بيت مال المسلمين ، كي تعود مرة أخرى ملكا للأمة جمعاء ، وخلال هذه العملية عالج المظالم الفردية ، فأخضعها لنفس القانون(٤).

وسبق أن ذكرت أن أرض الصوافي والقطائع قد نفذت من كثرة المنح والعطايا التي وهبها خلفاء بني أمية الى أهليهم وخواصهم ، ثم أتبع ذلك التصرف في

---

(١) الأحكام السلطانية ، ص ٧٨ .
(٢) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ .
(٣) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص ١٢٧ .
(٤) محمد عماره ، عمر بن عبد العزيز ، خامس الخلفاء الراشدين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م ، ص ٥٧ .

بيع الأراضي الخراجية [١]. وعندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، كانت كثير من هذه الأراضي قد أصبحت في حيازة الأفراد ، فكان على عمر أن يرد الحقوق إلى أصحابها ، فكان أول عمل قام به أن "رد المظالم" من نفسه ، ثم من أهل بيته .

رد مايخص الخليفة وبني أمية إلى بيت المال :

وكان أول مابدأ به بعد دفن سليمان بن عبد الملك ، أن أتي إليه بمراكب الخلافة ليركبها ويدخل القصر في موكب الخلافة إلا أنه طلب تنحيتها عنه ، وركب دابته [٢].

وبدأ عمر يتخلص من مظاهر السلطان وأبهة الخلافة التي اعتادها خلفاء بني أمية ، وحينما أتاه أصحاب المراكب يسألونه العلوفة ورزق خدمها قال : وكم هي ؟ ، قالوا : هي كذا وكذا ، قال : ابعث بها إلى أمصار الشام يبيعونها فيمن يزيد ، واجعل أثمانها في مال الله عز وجل ، تكفيني بلغتي هذه الشهباء . وجاءه صاحب الرقيق يسأل أرزاقهم وكسوتهم ومايصلحهم فقال عمر : كم هم ؟ ، قال : هم كذا وكذا ألفا ، فكتب إلى أمصار الشام أن ارفعوا إلي كل أعمى في الديوان ، أو مقعد أو من به فالج ، أو من به زمانة تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة ، فرفعوا إليه فأمر لكل أعمى بقائد، وأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم،وفضل من الرقيق ، فكتب أن ارفعوا إلي كل يتيم،ومن لا أحد له ممن قد جرى على والده الديوان،فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بينهم بالسوية [٣].

---

(١) انظر في ذلك الفصل الثاني عن أنواع الأراضي في بلاد الشام في العصر الأموي.

(٢) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ،عالم الكتب ،بيروت،المتنبي، القاهرة ،سعد الدين ، دمشق ، ص ١٣٩ .

(٣) ابن الجوزي ، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص ١٨٣ .

ولما دخل عمر بن عبد العزيز قصر الخلافة أمر بالستور فهتكت ، وبالبسط فرفعت ، وأمر ببيعها وادخال أثمانها في بيت مال المسلمين ، كما أمر بضم كل ملابس وعطور الخليفة سليمان الى بيت المال ، وكسر بذلك عادة الخلفاء الأمويين من توارث ملابس وأطياب الخليفة (١).

ثم بدأ عمر بن عبد العزيز برد مابيده هو وأهل بيته ، فكان يمتلك عبيدا وثيابا وعطورا ومقتنيات تزيد عن حاجته ، فجمعها وأمر بها فبيعت بثلاثة وعشرين ألف دينار أودعها بيت المال لتنفق على أبناء السبيل(٢) ، كما قام برد القطائع التي في يده وقال لمولاه مزاحم : "ان أهلي أقطعوني مالم يكن لي أن آخذه ، ولا لهم أن يعطونيه" . وكان مما رده أرض فدك، فقد جمع قريشا وأعيان الناس ، وقال : "ان فدك كانت مما أفاء الله على رسوله ، فسألته فاطمة أن يهبها لها فأبي ، فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل ، ثم ولي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ،فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله ، ثم وليها معاوية فأقطعها مروان بن الحكم ، فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك ، فصارت لي وللوليد وسليمان ، فلما ولي الوليد سألته حصته منها فوهبها لي ، وسألت سليمان حصته منها ، فوهبها لي ،فاستجمعتها وما كان لي من مال أحب الي منها ،فاشهدوا أني قد رددتها الى ما كانت عليه . والذي وقع أنه اعتبر فدك من الأموال العامة لا الخاصة ،كما كانت على زمن رسول الله ، والخلفاء الراشدين(٣). كما أعاد الى بيت المال كل ما كان لديه من القطائع والأموال بالرغم من معارضة ابنه عبد الملك ، فأحرق

---

(١) - الدميري ، حياة الحيوان ، ص ٦٩ ،
- أنظر : ماجدة فيصل زكريا ، عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، ص ١١٦ .

(٢) - ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ، ص ٢٥٤ ،
- محمد عماره ، المرجع السابق ، ص ٦٧.

(٣) صبحي الصالح ، المرجع السابق ،ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

سجلات مزارعه حتى لم يبق الا مزرعتا خيبر والسويداء ، فسأل عن خيبر كيف صارت اليه ، فقيل أنها كانت للرسول ثم أصبحت فيئا للمسلمين ، ثم صارت الى مروان الذي أقطعها لأبيه ثم أعطاها أبوه له ، فحرق عمر سجلها أيضا وتركها حيث تركها الرسول ، صلى الله عليه وسلم(١).

ثم اتجه عمر بعد ذلك الى مال زوجته فاطمة بنت عبد الملك وأخذ ما عندها من جواهر فأودعها بيت المال ، وبلغ من شدة حرصه على الأموال العامة أن رد فص خاتم كان في يده أعطاه له الوليد من غير حق ، وخرج من جميع ما كان فيه من النعم والمجلس والمأكل والمتاع(٢).

ولم يقتصر رده الأموال على ما كان في يده أو ما يرثه الخليفة الجديد من الخليفة السابق في بني أمية ، وانما بدأ برد أموال المسلمين اليهم مما كان في أيدي قرابته من بني أمية وأهل بيته وسمى أعمالهم المظالم(٣). فقد رد أموال وأملاك جمعت بمختلف الأساليب والطرق،وجرد بني أمية منها ومزق مستنداتها وضياع وقطائع جمعت كلها على شكل ممتلكات ثابتة ونقود سائلة

---

(١) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٥٢ .

(٢) _ ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ ،
_ فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٣) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ص ١٣٣ ،
_ أنظر : الأصفهاني ، كتاب الأغاني ،ج ٨ ، ص ١٥٢ :
حيث فزع بنو أمية الى عمتهم فاطمة بنت مروان لتنجدهم مما يفعله عمر بن عبد العزيز ، ولكنها لم تفلح في اثنائه عن عزمه في رد الأموال والأملاك الى بيت مال المسلمين فعادت اليهم لتقول لهم : (ذوقوا مغبة أمركم في تزويجكم آل عمر بن الخطاب) .

بلغت في تقدير عمر شطرا كبيرا من أموال الأمة جاوزت النصف[١] .

الخراج والأرض :

ان عمر لم يكتف برد الأموال والمنقولات الى بيت مال المسلمين ، وانما اهتم بأمر أهم من ذلك كله ألا وهو الأراضي التي كانت في أيدي بني أمية ، تلك التي حرص عمر بن الخطاب أيام الفتوح الاسلامية أن لا تقسم وتملك للفاتحين ، وانما وضع لها ذلك النظام الثابت الذي يقضي بأن تبقى الأرض في أيدي أصحابها من أهل الذمة ، ويدفعون عنها الخراج كما يدفعون عن رؤوسهم الجزية ، فان أسلموا رفعت عن رؤوسهم الجزية وبقيت ضريبة الخراج سارية الدفع .

على أن خلفاء بني أمية الأول استوهبوا أراضي الصوافي الى أهلهم وخاصتهم ، فلما وصل الأمر الى عبد الملك ولم يجد أرضا في دمشق يمكنه أن يهبها ، نظر الى الأراضي الخراجية التي لم يكن لها وارثا فأقطعهم منها ، ورفع ما كان عليها من الخراج ، ولم يحمل خراجها الى أحد من أهل القرى ، وجعلها أرض عشر ، ولم يزل يفعل ذلك حتى لم يبق من تلك الأراضي شيئا ، أما أراضي قرى دمشق التي بأيدي أهل الذمة ، فان كلا من عبد الملك والوليد وسليمان رفض أن يقطعها لعرب دمشق وآذنوا لهم في شراء الأراضي الخراجية ، وجعلوها لمن اشتراها أرض عشر يبيعونها ويتوارثونها[٢] .

---

(١) - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ ،
- عماد الدين خليل ، ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م ، ص ١١٦ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٧٩ .

ولكي نتفهم حقيقة المشكلة في هذه الظاهرة يجب أن نصور الوضع المالي والاقتصادي للأرض كما استقر عليه التشريع الاسلامي بالنسبة لها، والذي ورثته الدولة الأموية عن دولة الرسول، صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين، فقد كانت هناك ملكيات معينة للأرض تظهر في نوعين أساسيين :-

أولهما : الأرض الخراجية : منها : (أ) أرض "أجرة" (١) وهي أرض ملكيتها عامة، وهي ماعرفت بأرض الفيء "عنوة أو صلحا" فلا يجوز فيها التصرف بالبيع أو الشراء، وقد تركت في يد حائزيها السابقين نظير دفع الخراج، ودفع الجزية على رقابهم ما أقاموا على شركهم، ومنها : (ب) أرض خراجية "جزية" تكون ملكية فردية خاصة لحائزيها مع دفع خراج عنها، فهي ليست من أرض الفيء ويجوز فيها البيع والشراء وهذا الخراج يعد بمثابة جزية يسقط باسلامهم (٢).

ثانيهما : الأرض العشرية : وهي جميعا ملكية خاصة للمسلمين يدفع عن ثمرها العشر زكاة ويجوز فيها البيع والشراء . ولم تنشأ المشكلة عن النوعين الآخيرين، وهما - أرض الخراج (الجزية) أو الأرض العشرية - وانما نشأت المشكلة من عدم التفريق بين نوعي الملكية مابين أرض الخراج "الأجرة" وأرض الخراج "الجزية"، فأقبل العرب على شراء الأرض الخراجية "الأجرة" بعد أن أذن الخلفاء عبد الملك بن مروان ثم الوليد وسليمان للعرب بالشراء من هذه الأراضي، فترتب على ذلك أثران بالغان في الوضع الاقتصادي والمالي لهذه الأرض وهما :

---

(١) الأجرة : الأجر . عوض العمل والانتفاع، وأجر الشيء : أكراه، والاجارة : الأجر على العمل .

(٢) محمد أمين صالح، المرجع السابق، ص ٩٣ - ٩٤ .

١ - تغير أساسي في أصل الملكية من ملكية عامة الى ملكية خاصة فردية ، وانتقال نوعيتها من أرض خراجية الى أرض عشرية .

٢ - سقوط الخراج عن هذه الأرض ، وظهور عجز في مالية الدولة العامة لأن المسلم لا يدفع خراجا وانما يدفع العشر(١).

ويبدو أن هذا الاجراء قد سرى العمل به ليس في دمشق وقراها ، وانما عم أرض الشام وتعداها الى الولايات الاسلامية ، ولما أعاد عمر بن عبد العزيز القطائع الى أهلها من أيدي بني أمية وأهل بيتهم وخواصهم ، فانه كان له فقه ودراية بالأمور الشرعية وأحكامها ، فهذه الأرض التي سمح خلفاء بني أمية بتمليكها للمسلمين ، ونزعها من أهل الذمة ، لم تكن أصلا ملكا لهم ، فقد اعترض عمر على بيعها واقطاعها بقوله : انها أرض المسلمين دفعت الى أهل الذمة على أن يأكلوا منها ، ويؤدون عنها خراجها وليس لهم بيعها(٢). وبذلك فقد أكد عمر بن عبد العزيز أن الأرض الخراجية ملك للأمة ووقف عليها ، وأن الخراج هو ايجار للأرض الخراجية يدفعه كل من يزرعها سواء كان ذميا أو مسلما ، عربيا أو مولى ، الا أنه لم يرجع أو لم يستطع الرجوع الى الأرض التي سبق أن تملكها العرب ، ثم منع المسلمين من تملك الأراضي الخراجية اعتبارا من عام ١٠٠ هـ ، وكتب "أن من اشترى شيئا بعد سنة مائة فان بيعه مردود ، وسمى سنة مائة "سنة المدة" فسماها المسلمون بعده بذلك فأمضى ذلك بقية ولايته" ، كما أنه لم يعف تلك الأراضي

---

(١) محمد أمين صالح ، المرجع السابق ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٢) - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ١٨٤ ،

- عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٧٩ - ٨٠ .

الخراجية التي صارت بأيدي المسلمين بشكل أو بآخر من دفع الخراج عنها ، وبالتالي دفع العشر عما نتج ، فيروى عن ميمون بن مهران قال : "سألت عمر بن عبد العزيز : العربي - أو قال : - المسلم تكون في يده أرض خراج فيطلب منه العشر ، فيقول : انما عليّ الخراج ؟ فقال : الخراج على الأرض ، والعشر على الحب"(١)، فكان الخراج والعشر يؤخذان من أصحاب الأراضي اذا كانت المحاصيل وافية ، أما اذا أمحلت الأرض في عام ما ، فان أصحابها يعفون من الجباية في ذلك العام(٢).

كما أن عمر بن عبد العزيز كان قد أمر بأن تؤخذ الزكاة من نتاج الأراضي الخراجية التي في يد المسلم ، وبذلك أصبح المسلمون الذين كانوا يمتلكون أراضي خراجية يدفعون فوق الخراج المقرر على الأرض زكاة ما تخرج من هذه الأرض(٣). على أن هذا الخليفة الواعي العادل لم يكن يريد اضرارا بالمسلمين ، حقا أنه ضيق على المسلمين اقتناءهم الأراضي الخراجية ، ولكنه كان بذلك يريد حفظ حقوق المسلمين العامة ، وهذا لا يعني أنه كان يمنع المسلم من اقتناء الأرض أو زراعتها ، فقد سمح بتملك أراضي الجزائر وما غلب عليه الماء والصوافي ، وسمح بحفر الآبار والأنهار لاستصلاح الأراضي الزراعية(٤)، كما أنه منع من أسلم من أهل الذمة الاحتفاظ بأرض الخراج اذا رغب الانتقال الى المدن وعليه أن يتركها لأهل الذمة يفلحونها(٥).

---

(١) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٩٠ .
(٢) - ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ، ص ٥٧ ،
- البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٣٤ ،
- عمر فروخ ، تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية ، ص ١٧٠ .
(٣) - ابو عبيد ، الأموال ، ص ٩٠ ،
- ماجدة فيصل زكريا ، المرجع السابق ، ص ١٥١ .
(٤) - يحي بن آدم ، الخراج ، ص ٩٢ ،
- أنظر في ذلك : ماجدة فيصل زكريا ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .
(٥) - أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٢٧ ،
- محمد عماره ، المرجع السابق ، ص ١٠١ .

رفع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة :

كما أن عمر بن عبد العزيز نظر الى النظام الذي اتخذه من سبقه من خلفاء بني أمية في أخذ الجزية من المسلمين الجدد - وكان هذا النظام قد وضعه الحجاج والي العراق لما رأى كثرة المسلمين الجدد وانكسار الخراج ، واعتبر ذلك تهربا من دفع الجزية فأمر بوضع الجزية على من أسلم (١) .. فلما تولى عمر بن عبد العزيز الذي كان يرى في ذلك اضرارا للدين الاسلامي أمر أن تؤخذ من أهل الذمة فقط ، على أن تؤخذ الزكاة من المسلمين وحدهم (٢) . ونجح عمر بن عبد العزيز في اجراءاته لأنه وضعها في اطار المفاهيم الاسلامية حين رفع الجزية عن المسلمين الجدد ، وحين اعتبر الخراج ايجارا لأرض موقوفة على الأمة وهي أرض العنوة لا يجوز التجاوز عليه ، هذا وقد ثبتت الخطوط التي رسمها أسس تحديد الضرائب ووضحت مفاهيمها (٣).

وقد حاول بنو أمية اثناء عمر بن عبد العزيز عن سياسته التي اتبعها في أخذ ما بأيديهم ، فاستدرجوه أولا عن طريق التأثير عليه من كبار أهل البيت الأموي حين طلبوا من فاطمة بنت مروان عمته أن تثنيه عن عزمه ، ولكنه أقام الحجة لها فلم تستطع اثناءه عما بدأه من الاصلاح (٤).

---

(١) - ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٤ ، ص ٤٦٥ ،
- عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي،ص ٣٣ .

(٢) - ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٧٩ ، ١٠٤ ،
- عمر فروخ ، تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية ، ص ١٧٠ .

(٣) - أبو عبيد ، كتاب الأموال ، ص ٨٨ ، ٩٠ ،
- عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص ٣٤ .

(٤) - ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٥٤ ،
- الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ .

كما حاول بنو أمية أن يقفوا في وجه سياسته بالقوة فيدفعون بأحد أبناء الوليد الى كتابة رسالة شديدة اللهجة ضد سياسته ، فيرد عليه عمر بقوله : (ويلك وويل أبيك ، ما أكثر طلابكما وخصماءكما يوم القيامة)[1] .

ولم ييأس بنو أمية ، فمرة أخرى يلجأون الى أسلوب آخر وهو أسلوب الحوار الهادئ ، فيتكلمون معه يوما ما مستشيرين فيه نزعة القربى وعاطفة الرحم ، فيجيبهم أن لا يتسع مالي لكم ، وأما هذا المال - أي المال العام - فحقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد ، فلا يمنعه من أخذه الا بعد مكانه . كما يدخل عليه هشام بن عبد الملك يوما فيقول : (يا أمير المؤمنين اني رسول قومك اليك ، وان في أنفسهم ما أكلمك به ، انهم يقولون : استأنف العمل برأيك فيما تحت يدك ، وخل بين من سبقك وبين ما ولوا بما عليهم ولهم) ، فيرد عليه عمر ببديهة ويجيب : (أرأيت أن أتيت بسجلين أحدهما من معاوية ، والآخر من عبد الملك بأمر واحد ، فبأي السجلين آخذ ؟) ، فيرد هشام : (بالأقدم) ، فيجيب عمر : (فاني وجدت كتاب الله الأقدم فأنا حامل عليه من أتاني ممن تحت يدي وفيما سبقني)[2] .

كما أراد عمر بن عبد العزيز (أن يجرد ما في قبلة مسجد دمشق من الذهب وقال : انه يشغل الناس عن الصلاة) ، غير أن ما أثناه عن عزمه هو ورود وفد من الروم عليه ، وحين رأى رئيس الوفد ما بتلك القبة قال : (كم مضى للاسلام ؟ قالوا : مائة ، قال : كيف تصغرون أمرهم ! ما بنا[3] هذا البنيان الا ملك عظيم . فأتى الرسول عمر فأخبره ،فقال : أما أنه غائظ للعدو فدعه)[4] .

---

(١) - ابن عبد الحكم ،سيرة عمر بن عبد العزيز،ص ١٢٨ ،
- عماد الدين خليل ، المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٢) ابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبد العزيز،ص ١٣٦ ، ١٤٠ .

(٣) هكذا في النص ، والصحيح بنى بالألف المقصورة .

(٤) أنظر : ابن عساكر،تهذيب تاريخ دمشق ،ج ١ ، ص ٢١٢ .

سياسته مع عمال الولايات لحفظ حقوق المسلمين :

عمد عمر بن عبد العزيز الى اراحة الرعية من ظلم بعض عمال الدولة الأموية الذين طالما توددوا الى خلفائهم على حساب ظلم رعيتهم بغية أن يحظوا لديهم ، فدعا بدواة وقرطاس فور انتهائه من دفن سليمان وكتب ثلاثة كتب ، حمل أحدها عزل أسامة بن زيد التنوخي وكان على خراج مصر ، كما حمل الكتاب الثاني عزل محمد بن يزيد مولى ريحانة بنت أبي العاص الذي ولاه سليمان بن عبد الملك آفريقيه ، كما عزل يزيد بن المهلب والي خراسان من قبل سليمان بن عبد الملك(1). وقد كان لكل واحد من هؤلاء الولاة سيرة غير عادلة في جمعه أموال المسلمين بغير حق أو ظلمه لهم ، على أن عمر كان يطالب يزيد بن المهلب بأموال عظيمة من جراء فتحه لجرجان وطبرستان بلغت ستة آلاف ألف بعد أن صار الى كل ذي حق حقه ، كان قد كتب بها الى سليمان بن عبد الملك ، الا أن يزيد أنكر المبلغ ، وذكر أن ما كتبه ما هو الا لتعظيم قدر الفتح والغنيمة ، على أن عمر أمر بحبسه (٢).

ولم يكتف عمر بعزل الولاة السابقين لضبط وصيانة أموال الرعية وحقوقهم بل عمد الى تنظيم مالي يحد من تصرفات الولاة ، فمن ذلك أنه حظر

---

(١) - الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٥٢٣ ،
- ماجده فيصل زكريا ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ - وقد ذكرت أن الكتاب الثالث حمل أمره بعودة الجيش المرابط على أسوار القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبد الملك والذي انفذه سليمان بن عبد الملك لفتحها فلم يحالفه الحظ ،
- إبن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٢ .

(٢) - الجهشياري ، المصدر السابق ، ص ٤٩ - ٥٠ ،
- ماجدة فيصل زكريا ، المرجع السابق ، ص ١١٩ - ١٢٣ .

على عمال الولايات أن يتاجروا لأنهم يستطيعون بما لهم من النفوذ أن يحتازوا التجارة ويضروا بالرعية ، ثم ان الوالي أو العامل موظف في الدولة ، ولا يجوز له أن يقوم بعمل آخر ، كما حظر على الولاة والعمال أن يستأثروا بالأملاك العامة لأن ذلك يضر عامة المسلمين(١)، كما نهى عماله أن يأخذوا زكاة أرباح التجار الا اذا حال الحول على هذه الأرباح(٢).

اصلاحه للنقد :

كان عمر بن عبد العزيز حريصا على أن يستوفي المسلمون حقوقهم بغير زيادة ولا نقصان ، فقد أمر جباة الخراج ألا يأخذوا من الأهالي من الدراهم ما زاد وزنه على أربعة عشر قيراطا ، وهو ما أمر به عمر بن الخطاب ، وقد رأى هذا الخليفة أن العمال يأخذون دراهم أثقل وزنا من الدراهم التي فرضها عمر بن الخطاب مما كان يزيد زيادة فاحشة في الضرائب التي كان يدفعها الأهالي(٣). وكان يراقب عمال السكة مراقبة شديدة ومن ذلك ما ذكره البلاذري أنه أتي برجل الى عمر بن عبد العزيز "يضرب على غير سكة السلطان ، فعاقبه وسجنه ، وأخذ حديده فطرحه في النار"(٤).

---

(١) - ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٨٣ ،
- عمر فروخ ،تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية ، ص ١٧٠ .

(٢) أبو عبيد ، المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .

(٣) - حسن ابراهيم حسن ، وعلي ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، ص ٢٤٠ ،
- البلاذري ، كتاب النقود ، ص ١٦ ،
- ابن خلدون ،كتاب السكة ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ،ص ١١٥،

(٤) فتوح البلدان ، ص ٤٥٥ .

وقد ضربت لعمر فلوس فكتب عليها "أمر عمر بالوفاء" ، فقال : اكسروها واكتبوا "أمر الله بالوفاء والعدل"[١]. وحرصا على مصلحة المسلمين في استعمال النقد الصحيح ، وعدم اعطاء الفرصة للعمال باستغلال الناس باستخدام فروق الدنانير والدراهم ، طلب عمر علاج ذلك الوضع ولمصلحة الفقراء بأن كتب الى القائم على دار سك النقود بدمشق قائلا له : (.. ان من آتاك من فقراء المسلمين بدينار ناقص فابدله له بوازن)[٢]، كما أنه أسقط عن أصحاب الخراج الكسور التي تراكمت عليهم من فروق العملات[٣].

اعادته حقوق بني هاشم :

ومن اصلاحاته المالية أيضا في رد المظالم والحقوق الى أصحابها اعادته الخمس الى بني هاشم حيث "بعث بسهم الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذوي القربى الى بني هاشم"[٤]، كما كتب الى عامله بالمدينة : (أن أقسم في ولد علي بن أبي طالب من فاطمة ، رضوان الله عليهم ، - عشرة آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم)[٥].

---

(١) ابن الجوزي ، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص ٩٨ .
(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج ٥ ، ص ٣٧٥ .
(٣) - الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٨١ ،
- محمد عماره ، المرجع السابق ، ص ١٠٢.
(٤) أبو يوسف ،كتاب الخراج ،ضمن موسوعة الخراج ، ص ٢١ .
(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

اصلاحه في المواريث :

كان سليمان بن عبد الملك يأخذ برأي عمر بن عبد العزيز ويقربه اليه ويستشيره في أمور كثيرة ، وكان عمر يصوب الآراء في حكم الشرع دون تخوف أو تردد ، وقد ذكر ابن الجوزي قائلا : (دخل عمر بن عبد العزيز على سليمان بن عبد الملك وعنده أيوب ابنه ، وهو يومئذ ولي عهده ، وقد عقد له من بعده ، فجاءه انسان يطلب ميراثا من بعض نساء الخلفاء ، فقال سليمان : ما أخال النساء يرثن في العقار شيئا ، فقال عمر بن عبد العزيز : سبحان الله ، وأين كتاب الله ، فقال : ياغلام ، اذهب فأت بسجل عبد الملك بن مروان الذي كتب في ذلك ، فقال له عمر : لكأنك أرسلت الى المصحف . قال أيوب : والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين ثم لا يشعر حتى يفارقه رأسه . فقال له عمر : اذا أفضى الأمر اليك أو الى مثلك ، فما يدخل على أولئك أشد مما خشيت أن يصيبهم من هذا . فقال سليمان لأيوب : مه ، لأبي حفص تقول هذا ؟ فقال عمر : والله لئن جهل علينا يا أمير المؤمنين ما حلمنا عنه)(١) . فلما آل الأمر الى عمر أصلح كثيرا من أحوال المواريث ، ومن ذلك أنه من أسلم من أهل الذمة فان ميراثه يذهب لذوي رحمه "يتوارثونه كما يتوارث أهل الاسلام ، وان لم يكن له وارث ، فميراثه في بيت المال"(٢). ولم يقتصر اثباته الميراث للأموال أو للأشياء المنقولة وانما أيضا الى الأراضي ، واستمرارا لبقاء الأراضي الخراجية في أيدي

---

(١) ابن الجوزي ، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .

ذراري أصحابها بعد وفاتهم أرسل الى عماله قائلا : (ثم ان مواريث أهل الأرض انما هي لأوليائهم أو لأهل أرضهم الذين يخرجون الخراج ، فنرى أن لا يؤخذ منهم شيء الا أن يكون عاملا فيبعثه الامام في عمله بالذي يرى عليه من الحق والسلام)(١).

(١) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٨٣ .

حرصه على أموال المسلمين :

حرص عمر بن عبد العزيز على أموال بيت مال المسلمين فكان لا يصرف منها إلا في سبيلها ، ولا يبذر ، ولا يبدد في تلك الأموال التي إئتمنه اللّه عليها . وتعددت المصادر وأفاضت في أنواع الحرص مما لا يتسع لنا هنا إلا ذكر القليل منها . فمن ذلك أنه كان إذا جلس يقضي حوائج الناس أمر بشمعة من بيت المال ، فاذا فرغ من حاجتهم أطفأها (١). كما كان يكتب لعماله بالحرص والاقتصاد في صرف حوائجهم من بيت مال المسلمين من شموع وقراطيس الكتابة ، فيكتب إلى عامله قائلا : (... فأدق قلمك ، وقارب بين سطورك ، واجمع حوائجك) (٢).

وكان لا يأخذ من بيت المال شيئا ، ولا يجري على نفسه من الفيء درهما ، - وكان عمر بن الخطاب يجري على نفسه درهمين في كل يوم - فقيل لعمر بن عبد العزيز : لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب ، فقال : إن عمر بن الخطاب لم يكن له مال ، وأنا مالي يكفيني (٣)، وقد كان دخله في كل سنة قبل أن يلي الخلافة أربعين ألف دينار، فترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى أربعمائة دينار في كل سنة ،وكان حاصله في خلافته ثلاثمائة درهم (٤).

---

(١) ابن دقماق ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٢) ابن الجوزي ، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص ١٠١ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ،ج ٥،ص ١٦٩ .

(٤) ابن كثير ، عمر بن عبد العزيز ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ص ٩٣ .

تفقده لأحوال الرعية :

كان عمر بن عبد العزيز حريصا على الإنفاق بسخاء على العجزة والأيتام والفقهاء المنقطعين لطلب العلم ، وكان يتفقدهم في الولايات الإسلامية ، فقد كتب إلى واليه على حمص قائلا : (أنظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا ، فاعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ماهم عليه من بيت مال المسلمين حين يأتيك كتابي هذا ، وإن خير الخير أعجله ، والسلام)[1].

(١) ابن الجوزي ، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص ١١٥ .

ج ـ سياسة يزيد بن عبد الملك :

تكثر الأقوال التي تريد أن تلصق انهيار الدولة الأموية الى السياسة الاقتصادية التي اتبعها عمر بن عبد العزيز فعجلت بانهيارها وقد أورد هذا الرأي كثير من المستشرقين وجانبهم الصواب في الوقائع والتحليل ، فالدولة الأموية عاشت بعد حكم عمر بن عبد العزيز ثلاثين عاما ، ولم يكن انهيارها أمام الثورة العباسية قلة في المال أو خواء في بيته ، وانما كان انهيارها نتيجة وقوعها تحت مطارق الثورات التي انتشرت على امتداد أقاليمها وأمصارها (١).

فقد تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك بعد الخليفة المصلح عمر بن عبد العزيز (١٠١ ـ ١٠٥هـ / ٧٢٠ ـ ٧٢٤م) ، وبتوليه الخلافة أعاد الدولة الى سابق عهدها وحاد عن سياسة عمر بن عبد العزيز الاصلاحية في النواحي المالية والادارية (٢). فقد ارتد بالنظام المالي والاجتماعي الى ما كان عليه قبل حكم عمر بن عبد العزيز ، فعزل الولاة الذين عينهم عمر بن عبد العزيز ، وانتزع الحقوق التي وزعت وأعاد الضرائب التي ألغيت ، ومنها ضريبة الخراج على الذين أسلموا (٣)،بل أنه واجه عمال عمر بن عبد العزيز صراحة حين كتب الى عماله قائلا : (خذها منهم ولو صاروا حرضا) (٤).

---

(١) محمد عماره ، المرجع السابق ، ص ١٣ ـ ١٤ .

(٢) ـ تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٢٢ ،
ـ ابن خلدون ،العبر وديوان المبتدأ والخبر،ج ٣ ، ص ١٦٥ ،
ـ فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

(٣) ـ تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٢٨ ومابعده ،
ـ محمد عماره ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .

(٤) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٥ .

عدول يزيد بن عبد الملك عن اصلاحات عمر بن عبد العزيز المالية :

ومن الأدلة التي تثبت عدول يزيد بن عبد الملك عن الاصلاحات التي أقرها عمر بن عبد العزيز في النواحي المالية ، أن محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف والي اليمن كان قد جعل على أهل اليمن خراجا ثابتا يدفعونه سمي "بخراج الوظيفة" ، وعندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب الى عامله على اليمن بالغاء ماكان قدره محمد بن يوسف والاقتصار على العشر فقط ، وعندما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة قام برد ماقرره محمد بن يوسف(١) . كما أن يزيد بن عبد الملك من كثرة اهتمامه بجباية الخراج قام بعزل أخيه مسلمة بن عبد الملك عن ولاية العراق لأنه لم يرفع اليه شيئا من خراج العراق(٢).

وكان لابد لهذه التغيرات الواضحة والتباين فيما بين سياسة عمر بن عبد العزيز المصلحة ، وسياسة يزيد بن عبد الملك المجحفة ، اضافة الى وجود عمال في الولايات يأتمرون بأمر الخليفة أن ينتج عن ذلك كثير من التمرد والاضطرابات في الولايات .

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٥ .

(٢) ـ الطبري ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٦١٥ .

ـ محمد أمين صالح ، المرجع السابق ، ص ٧٢ .

ـ عبد المجيد محمد صالح الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

عودة روح العصبية القبلية :

ومما زاد في هذه الاضطرابات عودة روح العصبية القبلية بأقسى صورها بتعصب الخليفة يزيد بن عبد الملك الى المضرية ضد اليمنية [1]. ففي المغرب كان الأمر في يد يزيد بن مسلم ، صاحب الشرطة في أيام الحجاج أثناء ولايته على العراق ، فسار في حكم البلاد مسيرة الحجاج ، فاستبد وجار وأعاد الجزية على من اعتنقوا الاسلام من البربر ، ولكن هؤلاء تآمروا عليه فقتلوه [2] ، وقد حاول الخليفة يزيد بن عبد الملك تحت ضغط مطالب البربر اصلاح الأمور، فعين على أفريقيه في سنة ١٠٣ هـ بشر بن صفوان الكلبي [3]، الذي اتبع سياسة لم تختلف كثيرا عن الوالي السابق ازاء البربر ، اضافة الى تعصبه القبلي [4].

وفي الأندلس ، طبق يزيد بن أبي مسلم نفس السياسة التي اتبعها في أفريقية لأنها كانت تابعة لولايته ، فقد أعاد جمع الضرائب التي ألغاها عمر بن عمر بن عبد العزيز ، وفرض عليهم ضرائب تماثل تلك التي فرضها محمد بن يوسف في اليمن ، كما ألغى جميع الأوامر الصادرة عن عمر بن عبد العزيز المتعلقة باجزاء الاصلاحات في الأندلس مما دفع السكان الى الهجرة [5].

---

(١) انظر في ذلك :
- ابن الأثير،المصدر السابق،ج٤،ص ٢٦٩ ومابعدها ،
- فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ٢٥٩ ومايليه ،
- سهيل زكار،تاريخ العرب والاسلام ،دار الفكر،دمشق،الطبعة الرابعة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ٢١٤ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٦١٧ ،

(٣) - تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٣٤ .
- فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ٢٥٨ ،

(٤) - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ .
- سهيل زكار،المرجع السابق ، ص ٢١٧ ،
- عبد المنعم ماجد،التاريخ السياسي للدولة العربية ، مطبعة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص ٢٧٧ .

(٥) فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

وفي بلاد الترك أفسد ولاة يزيد بن عبد الملك ماقام به عمر بن عبد العزيز من جهود عظيمة لنشر الاسلام ، وانتهجوا سياسة مستبدة منحرفة ، حملت كثيرا من الناس على الارتداد عن الاسلام والثورة على الحكم (١).

وفي مصر أخذ يزيد بن عبد الملك المسيحيين بالشدة ، فأعاد نظام الخراج الذي كان عمر بن عبد العزيز قد رفعه عن الكنائس والأساقفه ، حتى كرهه المسيحيون (٢).

وكان لظهور روح العصبية القبلية من جانب يزيد بن عبد الملك نتائجها السيئة ، فمزقت وحدة الجند ، وبعثرت جهود القوى السياسية في الدولة ، فصراع العصبيات القبلية التي حاول عبد الملك بن مروان أن يخمد أوارها باقامته نوعا من التوازن بين الزعامات المتطاحنة ، عادت لتطل برأسها بعد وفاته ولاسيما في عهد ابنه سليمان ، وجاء عمر بن عبد العزيز الذي رفع شعار المساواة ، وجعل من دولته دولة يرتكز الحكم فيها على شعائر الاسلام ليخمد كل صوت لا ينسجم وهذه المساواة التي تصنف الرعية لا حسب انتماءاتهم القبلية ، بل حسب تقواهم وتفانيهم في خدمة العقيدة ، وحين آلت الخلافة الى يزيد بن عبد الملك عادت العصبية القبلية تطل برأسها ولتظهر في أكثر من مناسبة من المناسبات التي تقتضيها ظروف الحكم وشؤون الدولة (٣).

انغمس يزيد بن عبد الملك في خضم التعصب القبلي بشكل غير معهود من بقية الخلفاء الأمويين الذين كانت لهم ميولهم القبلية ، يساعده في ذلك ارتباطه برباط المصاهرة مع أسرة الحجاج (في العراق)،وقد كانت من أركان

---

(١) - الطبري ، المصدر السابق ،جـ٦، ص ٦٢١ ،
- سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢) - المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٩٢ ،
- فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

(٣) - الطبري ، المصدر السابق ،جـ ٦ ، ص ٥٠٧ ، ٥٥٥ ،
- نبيه عاقل ، المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

المضرية [1]. فكان من جراء ذلك أن نتج عن هذه العصبية بنصرة القيسية على أسرة آل المهلب اليمنية [2] التي قادت الفتنة بزعامة يزيد بن المهلب وظهرت فيها قوة روح العصبية القبلية بين القيسية بزعامة عدي بن أرطأه عامل يزيد بن عبد الملك على البصرة وبين اليمنية بزعامة يزيد بن المهلب ، علا فيها شأن يزيد بن المهلب الذي جمع جيشه من اليمنية وخرج لملاقاة جيش مسلمة ابن عبد الملك على شاطيء الفرات ، وانتصر فيها مسلمة وقتل يزيد بن المهلب وأخواه حبيب ومحمد، كما ضرب أعناق ثلاثمائة رجل من أسرى جنده بعد اقتحام معسكره ، كما تمت مطاردة آل المهلب ، وأرسلت رؤوس القتلى منهم الى يزيد بن عبد الملك في الشام ، كما صودرت أموالهم [3]. وكان من نتائج اخفاق ثورة آل المهلب أنها كانت بمثابة ضربة قوية وجهت للقبائل اليمنية التي ساندتها ، وفقدت كل أمل في استعادة نفوذها المفقود، وحين تولى امارة العراق عمر بن هبيرة القيسي - المتعصب - حكم البلاد بالجور والظلم ، مدفوعا بالرغبة في الانتقام من اليمنيين الذين واكبوا أبناء المهلب في

---

(١) - ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج ٤ ، ص ٦٧ ،
- سهيل زكار،المرجع السابق،ص ٢١٤ .

(٢) من الأسباب القوية التي ساعدت في قيام فتنة آل المهلب ، أن ابن المهلب لما ولي العراق زمن سليمان بن عبد الملك عذب آل الحجاج،فعقد يزيد بن عبد الملك العزم على القضاء على هذه الأسرة ،وكان ابن المهلب سجينا في عهد عمر بن عبد العزيز،فلما بلغه مرض عمر وأن الخلافة ستؤول بعده الى يزيد بن عبد الملك هرب من السجن الى البصره وقضى على عامل يزيد بن عبد الملك - وفي البصره مستقر قبيلة أزد اليمنيه -
- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٦ ،
- نبيه عاقل ، المرجع السابق ، ص ٣٠٠ .

(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق، ج ٤ ، ص ٨٤ .

انتفاضتهم على الحكم الأموي (١). كما كان لنشوب العصبية القبلية في العراق التأثير القوي على خراسان حيث امتد الصراع الى أنحاء البلاد ، وبالتالي تعرضت الدولة الأموية الى خطر قوي في هذه المنطقة نتيجة النزاع القبلي من جهة وتستر الموالي من جهة أخرى وراء الدعوة العباسية (٢).

ولم تكن هذه الظروف السيئة داخل الولايات الاسلامية وحدها هي التي تعصف بأركان الخلافة الاسلامية في عهد يزيد بن عبد الملك من الداخل ، بل كانت تواجه الدولة أيضا أخطار خارجية ، ففي الجبهة البيزنطية لم يسمع في خلال حكم يزيد بن عبد الملك عن أي حملات حتى كادت أن تقف بحيث لا توجد سوى غزوات معدودة ، بل أن الروم نزلوا الساحل المصري،كما عاد في الشرق خاقان الترك الى التدخل في بلاد ماوراء النهر وتحالف مع كثير من الدهاقنة فيها ، وبدأت الشعوب القوقازية تغير على حدود أرمينية وتهزم عمال العرب لولا ارساله أحد قواد المسلمين المهرة وهو الجراح بن عبد الله الحكمي الذي أوقف تقدمهم (٣).

وعلى هذا فمن الممكن القول بأن خلافة يزيد بن عبد الملك تعتبر مرحلة من أدق المراحل في تاريخ الدولة الأموية ، بل يمكن القول أنها رسمت خط النهاية لهذه الدولة العظيمة ، فقد تبلورت آنذاك معالم مايسمى بالتيار "الشعوبي" وذلك في أعقاب موجة التذمر لدى الفئات غير العربية التي عانت ارهاب الولاة وثقل الضرائب (٤).

---

(١) - الطبري ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٦١٥ ،
- سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٢) - الطبري ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٦١٦ ،
- عمر فروخ ، تاريخ صدر الاسلام ، ص ١٧٣ .

(٣) عبد المنعم ماجد،التاريخ الاسلامي للدولة العربية ،ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

(٤) سهيل زكار،المرجع السابق ، ص ٢١٩ ،
- أنظر في ذلك أيضا :
- ابراهيم بيضون ، تكوين الاتجاهات السياسية في الاسلام الأول ، دار اقرأ ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ٢٩٩ .

د - إصلاحات هشام بن عبد الملك :

خلف يزيد بن عبد الملك وراءه تركة ثقيلة تحمل أعباءها خليفته في الحكم هشام بن عبد الملك ، فقد كان من النتائج السيئة التي تعانيها الدولة في أنحاء ولاياتها ما أوجده يزيد بن عبد الملك من أحقاد تشتعل في صدور اليمنية وشعوب الولايات المفتوحة ، فحاول هشام القضاء على هذه النتائج السيئة إلا أنه لم يستطع القضاء على هذه النتائج بصورة مثالية (١).

إعادة التوازن بين العصبيات القبلية :

ومن أولى المبادرات الإصلاحية التي قام بها هشام بن عبد الملك ، هي محاولة إعادة التوازن بين العصبيات القبلية في الدولة ، وعلى الرغم من أنه كان - من ناحية النسب والمصاهرة مع العنصر اليمني ، على غرار معظم الخلفاء الأمويين - إلا أنه كان يميل إلى الاعتدال فكانت إدارته مزيجاً من الاتجاهين بصورة عامة (٢).

ففي ولاية العراق كانت اليمانية لا تزال تحقد على الخلافة الأموية بسبب هزيمتها مع ابن المهلب ، ولكي يخفف هشام من حدة غضبها عزل عاملها القيسي ابن هبيرة ، وولى عليها خالد بن عبد اللّه القسري ، وهو من قبيلة بجيلة في شمال جزيرة العرب التي يبدو أنها كانت محايدة في نزاع اليمانية والمضرية ،فاستطاع خالد أن يهدئ من حدة نزاع القبائل (٣).

---

(١) عبد المنعم ماجد،التاريخ السياسي للدولة العربية ،ج ٢ ،ص ٢٨١ .
(٢) ابراهيم بيضون ،تكوين الاتجاهات السياسية في الاسلام الأول،ص ٣٠١ - ٣٠٢.
(٣) عبد المنعم ماجد،التاريخ السياسي للدولة العربية ،ج ٢ ،ص ٢٨١ .

كما أنه قام بتعيين نصر بن سيار على خراسان لما كان يتمتع به من حزم وشجاعة وعدل وذلك ليصلح الأمور فيها وخاصة الأحوال المالية ، فقام باصلاحات كبيرة وأحسن الولاية والجباية [١] ، فقد حاول تطبيق سياسة عمر بن عبد العزيز ، بأن فرض ضريبتين في خراسان ، ضريبة الخراج على الأرض يدفعها كل مالك ، وضريبة على الرؤوس يعفى منها من دخل في الاسلام ، وبذلك أصلح نقطة هامة في تطبيق ذلك النظام في خراسان ، ولكن اصلاح نصر جاء متأخرا لاستفحال الدعوة العباسية [٢] .

سياسته في جباية الخراج :

أما سياسة عمر بن عبد العزيز في منع بيع الأراضي الخراجية الزراعية فقد استمر العمل بها في خلافة كل من يزيد بن عبد الملك وأخيه هشام [٣] ، ولتوضيح الصورة لسياسة الدولة الأموية في الفترة الأخيرة من تاريخها يمكن القول بأن القاعدة الأساسية للقرار الجديد هو أن الأرض ،وليس المالك تدفع الخراج ، ومن ذلك العهد - وفقا لسياسة هشام بن عبد الملك المالية - بقيت أراضي الخراج أراضي خراجية سواء أسلم أصحابها أم لم يسلموا ، وسواء اشتراها العرب المسلمون ، وبقيت أراضي العشر تدفع العشر ، ولكن وضع حد لازدياد هذا النوع من الأراضي ، كما عينت الدولة مراقبين ماليين لمراقبة أي تغيير في تنفيذ القوانين [٤] ،على أن العرب عادوا الى شراء الأراضي الخراجية

---

(١) - الطبري ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٥٨ ،
- فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .
(٢) - الطبري ، المصدر السابق ،ج ٧ ، ص ٢٠ ،
- عبد العزيز الدوري،مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص ٧٢ - ٧٣ ،
(٣) - ابن عساكر ، المصدر السابق ،ج ١ ، ص ١٨٥ ،
- عصام الدين عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص ٨٠ - ٨١ ،
- عبد المجيد محمد صالح الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ٣٣٦ .
(٤) نجدة خماش ، المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

من أهل الذمة عقب وفاة هشام بن عبد الملك ، ولم يمنعوا من ذلك حتى نهاية الدولة الأموية [١].

عرف هشام بن عبد الملك بغزارة عقله وحسن تدبيره وسياسته حتى قيل أن (السواس[٢] من بني أمية ثلاثة معاوية وعبد الملك وهشام) [٣]. فقد اهتم بشئون الدولة وفي مقدمتها الخراج واحصاء وارداته بدقة بالغة [٤]، وحرص على أموال المسلمين حتى اتهمه بعض المؤرخين بالبخل ، فقد وصفه المقريزي بأنه "كان جموعا للمال [٥]، بينما أنصفه البعض الآخر ، ووضح أنه كان يبخل بالمبلغ التافه في هباته الشخصية ،لكنه لم يبخل بالملايين للحفاظ على الاستقرار الداخلي أو حماية حدود الدولة من الأعداء المحيطين بها ، وكان جل نفقاته وصرفياتها تذهب في هذا السبيل ، كما أنه كان حريصا على بيت المال ، لم يفرط بما يحصل فيه من الأموال الا بحاجة ماسة لتجهيز الجيوش أو غير ذلك ، وان ماوصف به هشام من البخل وجمع المال لم يكن على حساب الدولة وحماية حدودها واستتباب الأمن في ربوعها" [٦].

ولقد اتخذ هشام بن عبد الملك عدة اصلاحات بهدف تنظيم ادارة الدولة ، فنجده يستمر في منع بيع الأراضي الخراجية ،كما أنه كان يعاقب كل من يخالفه في ذلك. فقد قام بمعاقبة والي دمشق عندما سمح لوكيل خالد القسري

---

(١) ابن عساكر ، المصدر السابق ،جـ ١ ، ص ١٨٥ .
(٢) السواس : جمع سائس ، أي متولي الرئاسة والقيادة ، ـ المعجم الوسيط ، جـ ١ ، ص ٤٦٢ .
(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ .
(٤) صبحي الصالح ، المرجع السابق ، ص ٣٨٤ .
(٥) النقود الاسلامية ، ص ٥١ .
(٦) ـ ومن الأمثلة على ذلك : ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل ،جـ ٥ ، ص ٢١٤ ، أن مبلغ النفقة على النهر الذي أدخله عامل هشام على الموصل الى داخل البلد قد بلغت نفقته ثمانية الآف ألف درهم .

- والي العراق - أن يشتري أرضا لخالد من أراضي الغوطة وكانت خراجية ، إلا أنه منح إقطاعات لبعض المسلمين في أرض تركها أهلها ، خاصة في الحدود القريبة من الحدود البيزنطية كإنطاكية وانطرسوس وبعض المدن المجاورة على الساحل السوري(١).

كما أعاد للقبائل اليمنية من جند الشام هيبتها بسياسة التوازن بين القيسية واليمنية(٢). وكان هشام يدرك أهمية هذه القبائل ويقدر دورها في الحفاظ على العرش الأموي(٣).

سياسته في مجال النقد :

وفي مجال النقد وسك العملة نجد المصادر الإسلامية تتحدث عن ضرب النقود في عهد يزيد بن عبد الملك وهشام ، ففي عهد يزيد ، تولى العراق عمر بن هبيرة ،(١٠١ - ١٠٥ هـ) فخلص الفضة أبلغ تخليص وجوّد الدراهم واشتد في العيار ، ثم لما ولي خالد بن عبد الله القسري (١٠٥ - ١٢٠هـ) العراق لهشام بن عبد الملك اشتد في النقود أكثر من اشتداد ابن هبيرة حتى أحكم أمرها أبلغ من إحكامه على الطباعين وأصحاب العيار،وقطع الأيدي والأبشار(٤)، وحين تولى العراق بعده يوسف بن عمر الثقفي (١٢١ - ١٢٦هـ) أفرط في المبالغة وامتحان

---

(١) عبد المجيد محمد صالح الكبيسي ،المرجع السابق ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .
(٢) عبد المنعم ماجد،التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ٢ ،ص ٢٨١ .
(٣) - لما ولى هشام بن عبد الملك خالد القسري ولاية العراق بعث معه جندا من أهل الشام من لخم وجذام لتحل محل قوة عمر بن هبيرة القيسي :
- انظر في ذلك عبد المجيد محمد صالح الكبيسي،المرجع السابق ،ص ١٠٨ .
(٤) - قدامة بن جعفر،الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٦٠ ،
- انظر أيضا : المقريزي ،النقود الإسلامية (ضمن مجموعة ثلاث رسائل في النقود) ، ص ٩ .

العيار وضرب عليه ، فكانت الهبيرية والخالدية واليوسفيه أجود نقود بني أمية[١].

وذكر المقريزي (أن الهبيرية ضربت بالعراق على عيار ستة دوانيق)،كما ذكر أن هشام بن عبد الملك أمر خالد القسري في سنة ست ومائة من الهجرة أن يصدر العيار على وزن سبعة ، وأن يبطل السكك من كل بلدة إلا واسطا ، فضرب الدراهم بواسط فقط وكبّر السكة) ، كما ذكر أنه (بعد عزل خالد القسري سنة عشرين ومائة ، تولى من بعده يوسف بن عمر الثقفي ، فصغّر السكة ، وأجراها على وزن ستة وضربها بواسط وحدها[٢]، وكانت هناك نقود ضربت في عهد هشام مماثلة لنقود الوليد وأبيه عبد الملك[٣].

ولعل مايلفت الانتباه فيما ذكره المقريزي هو إبطال السكك في جميع مدن الضرب إلا واسطا ، فلعل هذا ضمن تنظيم إدارة هشام بن عبد الملك،حيث أنه لم يرد فقط ضبط العيار وتنقيته من الغش ، بل كان أيضا لضبط المراقبة على مكان الضرب ، وعدم إعطاء الفرصة لمن تسول له نفسه بالتزوير وسك العملة على غير سكة الدولة الرسمية .

---

(١) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٦٧م ، ج ٣ ، ص ١٠٠ .

(٢) ـ النقود الإسلامية ، ص ٥١ ،
ـ وقد ذكر البيهقي في كتابه المحاسن والمساوىء ، ص ١٨٤، أن يوسف بن عمر (وزن درهما فنقص حبة فكتب إلى دور الضرب بالعراق فضرب أهلها مائة سوط) ، هذه الرواية وإن دلت على معاقبة الوالي لعمال سك العملة واشتداده في أمر تنقيتها وصحتها ، إلا أننا نجد ذكره (لدور الضرب) ، و(العراق) بصفة خاصة لا تعني مركزية الضرب بواسط وإنما ذكر العراق عامة .

(٣) المقريزي ، النقود الاسلامية ، ص ٥٢ .

على أن هناك بعض المراجع تشير الى أمر آخر ، ذلك هو كثرة معامل الضرب في اصدار النقد الذهبي والفضي في الأعوام الأولى من الاصلاح النقدي من عام ٧٨ هـ فما بعده ، مما اضطر الخليفة هشام بن عبد الملك الى الاقلال من هذين النقدين في الفترة التي حكم فيها (١).

وقد أشاد عبد العزيز الدوري بنقود بني أمية وخاصة النقود التي ضربت في عهد هشام بن عبد الملك بقوله : (وقد حافظ الأمويون على نسبة عالية ومستقرة من النقاء للدينار ، اذ يبدو أنها كانت تبلغ في زمن عبد الملك ٩٦٪ ، وفي زمن هشام بلغت النسبة ٩٨٪ ، واتجه هشام الى مركزية الضرب ، فحدد ضرب الدراهم بواسط ، وربما حدد ضرب الدينار بدمشق) (٢).

سياسته في مجال الاصلاح الزراعي :

أما في مجال الاصلاح الزراعي وعائداته على الدولة عامة ، وبلاد الشام بصفة خاصة ، فمنه ما أوردناه سابقا من ازدهار الصناعة في عهده وبناء السدود والقنوات ، واصلاح الأراضي سواء في منطقة بلاد الشام ، أو في الولايات التابعة للدولة الاسلامية .

---

(١) - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٥٤ ،
- سمير شما ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٢) تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ م ، ص ٢٠٥ .

كما عرف عن هشام بن عبد الملك أنه كان حريصا على ألا يدخل بيت ماله الخاص أي مال حتى يشهد أربعون رجلا أن كل ذي حق قد أخذ حقه [١]، ومع هذا نجد من المؤرخين من يذكر بأن هشاما لم يكن يفرق بين بيت ماله الخاص وبين بيت المال العام في الانفاق [٢]، على الرغم من الاشادة به بأنه قام بعمارة الأرض، وتقوية الثغور، واقامة البرك والقنى [٣]. كما كان يقضي الديون، ويفك أزمات المحتاجين، فقد قضى عن الزهري سبعة آلاف دينار، وقيل أربعة آلاف دينار، وقيل سبعة عشر ألف دينار، كما قضى عن ابنه شهاب ثمانين ألف درهم [٤].

الصعوبات التي واجهت سياسته الاصلاحية :

على أن سياسة هشام بن عبد الملك في الاصلاح سرعان ماواجهت في طريقها بعض الصعوبات التي كانت قد تسربت في كيان الدولة الأموية، فمن هذه الصعوبات ماواجهته الدولة الأموية في العراق، ذلك أن واليها خالد القسري - الذي ضمن سياسة التوازن في المعاملة بين القيسية واليمنية - قد استغل نفوذه في الولاية فاستحوذ على كثير من الضياع قدرت غلتها بثلاثة عشر ألف ألف درهم، مما سبب قلة واردات الخراج، اضافة الى اساءته الى أحد أفراد

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٧ .

(٢) - رسائل الجاحظ، ج ٢، ص ١٣٣،
- عبد المجيد محمد صالح الكبيسي، المرجع السابق، ص ٣٤٨ .

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ١٦١ .

(٤) الزهري، تاريخ مدينة دمشق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

البيت الأموي ، وكان لا يذكر هشاما الا بالأحوال ، كما اتهم خالد بأنه استعان بأهل الذمة وأذل الاسلام ، كل هذه الأسباب دفعت هشام الى عزل خالد القسري عن العراق ليعود الى سياسة الحجاج المالية ، وليضعف من سيطرة اليمنية وسيطرة خالد الذي كان يستغل ولاية العراق ، وعين مكانه يوسف بن عمر الثقفي الذي عزل عمال خالد وأخذ الناس بالشدة (١). كما أنه قبض على خالد وغرمه مبلغا كبيرا من المال ، ويبدو أن هشاما اختار يوسف بن عمر الثقفي لولاية العراق لتغير ميول هشام من اليمنية الى القيسية ، وقد استطاع يوسف بن عمر الثقفي أن يستمر في ولايته للعراق الى نهاية عهد هشام (٢). على أنه يمكن وصف العراق في عهد خالد القسري بأنه عهد طمأنينة وهدوء ، ولكن مالبث الحال أن تغير بعده وبدأت الفتن والثورات تتوالى ، ومن أهم ما وقع في العراق بعد خالد هو فتنة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . ومن الأسباب التي أدت الى قيام هذه الفتنة ما خلاصته أن يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام على العراق كتب الى الخليفة هشام مدعيا أن خالد القسري قد أودع ستمائة ألف درهم عند زيد بن علي ، وأن زيدا ينكر الوديعة ، فبعث هشام الى زيد يستدعيه ، فقدم زيد من المدينة - أو الرصافة - على هشام وأكد له أن خالدا لم يودع عنده شيئا ، الا أن هشاما طلب من زيد أن يذهب هو بنفسه الى يوسف ليواجهه بهذا ويناقشه في التهمة التي أسندها اليه ، ولكن زيدا

---

(١) - الطبري ، المصدر السابق ،ج ٧ ، ص ١٤٢ ومابعده ،
- ثابت اسماعيل الراوي ، المرجع السابق ،ص ٢١٢ ، ٢١٣ ،
- عما كان لخالد من واردات كبيرة وما كان يوزعه في الناس ونظرة هشام اليه أنظر :
- الطبري ، المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .

(٢) - الطبري ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ ،
- عبد المجيد محمد صالح الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ١٣١ ،
- عن طريقة المراسلات الكتابية بين الخليفة وخالد القسري في أواخر أيامه أنظر :
- فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

أبدى تخوفه من مقابلة يوسف وما قد يتعرض له من اهانة أو تعذيب ، ولكن تحت اصرار الخليفة هشام توجه زيد الى العراق ، وواجه يوسف بن عمر الذي واجهه بخالد القسري ، فنفى خالد أن يكون قد أودع أي مال لدى زيد ، ولكن يوسف بن عمر لم يقبل حتى أقسم زيد بأغلظ الأيمان وأودعه السجن ، فبلغ ذلك هشام بن عبد الملك ، فبعث الى يوسف بن عمر يأمره باخلاء سبيل زيد ليترك الكوفه ويتوجه الى المدينة (١).

ولكن أهل الكوفة جاءوا اليه يشجعونه على الخروج على بني أميه – وقد كان زيد يحدث نفسه بالخلافة – ووعدوه أن ينصروه ، فتقاطر عليه الشيعة من أنحاء المدن حتى اجتمع اليه عدد كبير قدر مابين خمسة عشر ألفا (٢)، وما بين عشرة آلاف(٣) من أهل الكوفة وغيرها سنة ١٢١ هـ ، فلما علم يوسف بن عمر بأمره أخذ يلاحقه حتى اضطر زيد الى اعلان الثورة ، فلما خرج لقتال يوسف بن عمر سأله بعض أنصاره عن رأيه في خلافة أبي بكر وعمر فلم ينكرها فلما رأوا منه ذلك رفضوه وامتنعوا عن القتال ولذلك سموا (بالروافض) فبقى في قلة من أصحابه – وهم أصول فرق الزيدية – فسهل على يوسف بن عمر قتله وصلبه في كناسة الكوفة (٤).

---

(١) – الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ ومابعده ،
– نبيه عاقل ، المرجع السابق ، ص ٣١٣ – ٣١٤ .
(٢) – ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ ،
– عمر فروخ ، تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية ، ص ١٧٨ .
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ .
(٤) ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ .

أما بالنسبة لخراسان فلم تكن أقل حظا في الثورات مما أصاب العراق ، وكان ذلك ناتجا عما سار عليه عمال الولايات في عهد هشام بن عبد الملك من اختيار عمال الخراج من قبلهم وليس من قبل الخليفة ، فحرص ولاة هشام على اختيار عمال الخراج من الموالي نظرا لمعرفتهم بأحوال بلادهم ، فكان عامة عمال الخراج من الدهاقين الذين أصبحوا يتمتعون بامتيازات كبيرة في عهد خالد القسري وأخيه أسد القسري والي خراسان ، فاستغل هؤلاء الدهاقين ثقة الولاة العرب ونوابهم فراحوا يجمعون أموال الخراج بالطريقة التي يرونها ، ويحتفظون منها بما يشاءون ، ولا يعطون الولاة العرب الا المبالغ المتفق عليها ، مما سبب تذمرا شديدا بين الأهالي وبخاصة سكان ماوراء النهر ، فاذا عرفنا أن أحد عمال الخراج في عهد الوالي خالد القسري دفع ثلاثمائة ألف درهم لعامل آخر مقابل النزول له عن ولاية الخراج لعرفنا مدى ماكان يتوقعه هذا العامل من أرباح اذا ما أسندت اليه هذه الوظيفة (١).

وقد ارتبطت خراسان بما كان يدور من اضطهاد وثورات في بلاد ماوراء النهر ، فقد قامت نزاعات عنيفة بين المضرية واليمنية في خراسان ، وتلا ذلك النزاع ثورة أخرى في بلاد الصغد قام بها الأهالي نتيجة جشع نائب أمير سمرقند الذي بعد أن كان قد وعد باعفاء من أسلم من الجزية حاول أن يفرضها من جديد اثر اعتناق أناس كثيرين للاسلام ، وانضم الى الثائرين عدد من المستوطنين بقيادة زعيم عربي يدعي الحارث بن سريج ، كما تلقوا الامدادات من رئيس قبائل التركمان (٢).

---

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٨ .

(٢) - الطبري ، المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٩٥ ،

- سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١ م ، ص ١٤٠ .

ويذكر أنه من الأسباب التي جعلت هذا الوالي يعدل عن رفع الجزية عمن أسلم أن الدهاقين - وهم ملاك الأراضي - لم يرضوا عن ذلك لأنهم كانوا مسؤولين عن تحصيل الجزية وكان من العسير عليهم الحصول على الأموال الوفيرة اذا سقطت الجزية بسبب الدخول في الاسلام ، ولهذا جاء دهاقين بخارى الى - أشرس السلمي - والي خراسان وقالوا له : ممن نأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا (أي أصبحوا مسلمين على يد العرب) ، فكان ذلك مما حمل أشرس على العدول عن خطته ازاء أهل الصغد ، فعين عمالا جددا ، وأمرهم أن يأخذوا الجزية ممن كانوا يأخذونها منهم ، فامتنع هؤلاء عن دفعها ، واعتزل قوم من أهل الصغد يبلغ عددهم سبعة آلاف ، فنزلوا على مقربة من سمرقند ، الا أنهم في البداية من أمرهم انفض عنهم مناصروهم وضعف أمرهم وأرغموا على دفع الجزية ولم يسكت أهالي الصغد على أوضاعهم في دفع الجزية بعد دخولهم في الاسلام ، فاستعانوا بالترك ليتحرروا من سلطان العرب[١].

حارب المسلمون الأتراك واشتهر في هذه الحروب الحارث بن سريج الذي كان ضمن جيش خراسان ، وقد أبلى بلاء حسنا في محاربته للترك[٢]، الا أنه يبدو أنه غير خطته بعد ذلك وأخذ على عاتقه اتمام حركة الموالي في رفع الجزية عمن أسلم منهم ، فحرص الموالي ووعدهم بالعمل على اسقاط الجزية عنهم ، واشراكهم في الأعطيات التي كانت تعطى للمقاتلة ، واشترك معه في ثورته على الدولة الأموية كثير من العرب من تميم والأزد ، كما انضوى الدهاقين وأهل القرى تحت لوائه[٣]، وقد استطاع الحارث بن سريج الدخول في

---

(١) - ابن الأثير ، الكامل ،ج ٤ ،ص ١٤٧ ومابعده ،
- محمد جمال الدين سرور،الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ، دار الفكر العربي ،القاهرة ،الطبعة الخامسة ،١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، ص ١٦٠-١٦١ .

(٢) - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ ومابعده ،
- عبد المجيد محمد صالح الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

(٣) - الطبري ،المصدر السابق ،ج ٧ ، ص ٩٦ ،
- محمد جمال الدين سرور ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

معارك عدة حتى وصل مروَ عاصمة خراسان يساعده في ذلك أهل البلاد الذين مالوا اليه ، الا أن والي خراسان استطاع مقاتلة الحارث بن سريج والانتصار عليه ، فقتل عددا كبيرا من أتباعه ، وتفرق عنه أصحابه من العرب والدهاقين ، وتولى خراسان أسد القسري الذي ظل يلاحق الحارث بن سريج ، الذي ظل مخالفا للدولة الأموية حتى عهد يزيد بن الوليد (١).

وعندما توفى أسد القسري عين الخليفة هشام نصر بن سيار على ولاية خراسان حيث أعلن عقب توليه اسقاط الجزية عمن أسلم ، أما الخراج فانه وضع له نظاما يقضي بأن يجيء بالمقدار الثابت الذي تقدر على المدن والنواحي كل على حدتها ، ومن الأرض وحدها ، وعلى هذا حدد مقدار الخراج من جديد ، وصار يؤخذ من جميع ملاك الأرض بحسب مايملكونه سواء كانوا مسلمين أو رعايا غير مسلمين خاضعين للدولة الاسلامية (٢).

غير أن نصر بن سيار هذا قد تعصب للمضرية ضد اليمنية ، فغلت خراسان بين مراجل غضب الموالي ، وأحقاد العصبية ، فكان ذلك مما مهد السبيل لأبي مسلم الخراساني في نشر الدعوة العباسية (٣).

أما بلاد المغرب فقد وجد الخوارج أرضا خصبة - وهم الذين كانوا قد قصم ظهرهم مقاومتهم بالمشرق - ، فاستغلوا سوء تصرف العمال لاثارة البربر على الخلافة الأموية حيث كان العمال يتهاونون بالبربر ومالهم وحيواناتهم

---

(١) - الطبري ، المصدر السابق ، ص ٣٣٠ ،
- ثابت اسماعيل الراوي ، المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٢) - ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج ٤ ، ص ٢٣٦ ،
- محمد جمال الدين سرور ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ٢٢٦ .

واعتبروهم أقل من العرب ، فقد كانت دعوتهم المساواة ، فأقبل البربر على الاسلام حبا في المساواة ، فثار البربر على هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢هـ ، وتزعمهم خارجي من الصفرية اسمه ميسرة المدغري فاستطاع أن يجمع البربر حوله ، وسمى نفسه أمير المغرب ، وكان ذلك ناتجا عن سوء تصرف عمال هشام ، فعامل طنجة عمر عبد الله أساء السيرة وأراد تخميس البربر ، أي جعلهم فيئا للمسلمين ، واسماعيل بن عبيد الله ، عامل السوس ، - ابن عبيد الله بن الحبحاب عامل المغرب ووالي مصر - أساء السيرة أيضا في البربر ، لذلك انتهز ميسرة المدغري فرصة ارسال حملة للغارة على صقلية وهجم بجموع البربر التي هبت تؤيده وتشد أزره ، ففتكوا بوالي طنجة ، ووالي السوس[(١)] ، فتحرج بذلك موقف عبيد الله بن الحبحاب في بلاد المغرب ، وساء مركز العرب ، وعظمت مكانة ميسرة وأتباعه من البربر ، وقوي أمره في المغرب الأقصى ، لذلك أعد عبيد الله بن الحبحاب جيشا مؤلفا من خيار العرب ، جعل على مقدمته خالد بن حبيب الفهري ، فلقي ميسرة بالقرب من طنجة ، فاقتتل جيشاهما وتراجع ميسرة ، فثار عليه البربر وقتلوه ، وولوا أمرهم مكانه زعيما من الغلاة المتطرفين هو خالد بن حميد الزناتي ، فالتقى خالد بن حبيب بالبربر بقيادة ابن حميد الزناتي ، ولكنه لم يستطع أن يصمد أمام جيوشهم الكثيفة ، فانهزم ، وانهزم وراءه العرب هزيمة مخزية لم يسمع بمثلها ، وقتل ابن حبيب ومن معه ، وبلغ خبر الهزيمة أسماع بربر الأندلس ، فثاروا على عاملهم وعزلوه[(٢)] ، فلما علم هشام بن عبد الملك بالكارثة التي أصابت بلاد المغرب ، عزم على الانتقام من البربر ، فأقام على المغرب بدلا من

---

(١) - ابن الأثير ، المصدر السابق ،جـ ٤ ، ص ١٩٠ ومابعده ،
- عبد المنعم ماجد ،التاريخ السياسي للدولة العربية ،جـ ٢ ، ص ٢٨٩ .

(٢) - ابن الأثير ،المصدر السابق ،جـ ٤ ،ص ١٩٢ ومابعده ،
- السيد عبد العزيز سالم ،المغرب الكبير (العصر الاسلامي) ،دار النهضة العربية ،بيروت ،١٩٨١م ،جـ ٢ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٧ .

ابن الحبحاب رجلا قيسيا من غلاة القيسية هو كلثوم بن عياض القشيري ، وسير معه جيشا كثيفا من الشاميين والمصريين ، وتولى قيادة الجيش ابن أخيه بلج بن بشر القشيري ، الذي واجه صعوبات كبيرة ، وهزائم عدة من البربر ، فقد أباد البربر جيش كلثوم ، كما فر بلج بعد هزيمة منكرة ، هذا كما واجه العرب بعد ذلك هزائم منكرة على يد البربر وانحسر سلطان العرب عن المغربين الأقصى والأوسط ، ولم يبق لهم الا القيروان ،وما وراءها من المغرب الأدنى(١).

وبعد ما أوردناه عن بعض أحوال الولايات الاسلامية في عهد هشام بن عبد الملك ، على الرغم من محاولاته الاصلاحية ، الا أننا نستطيع القول بأن الدولة الاسلامية في عهده قد تصدعت أركانها ، فان كانت محاولاته في الاصلاحات الادارية تمثل نوعا من الدقة والتنظيم ليقضي على المفاسد الموجودة في البلاد ، الا أنه لم يستطع التمسك بسياسة موحدة يسير عليها في معاملة الموالي وأهل الذمة مما نتج عنه هذه الثورات ، ولعلنا ندرك أن هذه الاضطرابات والثورات في الولايات ماهي الا نتاج سياسة الولاة الذين لم يستطيعوا الحكم بميزان العدل .

ولعل هشام بن عبد الملك كان يريد أن يمحو الصورة التي تركها أخوه يزيد بن عبد الملك في نفوس عامة الشعب في بداية حكمه بالاهتمام بالمصالح العامة في جميع الولايات بما فيها بلاد الشام ، فقد وصف بأنه كان تقيا على نقيض يزيد ، الا أنه لم يتمكن من القضاء على النتائج السيئة لسياسة سلفه يزيد الذي أوغر صدور العرب اليمنية وشعوب البلاد المفتوحة ،وهو وان حاول

---

(١) عن تفاصيل ثورة البربر وهزائم العرب في افريقية أنظر :
- ابن الأثير ، المصدر السابق ،جـ ٤ ، ص ١٩٠ ومايليه ،
- السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ،جـ ٢ ، ص ٣٠٧ ومايليه ،
- عبد المجيد محمد صالح الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ٢٠٩ ومايليه .

أن يصلح مافسد وانقاذ مايمكن انقاذه الا أنه لم يصل الى مثالية عمر بن عبد العزيز[1]. ولربما كان من أسباب تغييره لسياسته هو ما كان يواجهه من سوء تصرفات ولاته في الأمصار . أما في بلاد الشام فلعل أحوالها كانت مستقرة عن أي ولاية أخرى ، ويمكن القول أنه في عهد هشام نزلت بطون كثيرة من مختلف أنحاء الجزيرة العربية في فلسطين وسورية وبر الشام واستقرت فيها[2]، ويحتمل أن يكون استقرارها في منطقة الشام طلبا للاستقرار في ظل الخلافة ، وربما أتت ليس من الجزيرة العربية وحدها بل من أماكن متفرقة من أنحاء الولايات ، وان كنا لا نستبعد السبب الرئيسي لتنقل الأعراب من جزيرة العرب وهو البحث عن الماء والكلأ[3].

---

(١) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، جـ ٢ ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .
(٢) مصطفى مراد الدباغ ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ .
(٣) ـ ذكر أنه في أيام هشام قحطت البادية . أنظر في ذلك :
ـ القرماني ، أخبار الدول وآثار الأول ، ص ١٤١ ،
ـ الأبشهي ، المستطرف ، جـ ١ ، ص ٤٦ .

الخاتمة

بدراسة الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي ، وبعد إلقاء الضوء على أهم المؤشرات الاقتصادية التي سادت مجتمع الشام في العصر البيزنطي، والتي كان لها الأثر الواضح في فرار أهل الشام من ذلك النير الذي واجهوه نتيجة لتلك السياسة التي اتبعها حكام بيزنطة تجاه الولايات الشرقية وأهمها بلاد الشام • فقد كان لسياسة الاضطهاد التي اتبعتها الحكومة البيزنطية في جمع الضرائب أثرها السيء على أهالي بلاد الشام ، الذين عانوا من سوء معاملة جباة الضرائب ، إضافة إلى خضوع بعضهم لسلطان النبلاء والأشراف الذين تسلطوا على أهالي الأراضي الأصليين ، وأصبحوا لهم بمثابة أرقاء خاضعين ليس لهم حول ولا قوة ، فضلا عن تفشي الأوبئة في بلاد الشام في هذه الفترة ، والذي أدى إلى سوء الحالة الاجتماعية والصحية ، خاصة بين هؤلاء الفلاحين •

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كان لاضطهاد الحكومة البيزنطية لأهالي الشام الذين اعتنقوا مذهب المونوفيزية (مذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح) أثر بالغ في نفوسهم حيث ساموهم سوء العذاب •

ولا يقل عنه أثرا على سوء الحالة الاقتصادية في بلاد الشام في أواخر العصر البيزنطي ماتركته الحروب الفارسية البيزنطية من خراب ودمار ، فقد كانت الدولة البيزنطية تسعى جاهدة للوقوف في وجه التيار الفارسي على الولايات الشرقية ، وتطلب هذا منها الزيادة في جمع المال والرجال ، فخربت خزينة الدولة نتيجة صرف الأموال الباهظة على هذه الحرب ، وهذا أدى بدوره إلى المزيد من الضغط مع ماصاحبه من عنف على الفلاحين في جباية الأموال منهم •

وقد وجد أهالي بلاد الشام الخلاص على يد الفاتحين العرب المسلمين ، إذ استبقوا معظم أرضهم يقومون بزراعتها في آمن وطمأنينة بمقتضى عهود التصالح التي عقدوها مع العرب باعتبار أنها فتحت صلحا •

وكانت بلاد الشام منذ أقدم العصور مهدا للديانات السماوية ومعبرا لأهم طرق التجارة بين الشرق والغرب ، ونقلت التجارات عبرها إلى كل مكان ، لذا فحينما فتح المسلمون العرب أرضها تنبهوا لأهميتها وخبرة أهلها العريقة في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة ، وأصدر عمر بن الخطاب قراره بعد فتح أرض السواد في العراق بأن تبقى هذه الأرض – ثم سائر الأراضي المفتوحة – في يد أصحابها يزرعونها ، ويدفعون الخراج عنها ، وعن رؤوسهم الجزية ، ضمانا بأن يبقى في الدولة الإسلامية مورد ثابت للمسلمين ، في جميع الولايات الإسلامية ، إضافة إلى ماكانت تغدقه غنائم الفتوحات الإسلامية المستمرة آنذاك .

وكانت بلاد الشام بعد الفتح مباشرة قد وليها معاوية بن أبي سفيان – صخر بن حرب بن أمية – القرشي الأموي ، في عهد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وكان أبوه على رأس تجار قريش الذين جابوا شمال الجزيرة العربية وجنوبها وعرفوا طبيعة بلاد الشام وأهميتها التجارية ، لذلك اهتم معاوية منذ البداية بغرس محبته في قلوب أهلها ، ووطن بها أهل بيته ، وحينما تولى الخلافة نقل عاصمة الدولة الأموية من المدينة إلى دمشق ، وبذلك أصبح لبلاد الشام المكانة العظمى في بلاد العالم الإسلامي ، وقد وضع معاوية سياسة قوية لدولة استطاع بها ضمان السيطرة على عمال الولايات في إرسال فائض الأموال إلى خزينة الدولة - بيت المال المركزي في دمشق - ، كما جعل لجند الشام مكانة خاصة في زيادة العطاء ، فضلا عن ذلك فقد زال الظلم الذي كان يعاني منه أهل الشام في جباية الخراج على يد البيزنطيين ، فاستقرت أحوالهم ، وانصرفوا إلى أعمالهم وزراعاتهم آمنين في ظل ماتحقق لهم من عدل وأمان ، وكان لذلك أثره الكبير على تحسين الحياة الاقتصادية بل على ازدهارها في بلاد الشام .

وقد اهتم خلفاء الدولة الأموية بتنمية موارد الدولة ، كما اهتم الخلفاء بالعناية بطرق الري واصلاح الأراضي ، فتوفرت بذلك الخامات الزراعية الهامة ، التي ساعدت على تصنيع هذه الخامات ، وبالتالي توفرت مواد التصدير من بلاد الشام ، وحصلت بذلك على مورد آخر هو مورد التجارة التي لم تنقطع نشاطاتها البرية والبحرية عبر الطرق التجارية القديمة منها والمستحدثة خلال الحكم الأموي ، بحكم ازدهار بعض المدن واضمحلال بعضها ، فتحقق بذلك ازدهار الحياة الاقتصادية عامة في بلاد الشام .

وبالاضافة الى هذه السياسة الحكيمة التي سار عليها خلفاء بني أمية في العمل على ازدهار الحياة الاقتصادية في بلاد الشام.خاصة ، وفي سائر الولايات الاسلامية عامة ، فقد كان من بينهم من قام بأوجه كثيرة من وجوه الاصلاح لمواجهة الأزمات التي كانت تهدد اقتصاد الدولة . فقد كان لعبد الملك بن مروان دوره الفعال في تنفيذ برنامج اصلاح اداري ومالي قوي يدعم أركان هذه الدولة ، فأتت خطوته الأولى بأن نقل دواوين الدولة من اللغات التي كانت تعتمد عليها - وهي الرومية والفارسية - الى اللغة العربية ،وبذلك خضعت جميع سجلات الدواوين للرقابة العربية المسلمة ، كما أتت الخطوة الثانية والهامة في تاريخ الدولة الأموية ، حين أراد عبد الملك تحرير الدولة الاسلامية من السيطرة المالية البيزنطية ، وذلك حين قام باصدار الدنانير العربية الاسلامية الخالصة ، بعد أن كانت الدولة تتعامل بالعملات البيزنطية والفارسية التي دخلها كثير من الغش والتزييف ، فصحح الأوزان ، وخضعت العملة النقدية لمراقبة الدولة .

على أن الدولة الأموية قد واجهت في أواخر حياتها بعض الأمور الهامة التي كانت في غاية الخطورة على مجريات الأحداث في عهدها ، وهذه الأمور هي التي كانت تتمثل في سوء معاملة أهل الذمة والموالي ، وماحدث من اذكاء روح العصبية القبلية .

أما عن أهل الذمة فانهم بعد أن عاشوا حياة مستقرة بعد الفتح الاسلامي ، الا أنهم قد لاقوا فيما بعد خلال عهد الوليد وسليمان ابني عبد الملك بعض الولاة في الأمصار الاسلامية الاشتطاط في جباية الجزية منهم ،بل واجبارا لحديثي العهد منهم بالاسلام على دفع الجزية . واذا كانت هذه المعاناة قد ظهرت بين أهل الذمة في بعض الأمصار الاسلامية كالعراق ومصر والمغرب ، الا أننا لا نجد لها أثرا بين أهل الذمة في بلاد الشام .

وأما الموالي - الذين ساوى الاسلام بينهم وبين سائر المسلمين - فقد شعروا بالتفرقة في المعاملة التي وجدت من بعض خلفاء الدولة الأموية وولاتهم الذين جعلوا الصدارة في المعاملة والعطاء ومراكز الدولة للعرب .

أما العصبية القبلية ، فهي التي أخذت مركز الصدارة في هذه الأحداث ، والتي عجلت بسقوط الدولة الأموية . فقد اتسمت سياسة معظم خلفاء بني أمية في أواخر عهدها بالتعصب القبلي للقيسية أو اليمنية بحكم القربى أو المصاهرة ، وكان لهذه السياسة القبلية آثارها الشديدة على ازدياد روح العصبية القبلية في بلاد الشام ، وفي معظم الأمصار الاسلامية ، الأمر الذي عجل بنهايتها .

وقد حاول عمر بن عبد العزيز تصحيح أوضاع أهل الذمة ،وانصاف الموالي ، كما قام باصلاحات مالية واسعة في حيازة الأراضي الزراعية ، وفي جباية الخراج ، الا أن هذه الاصلاحات لم يكتب لها الاستمرار والنجاح بسبب قصر مدة خلافته ، فقد توقفت حركة الاصلاح هذه نتيجة لعدول يزيد بن عبد الملك عنها ، ولعدم نجاح هشام بن عبد الملك وولاته في الأمصار في التصدي لسوء الأحوال

المالية في الدولة . كما استمرت الصراعات القبلية التي اشتدت في الولايات ، ولم يستطع هشام بن عبد الملك الوقوف في وجه ذلك التيار القبلي بصراعاته العنيفة ، وكان ذلك عاملا كبيرا في تصدع الدولة الأموية ، في الوقت الذي قامت فيه الدعوة العباسية ، التي نجحت آخر الأمر في القضاء على الخلافة الأموية واقامة الخلافة العباسية .

قائمة المصادر والمراجع

أ ـ المصـادر الخطيـة

١ ـ ابن الجوزي (ت : ٥٩٧ هـ) مختصر سيرة العمرين ،مخطوط ،تيمورية ، دار الكتب ، القاهـرة ٠

٢ ـ ابن الراعـي البرق المتألق في محاسن جلق ،مخطوط ، تيمورية ،دار الكتب ، القاهرة ٠

٣ ـ ابن العديم (ت : ٦٦٠ هـ) بغية الطلب في تاريخ حلب ، مخطوط ، تيمورية ، دار الكتب ، القاهـرة ٠

٤ ـ ابن النقاش : (ت : ٤١٤ هـ) كتاب المذمة في استعمال أهل الذمة ، مخطوط ،فقه شافعي رقم ٢٢٥٤،دارالكتب ، القاهـرة ٠

٥ ـ عبد الله مراش (ت : ١٣١٨هـ) مختصر تاريخ حلب ،مخطوط ،تيمورية ، رقم ١٩٥٦ ، دار الكتب ، القاهـرة ٠

٦ ـ عماد الدين الأصفهاني: (ت:٥٩٧هـ) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ،تذييل علي بن أبي القاسم بن خليل ، مخطوط بالخزانة السعيدة المولوية ، رقم ٢٧٥٩ ٠

ب - المصادر المطبوعة

١ - القرآن الكريم

٢ - ابن الأثير (ت : ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة والنشر،دار صادر، بيروت ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

٣ - ابن بطوطه (ت : ٧٧٩هـ) تحفة النظار (رحلة ابن بطوطة) ، كتاب التحرير رقم ١٦٦ ،القاهرة ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

٤ - ابن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) سيرة ومناقب عمر بن الخطاب ،تحقيق زينب ابراهيم القاروط ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٥ - ،، ،، ،، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، شرح وتعليق نعيم زرزوز ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

٦ - ابن حوقل (ت بعد ٣٦٧ هـ) كتاب صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،الطبعة الثانية .

٧ - ابن خرداذبة (ت : ٣٠٠هـ) المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد .

٨ - ابن خلدون (ت : ٨٠٨هـ) مقدمة ابن خلدون ، مطبعة دار الشعب ، القاهرة .

٩ - ،، ،، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٧م .

١٠- ابن دقماق (ت : ٨٠٩هـ) الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور،مراجعة أحمد دراج ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، كلية الشريعة ،جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

١١- ابن سعد (ت : ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى ،دار صادر،بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

١٢- ابن سينا (ت : ٤٢٨هـ) القانون في الطب ،منشورات مؤسسة المعارف ،بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

١٣- ابن شداد (ت : ٦٨٤هـ) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ،نشر سامي الدهان ،المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .

١٤- ابن طباطبا (ت : ٧٠٩هـ) كتاب الفخري في الآداب السلطانية ، مطبعة الموسوعات ،مصر ،١٣١٧هـ .

١٥- ابن عبد الحكم (ت : ٢١٤هـ) سيرة عمر بن عبد العزيز ، مكتبة وهبة ،القاهرة ،الطبعة الثانية ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

١٦- ابن عبد ربه (ت : ٣٢٨هـ) العقد الفريد ، دار الفكر ، الطبعة الثانية .

١٧- ابن العبري (ت : ٦٨٥هـ) تاريخ مختصر الدول ،دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية .

١٨- ابن العديم (ت : ٦٦٠هـ) زبدة الحلب من تاريخ حلب ، نشر سامي الدهان ،المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق .

١٩- ابن عساكر (ت : ٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق سكينة الشهابي ومطاع الطرابيشي ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق .

٢٠- ،، ،، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، تحقيق عبد القادر بدران ،دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م .

٢١- ابن قتيبة (ت : ٢٧٦هـ) المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ،الطبعة الثانية ،دار المعارف ، مصر .

٢٢- ابن قتيبة (ت : ٢٨٨هـ) الإمامة والسياسة ،تحقيق طه الزيني ، دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت .

٢٣- ابن القفطي (ت : ٦٤٦هـ) تاريخ الحكماء ،مكتبة المتنبي ، القاهرة .

٢٤- ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) شرح الشروط العمرية ، تحقيق صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ،بيروت ، الطبعة الثانية ،١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٢٥- ابن كثير (ت : ٧٧٤هـ) البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ،الطبعة الخامسة ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٢٦- ،، ،، عمر بن عبد العزيز،الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة ،الطبعة الثانية .

٢٧- ابن المبرد (ت : ٩٠٩هـ) نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق بدمشق ، تقديم حبيب الزيات ، مجلة المشرق ، بيروت ، ١٩٣٩م .

٢٨- ابن منظور (ت : ٧١١هـ) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، دار الفكر ،دمشق ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

٢٩- ابو عبيد (ت : ٢٢٤ هـ) كتاب الأموال ، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس ،مكتبة الكليات الأزهرية ،ودار الفكر،القاهرة ،الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٣٠- ابو يعلي (ت : ٤٥٨هـ) الأحكام السلطانية ، تصحيح محمد حامد الفقي ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٣١- ابو يوسف (ت : ١٨٢هـ) كتاب الخراج ، ضمن موسوعة الخراج وتشمل :
- كتاب الخراج لأبي يوسف ،
- كتاب الخراج ليحي بن آدم ،
- الاستخراج لأحكام الخراج لابن رجب الحنبلي ،
طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٣٢- الأبشهي (ت : ٨٥٠هـ) المستطرف في كل فن مستظرف ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٣- الاصطخري (ت : ٣٤٦هـ) المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحسيني ، دار القلم ، القاهرة ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

٣٤- الأصفهاني (ت : ٣٥٦هـ) الأغاني ،دار صعب ، بيروت .

٣٥- البدري (القرن التاسع الهجري) نزهة الأنام في محاسن الشام ، دار الرائد العربي ،بيروت ،الطبعة الأولى ،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

٣٦- البلاذري (ت : ٢٧٩هـ) أنساب الأشراف ، تحقيق إحسان عباس ،دار النشر فرانتس شتايـنر بفسبادن ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م ،القسم الرابع ، الجزء الأول .

٣٧- ،، ،، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق محمد رضوان ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٣٨- البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) المحاسن والمساوئ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

٣٩- الثعالبي (ت : ٤٢٩هـ) لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الإبياري وحسن كامل الصيرفي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

٤٠- الجهشياري (ت : ٣٣١هـ) الوزراء والكتاب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

٤١- الحميري (ت : ٩٠٠هـ) الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ،الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م .

٤٢- الخزاعي التلمساني (ت : ٧٨٩هـ) كتاب تخريج الدلالات السمعية ، وزارة الأوقاف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ،القاهرة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٤٣- خليفة بن خياط(ت : ٢٤٠هـ) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري، نشر دار طيبة ، الرياض ،الطبعة الثانية ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤٤- الخولاني (ت : ٣٧٠هـ) تاريخ داريا ، تحقيق سعيد الأفغاني ،دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

٤٥- الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) كتاب دول الإسلام ، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م .

٤٦- الرحبي (ت : بعد سنة ١١٨٤هـ) فقه الملوك ومفتاح الرتاج ، تحقيق أحمد عبيد الكبيسي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٥م .

٤٧- الزهري (ت : ١٢٤هـ) تاريخ مدينة دمشق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،الطبعة الأولى ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٤٨- السيوطي (ت : ٩١١هـ) تفسير الجلالين ، دار المعرفة ، بيروت ،الطبعة الأولى ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٤٩- السيوطي (ت : ٩١١هـ) تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد أبو الفضل، مطبعة نهضة مصر، ١٩٧٦م .

٥٠- شمس الدين محمد بن علي بن طولون (ت : ٩٥٣هـ) تاريخ المزة وآثارها ، تحقيق محمد عمر حمادة، دار قتيبة، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

٥١- " " " القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، تحقيق محمد أحمد درهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق .

٥٢- الطبري (ت : ٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ، نشر دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م .

٥٣- غرس الدين الظاهري (ت:٨٧٣هـ) كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، صححه بولس راويس ، المطبعة الجمهورية ، باريس ، ١٩٨٤م .

٥٤- القاضي الرشيد (القرن الخامس الهجري) كتاب الذخائر والتحف ، تحقيق محمد حميد الله ، مراجعة صلاح الدين المنجد، التراث العربي ، دائرة المطبوعات والنشر الكويت ، ١٩٥٩م .

٥٥- قدامة بن جعفر (ت : ٣٣٧هـ) الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، سلسلة كتب التراث ، دار الرشيد للنشر، بغداد ، ١٩٨١م .

٥٦- القرماني (ت : ١٠١٩هـ) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب-بيروت ،المتنبي-القاهرة ، سعد الدين - دمشق .

٥٧- القزويني (ت : ٦٨٢هـ) آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر، بيروت ،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

٥٨- القلقشندي (ت : ٨٢١هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٥٩- الماوردي (ت : ٤٥٠هـ) الأحكام السلطانية ،مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

٦٠- المسعودي (ت : ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

٦١- المقدسي:مطهر بن طاهر(ت ٣٥٥هـ) البدء والتاريخ،مكتبة المثنى ، بغداد ،مكتبة الخانجي،مصر .

٦٢- المقدسي/المعروف بالبشاري (ت : ٣٨٨هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ،ليدن ،١٩٠٦م .

٦٣- مؤلف من القرن الثالث للهجرة أخبار الدولة العباسية ،عن مخطوط فريد من مكتبة أبي حنيفة ببغداد ، تحقيق عبد العزيز الدوري،وعبدالجبار المطلبي،دار صادر،بيروت ، ١٩٧١م .

٦٤- الواقــدي (ت : ٢٠٧هـ) فتوح الشام ، دار الجيل .

٦٥- اليعقوبــي (ت بعد ٢٩٢هـ) تاريخ اليعقوبي ،دار صــــادر ، بيروت ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

٦٦- ياقوت الحموي (ت : ٦٢٦هـ) معجم البلدان ،طبعة دار صــــادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

جـ ـ المراجع العربيـة

١ ـ ابراهيم أحمد العـدوي — التاريخ الإسلامي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهـرة .

٢ ـ ،، ،، ،، — الأمويون والبيزنطيون ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

٣ ـ ،، ،، ،، — مصر الإسلامية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

٤ ـ ابراهيم انيس ، عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحي ، محمد خلف الله — المعجم الوسيط ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ،الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

٥ ـ ابراهيم بيضون — تكوين الاتجاهات السياسية في الإسلام الأول ،(من دولة عمر إلى دولة عبد الملك) ،دار اقرأ ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٦ ـ ابراهيم فؤاد أحمد علي — الموارد المالية في الإسلام ، مكتبة الأنجلو المصرية ،الطبعة الثالثة ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

٧ - ابو صالح الألفـــــــي : الفـن الإسلامي ، دار المعارف ،لبنان، الطبعة الثانيـة .

٨ - ابو الفـرج العـــــش : آثارنـا في الاقليم السوري،المطبعـة الجديدة ،دمشق ،الطبعة الأولى، ١٩٦٠م .

٩ - أحمد رمضان أحمد محمـد : حضارة الدولة العربية ، الجهـاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسيـة والوسائل التعليمية ،القاهرة، ١٩٧٨م .

١٠- أحمـد الشرباصـي : المعجم الاقتصادي الإسلامي،دار الجيل ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

١١- أحمـد شلبـي : السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي، (موسوعة النظم والحضارة الإسلاميـة) ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،الطبعة الثالثة ، ١٩٧٤م .

١٢- أحمـد عـادل كمـال : الطريق إلى دمشق (فتح بلاد الشـام) ، دار النفائس ،بيروت ، الطبعـة الأولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

١٣- أحمـد غسـان سبانـو : دمشق الشـام ، (تاريخها وآثارهـا وأحوالها الاجتماعية والاقتصاديـة والعلميـة) - مقالات مجموعة- سلسلة دراسات ووثائق دمشق الشام رقم ٥ ، دار قتيبه ، دمشق .

١٤- أحمد غسان سبانو — دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية ، سلسلة دراسات ووثائق دمشق الشام ، رقم ٦ ، دار الكتاب العربي .

١٥- ،، ،، ،، — مكتشفات مثيرة تغيّر تاريخ دمشق القديم ، (إرم ذات العماد) . سلسلة دراسات ووثائق دمشق الشام ،رقم ٧ ، دار قتيبه ، دمشق .

١٦- أحمد مختار العبادي — الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية - ضمن مجموعة دراسات في تاريخ الحضارة العربية - مطبوعات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

١٧- آ . س . ترتون — أهل الذمة في الإسلام ، ترجمة وتعليق حسن حبش ، دار المعارف ، بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧م .

١٨- أسد رستم — الروم وصلاتهم بالعرب ،دار المكشوف .

١٩- انستاس الكرملي — مجموعة رسائل في النقود العربية والإسلامية وعلم النميات ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م .

٢٠- أنـــور الرفـاعـــــي النظم الإسلامية ،دار الفكر،دمشـق ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م .

٢١ - ،، ،، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٢٢- توفيق سلطان اليوزبكـي دراسات في النظم العربية والإسلامية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ،ومؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٢٣- توماس ارنولـد الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة وتعليق حسن ابراهيم حسن ،وعبد المجيد عابدين ،واسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠ م .

٢٤- ثابت اسماعيل الـراوي تاريخ الدولة العربية ، (خلافة الراشدين والأمويين) ،مطبعة الارشاد،بغداد ، ١٩٧٦م .

٢٥- ثريا حافظ عرفـه الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول ،تهامة للنشر والاعلان ،جده،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٢٦- جـــلال مظهـــــر — حضارة الاسلام وأثرها في الترقي العالمي ، مكتبة الخانجي،القاهرة .

٢٧- جميل نخلة المدور — حضارة الإسلام في دار السلام ، المطبعة الأميرية ، القاهرة .

٢٨- جورج لوفران — تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحاضر،ترجمة هاشم الحسيني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٢٩- الحبيب الجنحاني — التحول الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع صدر الإسلام،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م .

٣٠- حسان علي حلاق — تعريب النقود العربية والدواوين في العصر الأموي،دار الكتاب العربي ، بيروت ،ودار الكتاب القومي،القاهرة ، الطبعة الأولى،١٣٩٨هـ/١٩٨٧م .

٣١- حسن ابراهيم حسن — تاريخ الإسلام السياسي ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،الطبعة السابعة ، ١٩٦٥م .

٣٢- ،، ،، ،، وعلي ابراهيم حسن — النظم الإسلامية ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،الطبعة الرابعة، ١٩٧٠م .

٣٣- حسن محمود الشافعي — العملة وتاريخها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

٣٤- حسين عطوان — الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٣٥- خالد جاسم الجنابي — تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨٤م .

٣٦- خليل داود الزرو — الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

٣٧- خير الدين الزركلي — الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٩م .

٣٨- دانيل دينيت — الجزية والإسلام ، ترجمة فوزي فهيم جاد الله ، مراجعة إحسان عباس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٣٩- رشيد عبد الله الجميلي — تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، مكتبة المعارف ، الرباط ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م .

٤٠- ريتشارد آ. ساليفان — ورثة الامبراطورية الرومانية ، ترجمة جوزيف نسيم يوسف ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٥م .

٤١- زكي محمد حسن — الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، دار الكتب المصرية ،القاهرة ،١٩٤٠م .

٤٢- ،، ،، ،، — فنون الإسلام ،دار الفكر العربي ، ودار الكتاب الحديث ، الكويت .

٤٣- سعاد ماهر محمد — النسيج الإسلامي ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ،القاهرة ، ١٩٧٧م .

٤٤- سعيد الأفغاني — أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الفكر ،بيروت ،الطبعة الثالثة ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م .

٤٥- سعيد عبد الفتاح عاشور — الحياة الاجتماعية في الدولة الإسلامية ، (ضمن دراسات في تاريخ الحضارة العربية) ،منشورات ذات السلاسل ، الكويت ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٤٦- سمير شما — النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين ،مطبعة الجمهورية ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

٤٧- سهيل زكار — تاريخ العرب والإسلام ،دار الفكر ، دمشق ،الطبعة الرابعة ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٤٨- سيد أمير علي — مختصر تاريخ العرب ،ترجمة عفيف البعلبكي ،دار العلم للملايين ، بيروت ،الطبعة الرابعة ،١٩٨١م .

٤٩- السيد الباز العريني — الدولة البيزنطية ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٨٢م .

٥٠- السيد عبد العزيز سالم — تاريخ الدولة العربية ، (تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية) ،مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ،١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

٥١- ،، ،، ،، — تاريخ المغرب الكبير ، العصر الإسلامي، الجزء الثاني ،دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١م .

٥٢- ،، ،، ،، — دراسة في تاريخ مدينة صيدا ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية، ١٩٨٦م .

٥٣- السيد محمود شكري الألوسي — بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٤- صابر محمد دياب — دراسات في التاريخ الإسلامي ، دار النهضة العربية ،القاهرة ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٥٥- صالح أحمد العلي — امتداد العرب في صدر الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٥٦- صبحي الصالح — النظم الإسلامية - نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين ،بيروت ،الطبعة الخامسة ، ١٩٨٠م .

٥٧- صلاح الدين خودا بخش — حضارة الإسلام ، ترجمة علي حسني الخربوطلي ،دار الثقافة ،بيروت ، ١٩٧١م .

٥٨- صلاح الدين المنجد — معجم بني أمية ،دار الكتاب الجديد ، بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٩٧٠م .

٥٩- طه حسين — الفتنة الكبرى ، (ضمن مجموعة إسلاميات) وتشمل على :
- مرآة الاسلام ،
- على هامش السيرة ،
- الوعد الحق ،
- الفتنة الكبرى ،
دار العلم للملايين ،بيروت ،١٩٨١م .

٦٠- عباس محمود العقاد — معاوية بن أبي سفيان،دار الهلال .

٦١- عبد الحي الكتاني — نظام الحكومة النبوية - المسمى التراتيب الإدارية - دار الكتاب العربي ، بيروت .

٦٢- عبد الخالق النواوي: النظام المالي في الإسلام، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م .

٦٣- عبد الرحمن زكي: الفن الإسلامي، دار المعارف، القاهرة .

٦٤- عبد الرحمن فهمي محمد: موسوعة النقود وعلم النميات، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٥ م .

٦٥- ،، ،، ،،: النقود العربية ماضيها وحاضرها، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٤م .

٦٦- عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي (في القرن الرابع الهجري)، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م .

٦٧- ،، ،،: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م .

٦٨- ،، ،،: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م .

٦٩- عبد العزيز عبد الله السلومي: ديوان الجند، نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون - مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٧٠- عبد الله محمد السيف — الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي ، كلية الآداب ،جامعة الرياض ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٧١- عبد المجيد محمد صالح الكبيسي — عصر هشام بن عبد الملك ، مطبعة سلمان الأعظمي ،بغداد ، ١٩٧٥م .

٧٢- عبد المنعم صالح نافع — الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في الشرق الاسلامي في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، رسالة ماجستير ، (لم تطبع) ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٢م .

٧٣- عبد المنعم ماجد — التاريخ السياسي للدولة العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ، الطبعة الخامسة ،١٩٧٦م .

٧٤- ،، ،، — تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،الطبعة الرابعة ،١٩٧٨م .

٧٥- عثمان الكعاك — الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط ،معهد الدراسات العربية العالمية ،١٩٦٥م .

٧٦- عصام الدين عبد الرؤوف — الحواضر الإسلامية الكبرى ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦م .

٧٧- عطيه أحمد محمود القوصي — تجارة مصر في البحر الأحمر - منذ فجر الاسلام حتى سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦هـ ،رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٣م ، مسجلة برقم ١١٤٩ .

٧٨- ،، ،، ،، ،، — الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ،القاهرة ، ١٩٨٥م .

٧٩- عفيف بهنسي — الفن الإسلامي في بداية تكونه ، دار الفكر،دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٨٠- عماد الدين خليل — ملامح الإنقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ،١٣٩١هـ /١٩٧١م .

٨١- عمر أبو النصر — الحضارة العربية الأموية في دمشق ، بيروت ، ١٩٤٨م .

٨٢- ،، ،، — سيوف بني أمية في الحرب والإدارة ، منشورات المكتبة الأهلية ،بيروت ، ١٩٦٣م .

٨٣- عمر عبد السلام تدمري — تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ، مؤسسة الرسالة ،دار الايمان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

٨٤- عمر فروخ — تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، دار العلم للملايين،بيروت ،الطبعة السادسة ، ١٩٨٣م .

٨٥- عمر كمال توفيق — تاريخ الدولة البيزنطية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٧ م.

٨٦- جوستاف لوبون — حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة .

٨٧- فاروق عمر — الخليفة المقاتل (مروان بن محمد) ، مطبعة دار واسط .

٨٨- فالح حسين — الحياة الزراعية في الشام في العصر الأموي،نشر الجامعة الأردنية ،عمان ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٨٩- فتحي عثمان — الحدود الإسلامية البيزنطية ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .

٩٠- فتحية النبراوي — تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جده ،الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٩١- فرج محمد الهوني — النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية- منذ قيام حكومة الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الأموية - منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ،ليبيا ، ١٣٩٦هـ .

٩٢- فيليب حتي — تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة ، بيروت ،الطبعة الثانية ،١٩٧٢م .

٩٣- ،، ،، — تاريخ العرب (طبعة جديدة منقحة) ، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الخامسة ،١٩٧٤م .

٩٤- فؤاد عبد المعطي صياد — النوروز وأثره في الأدب العربي ، جامعة الدول العربية ،بيروت ،١٩٧٢م .

٩٥- كارل بروكلمان — تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ،الطبعة السابعة ، ١٩٧٧م .

٩٦- لويس معلوف — المنجد (في الآداب والعلوم)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة التاسعة عشر، ١٩٦٦م .

٩٧- ماجده فيصل زكريا — عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٩٨- محمد أديب آل تقي الدين الحصيني — كتاب منتخبات التواريخ لدمشق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٩٩- محمد أسعد طلس — تاريخ العرب، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م .

١٠٠- محمد أمين صالح — النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٤ م .

١٠١- محمد جمال الدين سرور — الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

١٠٢- محمد حسن شراب — المدينة المنورة في العصر الأموي، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ومكتبة علوم القرآن، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

١٠٣- محمد حسين هيكل ... الفاروق عمر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السابعة .

١٠٤- " " " ... عثمان بن عفان ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

١٠٥- محمد زنيبر ... الإسلام منذ الانطلاقة الأولى الى نهاية الدولة الأموية ، (نصوص مختارة) ، سلسلة وثائق ونصوص رقم١ ، الرباط ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

١٠٦- محمد زينهم محمد عزب ... الإدارة المركزية للدولة الأموية ، رسالة ماجستير ، لم تطبع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

١٠٧- م . س . ديماند ... الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد عيسى ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٢م .

١٠٨- محمد سعيد القاسمي
جمال الدين القاسمي
وخليل العظم ... قاموس الصناعات الشامية ، الجزء الأول ، قاموس الصناعات الشامية ، الجزء الثاني ، تحقيق ظافر القاسمي ، نشر معهد الدراسات العملية العليا ، باريس .

١٠٩- محمد سليم الجندي ... تاريخ معرة النعمان ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

١١٠- محمد ضياء الدين الريس | عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، مطابع سجل العرب ،الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م .

١١١- ،، ،، ،، | الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار الأنصار،القاهرة ،الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧م .

١١٢- محمد الطيب النجار | الدولة الأموية في المشرق،دار العلوم للطباعة ،القاهرة ،١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

١١٣- محمد عثمان شبير | أحكام الخراج في الفقه الإسلامي ، دار الأرقم ،الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

١١٤- محمد عماره | عمر بن عبد العزيز (خامس الخلفاء الراشدين) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م .

١١٥- محمد كرد علي | الإدارة الإسلامية في عز العرب ، مطبعة مصر، القاهرة ، ١٩٣٤ م .

١١٦- ،، ،، ،، | غوطة دمشق ، المجمع العلمي العربي، دمشق ،الطبعة الثانية ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

١١٧- محمد كرد علي — الإسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨م .

١١٨- ‹‹ ‹‹ ‹‹ — خطط الشام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

١١٩- ‹‹ ‹‹ ‹‹ — دمشق (مدينة السحر والشعر) ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

١٢٠- محمد يوسف النجرامي — العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

١٢١- محمود وصفي محمد — دراسات في الفنون والعمارة الإسلامية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

١٢٢- مصطفى حلمي — نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ، دار الدعوة للطبع والنشر ، الاسكندرية ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

١٢٣- مصطفى مراد الدباغ — الموجز في تاريخ الدولة العربية في بلادنا فلسطين ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

١٢٤- منير الخوري صيدا عبر حقب التاريخ ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٦٦م ·

١٢٥- موسى عبد الغفار أحمد الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين في العهد الأموي ، رسالة ماجستير، لم تطبع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م ·

١٢٦- نادية حسني صقر سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه أهل الذمة ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ١٩٨٤م ·

١٢٧- ناصر خسرو سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ·

١٢٨- ناصر السيد محمود النقشبندي الدرهم الإسلامي المضروب على الطراز الساساني ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م·

١٢٩- نبيه عاقل تاريخ خلافة بني أمية ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ·

١٣٠- نجدة خماش — الإدارة في العصر الأموي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

١٣١- نعمان القساطلي — الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، دار الرائد العربي ، بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

١٣٢- وفيق الدقدوقي — الجندية في عهد الدولة الأموية ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

١٣٣- يوسف العش — الدولة الأموية "والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان"، دار الفكر،دمشق ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

١٣٤- يوليوس فلهوزن — تاريخ الدولة العربية ، ترجمة وتعليق عبد الهادي أبوريدة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

د — البحوث العربية والأجنبية

١ — ابراهيم العدوي: موقف الامبراطورية البيزنطية من الفتح الإسلامي لبلاد الشام ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ،الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

٢ — أرنست ڤيل: الحياة الثقافية والفنية في بلاد الشام في نهاية العصر القديم ، ترجمة باسيل عكولة ،المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

٣ — جان سوڤاجيه: دمشق والشام ، (لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر) ، ترجمة فؤاد أفرام البستاني ، مجلة المشرق ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦ م .

٤ — G. Tate. "les campagnes du nord de la syrie, 4° - 7° siecles", The Fourth International Conference on the History of Bilad Al-Sham, "from the onset of the Byzantine era until the close of the Umayyad era", The University of Jordan, Amman, 1983.

٥ ـ رأفت عبد الحميد محمد : قواعد الدبلوماسية البيزنطية ، المجلة التاريخية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، المجلد الثالث والثلاثون ، ١٩٨٦م ٠

٦ ـ سليمان عبد الغني مالكي : طريق حجاج الشام ومصر ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثلاثون ، والحادي والثلاثون،القاهرة ، ١٩٨٣/١٩٨٤م ٠

٧ ـ صالح الحمارنه : المسيحية في أرض الشام ، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، والدار المتحدة للنشر، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ٠

٨ ـ طه ندا — الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي ، مجلة كلية الآداب ،جامعة الاسكندرية ، المجلد السابع عشر ، ١٩٦٣م .

٩ ـ عبد العزيز الدوري — العرب و الأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام ، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ،عمان ، والدار المتحدة للنشر، بيروت ، الطبعة الأولى،١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

١٠ـ عبدالقادر عياش — مشاركة مدن الفرات في سورية ، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، والدار المتحدة للنشر، بيروت ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

١١ـ غستون دوكوسو — تاريخ الحرير في بلاد الشام ، مجلة المشرق ، بيروت ، السنة الخامسة عشر ، ١٩١٢م .

١٢ـ Francois Villenuve — "Contribution de l'Archeologie al'histoir economique et sociale des village du Hawran (Iveme - VIleme sieclse Ap, J. C.) The Fourth International Conference on the history of Bilad Al-Sham", from the onset of the Byzantine era until the close of the Umayyad era", The University of Jordan, Amman, 1983.

١٣- فواز طوقــــــــــان — الحائر في العمــــارة الأمويــــة ، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بــــلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمــــان ، والدار المتحدة للنشر ، بيـــــروت ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

١٤- لطفـــي عبد الوهاب يحـــــي — بعض المصادر البيزنطية لتاريــــخ سوريــة في العصـــر البيزنطــــي ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بــــلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمــــان ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

١٥- "The Plague in Bilad Al-Sham in pre-Islamic times" The Fourth International Conference on the History of Bilad Al-Sham, The University of Jordan, Amman, 1983. — Lawrance I Conrad

١٦- محمد أبو الفرج العش — النقود العربية مصدر وثائقي للتاريخ والفن ، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ،عمان ، والدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

١٧- نعيم فرح — أضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام ودورها في التجارة العالمية في العصر البيزنطي ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

١٨- نقولا زيادة — التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ،عمان،١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

١٩- " the Towns of Bilad Al-Sham and the Arab conquest", in the fourth international conference on the history of Bilad Al-Sham The University of Jordan, Amman, 1983. — Huge Kennedy

٢٠- "New perspective on the last decades of the Byzantine era" The fourth international conference on the history of Bilad Al-Sham, The University of Jordan, Amman, 1983. — Waler Emil Kaegi, JR.

٢١- يوسف درويش غوانمة — أيلة (العقبة) وعلاقاتها الاقتصادية والتجارية مع الجنوب العربي وبلاد الشام حتى سنة ٦١٠م، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

الملاحق

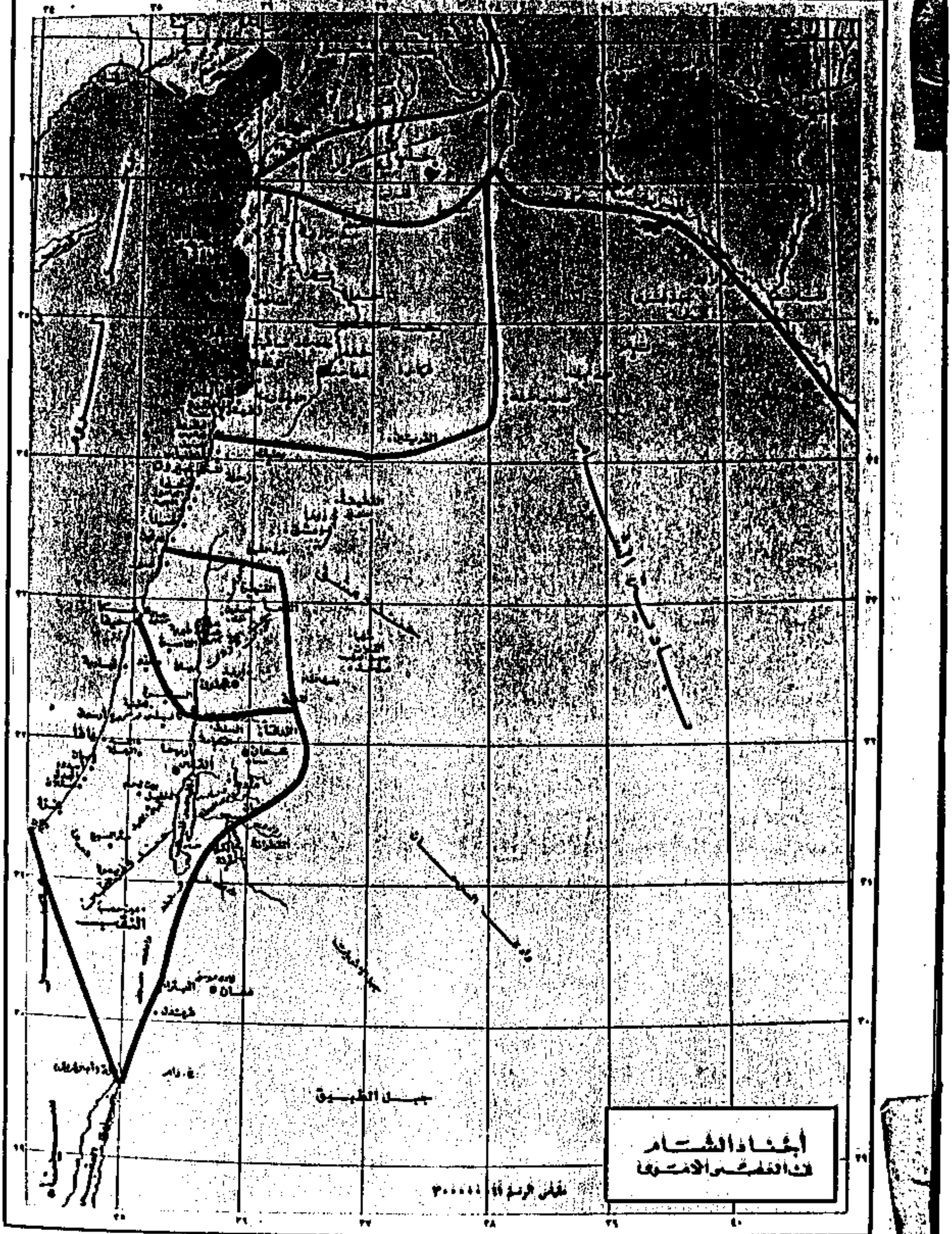
ملحــــــق رقــم (١)   الخرائـــط التوضيحيـــــــــــــه



خريطـــه رقـــــم (١) عن حسين مؤنـــس/ اطلـــس تاريخ الاســـــلام

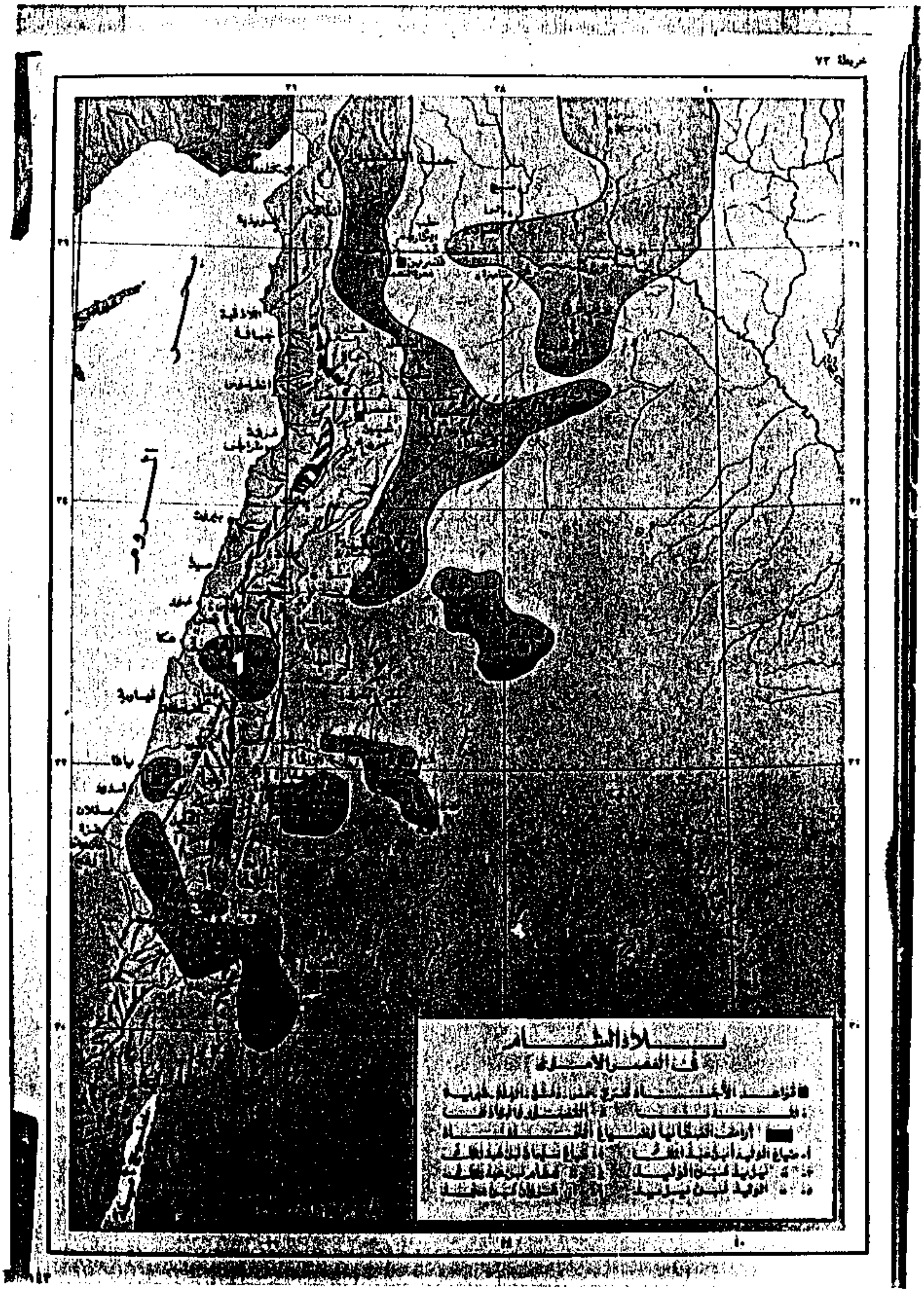


خريطـه رقـم (٢) عن حسـين مؤنـس/اطلـس تاريـخ الاسـلام

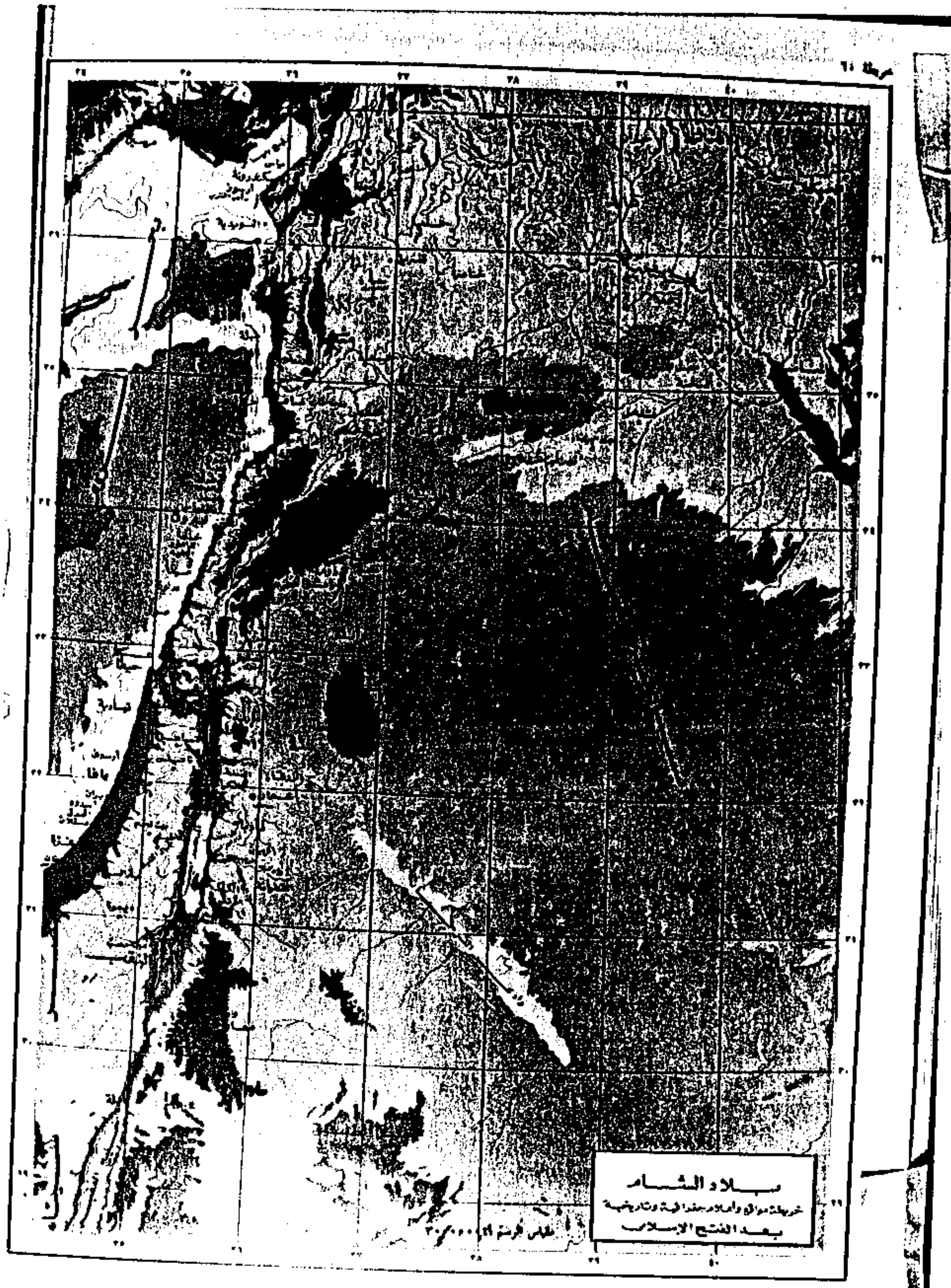


١٤

خريطـــه رقـــم (٣) عن حسين مؤنس/اطلس تاريخ الاسلام



خريطـــه رقـــم (٤) عن حسين مؤنـــس/اطلس تاريخ الاســـلام



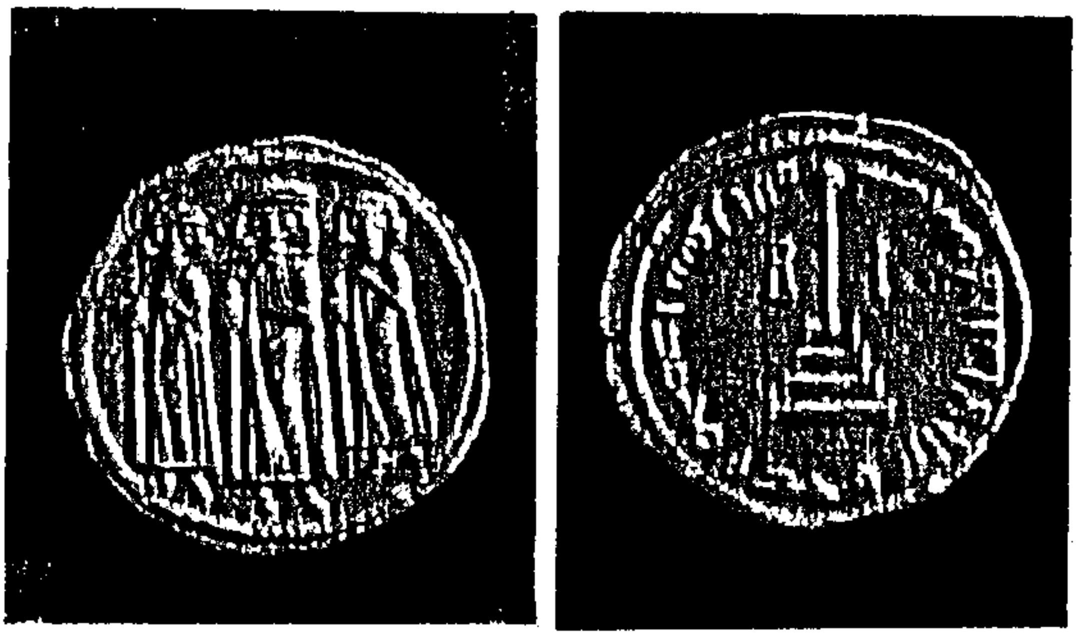
خريطـــه رقـــم (٥) عن حســين مؤنـــس/اطلـــس تاريـــخ الاســـلام

ملحق رقم (٢)

الدنانير والدراهم والفلوس التي عربت في العهد الأموي

"حصه صباح السالم/ كنوز الفن الإسلامي ، متحف راث ، جنيف ، ١٩٨٥م"

أ ـ نقود ذات أهميه تاريخيه خاصه :



لوحه رقم (١)

دينار أموي بدون اسم الحاكم (يعود لعهد الخليفه عبد الملك بن مروان)

بدون اسم دار الضرب او تاريخه، يحتمل ان يكون قد ضرب في دمشق بين العام ٧٢و٧٤هـ/٦٩١و٦٩٤م.

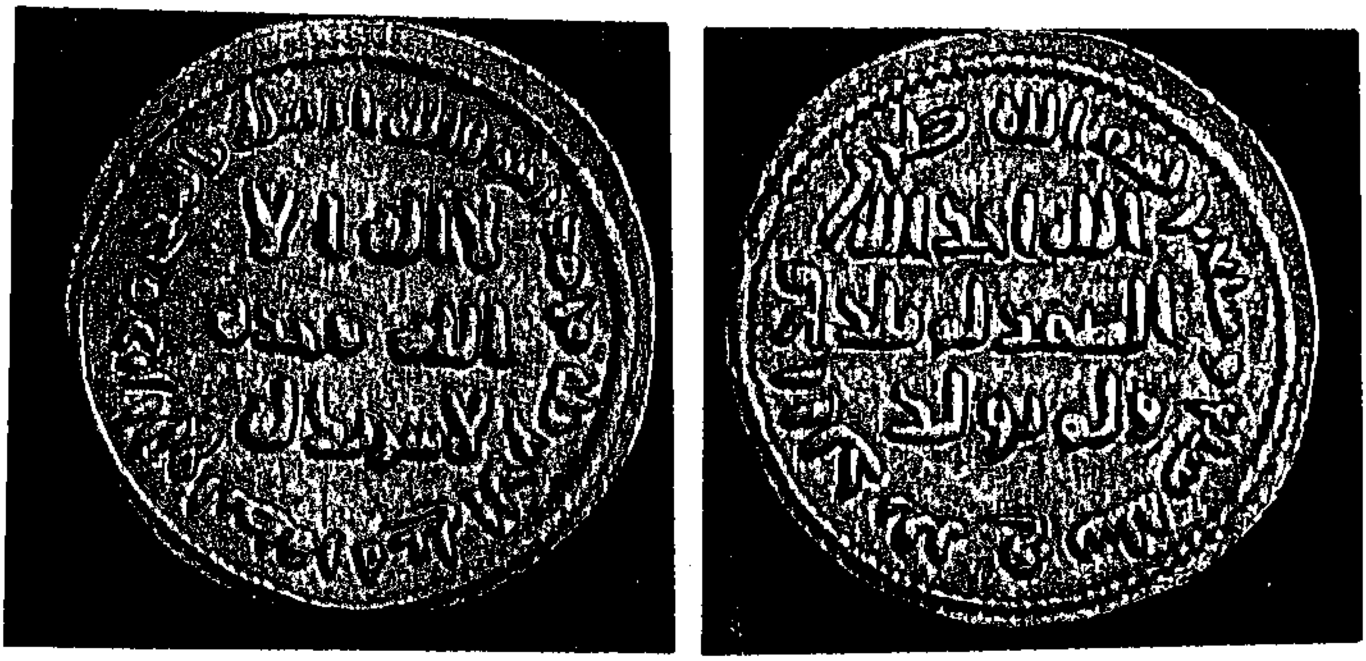
الوجه: ثلاثه اشخاص بثياب طويله.

مركز الظهر: عمود على قاعده ذات أربع درجات ، الهامش: "بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله، محمد رسول الله".

ذهب ٤٫٣٥ ج ، القطر ٢٠ مم.

ظهرت الشهاده ، لأول مره في النقود الاسلاميه ، على هذا النمط من الدنانير.

– حصه صباح السالم ، ص. ٣٥٦ –



لوحـــه رقـــم (٢)

دينار عبد الملك بن مروان بعد التعريب وقد ظهرت به سنـــة الضـــرب ٧٧هـ.

صوره مأخوذه عـــن مجلـــه أهـــلا وسهـــلا ، السنـــه ١٢ ، العدد ١ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، وهـــي صوره بقطعـــه نادره من دينـــار عبـد الملـــك بـــن مروان والذي بيـع فـي مـزاد علنـــي فـــي اواخـــر العـام الماضـــي بلنـــدن.

ب – نقود فترة ما قبل التعريب:





لوحـــه رقـــم (١)

فلـــس أمـــوى بدون اســـم الحاكـــم

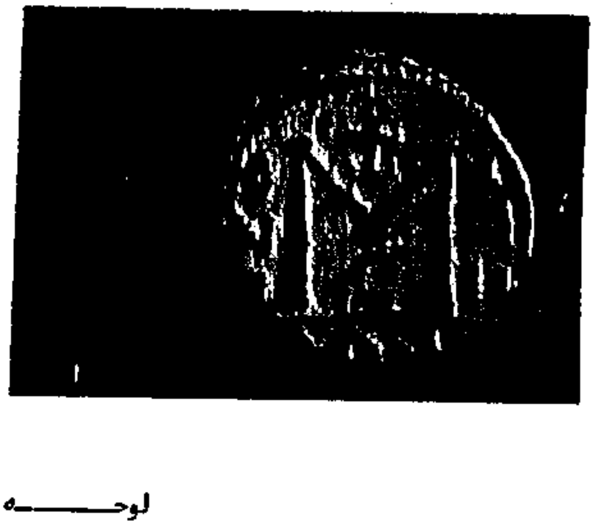
دار الضـرب: دمشـق ، بدون تاريـخ.

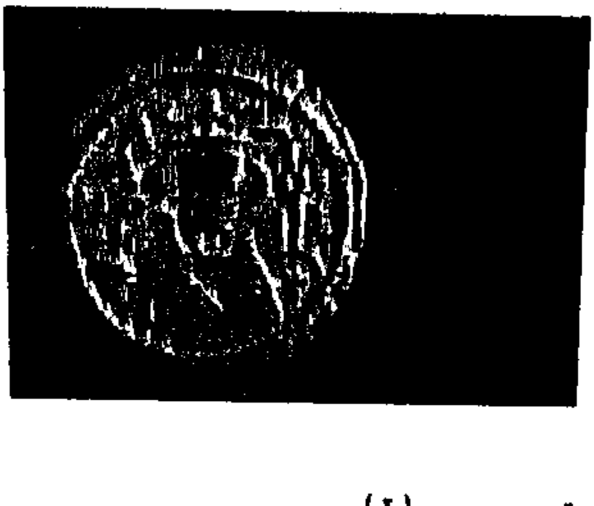
الوجـــه: صورة الامبراطور واقفـا.

الظهـــر: حرف م بالانجليـــزى.

نحاس ٢٢ر٤ ج ، القطـــر ١٨ مـم.

– حصه صباح السالم ، ص. ٣٥٦ –





لوحـــه رقـــم (٢)

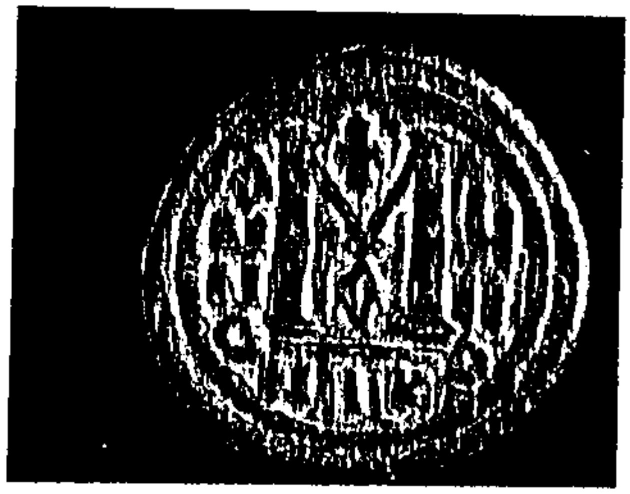
فلـــس امـــوى بـــدون اســـم الحاكـــم

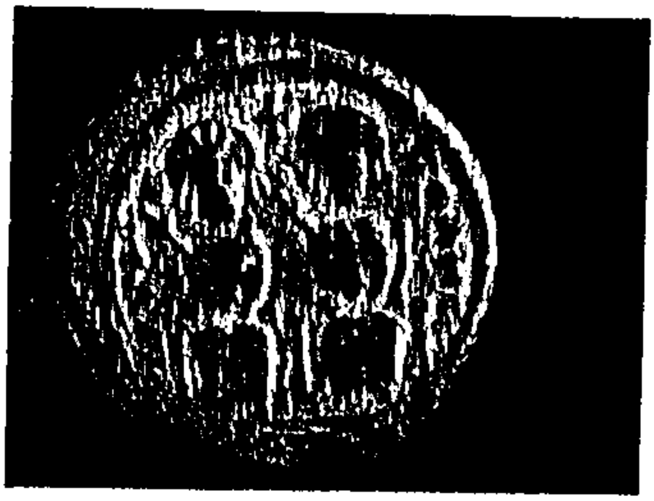
دار الضـــرب: حمص ، بدون تاريـخ.

الوجـــه: صوره نصفيه للامبراطور واسم الدار على اليميـن.

نحاس ٢٩ر٣ ج ، القطـر ٢١ مـم.

حـــصـــه صباح السالـــم ، ص. ٣٥٧ –





لوحــــه رقــــم (٣)

فلــــس امـــوى بـــدون اســـم الحاكـــــم

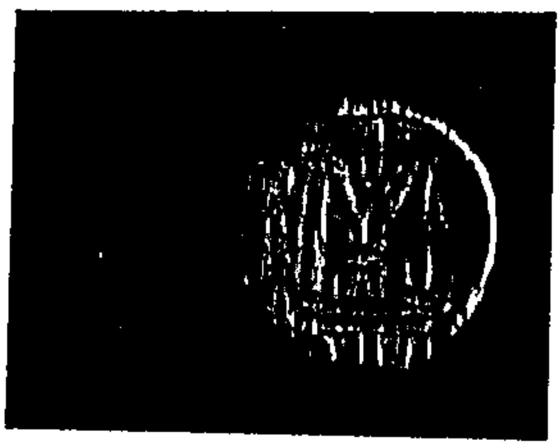
دار الضــرب: بيســان ، بدون تاريــخ.

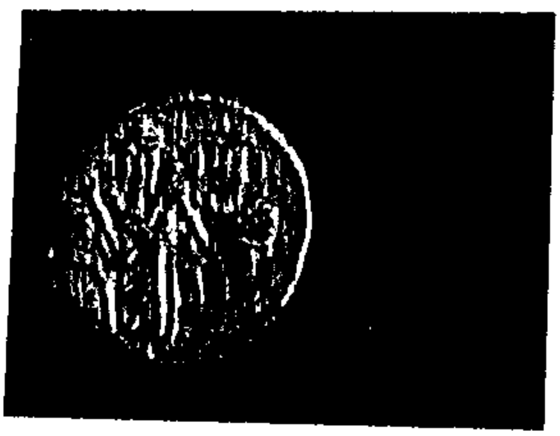
الوجــــــه: صوره لحاكمين يجلسان على العــرش.

الظــــهر: حــرف م بالانجليـــزى.

نحاس ٤٦ر١٢ ج ، القطــر ٢٨ مــم.

- حــصــه صباح السالم ، ص. ٣٥٧ -





لوحــــه رقــــم (٤)

فلــــس أمـــوى بـــدون اســـم الحاكـــــم

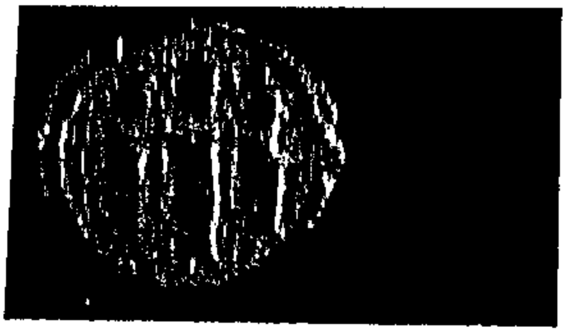
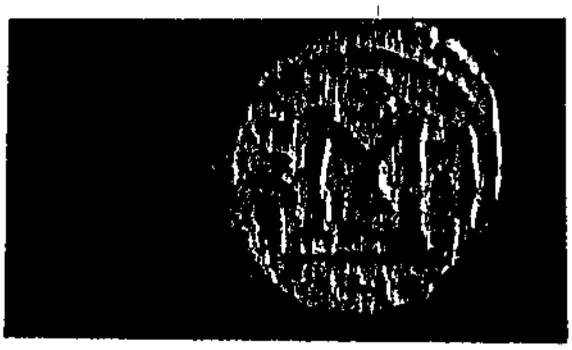
دار الضــرب: بعلبــك ، بدون تاريخ.

الوجــــه: صــوره لامبراطورين واقفين.

الظهـــــر: حــرف م بالانجليــزى.

نحاس ١٥ر٤ ج ، القطــر ١٨ مــم.

- حصـــه صباح السالم ، ص. ٣٥٧ -

لوحــــــه رقــــــم (٥)

فلــــس امــوى بــــدون اســم الحاكـــــــم٠

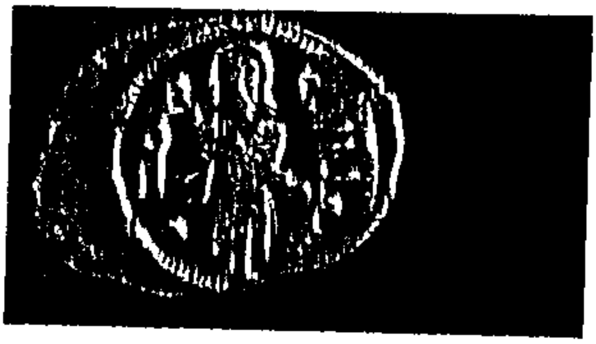
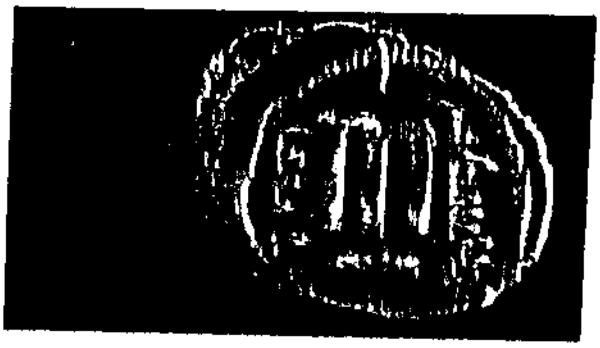
بدون اسم دار الضــــرب او تاريخــــه٠

الوجــــــه: صوره لثلاثه أباطره/أشخاص٠

الظهـــــر: حــرف م بالانجليــــــزى

نحــاس ٣٢ر٢ ج ، القطــر ٢٠ مـــم

ـ حصـــه صباح السالـــم ، ص٠ ٣٥٧ ـ

لوحـــــه رقـــــم (٦)

فلـس اموى بدون اسم الحاكــم (يعود لعهــد الخليفـــــه عبـــد الملــك بــن مـــروان)

دار الضـــرب: ايليا٠ فلسطين (القدس) ، بدون تاريـــخ (٦٥ـ٨٦هـ/٦٨٥ـ٧٠٥م)٠

الوجـــــه: صورة الخليفه واقفا ، كتابه هامشيـــــه: "محمـــد رســـول اللـــه"٠

الظهـــــر: حرف م بالانجليـزى٠

نحاس ٠٨ر٣ ج ، القطـــر ٢١ مم٠

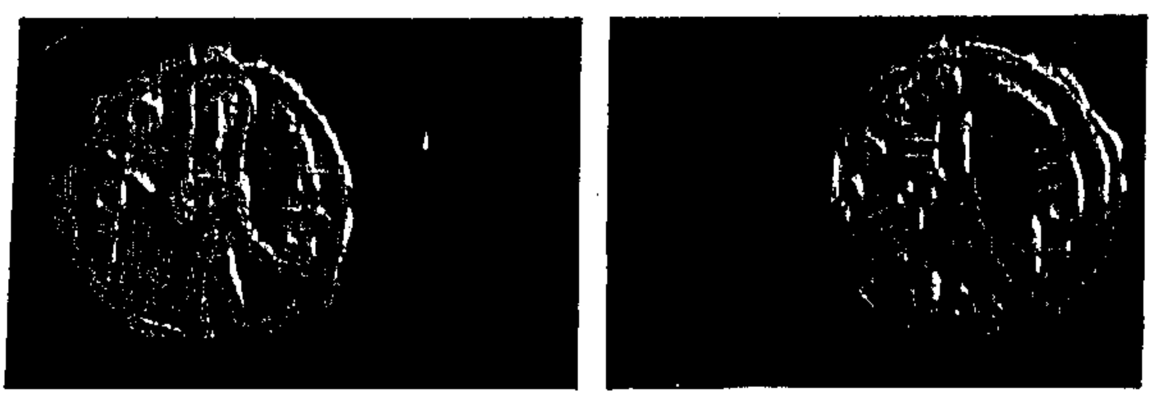
ـ حمة صباح السالم ، ص٠ ٣٥٧ ـ



لوحــــه رقـــم (٧)

فلس عربـي بصورة عبد الملك بــن مروان ضـرب فـي حلــب

ـ حســـن محمـــود الشافعــي ، العمله وتاريخها ، ص٠ ٨٦ ـ



لوحـــــه رقـــم (٨)

فلـــس امـــوى بدون اسم الحاكم (يعود لعهد الخليفه عبد الملك بن مـروان)٠

دار الضـــرب: الرها (اورفـا) ، بدون تاريخ (٦٥ـ٨٦هـ/٦٨٥ـ٧٠٥م)٠

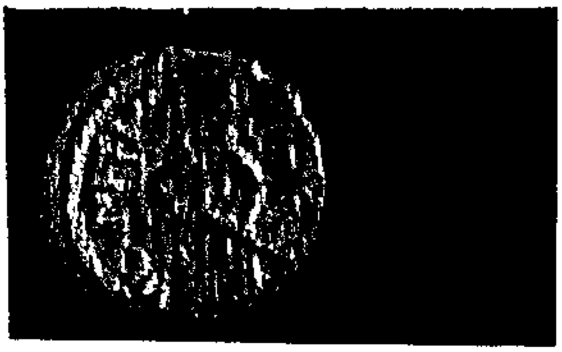
الوجــــه: صـــوره الخليفـه واقفـا ، كتابـه هامشيـــه:

"بســم اللــه محمـــد"٠

الظهـــر: عمـود علـى قاعـده مدرجـه ، كتابه هامشيـه: القسم الأول من الشهـــاده٠

نحاس ٢ر٨١ ج ، القطـــر ٢٠ مـم٠

ـ حصـــــه صباح السالم ، ص٠ ٣٥٨ ـ



لوحـــــــه رقـــــم (٩)

قلـــــس أمـــوى باسم الخليفه عبد الملك بـن مـروان

دار الضــــرب: بعلبك ، بدون تاريخ ، (حوالي ٧٣ـ٧٧هـ/٦٩٢ـ٦٩٧م)٠

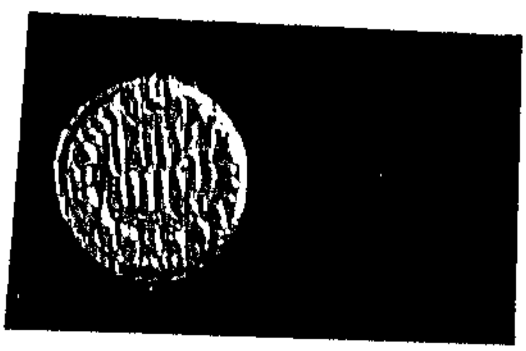
الوجـــــــه: صورة الخليفــه واقفا ، نقش لنجمه على اليمين ، كتابـــــه هامشيــه: اسم الخليفه ولقبـه " اميـــر المؤمنيـــــــن"٠

الظهـــر: عمود على قاعده ذات أربـع درجات ، تعلوه كرة ، دار الضـرب الى اليمين ، كتابه هامشيـــه: الشهــــادتان٠

نحاس ٢٩ر٢ ج ، القطـــــــر ١٩ مــــم٠

ــ حصـــــــــــــه صباح السالـــم ، ص٠ ٢٥٨ ــ

ج ــ النقـــود العربيـــــه اللاتينيـــه في افريقيـــــــه٠



لوحـــــه رقـــــم (١)

دينــار أموى بدون اسم الحاكـم (يعود لعهد الخليفـه سليمـــــان)٠

دار الضـــــرب: افريقيــه ، سنــه ٩٨هـ (٧٦م)٠

مركز الوجــــه: النصف الاول من الشهاده ، الهامش: دار الضرب وتاريخه باللاتينيه٠

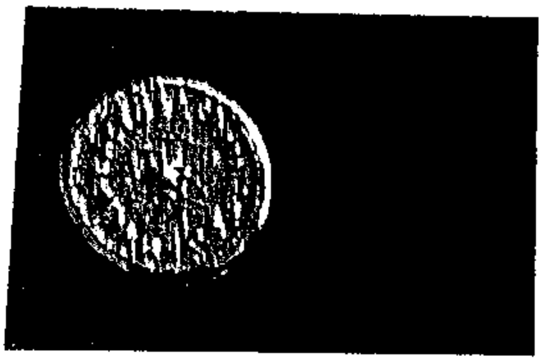
مركز الظهـــر: النصف الثاني مـــن الشهــــاده ، كتابه هامشيـــــه باللاتينيـــه٠

ذهـــب ٤٠٢٤ ج ، القطــر ١٣ مــم٠

ــ حصــــه صبــاح السالم ، ص٠ ٢٥٩ ــ

د ـ النقـــود العربيـــه اللاتينيه في الاندلـــس



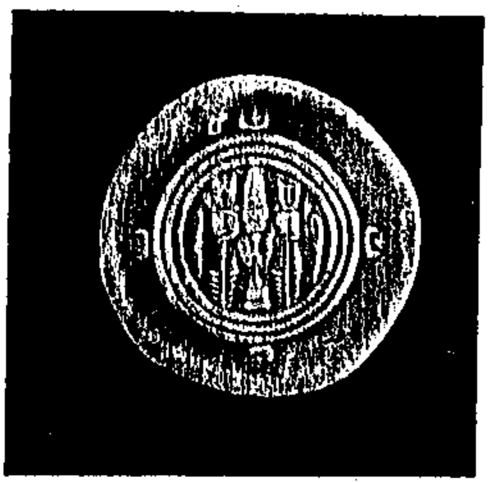


لوحـــــه رقـــــم (١)

دينـــار اموي بدون اسم الحاكم (يعود لعهد الخليفه سليمـــــان).

دار الضـــرب: الاندلس ، سنـــه ٩٨هـ(٧١٦م).
مركز الوجـــه: نجمه ثمانيـــه ، الهامش: دار الضرب وتاريخـــه باللاتينيـــــه.
مركز الظهـــر: النصف الثاني من الشهاده ، الهامش: دار الضرب وتاريخه بالعربيه.
ذهـــب ٤ر١٢ ج ، القطـــر ١٤ مـم.
ـ حصـــه صبـــاح السالـــم ، ص. ٢٥٩ ـ

هـ ـ النقـــود العربيـــه الساسانيـــه في العـــراق وايران :

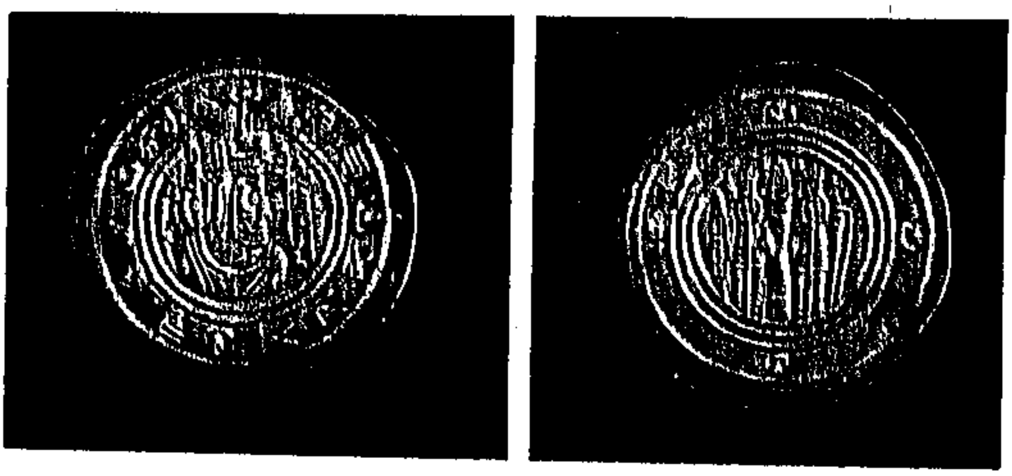




لوحـــــه رقـــــم (١)

دراخـم اموي باسـم الخليفـه معاويـه بـن ابي سفيــــــان

دار الضـــرب: دار ابجرد ، سنـــه ٤١هـ (٦٦١م) .
مركز الوجـــه: صوره نصفيه لملك ساساني ، باتجاه اليمين ، الهامش: البسملـه.
الظهـــــر: معبد النار وكاهنان ، دار الضرب وتاريخه بالبهلــــــــوى
فضـــه ٦٥ر٣ ج ، القطـــر ٣٠ ملـم.
ـ حصـه صبـــاح السالـــم ، ص. ٢٥٩ ـ

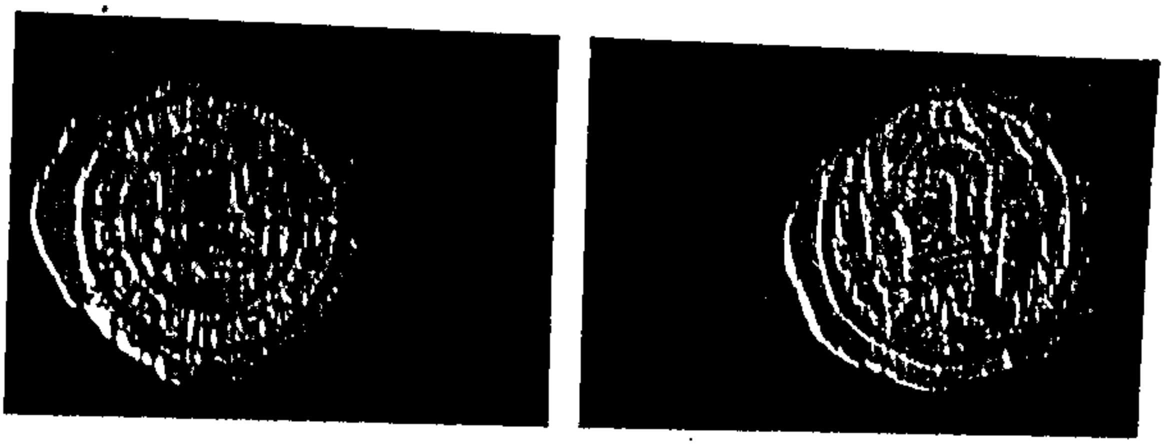


لوحـــــه رقـــم (١)

<u>دراخـــم اموى باســم الحجــاج بن يوسـف الثقفـــي</u>

دار الضـــرب: بيشابـــور ، سنـــه ٧٧هـ (٦٩٦م)٠
مركز الوجـــه: صوره نصفيــه لملك ساساني ، باتجاه اليمين ، الهامش:الشهادتان٠
الظهـــــر: معبد النار وكاهنان ، دار الضرب وتاريخـــــه بالبهلـــوى
فضـــه ٤ر٠٢ ، القطـــر ٣٢ مـم٠

ـ حصـــــه صبـــاح السالـــم ، ص٠ ٣٥٩ ـ



لوحـــــه رقـــم (٢)

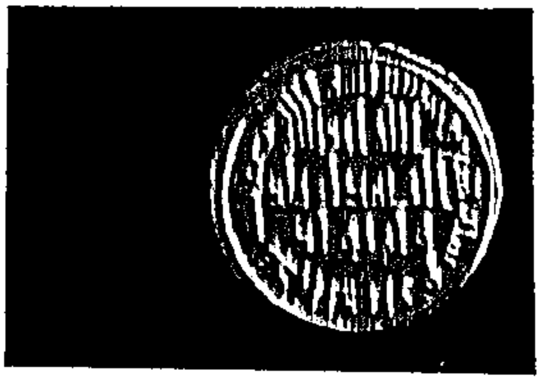
<u>فلـس امـــــوى باســم الخليفـــــه هشــــام</u>

دار الضـــرب: جي ، سنـــــه ١١٦هـ (٧٣٤م)٠
الوجـــــــه: صوره نصفيه لملك ساساني ، باتجاه اليميـــــن٠
مركز الظهـــر: الشهادتان ، الهامش: دار الضرب وتاريخه بالعربيه٠
نحاس ٢ر٦٣ ج ، القطـــــر ٢٢ مـم٠

ـ حصـه صبـاح السالـم ، ص٠ ٢٦٠ ـ

و ـ العملـــه الامويـــه المعربـــه:



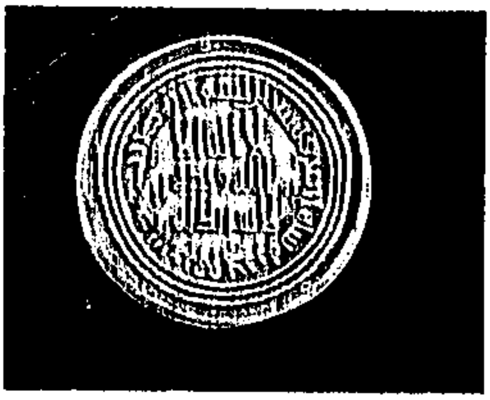


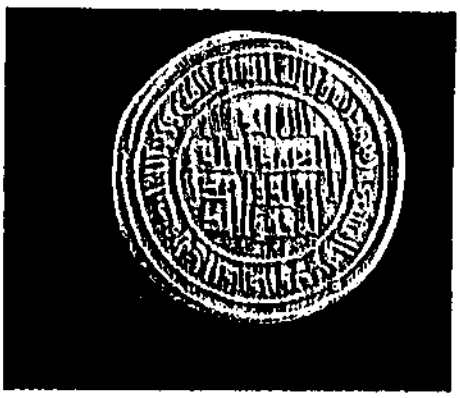
لوحـــه رقـــم (١)

دينـــار أُموي بدون اســم الحاكــم (يعود لعهد الخليفه عبد الملك بن مروان)٠

بدون اسم دار الضرب ، ضرب في سنـه ٧٩هـ (٦٩٨م)٠
ذهب ٤٫٢٧ ج ، القطـــر ١٩٫٥ مـم٠
هـذا نموذج عن الدينار الأُموي ، ومن المرجح انه ضرب في العاصمــه دمشـــق٠

ـ حصـه صبـاح السالـــم ، ص٠ ٣٦٠ ـ





لوحـــه رقـــم (٢)

درهـــم أمـوي بدون اسم الحاكم (يعود لعهـد الخليفه الوليد الاول)٠

دار الضـــرب: جـنزه ، سنـــه ٩٤هـ (٧١٢م)٠
فضـه ٢٫٨٧ ج ، القطـر ٢٧٫٥مـم٠
الدراهم الامويه التي ضربت في جنزه نادره جـدا ، وهـذا الدرهم واحد منهـا ، وجنزه على الارجح هي مدينـه غنجـا الحديثه في اذربيجـــان السوفياتيـــه٠

ـ حصـه صباح السالـــم ، ص٠ ٣٦٠ ـ



لوحـــــــه رقـــم (٣)

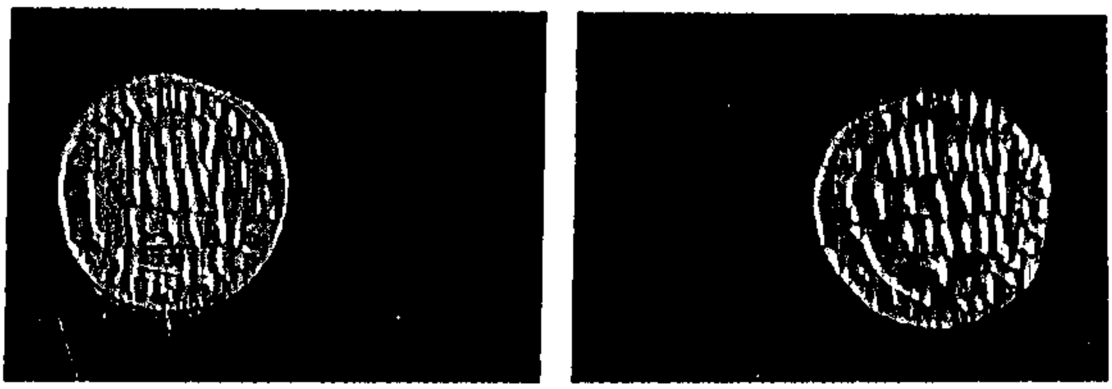
فلـــــس أمـــــوى بدون اســـم الحاكــــــم

دار الضـــرب: عكـــا ، بدون تاريـــــــخ ٠

نحاس ١٢ر٣ ج ، القطر ٢٤مم٠

بخلاف الدينار والدرهم ، لم يخضع الفلس في فترة ما بعد التعريب لاوزان ونقوش ثابتـــه ، وفي معظم الاحيان لم يكن يذكر عليه تاريخ الضـــرب٠

ـ حصـــه صباح السالـــم ، ص٠ ٢٦٠ ـ



لوحـــــــــه رقـــــــم (٤)

نصـــف دينار أموى بدون اسم الحاكم (يعــود لعهد الخليفه الوليد الاول)٠

بدون اسم دار الضرب ، ضرب في سنـــه ٩٤هـ (٧١٢م)٠

ضرب نصف الدينار الاموى على نمط السمسيس البيزنطي ، وذلك في الفتره من ٩٠ـ١٠١هـ/٧٠٨ـ٧٢٠م ، وهو نادر تحتوى الكتابه الهامشيه في الظهر وكان نصف الدينار الاموى يضرب في دمشق شانه في ذلك شان الدينار٠

ـ حصـــــه صباح السالـــم ، ص٠ ٢٦٠ ـ



لوحـــــه رقـــــم (٥)

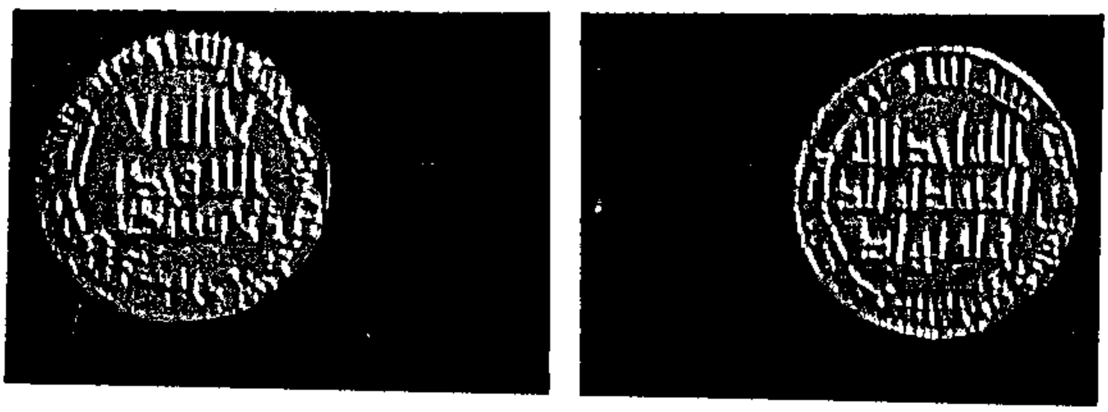
ثلــث دينـــار اموى بدون اسم الحاكم (يعود لعهد الخليفه يزيـد الثاني)٠

بدون اسم دار الضرب ، ضرب في سنه ١٠٢هـ (٧٢١م)٠

ذهب ١ر٤٣ ج ، القطــر ١٣ مم ٠

ضرب ثلث الدينار الاموى على نمط الترمسيس البزنطي ، وذلك في الفتره من سنـــــه ٩٠ـ١٠٣هـ/٧٠٨ـ٧٢٠م ، الكتابه الوارده على الوجه أكثر إقتضابا من تلك التي تظهر على نصف الدينار ، وليس هناك حبيبه في اسفل موكز الظهر٠

ـ حصـــه صبـاح السالـــــم ، ص٠ ٢٦١ ـ



لوحـــــه رقـــــم (٦)

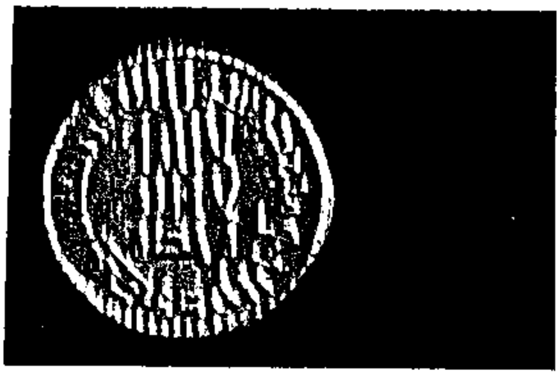
دينـــار امـــوى بدون اسم الحاكم (يعود لعهد الخليفه عمر الثاني او يزيد الثاني)٠

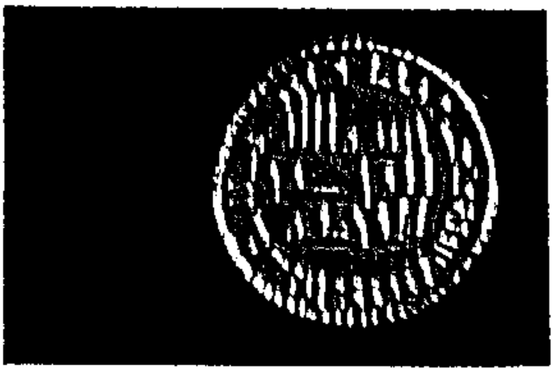
دار الضـــرب: افريقيـــه ، سنـــه ١٠٢هـ(٧٢١م)٠

ذهب ٤ر٣٠ ج ، القطـر ١٩ مم٠

هذا نموذج حسن الضــرب للدينار الافريقي ذى الحجم العادى٠

ـ حصـه صباح السالـــم ، ص٠ ٢٦١ ـ



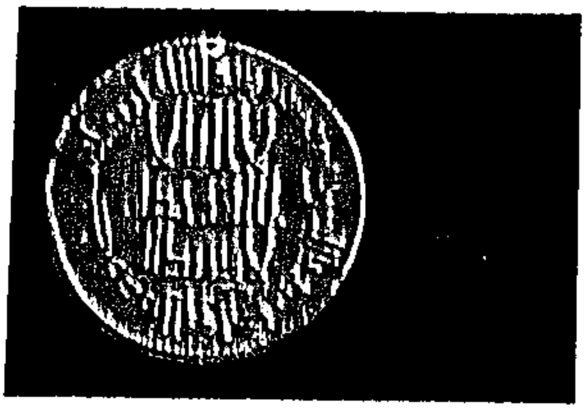


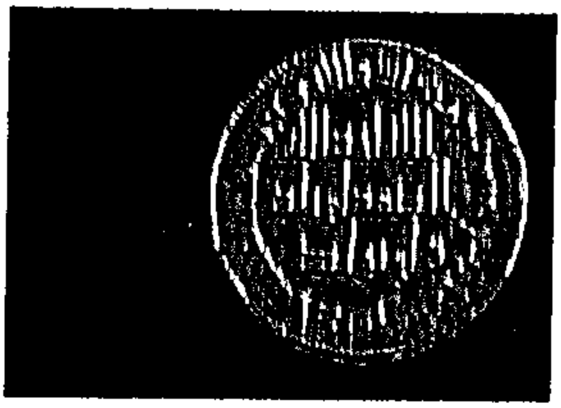
لوحـــــه رقـــــم (٧)

دينــــار أُموي بدون اســم الحاكــم (يعــود لعهـد الخليفـه يزيـد الثانـــي)٠

دار الضـــرب : افريقيـه ، سنـه ١٠٣هـ (٧٢١م)٠
ذهـب ٤٣٠ ج ، القطـر ١٩مم٠
هذا نموذج حســن الضـرب للدينـــار الافريقـي ذى الحجـــم العـادى٠

ـ حصـه صبـــاح السالم ، ص٠ ٢٦١ ـ



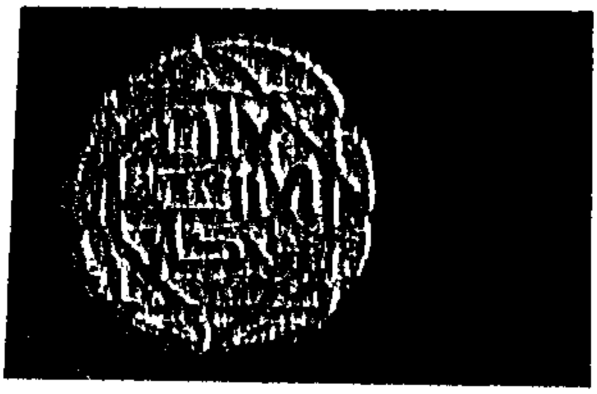
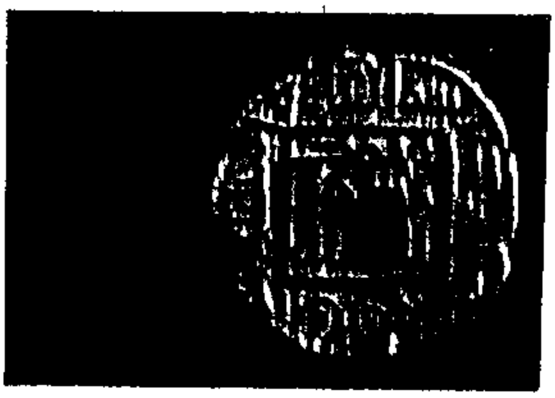


لوحـــــه رقـــــم (٨)

دينـــار أمـوي بدون اســم الحاكـم(يعود لعهـد الخليفـه هشـــــام)

دار الضـــرب: الاندلـــس ، سنـــه ١١٤هـ (٧٣٢م)٠
ذهـب ٤٫٢٤ ج ، القطـــر ٢١٫٥ مم٠
في عهد الخليفه هشام تخلت مراكز الضرب في افريقيه والاندلس عن النصوص الوارده على نصف الدينار واستبدلتها بالنصوص الوارده على الدينار ، وهذه النقود نادره جدا٠

ـ حصـه صبـــاح السالـم ، ص٠ ٢٦١ ـ

لوحـــــه رقـــــم (٩)

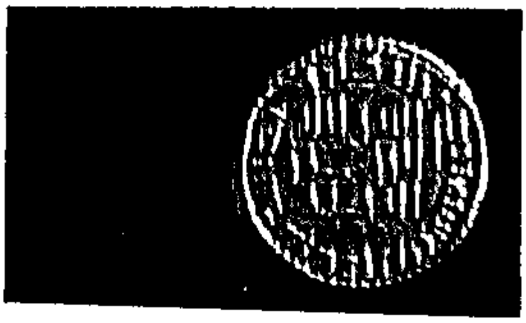
فلـــــس أمـــــوى

ضربـــه في الموصل الوالي ، الوليـــد ، في عهـــد الخليفه مروان الثاني ، بدون تاريخ (١٢٧ـ١٣٢هـ/٧٤٤ـ٧٥٠م).

الوجـــــه: النصف الثاني من الشهاده داخل مربع ، الهامش/ اسم الوالي ودار الضرب.

نحاس ٢٫٦٩ ج ، القطـــر ٢١ مم.

ـ حصـــه صبـــاح السالـــم ، ص. ٢٦١ ـ

لوحـــــه رقـــــم (١٠)

دينـــار أمـــوى بدون اسم الحاكم (يعـــود لعهد الخليفـــه مـــروان الثانـــــي)

بدون اسم دار الضرب ، ضرب في سنـــه ١٣٢هـ (٧٤٩٫٢م).

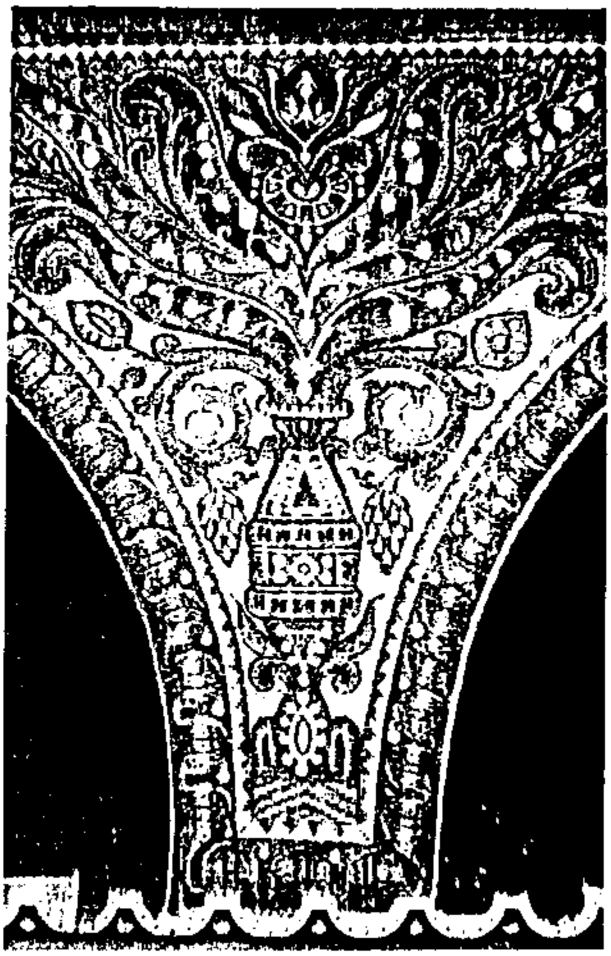
ذهب ٤٫٢٥ ج ، القطـــر ١٩٫٥ مم.

لم تضرب دنانيـــر امويـــه في المشرق بعـــد هـــذا التاريـــــخ

ـ حصـــه صباح السالـــم ، ص. ٢٦٢ ـ

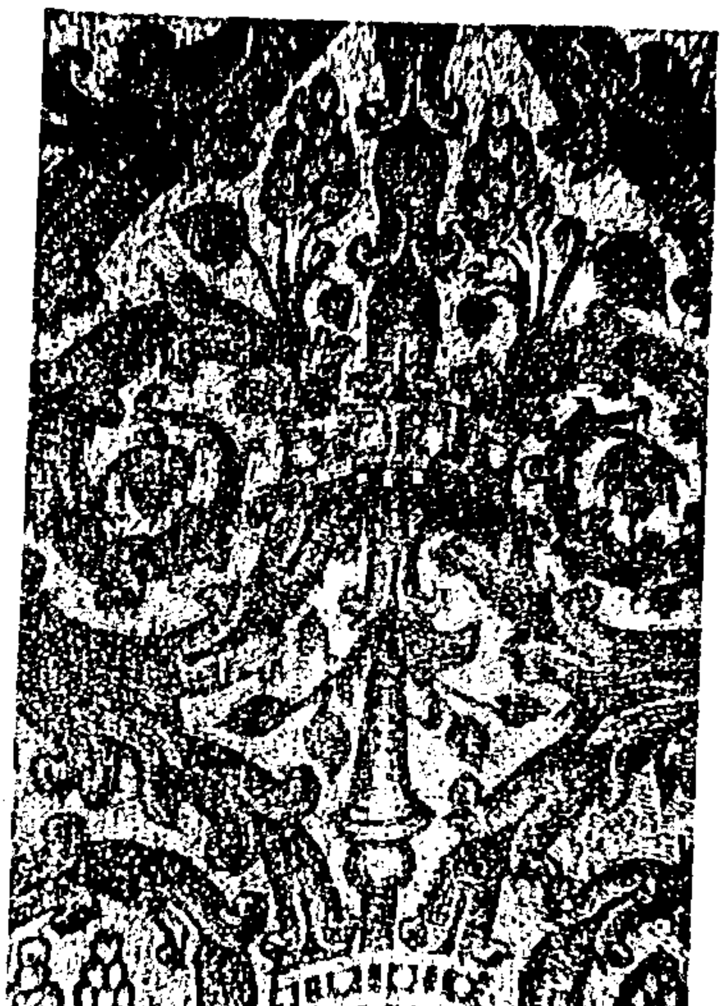
ملحـــــــــــــــق رقـــم (٣)

الزخـارف والنقـــوش فـــي العهـــــد الامـــــــوى



لوحـــــه رقـــم (١)

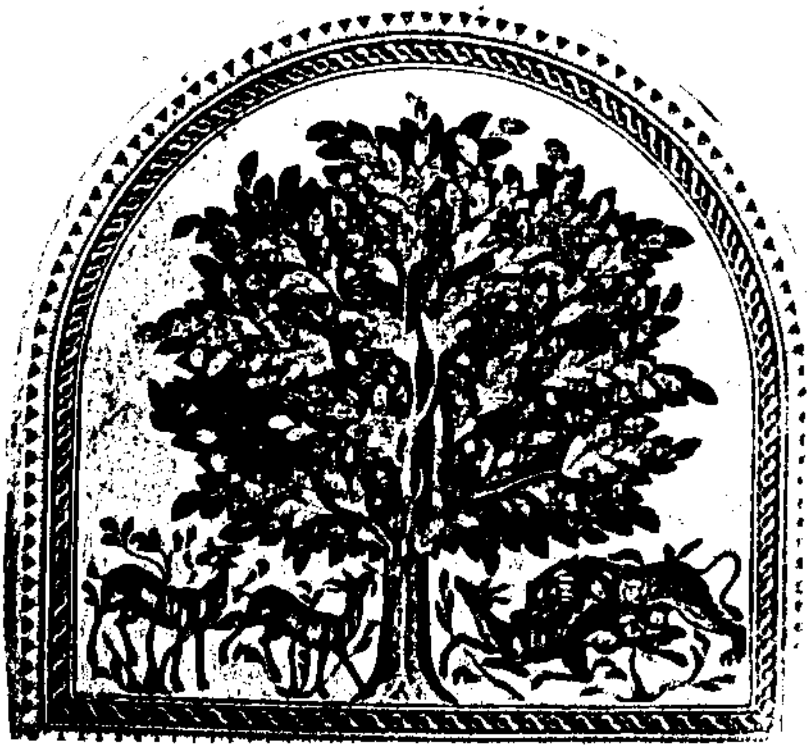
فسيفساء متعـــددة الالـــوان وزخارف مـــن الطبيعـــه عـــــن سعـــاد ماهـــر/ العماره الاسلاميـــه ، جـ ١ ، دار البيـــان ،
ـ جـــــــــــده ـ



لوحــــه رقـــم (٢)

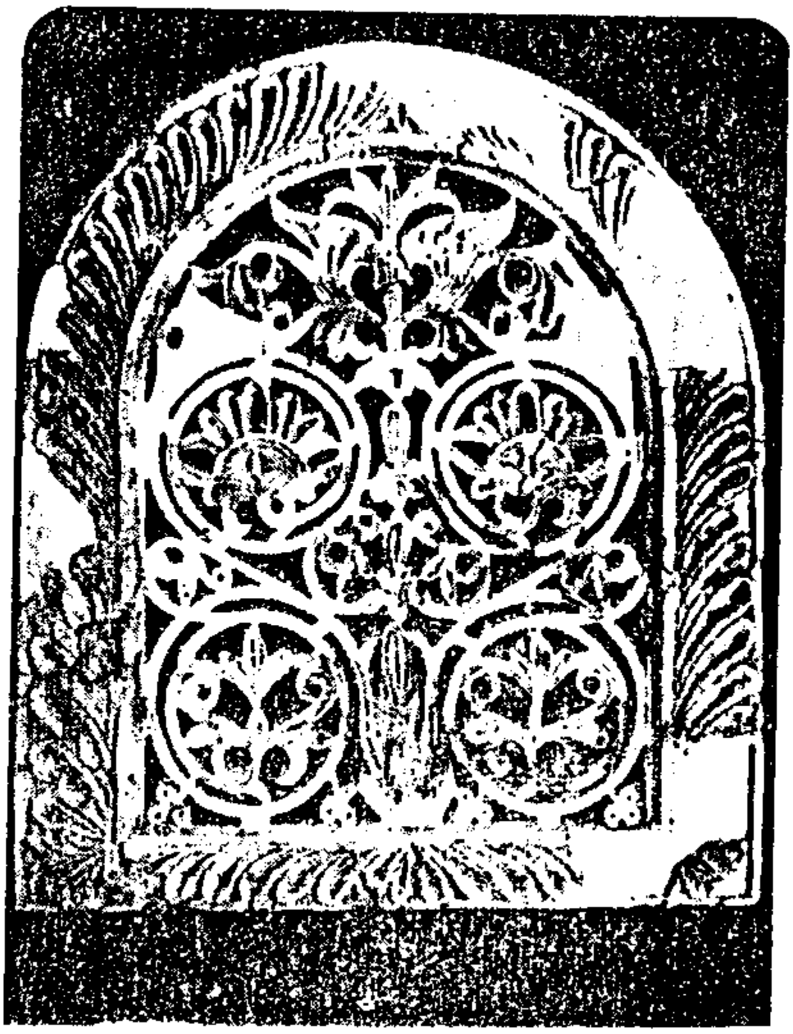
زخـــارف بالفسيفســـــاء مـــن قبــه الصخره سنـه ٧٢هـ
عن سعاد ماهــر/العماره الاسلاميه ، جـ١ ، دار البيان

ـ جـــــــده ـ



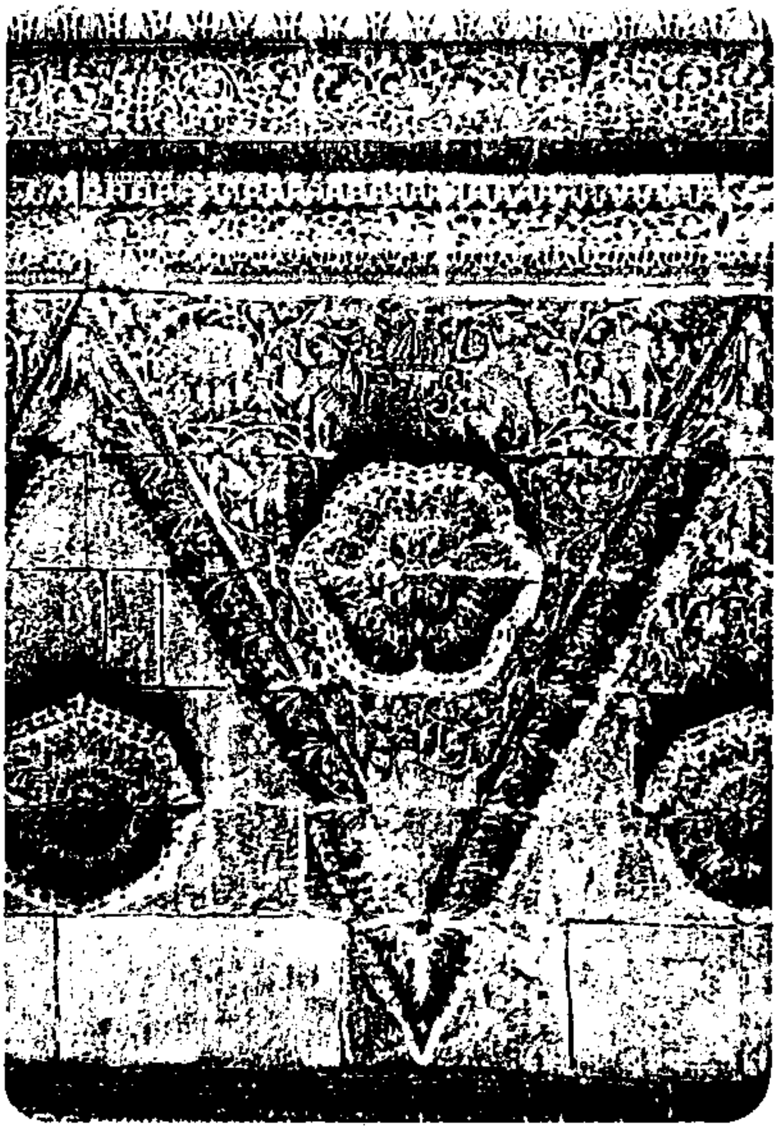
لوحه رقم (٢)

زخرفه من الفسيفساء من قصر خربه المفجر بالعصر الاموى
عن سعاد ماهر/العماره الاسلاميه جـ١ ، دار البيان
ـ جده ـ



لوحه رقم (٤)

زخارف محفوره حفر غائر على الرخام من قصر الحير الغربي من ق ٢ في العصر الاموي عن سعاد ماهر/ العماره الاسلاميه ، جـ ١ دار البيان ـ جده ـ



لوحـــــــه رقــــــم (٥)

زخـــارف محفـوره فـي الحجـر مــــن قصـــــر المشــــتى
وتتكـون من رسـوم نباتيــــه قريبـــه من الطبيعــه عـــــن
ســعــاد ماهـر/العماره الاسلاميـه ج ١ ، دار البيـــــــان
ــ جـــــــــــده ــ



لوحـــــــه رقـــــم (٦)

زخـارف خشبيه مـن سقـف المسجـد الاقصـى عـــن سعاد ماهـر/العماره الاسلاميه جـ ١ ، دار البيـــان – جـــــــده –



لوحـــــــه رقـــــم (٧)

زخـارف مـن الرخـــــام المفـــرغ من العصـر الامــــــــوى
عن سعــاد ماهــر/العمارة الاسلاميـــه ج ١ ، دار البيـــان
ـ جــــــــــده ـ